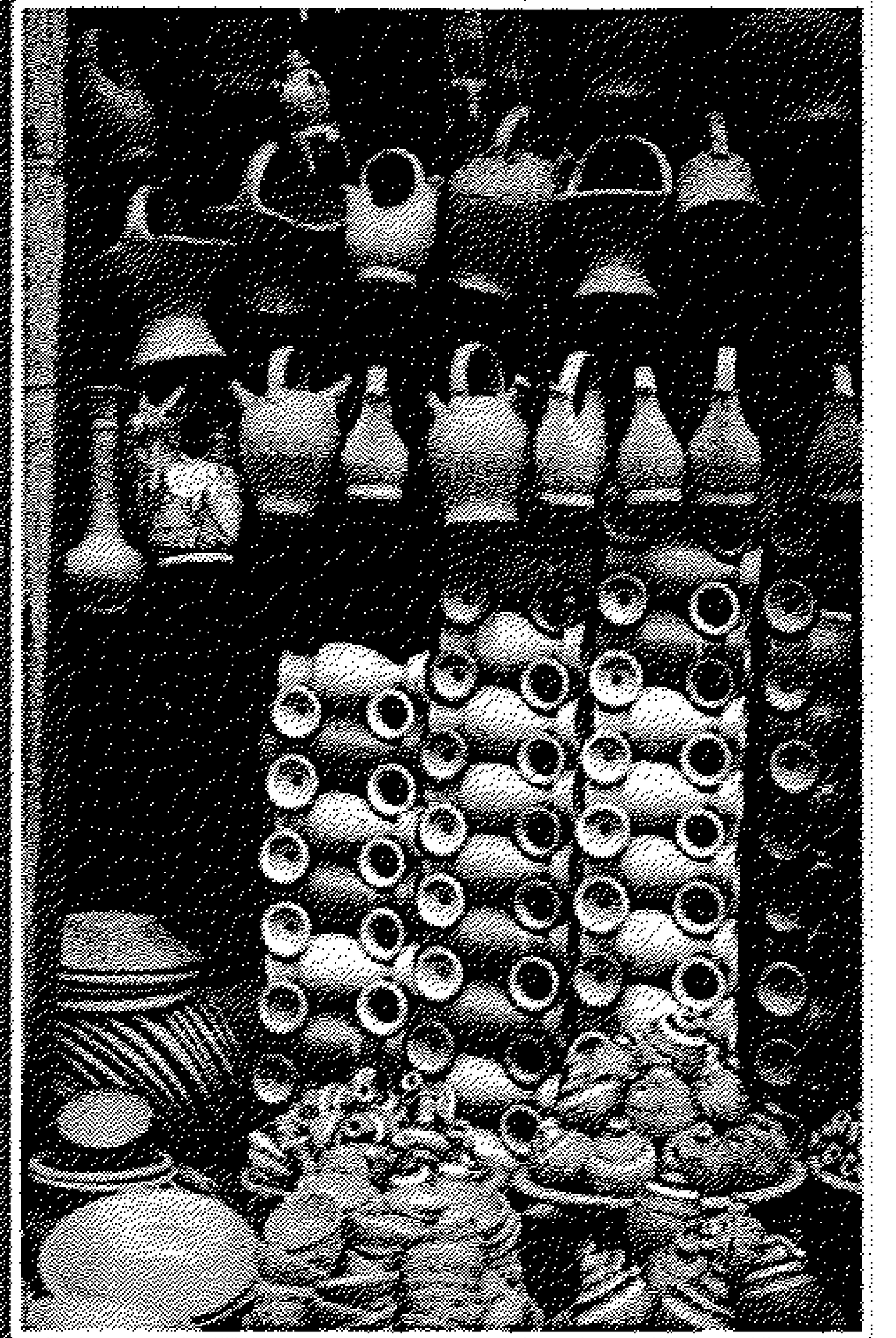





التربية المهنية والحرفية في الإسلام

الدكتور
جمال محمد محمد الهنيدي

دار الوفاء

التربية المهنية والحرفية
في الإسلام

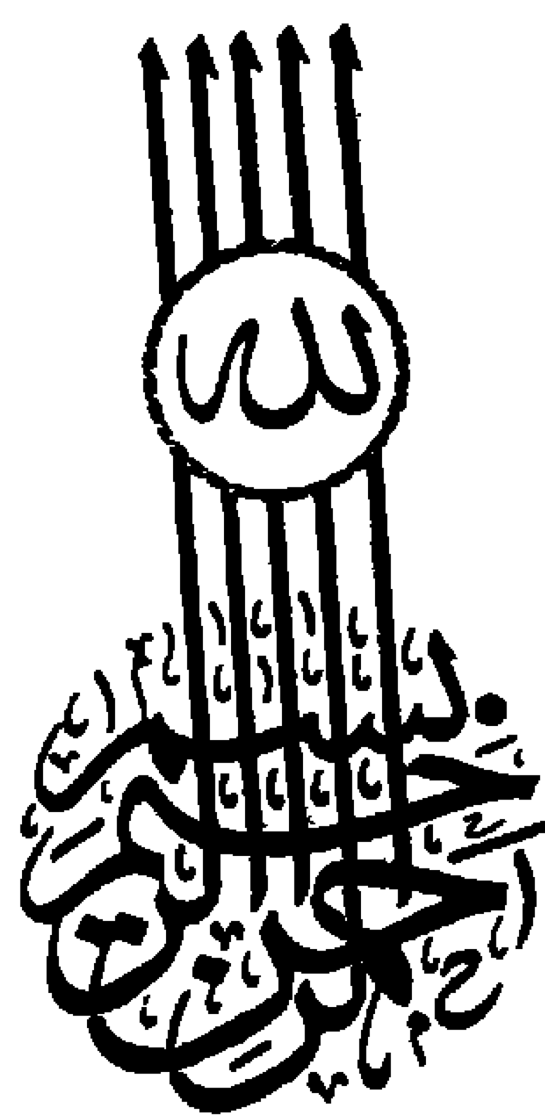
الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠
ت :٣٤٢٧٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣

التربية المهنية والحرفية في الإسلام

الدكتور
جمال محمد محمد الهنيدي
دكتوراه الفلسفة فى التربية
أستاذ مساعد أصول التربية بكلية التربية للبنات بجدة
مستشار تربوى بالإدارة العامة لكلية البنات
بالمملكة العربية السعودية



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام

الفصل الرابع
التصنيفات المختلفة للمهن والحرف

الموضوع	الصفحة

الفصل الخامس

المهن والحرف فى القرآن الكريم

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس
المهن والحرف فى السنة النبوية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل السابع
أخلاقيات المهن والحرف

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تؤكد كثير من الدراسات التربوية والاقتصادية على ظاهرة التخلف التى يعانى منها عالمنا العربى والإسلامى فى ميدان الإعداد والتدريب الحرفى والمهنى والتكنولوجى . ويكفى أن نشير هنا إلى بعض الحقائق ذات الدلالة العالية فى هذا الصدد منها : أن أكثر من نصف الأراضى العربية القابلة للزراعة غير مستثمرة ، وأن استيراد الغذاء من الخارج ما زال يمثل قسطا كبيراً فى الموازين التجارية للأقطار العربية ، وأن كثيرا من صناعاتنا مستوردة أو تقوم الخبرة الأجنبية بتصميمها وتأسيسها وصيانتها ، وأننا نعانى من عجز تجارى ، يظهر بوضوح وبنسب متفاوتة فى ميزان المدفوعات ، والأرقام الفلكية المزعجة للقروض والديون الأجنبية التى يرزح تحت عبئها معظم الدول العربية غير البترولية . يضاف إلى ذلك كله ما تتسم به إنتاجية العامل فى شتى مجالات الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى والخدمى ، من انخفاض مستوى الأداء بصورة واضحة . ويزيد تلك الصورة قتامة ما يعانى منه المجتمع العربى بصفة عامة من جميع أشكال البطالة المقنعة والظاهرة (١) .

وإذا كانت معظم الدراسات والبحوث التربوية والاقتصادية تتبنى أسلوب ضرورة الأخذ عن الغرب فى تربيتنا المهنية والتكنولوجية ، كوسيلة وحيدة للخروج من هذا المأزق التربوى والاقتصادى ، فإن الدراسة الحالية تتبنى وجهة نظر مغايرة ، وهى ضرورة الأخذ بأروع ما فى تراثنا التربوى الإسلامى من اتجاه حرفى ومهنى ، يستمد أصوله وروافضه من القرآن والسنة ، وأن هذا المنطلق الإسلامى سوف يوفر لتلك الأمة الدافع القوى للانطلاق الحضارى ، كما أنه فى نفس الوقت سوف يعصم هذا الانطلاق من كل انحراف وعبودية للحياة الدنيا على حساب الاستقامة والطهارة والقرب من الله .

والباحث فى تلك الدراسة وهو يؤكد على ضرورة العودة إلى استلهام تراثنا التربوى الإسلامى فى استنبات مهننا وحرفنا وتكنولوجيتنا ، لا يغفل إطلاقا ضرورة الأخذ من حضارة العصر وتكنولوجيته « فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » فى بحوث التربية الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧ ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

بها » ،ولكنه يحذر من السير نحو التحضر بساق واحدة : الاعتماد على ساق السلف ، أو الاعتماد على ساق العصر، والأصوب أن نسير نحو تحضرنا الإسلامى بالساقين معا ؛ الأولى تضرب فى أعظم مواريثنا الحضارية ، والثانية مرتكزة على أعظم ما وصل إليه العصر من علوم وتكنولوجيا ، كل ذلك فى ضوء تعاليم الإسلام من قرآن وسنة .

ولكى يبرز الباحث هذا المعنى ويؤكده فقد تناول فى رسالته :« مكانة الحرف والمهن فى الإسلام » وكيف حث الإسلام ـ قرآنا وسنة ـ على العمل بجميع أنواعه الزراعية والصناعية والتجارية والخدمية ، وكيف مارس الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون والصحابة رضوان الله عليهم شتى أنواع الحرف والمهن فى عصورهم . ثم عقد فصلين متتالين عن الأصول النظرية والاجتماعية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام ، ناقش فيهما الدوافع المختلفة التى تدفع المسلم إلى العمل ، والنظرة الإسلامية للعمل وللعمران ، وأبرز اختلاف العمران الإسلامى عن العمران الغربى الحديث المقترن بالظلم وتلويث البيئة والإسراف ، ثم تناول بعض الحرف والمهن التى نهى عنها الإسلام تأكيدا على خصوصية العمران الإسلامى وقيامه على الطيبات واجتناب الخبائث .

وحتى يعطى القارئ صورة عن تعدد الحرف والمهن عند المسلمين ، فقد عرَّض لبعض التصنيفات المختلفة للحرف والمهن عند علماء المسلمين ؛مثل الغزالى ـ الشيرازى ـ ابن الأخوة ـ ابن بسام ـ ابن خلدون ـ الكتانى ، وغيرهم ، وهى تصانيف توضح كيف تعددت تلك الحرف والمهن ، وكيف أمدت المجتمع الإسلامى بكل ما يحتاجه من أنواع الطيبات ، بحيث أغنته عن سواه من المجتمعات ، بل كان مجتمعا منتجا أكثر منه مستهلكا ، وموردا أكثر منه مستوردا ، وظل كذلك طوال عصور الازدهار الإسلامى .

ولكى يرد تلك الحركة المزدهرة فى مجال الحرف والمهن إلى أصولها الإسلامية الثابتة ـ القرآن والسنة ـ فقد عقد فصلين للحديث عن المهن والحرف فى القرآن والسنة ، خص كلا منهما بفصل تناول فيه كل ما ورد من أحاديث وآيات تتعلق بشتى أنواع الحرف والمهن ، لفتا لأهمية تلك الحرف والمهن ، وحثا على الأخذ بها . ولقد كانت تلك النصوص دافعا قويا دفع المسلمين فى شتى عصور الازدهار الإسلامى إلى مزيد من التفوق والإبداع والعطاء فى شتى المجالات الحرفية والمهنية .

وحتى يبرز الفارق الهائل بين العمران الإسلامى والحضارة الإسلامية وغيرها من مظاهر العمران والتحضر ، فقد ركز على الجانب الأخلاقى في العمران الإسلامى ، ولذا عقد الفصل الأخير من الرسالة لمناقشة أخلاقيات الحرف والمهن فى الإسلام ، وأثر

تلك الأخلاقيات على ممارسة تلك المهن والحرف .

والرسالة بذلك كله ، وبما تميزت به من الاعتماد على المراجع الأصلية ، تلبى حاجة قوية من حاجات المجتمعات الإسلامية إلى ضرورة الاستفادة من تراثنا التربوى الإسلامى فى تشييد صرح حضارتنا الإسلامية المعاصرة . وكان الباحث بتلك الرسالة ينضم إلى قافلة الدعاة إلى عودة الأمة إلى جذورها الحضارية فى شتى المجالات .

فأمام واقعنا الحرفى والمهنى المتردى ، فإن صاحب تلك الرسالة الحالية يرى ضرورة استنفار روح العمل الإسلامية وما تمثله من إعلاء لقيمة العمل وإتقانه ، مع ضرورة الأخذ بأخلاقيات المهن والحرف فى الإسلام ، والعودة إلى الحكم الشرعى الذى يلزم المجتمع بالاكتفاء الذاتى - ما استطاع إلى ذلك سبيلا - فى شتى الحرف والصناعات ، كفرض كفاية يأثم المجتمع كله بالتفريط فى القيام به ، راضيا بالتبعية الاقتصادية فى زراعته وصناعته وتجارته . وهذه الروح الإسلامية القوية تسرى فى معظم صفحات الرسالة ، وهو ما أسعدنى خلال فترة إشرافى على تلك الرسالة ، حتى تمت إجازتها بحمد الله من كلية التربية جامعة المنصورة .والرسالة بذلك كله تستحق القراءة المتأنية وتبشر بأعمال علمية أكثر عمقا ونضجا للباحث فى المستقبل القريب بإذن الله ، والله وحده هو الموفق .

المدينة المنورة فى ١ / ٢ / ١٤٢٠ هـ

د . عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

أستاذ أصول التربية الإسلامية بكلية التربية

جامعة المنصورة

والمعار حاليا إلى كلية التربية

جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة

فصل تمهيدى

مشكلة البحث وأهميته

يشتمل هذا الفصل على :

* مقدمة .
* مشكلة البحث .
* أهمية البحث .
* أهداف البحث .
* حدود البحث .
* مصطلحات البحث .
* منهج البحث .
* الدراسات السابقة .

مقدمة

تظل المهن والحرف من العوامل التى تدفع الأمم إلى الرقى ، وتحافظ على كيانها، بل إنها من الركائز التى يرتكز عليها الاقتصاد القومى فى كل بلد من البلدان ؛ لذلك نجد الدول النامية تحاول جاهدة مواكبة الصناعة والحرف والمهن المتقدمة . ولكننا نجد معول هدم لتلك الصناعات والحرف فى مجتمعاتنا العربية يتمثل فى النظرة المتدنية لتلك الحرف والمهن ؛ مما يمثل عقبة تقف فى سبيل طموحاتنا الحالية للدخول فى عصر الصناعات المتقدمة .

إن عمليات التربية فى المجتمع المصرى قد ارتبطت نتيجة لعدة عوامل - بعضها خارج عنها والبعض الآخر نابع من العمل التربوى النظرى - ولفترة طويلة بالتقليل من أهمية العمل المهنى والحرفى ؛ وبالتالى من قيمة الأشخاص الحرفيين ؛ ومن ثم نجد معاناة من نقص شديد فى كل من العمالة الماهرة والمتوسطة المهارة فى مختلف التخصصات ، ولا سيما فى مجالات الإنتاج ، وكذلك نرى تدنى الإنتاجية الحرفية والمهنية فى الدول العربية . وفى مواجهة ذلك تسارع غالبية هذه الدول إلى أن تستمد وسائل رفع الإنتاجية من تجارب الغير من الدول المحيطة ، وقلما تتجه الأنظار إلى إمكانية الاستفادة من تجربتنا الإسلامية فى دنيا العمل والإنتاج والعمران .

ولقد نجحت التربية المهنية والحرفية خلال القرون الهجرية الأولى فى خلق حضارة إسلامية زاهية شملت العديد من المهن والحرف ، وكان ذلك بفضل استجابة المسلمين الأوائل للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى تدعو للعمل وكسب العيش من المهن والحرف .

إن الإسلام لا يعارض الدافع المادى للعمل والكسب وتأمين المعيشة ، بل تمشَّى مع ذلك وامتاز عن غيره من الأنظمة الفكرية والمجتمعية فى أنه جعل الاحتراف شعيرة من الشعائر التعبدية ؛ مما شكل حافزاً للمسلمين للاشتغال بالمهن المختلفة .

إن التربية الإسلامية لتحمل مبادئ واتجاهات تقف جنباً إلى جنب مع ما يسمى اليوم بالتربية الحديثة ؛ فقد ربطت بين العلم والعمل ، وبين النظرية والتطبيق ؛ لأن الإسلام لا مكان فيه للفصل بين العلم والعمل ، أو بين النظرية والتطبيق ، وإنما العلم فيه هو الطريق إلى التطبيق ، والعلم فيه هو السبيل إلى النهوض بالفرد والمجتمع على السواء [1] .

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٩٨ .

كما تؤكد التربية الحديثة على « سد الفجوة بين التعليم النظرى والتعليم الفنى ، وفى نفس الوقت المشاركة فى تأصيل فكرة احترام العمل اليدوى ، وتعويد المتعلمين أن يكونوا أفراداً نافعين لأنفسهم ومجتمعهم »(١).

وإذا كانت التربية - كما يقول جون ديوى - : « هى الحياة ، وليست الإعداد للحياة »(٢) ، فإن الحياة وإعداد الفرد للحياة وللعمل والإنتاج لا يتحقق إلا بربط العلم بالعمل وبالإنتاج ، « والناس فى حاجة إلى العمل فى الدنيا لكسب المعاش وإلى التفكير فى الآخرة ؛ ولذلك فالإنسان يعمل لدنياه ودينه . وسيرة الرسول ﷺ نفسه خير شاهد على ذلك ، فإنه إلى جانب التعمق فى العبادة كان يرعى الغنم ويشتغل بالتجارة ، وفى القرآن إشارة إلى هذا الجمع بين شئون الدين والدنيا فى أكثر من موضع »(٣) ، حيث يقول تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص] .

والإيمان فى الإسلام لا يتم إلا إذا أثمر ثماراً صالحة ؛ ولذا ارتبط دائماً بالعمل الصالح حيث يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) ﴾ [الكهف] .

والإيمان والعمل توأمان ؛ فلا يتم إيمان إلا بالعمل الصالح ، وقد قرن الله بينهما فى آيات عديدة ؛ منها قوله تعالى : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) ﴾ [السجدة] .

وإن المسلم العابد حقاً هو الإنسان المنتج ، وفى الأحاديث النبوية المروية عن رسول الله ﷺ : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده »(٤) .

وقد وجهنا القرآن إلى السعى فى الأرض والعمل ، فقال : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾[الجمعة] .

وفى قصص الأنبياء مضامين نستوحى منها أهمية الصناعة فى حياة المجتمعات ؛ إذ يقول القرآن فى شأن داود عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ

---

(1) Kohn . E . and Postler . f . : Polytechnical Education in The G.D.R. (Ministry of Education in The G,D.R., 1973) P.2 .

(2) Dewey, John : Education Today ; G . P . Putman's Sons, New York, 1940, P.8 .

(٣) أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٩٢ .

(٤) الإمام البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : صحيح البخارى ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٧٤ (كتاب البيوع) .

أنتم شاكرون ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء] .

وقد قال تعالى موجهاً إلى صناعة التعدين: ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد] ، ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ] .

وفى صناعة الكساء قال تعالى : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

وفى صناعة الحديد قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد] .

وفى صناعة الصياغة قال تعالى : ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ﴿١٤٨﴾ ﴾

[الأعراف]

وفى الصناعة السكنية والمعمارية قال تعالى : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

وفى صناعة الصيد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة] .

وفى صناعة السفن : ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴿٣٧﴾ ﴾ [هود] .

وقد جمع الله تعالى بعض الصناعات فى آية فقال تعالى : ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر] .

إن العمل في الإسلام يعتبر من مقومات الحياة الأساسية: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾ [التوبة] .

ولذلك « فالإسلام يقدس العمل بجميع مستوياته ، ابتداء بالعمل اليدوى واستمراراً بجميع أنواع الأعمال وأشكالها» (١) . ورغم « أن التربية الإسلامية كانت تهدف إلى التطبيق فإن هذا التطبيق كان يقوم على أساس تعليم العلوم النظرية . فالعلم النظرى يقود إلى التطبيق ، والتطبيق يقوم على العلم النظرى ، وحتى فى المعاملات التجارية كان التطبيق يقوم على أصول اقتصادية نظرية » (٢) .

تلك هى التوجهات الإسلامية نحو المهن والحرف ، وهى تستحق منا الدراسة والبحث للإسهام فى تغيير نظرة المجتمع المتدنية إلى العمل اليدوى ، وتوجيه المجتمع إلى بعض الصناعات التى تعتبر أساساً للتقدم الحضارى ، وللإسهام فى تقدم وتنمية المجتمعات الإسلامية .

مشكلة البحث :

بعد نهضة العرب وتحررهم من الاستعمار تطلع العرب بالإعجاب إلى الحضارات المعاصرة فى الغرب والشرق ، ونقلوا عنها نظماً للتربية كانت سبباً فى تردى أوضاعنا المهنية والحرفية .

ويكفى تدليلاً على ذلك أن نتناول :

وضع المهن والحرف فى الدول الإسلامية المعاصرة :

يواجه الاتجاه الحرفى والمهنى فى عالمنا الإسلامى اليوم أشد ساعاته الحرجة ، كما تشير إلى ذلك معظم الكتابات والدراسات التربوية والاقتصادية ، وقلّ أن توجد دراسات تربوية أو اقتصادية تخلو من الإشارة إلى ظاهرة التخلف الذى يعانى منه عالمنا الإسلامى فى ميدان الإعداد والتدريب والتخطيط الحرفى والمهنى ، ويكفى أن نذكر هنا بعض الحقائق ذات الدلالة العالية فى هذا الصدد منها :

١- فى المجال الزراعى :

يوجد أكثر من نصف الأراضى العربية القابلة للزراعة غير مستثمرة ، وتقدر بحوالى ٦٠ مليون هكتار ، كما أن أراضى المراعى تسير على أنماط بدائية فى الرعى

---

(١) محمود السيد سلطان : مفاهيم تربوية فى الإسلام ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص ٧٧ .

(2) Nakosteen, M ; History of Islamic Origins of Western Education, University of Clorado Press, 1964, P.42 .

وتربية الماشية ، ومازال استيراد الغذاء من الخارج يمثل قسطاً كبيراً فى الموازين التجارية للأقطار العربية ، ويقدر أن يرتفع العجز فى الحبوب فى هذه الأقطار من حوالى مليون طن عام ١٩٧٥ إلى حوالى ٣٠ مليون طن عام ٢٠٠٠ (١) .

« وفى إفريقيا على سبيل المثال - ومصر دولة منها - ينخفض إنتاج الغذاء بالنسبة للفرد بنسبة ١٪ منذ بداية السبعينات ، والتركيز فيها على المحاصيل النقدية واعتمادها الأكثر على الغذاء المستورد ، كما تتدهور فيها قاعدة الموارد الزراعية بسبب التصحر ومواسم الجفاف ، هذا إلى جانب وجود إمكانات كبيرة غير مستثمرة من الأراضى الصالحة للزراعة والرى واستخدام الأسمدة ، كما أن ما تم زراعته من الأراضى لم يصل إلى أقصى غلة ممكنة » (٢) .

٢ - فى مجال التجارة :

« إننا نعانى من عجز تجارى يظهر بوضوح وبنسب متفاوتة فى ميزان المدفوعات والأرقام الفلكية المزعجة للقروض والديون الأجنبية التى يقع تحت عبء سدادها معظم الدول العربية » (٣) .

والخطأ الذى تقع فيه الدول النامية أنها عندما تزيد من صادراتها فإنها لا تفعل ذلك إلا لحاجتها لاستيراد المزيد من رأس المال العينى والمنتجات الصناعية الأخرى من البلاد المتقدمة (٤) .

٣ - فى مجال الصناعة :

وتتسم إنتاجية العامل فى المجال الصناعى بانخفاض مستوى الأداء بصورة واضحة حيث قدرت إنتاجية العامل فى مصر والسودان - على سبيل المثال - فى منتصف السبعينات بنحو ١٥ بالمائة و ٧ بالمائة على الترتيب من إنتاجية العامل فى اليابان (٥).

---

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، ج٣ ، الكتاب الخامس ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ١٣٣ ، نقلاً عن : موريس لومبارد : الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامى خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق .

(٢) فوقية محمد ياقوت: القيم التربوية فى الحديث الشريف ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم أصول التربية ، جامعة المنوفية ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، نقلاً عن : اللجنة العالمية للبيئة والتنمية (مستقبلنا المشترك) : ترجمة محمد كامل عارف ، مراجعة على حسين حجاج ، عالم المعرفة ، (١٤٢) ، ص ١٨٤ .

(٣) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

(٤) رؤول بريبش : نحو سياسة تجارية جديدة للتنمية ، تعريب : جرجس عبده مرزوق ، مراجعة د . رفعت المحجوب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ . ص ٨٩ .

(٥) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية =

إن الحرف والمهن فى العالم الإسلامى الآن ليست كفيلة باستقلاله عن غيره من الدول ، ومما يؤكد ذلك « أنه لو قيل لكل شيء فى البلاد الإسلامية : (عد من حيث أتيت) لخشيت أن يمشى الناس حفاة عراة لا يجدون من صنع أيديهم ما يكتسبون ولا ما يركبون ، بل لخشيت أن يجوعوا ؛ لأن بلادهم لا تستطيع الاكتفاء الذاتى من الحبوب ، وعلى هذا فإن الله لا يقبل تديناً يشينه هذا الشلل الغربى ويجعل من الإسلام وأهله طفولة تحتاج من غيرها لأن يطعمهم ويسقيهم ويمدهم بالسلاح إذا أراد » (١) .

هذا الواقع المرير يقابله مبادئ إسلامية سامية تحث على العمل الحرفى والمهنى ، وتاريخ إسلامى زاهر وصل فيه المسلمون إلى الكفاية والوفرة الاقتصادية ، وهى مبادئ يمكن أن تحرك المسلمين اليوم كما حركتهم بالأمس لإيجاد نهضة اقتصادية تقوم على دعائم قوية من الحرف والمهن المختلفة التى يحتاجها المجتمع .

وفى ضوء ماسبق تمثلت مشكلة البحث فى محاولة الكشف عن التربية المهنية والحرفية فى القرآن والسنة وتأصيل مبادئها ومضامينها التربوية وتوضيح الأسس النظرية التى تقوم عليها ،ومن هنا فإن مشكلة البحث تتمثل فى الإجابة على التساؤلات الآتية :

١ ـ ما هى مكانة المهن والحرف فى الإسلام ؟

٢ ـ ما هى أصول التربية المهنية والحرفية فى الإسلام ؟

٣ ـ ما هى المهن والحرف التى حدثنا عنها الإسلام والتى ربى المسلمين على الاهتمام بها ؟

٤ ـ ما هى أخلاق المهن والحرف فى الإسلام ؟

أهمية البحث :

تنبع أهمية البحث من أهمية دراسة التربية الإسلامية نفسها « فقد اعترف المؤرخون بعظمة الإسلام من حيث هو دين حياة وحضارة ، ولكن على الرغم من تعدد الأبحاث والدراسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى الإسلام ، إلا أنه يبقى موضوع واحد لم يدرس بعد بمثل هذا الاهتمام ، وذلك هو موضوع التربية الإسلامية » (٢) .

ولذلك يعتبر ميدان التربية الإسلامية من الميادين البكر التى تستأهل من الباحثين وعلماء التربية المسلمين الكثير من الجهد والعمل ، فعلماء الغرب بحثوا فى التربية

= الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٣٣ ، نقلاً عن : إبراهيم سعد الدين وآخرون : صور المستقبل العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ١٩٨٢ ، ص ١٣٧ .

(١) محمد الغزالى : مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، كتاب الأمة ، قطر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٣٦ .

(٢) محمد أحمد الصادق كيلانى : الفكر التربوى فى مقدمة ابن خلدون ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة المنصورة ، قسم أصول التربية ، كلية التربية ١٩٧٤م ، ص ٥ .

المسيحية ، ودرسوها وألفوا منها العديد من الكتب ، وأقاموا لها الأقسام التربوية المختلفة فى الكليات الجامعية ، وتربيتنا الإسلامية لم تلق من العناية حتى الآن ما هى جديرة به (١) .

ولعل تلك الدراسة تكون إسهاماً متواضعاً فى حقل التربية الإسلامية بصفة عامة والتربية الحرفية والمهنية بصفة خاصة .

كما تنبع أهمية البحث من أهمية دراسة التربية الحرفية والمهنية ؛ لأن العصر الذى نعيشه عماده الرئيسى المهن والحرف ، وهما يعدان ـ بحق ـ العمود الفقرى فى النهضة الصناعية والأساس التى ترتكز عليه التنمية .

ولقد توصلت بعض الدراسات الى أن التربية المهنية تسهم فى تطور أساليب العمل ، وكذلك فى تنمية العمل لدى الأفراد المتلقين لهذه التربية (٢) .

وإن أى أمة لا يمكن لها أن تقيم حضارة عظيمة إلا إذا كان أصحابها ينتهجون فى حياتهم نهجاً عملياً ، حتى إذا ركنوا إلى الدعة والتواكل والتكاسل وأهملوا الصنائع أفلت حضارتهم وذهب عمرانهم .

ومن هنا تتضح أهمية توضيح الدور الذى تلعبه المهن والحرف فى تقدم المجتمعات. كما يستمد البحث أهميته من إظهار دور الدافع الأيدولوچى الإسلامى فى إيجاد نهضة حرفية ومهنية ، وشتان بين أن يعمل الفرد تنمية لماله وتأمينا لمعاشه ، وأن يعمل لهذا واستجابة لله ـ تعالى ـ وتنفيذاً لشريعته .

وأخيراً فإن البحث يعتبر خطوة على طريق طويل لبعث نهضة حضارية إسلامية ، لها دعامتها الاقتصادية والمهنية والحرفية القوية التى ترتكز على دعائم الإسلام وقيمه وتعاليمه .

وسنرى خلال البحث أنها دعائم وقيم استطاعت أن تحقق على أرض الواقع حضارة إسلامية زاهرة،لعلها تكون قادرة على إلهامنا فى صنع حضارتنا العربية المرتقبة .

أهداف البحث :

يسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية :

- إبراز مكانة المهن والحرف فى الإسلام .
- توضيح الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

---

(١) محمد لبيب النجيحى : فى الفكر التربوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٨١ .

(2) Baker, Rebacca : A case study of the work value of vacational, Co-Operative and non co-operative student in A selected Alabama High School.
Dissertation Abstracts International, vol,46 no.8,Feb.1986, P.2245 .

ـ حصر النصوص القرآنية والنبوية التى تدعو إلى العمل المهنى والحرفى ودراستها ومناقشاتها لاستخلاص ماتدعو إليه من تربية مهنية وحرفية .

ـ التوصل إلى بعض التوصيات والمقترحات التى يمكن أن تسهم فى تغيير النظرة المتدنية للمهنة والحرفة فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، ومن ثم المساهمة فى المشروع الحضارى الكبير لإنقاذ تلك الأمة من تخلفها واعتمادها على غيرها فى مجال الحرف والمهن ومختلف الصناعات .

حدود البحث :

سوف يقتصر البحث على دراسة التربية المهنية والحرفية فى :

* القرآن الكريم .

* السنة النبوية من خلال :

أ ـ ما رواه البخارى (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى) .

ب ـ ما رواه مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى) .

مصطلحات البحث :

* الحرفة : « الحرفة اسم للصناعة ، والمحترف الصانع » (١) ، « (الحِرفة) بالكسر و (أحْرَف) (إحْرافاً) إذا نما ماله وصلح فهو (مُحْرِف) » (٢) .

ويعرف البعض الحرفة بأنها : « الأعمال التى لا توجد قيود على مزاولتها ولا تبذل أى مجهود من قبل نقابات العمال أو هيئات غيرها للحد من الملتحقين بها » (٣) .

ويعرف الحرفى بأنه « هو الفرد الذى يعتمد أساساً على التدريب لإتقان عمل معين على مستوى متوسط من المهارة دون تعلم الأسس العلمية لهذه الأعمال » (٤) .

ويستخدم الباحث مفهوم الحرفة بمعنى : الأعمال التى تحتاج إلى تدريب بسيط لإتقانها ولا توجد قيود على مزاولتها ، وتهدف إلى تدبير المعاش وحث عليها الإسلام .

المهنة :

« المهنة : بفتح الميم الخدمة ، وحكى أبو زيد الكسائى : المِهنة بكسر الميم

---

(١) محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى: مختار الصحاح، دار الحديث، بدون تاريخ ، باب حَرَفَ، ص ١٣١ .

(٢) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير ، دار المعارف ، ١٩٧٧م ، ص ١٣٠ .

(٣) أحمد زكى بدوى ، محمد كمال مصطفى : معجم مصطلحات القوى العاملة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص١٥٨ .

(٤) عادل منصور صالح : إعداد معلم المواد المهنية للمدارس الثانوية الفنية فى ج.م.ع ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨٠م ، ص ١٢ .

و(الماهن) الخادم ، (وقد مهن القوم) أى : خدمهم » [1] .

مهن : خدم غيره ، الفاعل (ماهن) والأنثى (ماهنة) ، أمهنته أى استخدمته ، وهو فى (مهنة) أهله أى خدمتهم ، وخرج فى ثياب (مهنته) أى فى ثياب خدمته التى يلبسها فى أشغاله وتصرفاته .

وتأخذ الدراسة الحالية بتعريف المهنة «بأنها مجموعة من الأعمال المتشابهة التى تنتمى إلى عائلة مهنية واحدة بحيث يستطيع الشخص الذى مارس إحداها أن يمارس سواها من نفس العائلة بعد تدريب طفيف لتواجد المعرفية التى تربط بين تلك الأعمال » [2] .

فمثلاً : الزراعة تحتوى على مجموعة متشابهة من الأعمال مثل : الحرث ، وبذر البذور ، والرى ، وجنى الثمار ، ويستطيع الفرد الذى مارس إحداها أن يمارس سواها بعد تدريب طفيف لتواجد الارتباط بين تلك الأعمال .

التربية المهنية :

هى العملية التى تجمع حول المهنة جميع القيم العلمية والاجتماعية والخلقية والجمالية التى ترتبط بالمهنة ارتباطاً منطقياً وطبيعياً من خلال ما تقدمه للإنسان من معارف يحتاج إليها لفهم عمله ، حيث تنمى فيه محبته وتبين له المعنى الإنسانى لمهنته وتعلمه جميع الفضائل المرتبطة بممارستها (أى أنها عملية لإعداد الفرد للقيام بالأعمال المترابطة) .

منهج البحث :

يستخدم الباحث فى دراسته منهج تحليل المحتوى الكيفى لما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية من آيات وأحاديث تتناول التربية المهنية والحرفية ، ويحللها ويفسرها مستنتجاً منها ضوابط وأحكام المهنة والحرفة وأثرها فى حياة الفرد والجماعة وذلك بالاستعانة بكتب التفسير المعتمدة للقرآن والسنة .

الأبحاث والدراسات السابقة :

هناك دراسات عديدة تناولت التعليم الفنى والحرفى فى العالم العربى بمراحله المختلفة وأشارت إلى ما يعانيه هذا التعليم من مشكلات ومظاهر قصور [3] .

---

(1) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، باب مهن ، ص ٦٣٨ .

(2) سيد عبد الحميد مرسى: الشخصية المنتجة ، (دراسات إسلامية نفسية) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ١٣ .

(3) انظر على سبيل المثال :

- دراسة أحمد رفعت عبد اللطيف : تخطيط للتعليم الفنى فى ضوء مطالب التنمية فى الجمهورية العربية المتحدة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٣م . =

ولا شك أن تلك الدراسات كانت حافزاً للباحث على اختيار الدراسة الحالية . ولكن يندر أن تشير تلك الدراسات إلى الأصول الثقافية لما يعانيه هذا التعليم من تخلف أو تتطرق إلى مبادئ الإسلام كأحد الدوافع التى يمكن أن تحرك تلك الأمة نحو نهضة علمية شاملة يأخذ التعليم الفنى مكانه الصحيح فيها .

وإذا كانت هناك دراسات عديدة فى هذا المجال ، فإن هناك ندرة واضحة فى الدراسات التى تناولت الموضوع من المنظور الإسلامى ، وهى على ندرتها قلما تناولت الموضوع التناول الأصولى الشامل ، ومع ذلك فقد استفاد الباحث بتلك الدراسات وكان لها فضل الريادة والتوجيه فى هذا المجال،ولعل من أهم تلك الدراسات ما يلى :

دراسة محمد كمال طه الحسينى (١٩٨٤م) (١) :

تعرض الباحث لمعنى الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن بذور الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية من خلال التطور التاريخى له بادئاً بتناول الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية فى المجتمعات البدائية،ثم فى الحضارات القديمة، ثم فى مصر ، وعند الإغريق والرومان والعصور الوسطى ، وفى التربية المسيحية فى العصور الوسطى ، وفى التربية الإسلامية فى العصور الوسطى ، وفى نهايات العصور الوسطى الأوروبية ، ثم تناول الباحث التطبيقات التربوية للاتجاه البوليتكنيكى فى كلاً من العالم الرأسمالى ثم الشيوعى ، والعالم الثالث .

كما تناول الباحث السمات العامة للمجتمع الإسلامى بادئاً بالعقيدة الإسلامية ثم بالأخلاق الإسلامية ، ثم بالعلم الإسلامى ، وأخيراً بالعمل فى الإسلام كمحددات لتجلية الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية .

وقد بين أن الاتجاهات الثقافية التى تسود المجتمع الإسلامى محفزة لتنمية الإنسان المسلم الذى يتكامل فى حياته الجانبان الفكرى والعملى مما يمكنه من ممارسة دوره كإنسان منتج فى المجتمع الإسلامى .

وقد ذكر الباحث بعض السمات العامة التى امتازت بها التربية الإسلامية مثل ربط

= - كمال عزيز عبد المسيح : دراسة ميدانية لبعض مشكلات المدرسة الثانوية الصناعية فى جمهورية مصر العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٧٧م .

- مصطفى عبد الله رجب : دور التعليم الفنى والمهنى فى تحقيق أهداف التنمية فى البحرين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨١م .

- عايدة محمد عبد التواب بكر : تقدير كفاءة خريجى التعليم الثانوى الصناعى فى ضوء متطلبات التنمية الاقتصادية فى مصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨٤م .

(١) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم أصول التربية ، جامعة المنوفية ، ١٩٨٤م) .

العلم بالعمل والنظرية بالتطبيق وربط التعليم بالمجتمع ووظيفة التعليم .

كما تناول الباحث أهم أساليب وطرق التربية الإسلامية بادئا بأسلوب الحفظ والاستظهار ، ثم بأسلوب استخدام المعينات التعليمية ، ثم بأسلوب الممارسة التعليمية وأخيراً بأسلوب القدوة .

وقد استخدم الباحث المنهج المقارن فى المقارنة بين الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية المعاصرة والاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية،كما استعان الباحث بالمنهج التاريخى فتتبع من خلاله الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية على مر العصور. وقد تناولت الدراسة الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية الذى يقوم على ربط العلم بالعمل والنظريات بالنواحى العلمية وهو ما يعد جانباً من جوانب التربية المهنية والحرفية ، غير أنها لم تتعرض لأخلاق المهنة والحرفة والأصول النظرية للمهنة أو الحرفة وهى ما تدور حوله الدراسة الحالية ، فضلاً عن أن الباحث لم يتوصل لهذا الاتجاه البوليتكنيكى من القرآن والسنة وهذا أيضاً مما يميز الدراسة الحالية .

دراسة ناصر على بشيه (١٩٨٤م) (١) :

بدأ الباحث دراسته بتوضيح مفهوم التربية الإسلامية ، وبين أن التربية الإسلامية منهج عبادة وحياة وهى تنادى باقتران الدين بالدنيا فى الفكر والسلوك ، ثم تحدث عن التحديات فى مجال العقيدة والفكر الاقتصادى والسياسى والفكرى .

ثم تحدث عن التحديات فى مجال التقنية التى استطاع الغرب من خلالها غزو الأمة الإسلامية سياسياً واقتصادياً ، كما بين الباحث نظرة الإسلام للتقدم التقنى ،وركز على تأهيل الإنسان لعمارة الأرض واستخلافه فيها كما أراده الله ، واهتمام الإسلام بالجانب العملى فى الحياة واعتبار التقصير فيه تقصيراً فى الإسلام نفسه .

وقد تناول الباحث دور الرواد المسلمين فى التقدم التقنى وفهمهم لمقصد الإسلام ثم ذكر بعض إنجازاتهم وروادها .

كما تناول العوامل التى أدت إلى ضعف المسلمين وتوقفهم عن تقدمهم العلمى واقترح فى نهاية دراسته تصوراً لمواجهة التحدى التقنى،وركز فيه على الأبعاد الإسلامية للتقنية ، وتعريب العلوم الطبيعية وتدريسها بمنهج إسلامى ، والاستفادة من التقنية دون تشرب الفكر الوارد ، والعمل على تربية العقل على التفكير المنهجى المستنير واستخدام قوى الكون وتسخيرها وشكر الله عليها ، وكذا تربية المسلم على احترام العمل والشعور بالمسئولية .

---

(١) ناصر على بشيه : التربية الإسلامية والتحديات فى المجال التقنى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

واعتمد الباحث في بحثه على المنهج الوصفي ؛ إذ تناول الباحث في مشكلة الدراسة وصف الظروف الحاضرة للتحديات التقنية ، كما استعان الباحث بالمنهج التاريخي لكون التحديات التقنية المعاصرة يتعذر تفسيرها دون تتبع جذورها التاريخية .

واستفادت هذه الدراسة من الدراسة السابقة بالرجوع إليها في دراستها لمدى الاهتمام القرآني بالعمل ، حيث ذكر الباحث بعض الآيات الدالة على ذلك وإن كانت الدراسة الحالية تحاول أن توصل لجميع المهن والحرف كما وردت في القرآن والسنة والتي لم تشر إليها الدراسة السابقة إلا إشارات عابرة ، وذلك لإبراز النصوص التي تدعو إلى ذلك ، كما تهدف إلى إبراز أخلاق الحرفة والمهنة في الإسلامْ وهو مالم تتعرض إليه الدراسة السابقة .

دراسة هند علي فهمي (١٩٨٤م) (١) :

عرضت الباحثة في دراستها أهمية العمل وبينت أن العمل قيمة من القيم التربوية ، وقد تناولت الباحثة أهداف التعليم الأساسي كما تناولت معنى العمل وأهميته ، وكذا العمل في الفكر الفلسفي ، وبعض المضامين التربوية لقيمة العمل في التربية الدينية الإسلامية ، والتربية من أجل العمل والإنتاج ، ودور التربية الدينية في غرس وتدعيم قيمة العمل .

كما تناولت التربية الدينية والقيم. وقد ركزت الباحثة على دور المدرسة في تدعيم وتحقيق قيمة العمل عند التلاميذ ودور معلم التربية الدينية في تدعيم قيمة العمل . ثم قامت الباحثة بتحليل محتوى برامج التربية الدينية للحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي لإبراز مدى قيمة العمل في تلك المناهج .

وقد أكدت الباحثة العلاقة بين التعليم والعمل المنتج وأوصت الدراسة بتطبيق التكامل بين النواحي النظرية والعملية في مقررات الدراسة للحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي وقد أكدت على العمل بصوره وأنواعه المختلفة اليدوي والفكري والبدني .

وقد خرجت بتوصيات أكدت فيها على الاهتمام بالسلوك الديني داخل المدرسة وخارجها ، كما أكدت على ضرورة النظر إلى العمل خاصة اليدوي منه نظرة محترمة تتفق وقيم الدين .

واستخدمت الباحثة منهج تحليل المحتوى كأداة لتحليل محتوى برامج التربية الدينية ، للصفوف الثلاثة الصف السابع ـ الصف الثامن ـ الصف التاسع من الحلقة

---

(١) هند علي فهمي : دور التربية الدينية في تدعيم قيمة العمل لدى تلاميذ وتلميذات الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية بنات عين شمس ، جامعة عين شمس ١٩٨٤م .

الثانية من مرحلة التعليم الأساسى لمعرفة دور التربية الدينية فى تدعيم قيمة العمل لدى تلاميذ هذه الحلقة .

واهتمت الدراسة بتوضيح قيمة العمل من خلال تحليل محتوى مناهج التربية الدينية ، غير أن الدراسة الحالية تتناول التربية المهنية والحرفية فى كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهو مجال أكثر اتساعاً ، فضلاً عن أن الدراسة السابقة تحدثت عن العمل بصفة عامة ، أما الدراسة الحالية سوف تناقش كل الحرف والمهن التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية، وما ينبغى أن يتحلى به العامل من أخلاق مهنية وحرفية ، وهو ما يعتبر إضافة لهذا المجال الهام .

دراسة عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب (١٩٨٧م) (١) :

أعطى الباحث فى هذه الدراسة مدخلاً علمياً لدراسة الاتجاه المهنى والحرفى فى التربية الإسلامية ، حيث ذكر بعض الحرف والصناعات موضحاً مكانة العمل فى الإسلام ، كما تحدث عن فلسفة العمران الإسلامى وعلاقتها بالاتجاه الحرفى والمهنى ، وتعرض الباحث لبعض الحرف والصناعات فى العالم الإسلامى ومؤسسات التعليم الحرفى والمهنى ، ثم تناول الباحث مدى اهتمام رجال التربية المسلمين بالحرف والمهن ومدى ما وصل إليه الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية من تقدم وازدهار ، وما يمكن أن نستفيد به من ذلك عند التخطيط التربوى لنهضتنا العمرانية والمستقبلية .

وفى نهاية مدخل الدراسة تعرض لأخلاق المهنة أو الحرفة حيث بين أولاً مدى اهتمام التربية الإسلامية بالعنصر الأخلاقى فى تكوين شخصية المسلم مهما كانت حرفته أو مهنته ، ثم انتقل إلى الأخلاق الخاصة بالمهنة أو الحرفة حيث ذكر بعض الحرف والأخلاق المرتبطة بها .

وقد خرجت الدراسة بتوصيات منها : ضرورة التركيز على خصوصيتنا الإسلامية فى الإعداد المهنى والحرفى ونحن نخطط للتربية المهنية والحرفية فى عالمنا المعاصر ، كما أكدت على ضرورة استنفار روح العمل الإسلامية وما تمثله من إعلاء لقيمة العمل وإتقانه مع ضرورة الأخذ بأخلاقيات المهن والحرف فى الإسلام ، والعودة إلى الحكم الشرعى الذى يلزم المجتمع بالاكتفاء الذاتى فى شتى الحرف والصناعات كفرض كفاية يأثم المجتمع بالتفريط فى القيام به راضياً بالتبعية الاقتصادية فى زراعته وصناعته وتجارته .

استفاد الباحث من هذه الدراسة بالوقوف على مدى اهتمام الإسلام بالمهنة أو الحرفة واتجاهه ناحيتها ، هذا وإن كانت الدراسة الحالية تهتم بصورة أعمق بتأصيل

---

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب :مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٣ ، ١٣٤ .

التربية الحرفية والمهنية في القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما أنها أكثر شمولاً لمجالات جديدة ، وأكثر عمقاً فى تناولها ، حيث إن الدراسة السابقة لا تزيد عن اثنتين وعشرين صفحة .

دراسة فوقية محمد ياقوت شهبة (١٩٩١م) (١) :

استهدفت هذه الدراسة استخلاص قيم التنمية من الحديث الشريف بغرض العودة إلى قيمنا الأصيلة والاستفادة منها فى حل مشكلاتنا المعاصرة ، وقد بدأت الباحثة بتناول أسباب التخلف والتنمية ، حيث تعرضت لمفهوم التخلف ومعاييره وأهم أسبابه من وجهة النظر الإسلامية ، ثم تناولت مفهوم الحديث الشريف ومكانته والمفاهيم المختلفة للقيم وأهمية قيم التنمية الاجتماعية فى عملية التنمية .

وكانت أهم تلك القيم : كرامة العمل اليدوى ، ومحاربة البطالة ، وذم المسألة ، وإتقان العمل والتخطيط ، ثم تناولت عمل المرأة فيما يناسبها . كما تناولت قيم تنمية الموارد المادية فى الحديث الشريف والتى اشتملت على قيم التنمية وكان أهمها : إحياء الأرض الميتة ، والحث على الغرس والزرع ، والعناية بنضج الزرع .

كما تناولت قيم التنمية التجارية وكان أهمها : ذكر الله عند دخول الأسواق ، والصدق ، والأمانة ، وإنظار المعسر ، والسماحة فى البيع والشراء ، وتجنب أكل أموال الناس بالباطل فى التجارة، وذلك عن طريق: تجنب النجش والمنابذة والملامسة والاحتكار .

كما تناولت قيم التنمية الصناعية وبعض الصناعات وأسماء بعض الآلات التى ذكرت فى القرآن الكريم وفى حديث رسول الله ﷺ ، وكان أهم الصناعات التى تناولتها : صناعة الحديد ، والتجارة ، والغزل والنسيج .

كما أوضحت أن قيم تنمية الثروة الحيوانية فى الحديث الشريف حرصت على زيادة الكم وتحسين الكيف ، والانتفاع بالثروة الحيوانية بالإضافة إلى صيانة الثروة المائية .

وقد توصلت الباحثة إلى أن القيم فى الحديث الشريف مطلقة ونسبية ؛ فهى مطلقة بثبات مصدرها فى كونها صادرة عن النبى ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ، وهى نسبية بمعنى أنها تراعى حال كل فرد من أفراد المجتمع ، كما توصلت إلى أن القيم فى الحديث غايات ووسائل فى آن واحد ، وأنها تتسم بالسهولة والبساطة والشمولية .

ثم عرضت الباحثة دور بعض مؤسسات التربية فى دعم قيم التنمية مثل دور الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام .

وقد اعتمدت الباحثة فى دراستها هذه على منهج البحث الوصفى القائم على تحليل المضمون ، وقد أبرزت هذه الدراسة أن القيم التربوية للتنمية كما وردت فى الحديث

---

(١) فوقية محمد ياقوت شهبة : القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، مرجع سابق .

الشريف تتسم بالشمولية والتوازن والواقعية والأصالة والجدة ، وأن الولع الشديد بتقليد الغرب المتقدم فى سلوكياته وأخلاقه المنحرفة والتقاعد عن تقليده فى قيم التنمية التى هى من دعائم الدين الإسلامى لم ينتج لنا إلا المزيد من تبديد الطاقات وانحراف الجهود عن الوصول إلى الغايات المنشودة .

استفاد الباحث من هذه الدراسة بالوقوف على قيم تنمية الموارد المادية فى الحديث الشريف والتى اشتملت على قيم التنمية الزراعية ، والتنمية التجارية ، والتنمية الصناعية ، والتنمية الحيوانية ، وإن كانت الدراسة الحالية تهتم بالمهن والحرف فى كلٍ من القرآن والسنة .

التعليق على الدراسات السابقة :

وهكذا تلتقى الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية فى الإشارة إلى اهتمام الإسلام بالعمل ، إلا أن تلك الدراسات لم تتعرض للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام ، بشكل يماثل تعرض الدراسة الحالية ؛ فقد اهتم بعضها بالحديث عن أهمية دراسة المهن والحرف فى التربية الإسلامية ، واهتمت الأخرى بالحديث عن ربط العلم بالعمل والنظرية بالتطبيق فى التربية الإسلامية ، واكتفى البعض بالحديث عن تدعيم قيم العمل لدى التلاميذ ، كما تناول البعض وضع المهن والحرف فى العالم المعاصر ولم تعالج أى من هذه الدراسات موضوع التربية المهنية والحرفية فى الإسلام كموضوع مستقل ، بل عالجته فى إطار موضوعات عدة ، فى جانب أو أكثر من جوانبه وليس من كل جوانبه المتكاملة . وهذا ما ستحاوله تلك الدراسة فى فصولها التالية .

الفصل الثانى

مكانة المهن والحرف فى الإسلام

يشتمل هذا الفصل على :

*** مقدمة .**

*** مكانة المهن والحرف عند العرب قبل الإسلام .**

*** مكانة المهن والحرف فى الإسلام .**

- الحث على العمل والتشجيع عليه فى القرآن الكريم .
- الحث على العمل فى السنة النبوية .
- مكانة المهن والحرف عند الخلفاء الراشدين .
- مكانة المهن والحرف عند علماء المسلمين .

*** أهمية العمل والكسب للفرد والمجتمع .**

*** دور الإسلام وتعاليمه فى نشر الحرف والمهن .**

مكانة المهن والحرف فى الإسلام

مقدمة :

لا يستطيع كلٌ من الإنسان والمجتمع أن يعيش دون أن يعتمد على مجموعة من الأدوات والأجهزة التى تساعده على ممارسة أنشطته الحياتية ، ولا يستطيع كل إنسان أن يصنع لنفسه كل ما يحتاجه من آلات وأدوات ؛ ولهذا فقد ظهرت تخصصات حرفية لدى الأفراد فى إنتاج الأدوات والقيام بالخدمات اللازمة للأفراد مقابل إنتاج وقيام الآخرين بخدمات متبادلة .

غير أن التوجهات الفكرية للمجتمعات تتفاوت فى تقديرها للحرفيين والحرف التى يمارسها الأفراد ؛ ولهذا فإن الفصل الحالى يستهدف توضيح مكانة الحرف عند العرب قبل الإسلام كتمهيد للحديث عن مكانة المهن والحرف فى الإسلام .

مكانة المهن والحرف عند العرب قبل الإسلام :

عرف العرب التجارة من قديم الزمن ، وكانت من أهم موارد الدخل عندهم ، كما كانت قوافلهم تقوم بنقل السلع بين شرق الجزيرة العربية وغربها وشمالها وجنوبها ، وقد سجل القرآن الكريم بعض ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)** ﴾ [قريش] أى « جعل لهم فى التجارة الخير والرزق الذى عوضهم عن هذه الأودية الجرداء التى يقل فيها الزرع والماء ، وجعلهم يألفون رحلات الشتاء إلى اليمن ورحلات الصيف إلى بلاد الشام » (١) ، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)** ﴾ [النساء] ، « والضرب: السير فى الأرض ابتغاء الرزق » (٢) «تقول العرب : ضربت فى الأرض إذا سرت لتجارة أو غزو أوغيرها » (٣) .

---

(١) الإمام ابن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى: تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ت ، ج ٤ ، ص ٥٥٣ .

(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) ﴾ [آل عمران] ،وفى هذا ما يؤكد ممارسة العرب الأوائل للتجارة .

وقد « اعتبر قسم من العرب الجاهليين الحرفة أو المهنة من الأمور المستهجنة ، فلا يليق بالعربى الحر الشريف أن يكون صانعاً ؛ لأن الصنعة من حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس . بالإضافة إلى أن العربى كان يرى فيها تقييداً لحريته وحداً من حركته ، وقيل : إنهم إذا أرادوا تحقير إنسان وسبه بكلمة تكون مجمع السباب قالوا له : « يا بن الصانع » ، بل إن العدنانيين يعايرون اليمنيين بأنهم كانوا بين دابغ جلد وناسج برد » (١) .

ومما يؤكد ذلك أن « أحد الشعراء يهجو غريمه بأن أحد جدوده كان حداداً ، فكأنما وضع بهذا وصمة عار فى جبين القبيلة إلى الأبد ، هذا وربما يفضل أحدهم سؤال الناس على أن يعمل عملاً يعده ممتهناً وغير لائق بمثله » (٢) . « ونظرة العربى الحر إلى الفلاحة نظرة ازدراء وقلة تقدير ؛ ولذلك لم يقم بها فى الغالب إلا الفقراء من الحضر والعبيد والأجراء ، ولم يكن لهؤلاء فى المجتمع مكانة » (٣) .

وربما سادت تلك النظرة لأن تلك الحرف والمهن أصلاً كانت يدوية وكانت تقتضى عملاً شاقاً يشبه العبودية ، بالإضافة إلى أنها كانت محدودة الدخل .

إن نفس هذه النظرة كانت موجودة فى جميع المجتمعات القديمة قبل الإسلام ، «فالإسلام مسبوق فى الزمن بحضارتين هما حضارة الفرس وحضارة الروم ، فكانت كلٌّ من الحضارتين تقسم العمل إلى قسمين : فكرى أو نظرى ـ ترفع من شأن هذا النوع ـ ويدوى أو جسدى ـ تخفض من شأنه ـ وكانت النتيجة المنطقية لهذا التقسيم إيثار الإنسان الذى صنعته الفكر المجرد على صاحب الصنعة اليدوية ، ومن هنا انقسم الناس إلى طوائف فى جمهورية أفلاطون ؛ حيث جعل الفلاسفة فى الذروة لأنهم رجال البحث والنظر والتأمل ، وجعل الزارع والصانع وسواء الشعب فى الطبقة الدنيا ؛ لأنهم أصحاب العمل اليدوى أو الجسمانى ، وجعل بين هؤلاء وأولئك طبقة وسطى هم الجنود . ولم يتخلص تلميذه أرسطو من هذه التفرقة ؛ حيث صاغ نظرية تقسم

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ١٥ .

(٢) يوسف القرضاوى: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، د.ت ،ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) جواد على :تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ .

الناس إلى : أشراف ، وعبيد . وكذلك الحال عند الفرس والعرب فى الجاهلية »(١) .

ومن ثم « كان العرب قبل الإسلام ينظرون إلى المشتغلين بالمهن والحرف نظرة احتقار وازدراء؛ لأنها فى عرفهم حرف وضيعة خلقت للعبيد والرقيق ولا تليق بالحر» (٢)، غير أنه كان هناك مجتمع مليء بالحرفيين يملؤون أسواق مكة ، معظمهم من الطبقات الدنيا فى السلم الاجتماعى حينئذ .

« وهكذا نستطيع أن نتبين بوضوح أن مايشاع لدينا من تفضيل للأعمال والوظائف المكتبية على غيرها من الأعمال اليدوية والحرفية ، إنما هو أثر من آثار اتباعنا لمناهج الغرب السلفية الأفلاطونية فى نزعتها ونظرتها إلى الطبيعة البشرية ، وهو الأمر الذى لا يتفق مع منهج التربية الإسلامية جملة وتفصيلاً » (٣) .

مكانة المهن والحرف فى الإسلام :

لقد جاء الإسلام بثورة أحدثها فى دنيا العمل والعمال « فحرر الإنسان من هذه العبودية الفكرية ، وقرر المساواة بين عمل الفلاسفة وعمل الزراعة ، ورفع من قيمة العمل أياً كان نوعه مادام حلالاً شريفاً ، لم ينص الشرع على تحريمه ولم توجد فيه شبهة » (٤) .

وربما ترجع تلك الفلسفة الإسلامية الموجودة بين العمل الفكرى والعملى إلى وجهة النظر الإسلامية فى الطبيعة الإنسانية . « فالإسلام يصور الطبيعة الإنسانية على أنها تتكون من عنصرين : أحدهما مادى ، والآخر غير مادى ، والإسلام إذ يقول بعنصرين اثنين يتكون منهما الإنسان ، لا ينظر إلى طبيعة الإنسان نظرة ثنائية ينفصل فيها الروح عن الجسد بل ينظر الإسلام إليها نظرة متكاملة ويعتبر أن كلاً منهما ضرورى للآخر » (٥) وهو فى تربيته للإنسان يضع فى اعتباره ضرورة توجيه العناية إلى كليهما .

«وسواء كان العمل يدوياً أم عقلياً أم فنياً فإن الخبرة والمهارة فيه مطلوبة ، فالمجتمع يحتاج إلى النجار والبناء والحداد والخياط ، كما يحتاج إلى السياسى الماهر ، والمفكر الماهر ، والمفكر المقتدر ، كما يحتاج إلى المهندس الماهر ، والطبيب الماهر ، والمعلم الماهر ، وتلك هى الفلسفة الإسلامية التى عندما كانت الأمة الإسلامية تحافظ عليها

(١) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى: العمل فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٤٢ .

(٢) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٣) على أحمد مدكور: منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته ، الطبعة الأولى ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣١١ .

(٤) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٥) أبو الحسن الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين ، الطبعة الثامنة ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩ م ، ص ٩٩ .

كانت من أعظم الأمم إنتاجاً وأعظمها خبرة وإتقاناً ، فلما انحرفت عن مفهوم العمل هذا - كما انحرفت عن غيره من المفاهيم - ضعف الإنتاج وضعفت الأمة كلها » (١) .

عدم التفضيل بين الأعمال :

إن الإسلام يدعو المسلم للإقبال على الأعمال النظرية والعملية على السواء؛ « لأنه لايعرف الفصل بين ما هو مادى وما هو روحى ، ولا يفرق بين ما هو دنيوى وما هو أخروى ، فكل نشاط مادى أو دنيوى يباشره الإنسان فهو فى نظر الإسلام عمل ، طالما كان مشروعاً وكان يتجه به إلى الله تعالى ، وليس صحيحا أن هناك صراعا بين الدين والدنيا ، وأن هناك مجالا لكل من النشاط الدنيوى والنشاط الأخروى ، فالإسلام لايعترف بهذا الفصل الميتافيزيقى بين الحاجات المادية والنظرية ، وذلك التمييز المصطنع بين الأنشطة الدنيوية أو الأخروية إلا على أساس مشروعية العمل » (٢) .

وبذلك أهدر الإسلام النظرة المتدنية إلى الأعمال اليدوية والحرفية فى الحضارات السابقة. فلم يجعل تفاضلا بين الأعمال فى ذاتها وإنما جعلها متساوية سواء منها الفكرية أو العملية . تلك الحضارات القديمة التى كانت تنازع الفرد بين حياة الدنيا وحياة الآخرة ، وتفضل الأخرى على الدنيا ، مما كان من نتائجها تفضيل العمل النظرى على العملى .

إن فلسفة الإسلام تقوم على القرآن والسنة كمصدرين أصليين ، يقول تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص] .

أى « استعمل ما وهبك الله من النعمة فى طاعة ربك والتقرب إليه ، ولاتنس نصيبك من الدنيا مما أباح الله فيها من المآكل والمشرب والمساكن والمناكح » (٣) ، فإن « لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه » (٤) وهذه مقولة لسلمان ذكرت لرسول الله ﷺ فقال : « صدق سلمان » . وفى هذه المقولة ربط بين ضرورة العمل على قضاء حقوق الله ، وحقوق النفس ، وحقوق الأهل . أى أنه ربط بين ضروريات الدنيا والآخرة .

إن المسلم مطالب بأن يعمل فى إطار الدنيا مبتغياً وجه الله سبحانه وتعالى ، وفى

---

(١) على أحمد مدكور : منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) عبد السميع المصرى :مقومات العمل فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥١.

هذا الإطار دارت فلسفة التربية فى الإسلام « فنادت بضرورة تدريب الفرد المسلم على الاشتغال بمهنة وتزويده بمهارات مناسبة يكسب منها عيشه » (١) .

ومع أن « التربية الإسلامية قد اهتمت بالجانب الدنيوى ، والتدريب العملى إلى جانب المعرفة النظرية ، إلا أن هذا التدريب كان مرتكزا على والمبادئ الأساسية فى العلوم الدنيوية » (٢) .

إن التربية الإسلامية كانت تهدف إلى « تخريج وتشكيل (إنسان) مسلم عارف بدينه وربه يتحلى بأخلاق القرآن ويتصرف وفق قواعده ومبادئه ، فى الوقت ذاته تخريج (إنسان) فاهم للحياة قادر على أن يعيش حياة كريمة فى مجتمع حر كريم يقدر أن يعطيه ويسهم فى حركة بنائه ودفعه وتطوير الحياة فيه من خلال عمل معين يتقنه ويجيده» (٣) ، يقول البخارى: « كتبت عن ثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث ، كلهم يقول : الإيمان قول وعمل » (٤) ، وهذه النظرية الإسلامية لابد أن تكسب الفرد صنعة يعيش عليها فى حياته .

ومن المقولات المأثورة عن ابن تيمية قوله فى تعريف المتعلم : « من أتقن صنعة من الصنائع » (٥) ؛ ولذلك « ركزت التربية الإسلامية على إعداد كل فرد لكسب رزقه من الحياة ، بأن يتعلم بعض الحرف والفنون والصناعات ويتدرب عليها » (٦) ، ثم يشتغل بها بعد الإلمام بمبادئها وقواعدها .

علاقة العمل بالإيمان فى الإسلام :

« لم يكن الهدف من الإسلام مجرد ظهور (كتاب) يحوى بين دفتيه عدداً كثر أو قل من التعاليم والمبادئ والأفكار . وإنما كان الهدف هو إعادة صياغة الإنسان بما يتفق وما جاءت به تلك العقيدة ، وألا تظل معالم هذه الصياغة حبيسة الأوراق أوتضيع فى موجات الهواء ، وإنما تتشخص فعلا وواقعا فى سلوك إنسانى ، يفكر بمقتضاها ويتخيل ويتصور ويقيم علاقاته وفقها، فإذا قلنا هذا فإن أهم ما يترتب عليه هو أن هناك تلازما بين العقيدة الدينية وبين التربية ؛ حيث إن التربية ـ كما نعلم ـ هى تلك العملية الموجهة توجيها قائما على بصر لتحويل الأفكار والمبادئ من المستوى النظرى إلى سلوك على

---

(١) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

(٢) سيد إبراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٢٤ .

(٣) عبد الغنى عبود : فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٨ .

(٥) محمود السيد سلطان : قضايا فى الفكر التربوى الإسلامى ، دار الحسام للنشر والطباعة والتوزيع ، مدينة نصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ، ص ١٦٦ .

(٦) محمد عطية الإبراشى : التربية الإسلامية وفلاسفتها ، الطبعة الثالثة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، ص ٢٤ .

المستوى الفعلى » (١) ، فالعقيدة الإسلامية تدعو إلى العمل والحركة والبناء والتعمير ، إنها تدعو المسلم إلى أن يكون سلوكه إيجابيا لاسلبيا ؛ مما يعود عليه وعلى المجتمع بالخير والنفع .

إن « الإيمان الصادق ليس مجرد إدراك أو تصديق قلبى غير متبوع بأثر عملى فى الحياة ، بل إنه اعتقاد وعمل وإخلاص » (٢) . قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾ [النساء] . وفى ذلك يبين الله تعالى « أن الأعمال الحسنة لاتقبل من غير إيمان ، كما أنهم يدخلون الجنة بأعمالهم » (٣) .

إن الإسلام يهدينا إلى الإيمان والعمل فى وقت واحد وفى هذا يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) ﴾ [الشرح] .

« أى إذا فرغت من أمور الدينا وأشغالها فانصب إلى العبادة ، وإذا فرغت من أمور العبادة فانصب إلى العمل والاجتهاد فى أمور الدنيا » (٤) ، فيطلب الانتقال من العمل لأداء العبادة ، كما يطلب مباشرة العمل بعد انقضائها . كما تحث الآية على الجدية فى العمل الدائم حتى يصل الإنسان إلى إجهاد حقيقى ثم يأنس إلى الراحة الموقوته لتفريغ شحنة التعب ، ثم العودة إلى العمل الناصب مرة أخرى وهكذا .

فالمسلم إذاً عامل باستمرار لايبارح العمل إلا لتفريغ شحنة التعب لمواصلة العمل (المتقن) من جديد ، ويتأكد هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ [الملك] .

نحن فى عهد كثير الأعباء على الدولة وعلى الأفراد ، ولانستطيع أن ننهض بمسئولياتنا فيه إلا بالتركيز على معانى الإيمان والعمل ، ويقرر الإسلام « أن حياة الإيمان بدون عمل هى عقيم كحياة شجر بلا ثمر ، فهى تثير المقت الكبير لدى واهب الحياة الذى يريدها خصبة منتجة كثيرة الثمرات » (٥) .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن

---

(١) سعيد إسماعيل على : العمل فى الفكر التربوى الإسلامى دراسات فى التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٤ .

(٢) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، الطبعة التاسعة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م . ص ٢٩٣ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لاحكام القرآن مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٣٩٩ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤، ص ٢٥٦ .

(٥) عبد المنعم خلاف: المادية الإسلامية وأبعادها ،الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ،ص ١٦١ .

تقولوا ما لا تفعلون ﴿٣﴾ ﴾ [الصف] وقد « ذكر القرآن الكريم الإيمان مقروناً بالعمل ولم يكتف بمجرد العمل ولكنه يطلب عمل الصالحات ، وهى كلمة جامعة من جوامع القرآن ، تشمل كل ماتصلح به الدنيا والدين ، ومايصلح به الفرد والمجتمع ، وما تصلح به الحياة الروحية والمادية معا » [(١)] .

أى أن الإسلام لايعرف المؤمن إلا كادحاً عاملا مؤديا دوره فى الحياة ، آخذاً منها معطيا لها ، مستجيبا لما أراده الله من بنى آدم حين جعلهم خلفاء الأرض . وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل] ، وهكذا «يقدر الإسلام العمل حق قدره ويحترمه ويعظمه»[(٢)]، «ويرفع من شأنه ويمنح العمل قداسة ترفعه وترفع العمال »[(٣)] .

إن المكانة التى جعلها الإسلام للعمل الحرفى والمهنى فى مجالات الحياة تتضح بصورة أكبر فى الفكر الإسلامى من خلال العناصر التالية :

الحث على العمل والتشجيع عليه فى القرآن الكريم :

لقد « حمل الإسلام مبادئ إنسانية سامية فى قيمة العمل ، وقرر أنه ليس للإنسان إلا ماسعى ، وأن كل ميزة يحصل عليها الفرد إنما تقاس بما يقدمه من عمل صالح لربه ونافع لنفسه ومجتمعه » [(٤)] .

قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النجم] أى « لايحصل من الأجر إلا ماكسب هو لنفسه » [(٥)] ، وهذا أمر الله لعباده فى الأرض أنزله فى قرآنه العظيم ؛ ليعملوا ويسعوا فى الأرض ويسيروا فى أرجائها ليعمروها ويستخرجوا منها أرزاقهم .

إن العمل والسعى أقوى مراتب العبادة فى الإسلام ، ولو لم يكن للعمل الحلال قدسيته لما قرن العمل بالصلاة ولما أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالسعى والممارسة الفعلية عقب الصلاة ،وقرن بها ذكره ، وعلق عليها رجاء الخير والفلاح ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

---

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .

(٢) محمد حسنى السيد : العمل فى السلام ، الكتاب رقم (١٢) ، من مجلة العمل ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، فبراير ١٩٦٥، ص ٩ .

(٣) سيد قطب : السلام العالمى والإسلام ، الطبعة السابقة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، الطبعة الثانية ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ص ٧٠ ، ٧١ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٨.

تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة] .

أى « إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا فى الأرض للتجارة وللتصرف فى جوائجكم وابتغوا من رزق الله » (١)، وهذا التفسير لتلك الآية يلتقى مع تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ ﴾ [الشرح] .

مواسم للعمل :

إن معظم تجارة العرب الداخلية تقوم على المواسم والأعياد ، والعرب فى ذلك مثل العبرانيين الذين كانت تقوم تجارتهم على المواسم والأعياد ، كذلك وقد رتبت أوقات الأسواق مع الأشهر الحرم ، حتى يسودها الهدوء والسلام وهما من طبيعة التجارة . وقد كان الحج من أكبر مواسم الربح لقريش ؛ تبيع قريش ما عندها للأعراب القادمين إليها من البادية ولأهل القرى البعيدة عن مكة ، وتشترى منهم ما يحملونه معهم من مواد وسلع ، ثم تقوم قوافلهم بنقل الفائض مما اشترته إلى الأسواق الخارجية فى بلاد الشام أو العراق ، وتشترى فى مقابل ذلك مايحتاج إليه الحجاز وأعراب البادية من سلع ومواد . والسوق المحلية الذى يتسوق منه إما ثابتة مع أيام السنة ، يبيع فيها البائع ويقصدها المشترى للشراء ، وإما موسمية تعقد فى مواسم معينة ، فإذا انتهى الموسم رفعت (٢) .

ولقد أذن الله بالتجارة فى مواسم الحج « فقد كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فتأثموا أن يتجروا فى مواسم الحج » (٣) فنزلت الآية : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة] . « أى لاحرج عليكم فى الشراء والبيع فى الحج ، وهل كانت معايشهم إلا فى الحج » (٤) .

بل إن الحج إنما فرض لينتفع الناس بالتجارة كما ينتفعون بالعبادة وباجتماعهم فى صعيد واحد ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج] « والمنافع : دنيوية ، وأخروية : أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى ، وأما منافع الدنيا فما

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١٠٨ .
(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٤٠ .

يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات » (١) .

العلاقة بين العمل والعبادة والراحة :

لقد خفف الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن رسوله ﷺ ومن اقتدى به من المسلمين أعباء قيام الليل لأسباب ، منها : ألا يرهق التعبد البعض ليلا فيقعدهم عن طلب الرزق نهارا .

وفى هذا يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾ [المزمل] ، أى « علم أن سيكون من هذه الأمة ذووا أعذار فى ترك قيام الليل من: مرضى لايستطيعون ذلك، ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله من المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين بالغزو فى سبيل الله » (٢) .

إن الله قد جعل الضرب فى الأرض طلبا للرزق من أسباب التخفيف فى العبادة ، مثله فى ذلك كمثل المرض ، كما أشارت الآية السابقة ،كما نعى الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الذين تركوا الدنيا وانقطعوا لإقامة الصلوات فى قوله تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴾ [الحديد] والمعنى أنهم « ابتدعوا عبادة من قبل أنفسهم فحملوا أنفسهم من المشقات من الامتناع عن المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع ، وما فرضناها ولاأمرناهم بها ولكنهم ابتدعوها » (٣) .

وإذا كان « كل من فى الوجود يعمل ، من أعظم الأجرام السماوية التى لاتتوقف لحظة عن الدوران فى أفلاكها إلى النملة التى لايسمع دبيبها على الأرض إلى مكونات الذرة ؛ فإن الإنسان لايستطيع أن يخرج على نواميس الكون والحياة ، فيعيش بلا حرفة أو مهنة ،وإلا لفظته الحياة ،ونبذه المجتمع،وتحطم كيانه ، وفقد معنى وجوده » (٤) .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٢١٦ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٤٣٩ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٦٥ .

(٤) محمد كامل حته : القيم الدينية والمجتمع ، سلسلة اقرأ ، (٣٨٦) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٨١ .

إن التربية الإسلامية ترى « أن مدلول العبادة لابد أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر ، فالجن والإنس لايقضون حياتهم في إقامة الشعائر ، والله لايكلفهم هذا ، وهو يكلفهم ألوانا أخرى من النشاط ، تستغرق معظم حياتهم والخلافة فى الأرض عمل الكائن الإنسانى ، وهى تقتضى ألوانا من النشاط الحيوى فى عمارة الأرض والتعرف على قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقق إدارة الله فى استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها » (١) .

وهذا هو القصد من الآية الكريمة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [الذاريات] فالإسلام يربط بين العمل فى المصنع والمزرعة ومجالات الإنتاج والخدمات من جانب وبين العبادة من جانب آخر ، ويجعل حياة الإنسان مترددة بين العمل والعبادة (٢) .

إن الله جل شأنه « حين خلق الأرض بارك فيها وقدر فيها أقواتها ، وأودع فى بطنها وعلى ظهرها من البركات المنظورة والخيرات المنثورة ما يعيش به عباد الله فى رغد من العيش » (٣) .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) ﴾ [الأعراف] . أى « مكاسب وأسبابا تكسبون بها وتتجرون فيها » (٤) . «والمعايش : جمع معيشة ، والتعيش : تكلف أسباب المعيشة » (٥) « ومعيشة أى ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة » (٦) .

لقد خلق الله الناس فى هذه الأرض ليعمروها حيث قضت سنة الله ذلك ، وجعل الله الإنسان خليفة له فى الأرض ليعمل فيها ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾ [هود] ، « أى جعلكم عمارا تعمرونها وتستغلونها » (٧) « وفيه الدلالة على وجوب الإسكان والعمران » (٨) ، وذلك « يتطلب الزراعة والغرس والأبنية » (٩) . فالدين لم يجعل عمارة الأرض من النوافل أو المندوبات

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨١ ، المجلد السادس ، ص ٣٣٨٨ .
(٢) ناصر على بشيه : التربية الإسلامية والتحديات فى المجال التقنى ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .
(٣) يوسف القرضاوى : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٠٢ .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٤٦٥ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .
(٧) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٤٥٠ .
(٨) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٥٧ .
(٩) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٥٦ .

بل جعلها من الشعائر الواجبة التى يثاب فاعلها ويعاقب تاركها .

ولقد اقتضت سنة الله فى الخلق أن هذه الأرزاق التى ضمنها، والأقوات التى قدرها ، والمعايش التى يسرها لاتنال إلا بجهد يبذل ، وعمل يؤدى . قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك] ، « أى فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات » (١).

وفى هذا دعوة إلى النفرة فى سبيل العمل ، والاجتهاد فى تحصيل الرزق ، « فمن مشى أكل، ومن كان قادرا على المشى ولم يمش كان جديراً ألا يأكل » (٢) ،قال تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم] .

استدل العلماء من هذه الآية على « أن الرزق ولو كان مكتوبا فإن الله ـ تعالى ـ أوجب على ابن آدم السعى ؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية . والأمر بتكليف الكسب فى الرزق سنة الله ـ تعالى ـ فى عباده ، وإن ذلك لاينتقص من المتوكل خلافا لما يقوله جهال المتزهدة » (٣) .

الحث على العمل فى السنة النبوية :

لقد حثت السنة النبوية الشريفة المسلم على أن يكسب قوته بكد يديه ،وذلك ابتغاء فضل الله فيما يسره له من وسائل الكسب المشروعة. عن حكيم بن حزام قال: سألت النبى ﷺ فأعطانى ثم سألته فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم قال لى : « يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولايشبع واليد العليا خير من اليد السفلى » (٤).

وفى الوقت الذى كان ينهى رسول الله ﷺ عن السؤال والقعود ويحض على العمل والحركة كان يمنع الزكاة عن الأقوياء القادرين على الكسب ، ويحث على الاستغناء والاستعفاف، ويمدح المعطى «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله » (٥) و« اليد العليا المنفقة والسفلى السائلة » (٦) .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤، ص ٣٩٧ .

(٢) يوسف القرضاوى : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٩٥ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١١٦ .

(٥) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٣٩ .

(٦) الإمام مسلم (أبو الحسن بن الحجاج القشيرى النيسابورى) : صحيح مسلم ، دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت د ، ت ، المجلد الثالث ، ص ٩٤ .

ولايتصور عاقلٌ أمةً تنهض وتتقدم إن لم يعمل أبناؤها ، ولا يعرف التاريخ أمة تكرم صاحب المهنة أو الحرفة وترفع من قدره ، كما هو الحال فى الأمة الإسلامية . عن النبى ﷺ قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (١) .

وفى الحديث فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره ، والحكمة فى تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله بيده لم يكن عن حاجة ؛ لأنه كان خليفة فى الأرض ، كما قال تعالى ، وإنما ابتغى الأكل عن طريق الأفضل ؛ ولهذا أورد النبى ﷺ قصته فى مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد (٢) .

إنها الحرف البسيطة التى لايترفع عنها صاحبها ، وما أحوج مجتمعنا اليوم إلى تلك التربية التى تغرس فى النفوس حب العمل اليدوى والعمل فى الحرف والمهن المختلفة وعدم احتقارها وتشجيع الإبداع فيها والإقبال على تعلم المهن المختلفة ، دون ترفع أو استعلاء (٣) ، حتى ولو كان العمل بحرفة الاحتطاب لقول النبى ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه » (٤) . إن الحرفة مهما كانت بسيطة ومتواضعة ترفع قدر الإنسان ، وتحفظ عليه كرامته من ذل المسألة ؛ لذا يضرب النبى ﷺ مثلا بهذه الحرفة المتواضعة ، وهى الاحتطاب ؛ لتكون نموذجا أمام المسلم تدفعه للعمل بمهنة أو حرفة ، وكم نفّر النبى ﷺ من المسألة فقال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم » (٥) ، والمزعة : القطعة ، قيل معناه : يأتى يوم القيامة ذليلا ساقطا لا وجه له عند الله (٦) .

إنها صورة مهينة لمن يتعود سؤال الناس ؛ ولذلك نهى الرسول ﷺ عن السؤال والاستجداء وطلب من المعدم أن يستخدم ساعده وطاقته فى اكتساب عيشه ودفعه إلى ترك العجز والاستكانة.

على الإنسان إذن أن « يعمل على ظهر الأرض فيغرس ويزرع ويعمر ، وعليه أن يعمل فى باطن الأرض ليستخرج كنوزها المدفونة من المعادن والبترول ؛ وبذلك ينال نصيبه فى الحياة ويأخذ دوره فى هذا الوجود ، أما البطالة والتقاعد عن الاشتغال بحرفة

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٤ ، (كتاب البيوع) .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، الطبعة الأولى ، دار الريان للتراث القاهرة ، المجلد الرابع ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣) فوقية محمد ياقوت شهبة : القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٥ (كتاب البيوع) .

(٥) الإمام مسلم: صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٩٦ .

(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٣٤٦ .

لَمُخَالفة صريحة لطبيعة الحياة وسنة الوجود » (١) .

ولكى يكسب الإنسان معاشه فهو فى حاجة إلى العمل فى دنياه وإلى التفكير فى الآخرة ؛ ولذلك فالإنسان يعمل لدنياه ودينه ، « وسيرة الرسول ﷺ تشهد بذلك ؛ فهو إلى جانب التعمق فى العبادة كان يقوم برعى الغنم ويعمل بالتجارة وكذلك الصحابة » (٢) .

والإسلام يؤكد على أهمية المحاكاة للقدوة الصالحة تأكيدا قويا ، وهو يدعو المسلمين لأن يدرسوا سيرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيتخذونها قدوة لهم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [الاحزاب] ، والأسوة ما يتأسى به ، فيقتدى به فى جميع أفعاله وأحواله (٣) . وإذا نظرنا إلى رسول الله ﷺ وجدنا حياته كلها جهادا وعملا فكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، وهو القائل : « صاحب الشىء أولى بحمله » (٤) . ولقد « سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ، ما كان النبى ﷺ يصنع فى أهله ؟ قالت : كان فى مِهْنَةِ أهله ، فإذا حضرت الصلاة ، قام إلى الصلاة » (٥) .

كما كان يحرص ﷺ على أن يشارك بنفسه فى الأعمال والحرف والمهن التى كان يقوم بها أصحابه من ذلك :حفر الخندق فى غزوة الأحزاب.« عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا » (٦) وقوله:(ونحن ننقل التراب على أكتادنا) «جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر» (٧) ويرغب رسول الله ﷺ فى العمل فيذكر : « على كل مسلم صدقة » ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » (٨) ، وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « على كل مسلم صدقة »، قالوا : يا نبى الله فإن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » ، قالوا: فإن لم يجد ؟ قال: « فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة » (٩) ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يحض على العمل الدائم،« عن عائشة أنها قالت: كان

(١) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤١ .
(٢) أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٤ ، ص ١٥٥ .
(٤) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكتيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٧ (كتاب الأدب) .
(٦) المرجع السابق ، ج٥ ، ص ١٣٧ .
(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ٤٥٥ .
(٨) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٣ (كتاب الأدب) .
(٩) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٤٣ .

أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذى يدوم عليه صاحبه » (١) .

« لقد كان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أشد الناس حرصا على تأكيد قيمة العمل الحرفى والمهنى فى نفوس أتباعه وتثبيت معنى أن السعى فى الرزق عن طريق ذلك إنما هو جهاد فى سبيل الله » (٢) .

فيقول ﷺ: « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » (٣) ، فوضع العامل بالحرف والمهن موضع المجاهد فى سبيل الله .

إن من يتتبع أحاديث النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ القولية وسنته العملية ، يشهد بأن للعمل اليدوى مكانة عظيمة ، ولو كان هذا العمل حرفة يزدرى المجتمع أصحابها أحيانا ، ففى الأثر : أن الخدم ربما كانوا يقصدون النبى ﷺ نفسه ليعينهم على شراء ما كلفوا بشرائه من السوق ، فكان يذهب معهم ويقضى لهم مايشاءون (٤) ، وأن أعداءه ﷺ كانوا يعيبون عليه أن الأساكفة والحَوَكَة من أنصاره ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) ﴾ [الشعراء] ،وقال تعالى فى موضع أخر : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ [هود] . أراذلنا : خسيسوا الصناعات . وقيل : إنهم كانوا حاكة وحجامين ، وقيل : الدباغ والكناس إن كان من غير العرب ، وكان هذا جهلا منهم ؛ لأنهم عابوا النبى ﷺ بما لا عيب فيه (٥) .

الإسلام والزراعة :

حث الإسلام على الزراعة عن طريق إحياء الأرض الميتة ، وهو ما ينادى به الفكر الاقتصادى المعاصر فيما يعرف بالتوسع الأفقى عن طريق زيادة رقعة الأرض المنزرعة واستصلاح الأراضى وغزو الصحراء ، ومفهوم العمل فى الإسلام واسع وشامل لكل ضروب الحركة والإنتاج فكريا كان أو ماديا .

إن الإسلام يحض على العمل فى الزراعة فى قوله تعالى : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) ﴾ [يس] .

---

(١) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٢٢ .

(٢) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ،مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٣) الإمام مسلم: صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٢١ .

(٤) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، الطبعة الأولى ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ٨٧ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٣، ٢٤ .

أى « ليأكلوا مما غرسوه من زرع وثمار ونبات » [1] ونخيل وغير ذلك . ويبدو هنا اهتمام الإسلام بالزراعة وحثه عليها .

فالزرع هو الغلة الطبيعية للأرض التى أمر الإنسان بعمارتها وإصلاحها ومنع الفساد عنها ، وفى الكسب بالزرع يتوكل على الله بعد الحرث والرى وبذر الحب فى التراب .

« والإسلام يحفز الزارع فيجعل من يحيى أرضا لاتنتج زرعا مالكا لهذه الأرض التى أحيا مواتها ، ويشترط لاعتبار الأرض مواتا ألا يكون منتفعا بها فعلا بطرق أخرى من طرق الانتفاع غير الزرع .

وإحياء الأرض الموات معناه : جعلها صالحة للزراعة بإزالة السبب الذى جعلها غير صالحة ، فإن كان مواتها بسبب غمر الماء بها فإحياؤها بإقامة السدود ، وإن كان بسبب قلة الماء أو عدم انتظامها فإحياؤها بإجراء الماء لها ،وحفر الآبار ووضع الآلات الرافعة ، وإن كانت غير مستوية سويت ، وإن كانت الأرض غير طيبة بأن كانت لاتنبت زرعا فإحياؤها بتسميدها وإضافة المواد التى تخصبها وهكذا » [2] .

ولذلك قال النبى ﷺ : « من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق » [3] ، والأرض الميتة كما يقول ابن حجر : « هى الأرض التى لم تعمر ، وإحياء الموات بأن يعمد الشخص إلى الأرض لايعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقى أو بالزرع أو الغرس أو البناء ، فتصير ملكه سواء كانت فيما قرب من العمران أم بعد » [4] . إنها دعوة إلى زيادة الرقعة الزراعية وإلى الحث على الزرع .

«وإذا كان إحياء الأرض عن طريق زراعتها والعناية بها عملا مهماً من أعمال التنمية، فإن هذه النظرة يجب أن تمتد إلى ما تنتجه الأرض من زرع وغرس وثمر ؛ فلا يعمد الزارع إليه قبل تمام نضجه فيقطعه ؛ لأن ذلك يقلل من قيمته » [5] ، ففى الحديث « أن النبى ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها ، نهى البائع والمبتاع » [6] ، « وإن فى هذا المنع لمنفعة لكل من البائع والمشترى ، وإذا تم البيع قبل تمام النضج فالضرر على الطرفين. فأما البائع فلئلا يأكل مال أخيه بالباطل ،وأما المشترى فلئلا يضيع ماله » [7] . « وعلى المستوى العام فى المجتمع الزراعى الذى يتبع هذا الأسلوب سوف تكون النتيجة

---

(1) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٥٧١ .
(2) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى:الملكية فى الإسلام ، دار المعارف ،القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٦٩ .
(3) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .
(4) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٢٣ .
(5) فوقية محمد ياقوت شهبة : القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .
(6) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٤، ص ٢٧٠ .
(7) المرجع السابق والصفحة .

إهداراً لمورد اقتصادى أساسى كان يمكن أن يصل أقصى قيمة من الفائدة ومن الثمن إذا انتظر صاحبه تمام نضجه » (١) .

وعناية الإسلام بالزراعة تبدو من دعوة الرسول إلى الغرس والزرع ، واعتبار هذا العمل الذى ينفع الناس فى الدنيا سببا فى ثواب الله ، ففى الحديث : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » (٢)، ودعوة الرسول إلى الغرس والزرع إنما تتضمن دعوة إلى الرخاء .

وقد « رفع الإسلام من شأن الزراعة والمزارعين ووعدهم بأحسن الثواب ليقبل الناس عليها إقبالاً لايدع من الأرض الصالحة للزراعة شبرا دون زراعة »(٣)، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة] يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية الكريمة: « فى هذه الآية الكريمة دليل على أن إثمار الزرع من أعلى الحرف التى يتخذها الناس والمكاسب التى يشتغل بها العمال؛ ولذلك ضرب الله به المثل » (٤).

ويوجهنا الإسلام إلى حرفة الزراعة ممتنا على الإنسان بتيسيرها له فيقول تعالى : ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) ﴾ [النحل] ، أى « يخرج لكم من الأرض الزرع والزيتون والنخيل والأعناب والثمرات بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها » (٥) . ويقول القرآن الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ﴾ [البقرة] ، وقوله: ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ ﴾ يعنى النبات والركاز والمعادن ، والركاز أصله فى اللغة ما ارتكز بالأرض من الذهب والفضة والجواهر (٦) . وقال السدى : « يعنى الذهب والفضة ، ومن الثمار والزروع التى أنبتها لهم من الأرض » (٧). إنها ليست دعوة إلى الزراعة فقط ، إنها دعوة إلى الاشتغال بحرف ومهن متعددة ، دعوة إلى الزراعة وإلى الصناعة وإلى التجارة .

---

(١) فوقية محمد ياقوت شهبة : القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .

(٣) حمزة الجميعى الدموهى : عوامل الإنتاج فى الاقتصاد الإسلامى ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ١٩٨٥ م ، ص ٦١ .

(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣٠٥ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٦٤ .

(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٧) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .

إن الحق سبحانه وتعالى فى الآية « سمى حصيلة المال الذى هو ثمرة النشاط (كسباً) ، وأضاف الكسب إلى البشر فى قوله: ﴿ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إشارة إلى أن الأموال تابعة لمجهودهم الخاص وهى فى أيديهم ملك لهم » (١) ، وإن سعى الإنسان ومجهوده للحصول على ما فى الأرض مرهون بإرادة الله وقدرته ؛ لأن الآية زاوجت بين سعى الإنسان فيما أسمته (كسبا) وبين إرادة الله فيما عبرت عنه بقوله : ﴿ أَخْرَجْنَا لَكُم ﴾ .

« وهذا أمر معقول فى دين كالإسلام يدعو إلى اعتناق مذهب وحدة الحياة وامتدادها إلى الأبد بعد الموت فى الدار الآخرة » (٢) .

إن الزراعة فى مجتمعنا تعد دعامة أساسية من دعائم التنمية ؛ إذ مع توفير مياه الرى وإمكانية استصلاح مساحات واسعة من الأرض يمكن زيادة رقعة الأرض المزروعة فى بلادنا حتى لا تخضع ـ تحت حاجتها للغذاء ـ للاعتماد على الاستيراد من الخارج ، فى حين « تلجأ بعض الدول المتقدمة إلى حرق أو إغراق الفائض من زراعتها للمحافظة على مستوى أسعارها الفاحشة » (٣) .

الإسلام والتجارة :

خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس على حالة يحتاج فيها بعضهم إلى بعض ، فليس الفرد يملك كال ما يحتاج إليه ، بل يملك هذا ما يستغنى عنه ذاك ، والعكس ، ويحتاج إلى بعض ما يستغنى عنه الآخرون ، ومن ثم ألهم الله الخلق أن يتبادلوا السلع والمنافع بالبيع والشراء ، وسائر المعاملات حتى تستقيم الحياة (٤) ، وقد كانت التجارة منتشرة فى الجزيرة العربية قبل الإسلام وقد نشطت على أيدى المسلمين .

وحث النبى ﷺ على التجارة مرغبا فيها ، وكان لا يألوا جهدا ولايدخر نصحا فى دفع المسلمين للعمل بالتجارة باعتبارهم أفرادا وجماعات ، حتى إنه حين « هاجر من مكة إلى المدينة وهاجر معه أصحابه عملا بتعاليم دينهم ، كان أول شىء وقع عليه نظره هو بناء المسجد الذى شارك فى بنائه بيديه الشريفتين ؛ لأنه مكان العبادة ، ثم رأى رسول الله ﷺ واجباً عليه أن ينشئ سوقاً للمسلمين تكفل حرية العمل التجارى ، وتضمن سريان قانون التنافس ؛ حتى يكون البقاء للأصلح » (٥) .

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

---

(١) عبد السميع المصرى :مقومات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٢ . نقلها من : محمد البهى : الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ، ١٩٦٥ ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) عبد المنعم محمد خلاف : المادية الإسلامية وأبعادها ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(٣) حمزة الجميعى الدموهى : عوامل الإنتاج فى الاقتصاد الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٤) زيدان عبد الباقى : العمل والعمال والمهن فى الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص٣٨ .

(٥) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

الأمثال ﴿١٧﴾ [الرعد] أى : « أن الباطل يذهب كما يذهب الزبد الذى يعلو الماء ، وأما ماينفع الناس مثل الماء وما خلص من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص فيمكث فى الأرض » (١) ؛ولذا ضرب رسول الله ﷺ (قبة) ليقوم حولها الناس بالبيع والشراء ،وقامت السوق قوية منتظمة ، وأخذت كل سلعة مكانا ، فكان للخيل مكانا ، وللإبل غيره ،وللغنم سواه ،وكل عرض من عروض التجارة له مكانه الخاص به (٢) .

وقياسا على ذلك جرت النظم فى العهد الإسلامى الأول على تخطيط المدن على أساس إنشاء أحياء خاصة بالصناعات المختلفة ، فكان من توجيهات نظام الحسبة الإسلامية أن يجعل المحتسب لأهل كل صنعة سوقا تختص بهم،وتعرض صنائعهم فيه ؛ فإن ذلك لقصادهم أرفق ، ولصنائعهم أنفق ، ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار ، كالخباز والطباخ والحداد ، فالمستحب أن تبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين لعدم المجانسة بينهم وحصول الأضرار (٣) .

وكانت التجارة عمل النبى ﷺ كما يقول القرطبى : « كانت تجارة ذوى الأخطار ؛ لأنها كانت تجارة بين الأقطار » (٤) ، وهى أخطر من التجارة التى تتم داخل البلدة الواحدة، فالرسول ﷺ أسوتنا ، عاش طول عمره عاملا مجدا ، سافرخارج مكة أجيراً وشريكا فى تجارة ، ومشى فى الأسواق واشترى ، تقول عائشة رضي الله عنها : « إن النبى ﷺ اشترى طعاما من يهودى إلى أجل ورهنه درعا من حديد » (٥) ، وكان يعيب عليه المشركون ذلك : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان] .

وتدل الآية على أن دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش ، وكان عليه الصلاة والسلام يدخلها لحاجته ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته ، وفى البخارى: « ليس بفظ ولاغليظ ولاسخَّاب فى الأسواق » (٦) .

« يقول ابن عباس رضي الله عنه : لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة وقالوا : (مال هذا الرسول يأكل الطعام) ،حزن النبى ﷺ فنزلت الآية تعزية له » (٧) ،ونزلت أيضاً : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
(٢) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣) عبد الرحمن بن نصر الشيرازى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م ، ص ١١ ، ١٢ .
(٤) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : الملكية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٤ . (كتاب البيوع) .
(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج ٣ ، ص ٨٧ . (انظر:القرطبى ، ج ١٣ ، ص ٥).
(٧) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٣، ص١٣ .

﴿ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان] ، أى : أن التجارة كانت عمل الرسل من قبل بعثة رسول الله ﷺ بدين الإسلام . « وهذه الآية أصل فى تناول الأسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك ، وقيل في معنى الآية : يتجرون ويحترفون » (١) ؛ ولذلك أنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنبياء] ، «والضمير فى جعلناهم للأنبياء أى: لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لايحتاجون إلى طعام وشراب وما كانوا لايموتون، وهذا جواب أيضا لقولهم : (مال هذا الرسول يأكل الطعام) » (٢) .

ولتعلم أن أكثر أسباب الرزق متعلقة بمهنة التجارة ، كما قال الزمخشرى ، وإذا كانت الصناعة من الأمور المهمة ، وهى الوسيلة التى مكنت البشر أن يستخدموا ماخلق الله على الأرض أو أودع فى بطنها لإنماء حضارتهم واستكمال سعادتهم ، فمن المسلم به أنه بعد إنتاج السلع الزراعية أو الصناعية لابد من تداولها بين الناس ، ولايكون ذلك إلا عن طريق التجارة ، ومن « وصية لقمان لابنه : يابنى ، استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعة فى عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به » (٣) .

مما سبق يتبين لنا اهتمام الإسلام بإحدى الدعائم التى يقوم عليها تقدم البلدان وازدهارها ، وهى التجارة .

الإسلام والصناعة :

يعتبر الإسلام الحرف والمهن هى الوسيلة الأولى للارتزاق والدعامة الأساسية للإنتاج ، وإذا كان الإسلام يحض على الاشتغال بالصناعات المختلفة ، فإنه أيضا يحض على العمل بكافة أنواعه « فلا يقتصر مفهوم العمل على الاشتغال بمهنة أو حرفة أو الاصطناع أو الاتجار ، وإنما يتسع حتى يشمل كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان مقابل أجر يستحقه سواء كان عملا : يدويا ، أو ذهنيا ، أو إداريا ، أو فنيا ، وسواء كان : لشخص ، أو هيئة معينة ، أو للدولة » (٤) .

وجعل الإسلام الرسل القدوة والمثل فى الاشتغال بالمهن والحرف الصناعية : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة] أى « لقد كان لكم فى إبراهيم ومن معه من الأنبياء

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٣، ص ١٤ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١١، ص ٢٧٢ .

(٣) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مكتبة الصحابة للطباعة والنشر والتوزيع ، طنطا ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ١٥ .

(٤) أحمد محمد العسال ، فتحى أحمد عبد الكريم : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مبادئه وأهدافه ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠ .

والأولياء أسوة حسنة » (١) ؛ إذ كانوا عاملين لأنفسهم ، فلقد كانوا يعملون ويحترفون مع أنهم خيرة خلق الله ، « فآدم احترف الزراعة ، ونوح النجارة ، وداود الحدادة ، وموسى الكتابة ،كان يكتب التوراة بيده » (٢) « ولقمان الخياطة ،وقيل : النجارة » (٣) « وكان زكريا نجارا » (٤) ، وكل منهم قد رعى الغنم .

ومن غريب أمر المسلمين أنهم لم يفطنوا إلى ما قصه القرآن من سير الأنبياء والرسل رواد الحياة الروحية الذين ارتادوا للأمم الطريق إلى الله ، وكانوا فى الوقت نفسه روادا فى طريق المهن والحرف الصناعية ؛ فلقد كان نوح عليه السلام رائداً فى صناعة السفن ، حين صنع سفينته بوحى من الله ليحمل فيها من آمن معه من قومه ومن كل حيوان زوجين اثنين لينجوا من الطوفان ، قال تعالى : ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** (٣٧) ﴾ [هود] ، « أى : اعمل السفينة لتركبها أنت ومن معك بحفظنا إياك » (٥) .

وكان النبى (إبراهيم) وابنه النبى (إسماعيل) ـ عليهما السلام ـ يتقنان صناعة البناء ؛وبذلك رفعا قواعد البيت الحرام فى مكة . قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (١٢٧) ﴾ [البقرة] ، «والقواعد : أساسه . والمعنى أن الله أمر إبراهيم بعمارة البيت ، فخرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل ،فرفعا البيت » (٦) أى :بنياه .وسأل النبى يوسف عليه السلام ربه العمل ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** (٥٥) ﴾ [يوسف] ، « وقد سأل الحرفة بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال » (٧) .

وكان النبى داود وابنه (سليمان) ـ عليهما السلام ـ رائدين فى الصناعة ، يصنع أولهما الدروع السابغات ، ويأكل من عمل يده : « ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ** (١٠) **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (١١) ﴾ [سبأ] ، وقوله: ﴿ **وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ** ﴾ ،أى : يسرنا له تشكيله ، وقوله: ﴿ **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ** ﴾،أى: دروعا سابغات ،أو كوامل تامات واسعات» (٨) ،

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٥٧ .
(٢) لبيب السعيد: دراسة إسلامية فى العمل والعمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص١٦ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٤، ص٦٠ ، ٦١ .
(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٠٣ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩، ص٣٠ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص١٢٠ ـ ١٢٢ .
(٧) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص٢١٦ .
(٨) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص٢٦٧ .

ويشرف ثانيهما على كثير من الصناعات ويسخر في سبيل ذلك قوى الطبيعة الظاهرة والخفية ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) ﴾ [سبأ] ، «والقطر : النحاس المذاب ، وقيل الحديد والرصاص ، ولكنه على الأغلب النحاس ، ولم يذب النحاس فيما روى لأحد قبله ، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله ـ تعالى ـ لسليمان » (١) .

وكان ذو القرنين من رواد إقامة السدود بجانب ريادته لحياة العدل والإصلاح ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) ﴾ [الكهف]

والمعنى : أعطونى قطع الحديد وناولونيها حتى إذا أتم البناء لجانبى الجبل ، قال : انفخوا على قطع الحديد بالأكيار، وذلك أنه كان يأمر بوضع طبقة من القطع والحجارة ، ثم يوقد عليها الحطب والفحم والمنافع حتى تحمى ، حتى إذا صار الحديد كالنار أتى بالنحاس المذاب أو الرصاص أو بالحديد بحسب الخلاف فى القطر ، فيفرغه على تلك الطبقة المنضدة . وإذا التأم واشتد ولصق البعض بالبعض ، استأنف وضع طبقة أخرى إلى أن استوى العمل وصار جبلا صلدا ، فما استطاعوا أن يصعدوه وما استطاعوا نقبه لبعد عرضه وقوته (٢) .

وكان النبى (عيسى) عليه السلام نموذجا فى معرفة : (صناعة الحياة) نفسها ، وطب الأجسام ، وشفاء الناس من الأمراض بإذن الله (٣) ، ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران:٤٩] ، « والأكمه: الذى يولد أعمى » (٤) ، « والبرص : داء معروف » (٥) ، « وهو بياض يعترى الجلد » (٦) .

« ثم كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، الثقة الأمين فى كل ما زاوله من عمل أو تجارة» (٧)، ولا غرابة إذن أن يجعل القرآن الصنعة (حصانة) أى مناعة،

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٢٧٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص٦١ ، ٦٢ .
(٣) عبد المنعم خلاف : المادية الإسلامية وأبعادها ، مرجع سابق ، ص ١٤ ، ١٥ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٧٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٨ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٩٤ .
(٧) عبد المنعم خلاف : المادية الإسلامية وأبعادها ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

«والتحصن : التمنع ، ومنه الحصن لأنه يتمنع فيه، والمصدر الحصانة »[1]، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) ﴾ [الأنبياء] ، «أى : لتمنعكم من السلاح »[2] ، وقوله : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ يعنى اتخاذ الدروع ، واللبوس عند العرب : السلاح كله ، وربما كان سيفا أو رمحا ، وقال قتادة : أول من صنع الدروع داود ، ليحرزكم من حربكم، وقيل: ليحرزكم من السيف والسهم والرمح ، وقرئت (لتحصنكم) بالتاء ردا على الصنعة [3] ، وكان قد دعا ربه أن يعلمه صنعة ويسهلها عليه ، فعلمه صنعة الدروع فكان يصنع الدروع ويبيعها حتى ادخر منها كثيرا ، وتوسعت معيشة منزله [4] ، فكانت الصناعة وسيلة لكسب عيشه .

لقد أصبح الحديد فى عصرنا الحالى وسيلة التسلح للأمم ، عليه تقوم الصناعات الحربية والمدنية ، وبه تستطيع الأمة أن تقف مع جاراتها من الأمم المتقدمة على قدم المساواة إن هى استطاعت استغلاله ؛ ولذا يوجهنا الإسلام إلى استخدامه فيقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) ﴾ [الحديد] ،« أى : أخرج الله الحديد من المعادن وعلمهم صنعة بوحيه ، وقوله :﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ يعنى السلاح والكراع والجُنة .

وقوله : ﴿ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ يعنى انتفاع الناس بالحديد ، مثل : السكين ، والفأس ، والإبرة ، ونحوه »[5] ، « وفى هذا دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع ،وأن التحرف بها لاينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة فى فضلهم ؛ إذ يجعل لهم التواضع فى أنفسهم والاستغناء عن غيرهم »[6] ، وهو قول أهل العقول والألباب ، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك شرع للضعفاء ، « فالصنائع والحرف واتخاذ الأسباب سنة الله فى خلقه. فمن طعن فى ذلك فقد طعن فى الكتاب والسنة »[7] .

إن آية واحدة فى القرآن كافية فى بعث نهضة علمية صناعية شاملة ، هذه الآية هى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٢٠ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١١ ص ٣٢٠ ، ٣٢١ . (٤) المرجع السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٦١ .
(٦) المرجع السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٧٦ . (٧) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٣٢١ .

إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال] ، « والقوة هنا هى السلاح والقسى »(١) .
« وقوله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ كان يكفى ، ولكنه خص الرمى والخيل بالذكر ؛ لأن الخيل كانت أصل الحروب »(٢) . أما فى الوقت الحاضر فقد اختلفت الأسلحة من درع إلى مدافع ومعدات متطورة ؛ ولذا جاء لفظ ﴿ قُوَّةٍ ﴾ بصيغة النكرة ، لعلمه - سبحانه وتعالى - أن القوة ستختلف من زمن إلى آخر .

إن « القرآن يهيب بالمسلمين أن يبذلوا ما فى استطاعتهم من إعداد وسائل القوة والمنعة ؛ حتى يرهبهم أعداؤهم ؛ فلا يفكرون فى مهاجمتهم والقضاء عليهم » (٣) ، والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ، وما من شك فى أن المهن والحرف من عوامل تقدم الأمم ومصدر قوتها .

الهجرة والسعى فى طلب الرزق :

أوجب الإسلام على كل فرد مسلم أن يسعى ويعمل ويجتهد ملتمسا الرزق من خبايا الأرض والكون ؛ حتى يغنى نفسه بنفسه ، ويسد حاجته ، وينفق على أسرته غير مفتقر إلى معونة من فرد أو دولة ، ومن ضاق عليه رزقه فى بلد لسبب ما ، فعليه أن يضرب فى الأرض يبتغى من فضل الله ؛ فأرض الله واسعة .

إننا نجد « من الناس من يدع العمل ؛ لأنه لم يتيسر له فى بلده ومسقط رأسه وموطن أهله وعشيرته ومجمع ألفائه وأحبابه ، فهو يكره الغربة وينفر من الترحال ويتوجس من الهجرة والضرب فى الأرض ، وهو يؤثر الإقامة فى موطنه مع البطالة والفقر على الهجرة والسفر مع السعى والغنى، وهؤلاء قد حثهم الإسلام على الهجرة ، وشجعهم على الغربة ، وبين لهم أن أرض الله واسعة ، وأن رزق الله ليس محدوداً بمكان ، ولامحصورا فى جهة » (٤) ، يقول تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء] ، « من القلة إلى الغنى ، وفى هذا تحريض على الهجرة ، وقوله : ﴿ مُرَاغَمًا ﴾ ، قال ابن عباس : المراغم : التجول من أرض إلى أرض ، وقوله: ﴿ سَعَةً ﴾: يعنى الرزق » (٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٣٥ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) عبد المنعم خلاف : المادية الإسلامية وأبعادها ، مرجع سابق ، ص ١٤ .
(٤) يوسف القرضاوى : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤١ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٤ .

أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (٢٠) ﴾ [المزمل] ، « أى : ومسافرون فى الأرض يبتغون من فضل الله من المكاسب والمتاجر »[١] ، وتلك صورة لما يجب أن تكون عليه أحوال المسلمين .

إن الإسلام « يفرض على المسلم السعى والعمل بالمهن والحرف المختلفة ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يأمرنا بذلك بما ورد فى القرآن الكريم من آيات تحض على السعى والهجرة فى طلب الرزق »[٢] ، بل إن سفر التجارة لكسب الزائد عن القوت جائز بفضل الله ـ سبحانه وتعالى ؛ إذ يقول تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين (١٩٨) ﴾ [البقرة] ، أى : لاحرج عليكم فى مزاولة التجارة وابتغاء الرزق فى مواسم الحج ، بل لكم أن تزاولوا التكسب بطرقه المشروعة وتبتغوا فضل الله ونعمته .

ويقول تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٦٨) ﴾ [البقرة] ، « والطيب هنا الحلال ، فهو تأكيد لاختلاف اللفظ »[٣] ،وقوله تعالى:﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) ﴾[الحجر] .

هذه الآيات السابقة تأمرنا بالانتشار والمشى فى الأرض ، والسعى فى كل سبيل يستطيع الإنسان فيه أن يجد عملا يعود عليه بثمرة انتشاره ومشيه وسعيه فى كل وجهة واتجاه إلى أبعد الغايات وأوسع الآفاق . فهل رأت البشرية على مر العصور تشجيعاً على الهجرة لكل غرض مشروع أروع من هذا التشجيع ؟!

إن العمل وحده عندما يكون هو الذى ينتج ويأتى بالكسب فإنه يكون أبرك طرق الكسب وأنقاها وأرقاها فى الإسلام ، فقد سخر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكون ليعمل فيه الإنسان « والعمل هو الوسيلة الوحيدة لنيل حق التملك فى الإسلام »[٤] .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٣٥ .

(٢) قطب إبراهيم محمد: الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٣م ، ص٢٧.

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٤) سيد قطب:العدالة الاجتماعية فى الإسلام،الطبعة السابعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٠ ،ص ١٢٤ .

أما البطالة فهى موجبة للفقر ، وكان رسول الله ﷺ يعوذ بالله من الفقر ومن شر فتنة الفقر ، فكان يقول : « . . . وأعوذ بك من فتنة الفقر » (١) ، بل كان - صلوات الله وسلامه عليه - يتعوذ بالله من أسباب الفقر ، فكان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الدين ، وقهر الرجال » (٢) .

عمل المرأة فيما يناسبها من حرف ومهن :

لقد نقل الإسلام المرأة من حال إلى حال ؛ فبعد أن كانت شيئاً هامشياً ، أصبحت شخصية إنسانية ، لها من الحقوق والواجبات مايؤكد صفتها الإنسانية . إن المتأمل في تعاليم الإسلام يلاحظ أن العمل،هو للذكر والأنثى ؛ لأننا إذا نظرنا إلى قرآننا الكريم ، وجدنا أكثر آياته تحض على العمل والنداء للمسلمين جميعاً رجالا ونساء ، قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)** ﴾

[آل عمران]

قال الضحاك : « رجالكم شكل نسائكم فى الطاعة ، ونساؤكم شكل رجالكم فى الطاعة ». ونظيرها قوله تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [التوبة : ٧١] (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧)** ﴾ [الكهف] ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠)** ﴾ [الكهف] ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)** ﴾ [يونس] ، ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)** ﴾ [الرعد] ، ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)** ﴾ [النحل] .

ولقد أباح الإسلام للمرأة القيام بالأعمال التى تحسن أداءها ، ولا تتنافر مع طبيعتها وتكوينها ، وإن كانت هذه الإباحية مقيدة بشروط .

لقد « كان النساء فى عهد رسول الله ﷺ يذهبن إلى المسجد للصلاة ، ويذهبن إلى السوق للتجارة ، ويخرجن فى الغزاوت لتشجيع ومساعدة الرجال ، فلا بأس على المرأة

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٩٨ (كتاب الدعوات) .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

الفاضلة أن تزاول نشاطها الإنساني في حدود الشرف والكرامة » (١) .

كما كانت المرأة في عهد رسول الله ﷺ تقوم بكثير من الأعمال داخل بيتها وخارجه من غير أن ينكر رسول الله ﷺ عليها . تقول أسماء بنت أبي بكر الصديق زوج ابن العوام : « تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولاشيء غير فرسه . قالت: فكنت أعلف فرسه ،وأكفيه مؤنته ، وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه ، وأعلفه ، وأستقي الماء ، وأخرز غَرْبَه ، وأعجن ، ولم أكن أُحْسِنُ أَخْبِزُ ، وكان يخبز لي جارات من الأنصار ، وكن نسوة صدق . قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير - التي أقطعه الرسول ﷺ - على رأسي وهي على ثلثي فرسخ ، قالت :فجئت يوما والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه . فدعاني ثم قال : « إخ ، إخ » ليحملني خلفه ، قالت : فاستحييت ، وعرفت غيرتك ، فقال : والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه . قالت : حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم ، فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني » (٢) وقولها:(أخرز غربه) وهو الدلو الكبير ، ولفظة : (إخ ، إخ) ، كلمة تقال للبعير ليبرك،وقولها : (أرسل إلي بخادم) : أي جارية تخدمني ؛ فيقال للذكر والأنثى خادم (٣) ، وعن علي بن أبي طالب عن زوجه فاطمة - عليهما السلام - « أنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى » (٤) .

والمرأة في الإسلام عنصر فعال نشيط ، ترعى مال زوجها ، وترعى أولادها ، وترعى خدمها ، وتسهم في توفير الراحة لأسرتها ، لأنها تعلم أنها مسئولة أمام الله ، ففي الحديث : « والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسئولة عنهم » (٥) بل يمتد عمل المرأة إلى خارج بيتها ، ففي أوقات الضرورة تشترك في الجهاد ، وذلك في الأعمال التي يمكن أن تقوم بها ، عن الربيع بنت معوذ « كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة » (٦) ، فالمرأة تعمل في بيتها ، وتعمل خارج بيتها ، إنها عملت في القيام على شئون بيتها ، كما رأينا في حديث علي عن فاطمة ، وعملت المرأة المسلمة في التمريض ، فكانت تداوي الجرحى ، وتنقل القتلى إلى المدينة

---

(١) سيد قطب : معركة الإسلام والرأسمالية ، الطبعة الحادية عشرة ، دار الشروق ، القاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) يحيى بن شرف بن حزام النووي :صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو رينة ، دار الشعب ، القاهرة د . ت ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) الإمام البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٨٤ .

(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٨ .

(٦) الإمام البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤١ .

فى الحرب ، والمرأة اليوم مطلوب منها أن تشارك بعملها فى النهوض بالمجتمع التى تعيش فيه ، على ألا يتعارض هذا العمل مع التزامها بتربية أولادها والنهوض بأسرتها أو مع التزامها بقيم دينها .

العبادات والعمل :

« قد يقول بعض الناس : إن كل عقيدة دينية تفرض على المؤمنين بها ألوانا من العبادات وضروبا من القربات والمراسم ، تأخذ من أوقات الناس شيئا يضيق ويتسع باختلاف الأديان وصنوف عباداتها . وخذ مثلا الصلاة الإسلامية التى تؤدى كل يوم خمس مرات أليس فى ذلك تعطيل للعمل وتعويق للعامل عن أداء عمله ؟

الحق أن العبادات فى الأديان عامة لا تأخذ من وقت الناس إلا القليل ،ما لم يشرع الناس لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله ؛ فيشقوا على أنفسهم ويرهقوها عسرا . على أن القليل الذى ينفق فى العبادات ليس وقتاً ضائعاً على الحياة والإنتاج . كلا إنه شحن للطاقة ، وشحذ للهمة ، وتوليد للقوة ، وصقل لمعدن النفس ؛ لتعود إلى معركة الحياة أقوى . وإنه لمن الظلم للواقع أن يقاس الشىء بأثره المادى المباشر المنظور ، ويغفل عن أثره الفعال الخفى الهادئ فى النفس وفى المادة أيضا » (١) .

فالإسلام عدو التبطل باسم العبادة والتدين ؛ « فالعبادة ليست وظيفة حياة ، وليس لها إلا وقتها المعلوم وتمضية الوقت فى التراتيل والدعوات بلا عمل منتج ينمى الحياة ، أمر لايعرفه الإسلام ، ولايقر عليه تلك الألوف المؤلفة فى مصر التى لاعمل لها إلا إقامة الصلوات فى المساجد ، أو تلاوة الأدعية والأذكار فى الموالد . إن العمل زكاة للأرواح والأجسام ، وعبادة من عبادات الإسلام التى يجب أن تنميها الدولة وتهيئ لها السبل للوصول إلى مستويات عليا من الإنتاج ؛ تجعلها تستطيع أن تقف مع الدول المتقدمة صناعيا على قدم المساواة » (٢) .

إن الإسلام يدعو « إلى التعمير والتنمية ، ويعتبرها ضربا من ضروب العبادة ، بل هى من أفضل صورها، وهو فى نفس الوقت ينذر الذين يكتنزون المال أو يحبسونه عن التداول والإنتاج » (٣) ؛ لأن الاستثمار ـ خاصة فى الأدوات التى تعين على قيام المهن والحرف ـ يزيد الإنتاج « والدخل القومى ويرفع مستوى معيشة المواطنين ؛ لذلك نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عـن حبس الأموال واكتنازها » (٤) ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ**

---

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، مرجع سابق ، ص ٣٠٠ .

(٢) سيد قطب : معركة الإسلام والرأسمالية ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٣) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٤) قطب إبراهيم محمد : الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٤) يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون (٣٥) ﴾ [التوبة] .

العمل لا يلهى عن العبادة :

إن الله سبحانه وتعالى يريـد من المسلمين أن يكونوا ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار (٣٧)** ﴾ [النور] ، أى : رجال لاتشغلهم تجارة ، وخصها بالذكر لأنها أعظم مايشتغل به الإنسان عن الصلاة ، وقد « نزلت الآية فى رجلين كانا فى عهد رسول الله ﷺ أحدهما بياعاً فإذا سمع النداء بالصلاة فإذا كان الميزان بيده طرحه ولايضعه وضعا ، وإن كان بالأرض لم يرفعه ، وكان الآخر حداداً يعمل السيوف للتجارة ، فإذا كانت مطرقته على السندان أبقاها موضوعة ، وإن كان قد رفعها ألقاها من وراء ظهره إذا سمع الأذان فأنزل الله ـ تعالى ـ هذا ثناء عليهما وعلى كل من اقتدى بهما » (١) . يقول قتادة : « كان القوم يتجرون ، ولكنهم كانوا إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولابيع عن ذكر الله » (٢) .

إن المسلم مطالب بالاهتمام بمهنته أو حرفته جنبا إلى جنب مع اهتمامه بالشعائر التعبدية من : إقام صلاة ، وزكاة ، وحج إن استطاع إليه سبيلا ، وعليه أن يحترز من الغرق فى مهنته ، فالتجارة ـ على سبيل المثال ـ تغرق أهلها ومن يتنافسون فيها فى الأرقام والحسابات والأرباح حتى أننا نجد فى عهد الرسول ﷺ وفى بداية الدعوة قبل أن ترسخ العقيدة تحضر قافلة بتجارة والنبى ﷺ يخطب ، فما أن سمع القوم بها حتى شغلوا بها عن سماعه ﷺ وانصرفوا إليها. فنزل قوله تعالى : ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (١١)** ﴾ [الجمعة] ، وفى ذلك يقول جابر رضي الله عنه : « بينما نحن نصلى مع النبى ﷺ إذ أقبلت من الشام عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى ما بقى مع النبى ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فنزلت الآية السابقة » (٣) .

مكانة المهن والحرف عند الخلفاء الراشدين :

كان المسلمون الأوائل أعفاء النفوس يأبون أن يأخذوا الأموال إلا بالعمل بحرفة أو

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٣ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧١ (كتاب البيوع) .

مهنة ، ومما يدل على ذلك « حين آخى النبى ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، قال سعد : إنى أكثر الأنصار مالا ، فأقسم لك نصف مالى ، وانظر أى زوجتى هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها . . . فقال له عبد الرحمن : لاحاجة لى فى ذلك ، هل من سوق فيه تجارة ؟

قال سعد : سوق قينقاع . فأتى عبد الرحمن بأقط وسمن ، ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جاء عبد الرحمن وعليه أثر صفرة ، فقال رسول الله ﷺ: « تزوجت ؟ » قال : نعم ، قال : « ومن ؟ » قال : امرأة من الأنصار ، قال : « كم سقت ؟ » قال : زنة نواة من ذهب ـ أو نواة من ذهب ، فقال له النبى ﷺ: « أولم ولو بشاة » (١) .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾ [البقرة] ، « والمراد بالفقراء فى الآية : فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ﴿ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ ﴾ حبسوا أنفسهم عن التصرف فى معايشهم خوف العدو ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ، أى أنهم من ترك المسألة يظنهم الجاهل بهم أغنياء ، إنهم لايسألون الناس عفة » (٢) ، وهؤلاء هم الذين رباهم محمد ﷺ على العفة والاستغناء عن الناس بالحرفة والمهنة . وسار عمر بن الخطاب على هذا النهج فى خلافته ، فجعل العمل ـ مهما كان حقيرا فى نظر المجتمع ـ أفضل من البطالة . يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « (مكسب فى دناءة خير من سؤال الناس)، وحذر الإسلام من السؤال لغير الحاجة ، وضيق عليها الخناق ؛ وذلك ليدفع الإسلام أبناءه إلى العمل الذى هو أساس العمران وقوام حياة الفرد والمجتمع ، ولكى يحفظ المرء بعمله ماء وجهه ، بدلاً من إراقته على أعتاب الناس ، أو التطفل على موائد الآخرين ، فيسأل الناس ، فيعطيه رجل ويمنعه آخر » (٣) .

عمر تاجرا :

يروى أن أبا موسى الأشعرى استأذن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يأذن له ، وكأنه كان مشغولاً ، فرجع أبو موسى ، ففزع عمر قال : ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ؟ ائذنوا له ، قيل : قد رجع ، فدعاه فقال : كنا نؤمر بذلك ، فقال : تأتينى على ذلك بالبينة ؟ فانطلق إلى مجالس الأنصار ، فسألهم ، فقالوا : لا يشهد لك على هذا

---

(١) المرجع السابق ، ج٣ ، ص٦٨ ، ٦٩ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٢ .

(٣) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

إلا أصغرنا أبو سعيد الخدرى ، فذهب بأبى سعيد الخدرى ، فقال عمر : أخفى على من أمر رسول الله ﷺ ؟ ألهانى الصفق بالأسواق ، يعنى الخروج إلى تجارة (١) .

ويتضح من هذه الرواية « أن اشتغال عمر بالتجارة ألهته عن ملازمته للنبى ﷺ حتى سمع غيره منه ما لم يسمعه » (٢) وكان عمر رضي الله عنه فى ذلك قدوة لمن أراد أن يكتسب لعياله ويتعفف عن الناس .

لقد كانت التجارة منتشرة فى عهد النبى ﷺ يمارسها أصحابه من المهاجرين والأنصار ، ومما يؤكد ذلك مايرويه أبو هريرة رضي الله عنه فيقول : « إنكم تقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، وتقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لايحدثون عن رسول الله بمثل حديث أبى هريرة ؟ وإن إخوتى من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق » (٣) ، أى اشتغال بالتجارات والبيوع بأنواعها المختلفة . «ولو نظرنا إلى صحابته ﷺ ، مع كونه بين أظهرهم ، تتنزل عليه آيات الله ويناجيهم بها ، ويغدو عليه الروح الأمين ، وكلهم حب لهذا النبى الكريم ، يتمنى كل امرئ منهم ألايفارقه طرفة عين ، ومع ذلك نجد أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ كلا فى عمله ، هذا يضرب فى الأرض لتجارته ، وهذا يعمل فى نخله وزرعه ، وذاك يسعى فى حرفته وصنعته ، حتى فى العلم ؛ فمن فاته شيء من العلم سأل عنه ، فكانوا حريصين على العلم والعمل » (٤) ؛ ولذلك نجد « أن أكثر أنصاره ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من العمال حدادين وخياطين ونجارين وجزارين وحلاقين ورعاة غنم » (٥) .

أبو بكر بزازا :

« كان أبو بكر بزازاً (تاجر منسوجات) ، خرج صبيحة بيعته بالخلافة حاملا على كتفه أثوابا إلى السوق ، فاعترضه عمر بن الخطاب وبعض الصحابة ، وسألوه أن يضرب عن التجارة ليتفرغ لمصالح المسلمين ، فقال لهم : ومم أنفق على أهلى ؟ إنى إن أضعتهم فأنا للمسلمين أضيع ، ففرضوا له فى بيت المال ما يغنيه عن التجارة ، ويكفى أهله ؛ لكى يتفرغ لمهام منصبه الجديد ، وبهذا يتبين حب أبى بكر لحرفته التى كان يعمل بها قبل تولى أمر المسلمين » (٦) . وهذا دليل على اشتغال خليفة رسول الله ﷺ

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٢ (كتاب البيوع) .
(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٥٠ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٦٨ (كتاب البيوع) .
(٤) أبوخليفة إبراهيم بن محمد :آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ١٩ .
(٥) إبراهيم النعمة : العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ ، ص ١٥ .
(٦) عطية صقر: الإسلام دين العمل ، (سلسلة كتب إسلامية) يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، العدد ١٨ ، محرم ، ١٣٨٢ هـ ـ يونية ١٩٦٢ م ، ص ٤٠ .

بالتجارة ، ولم يكن ينظر إليها نظرة انتقاص .

عثمان تاجرا :

« كان عثمان بن عفان تاجرا ناجحا فى تجارته ، كما كان عبد الرحمن بن عوف صاحب ثروة ضخمة من تجارته ، وروى عن ابن عباس أن عليا ﷺ أجر نفسه من يهودى يسقى له كل دلو بتمرة » (١) .

صحابة عاملون بمهن وحرف :

كان « عمرو بن العاصى جزارا » (٢) ، « وخباب بن الأرت حدادا ، وسعد بن أبى وقاص يصنع النبال ، وعمل عبد الله بن مسعود فى رعاية الغنم » (٣) .

وكان عمر بن الخطاب يقول : « لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لاتمطر ذهبا ولافضة ، وإنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض » (٤) ، وقد عمل عمر بالتجارة كما ذكرنا سابقا ، وكان يقول : « مامن يوم يأتينى منية الموت أحب إلى من يوم أتسوق فيه لأهلى ، أبيع وأشترى » (٥) ، وكان ابن مسعود يقول : « إنى لأكره أن أرى الرجل فارغا » (٦) .

« وورد أن عمر بن الخطاب دخل السوق فى خلافته فلم ير فيه فى الغالب إلا النبط (٧) ؛فاغتم لذلك ، فلما اجتمع الناس أخبرهم بذلك وعدد لهم فى ترك السوق ، فقالوا : إن الله أغنانا عن السوق بما فتح به علينا ، فقال ﷺ : والله لإن فعلتم ليحتاج رجالكم إلى رجالهم ، ونساؤكم إلى نسائهم » (٨) .

ولقد « صدقت فراسة عمر فى هذه الأمة ؛ فإنها لما تركت التجارة بطرقها المشروعة المرغوبة وأساليبها الناجحة ، تلقفها غيرهم ؛ فأصبحت الأمة عالة على غيرها ، رجالنا على رجالهم ، ونساؤنا على نسائهم من كل شىء من الإبرة والمخيط إلى أرفع شىء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤١ . (٢) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣) إبراهيم النعمة : العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٤) سليمان الطماوى : عمر وأصول السياسة والإدارة الحديثة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٩م ، ص ٤١٨ .

(٥) عطية صقر : الإسلام دين العمل ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٦) أبوحذيفة إبراهيم بن محمد :آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٧) النبط : قوم من العرب دخلوا فى العجم والروم واختلطت أنسابهم وفسدت ألسنتهم ، وكان الذين اختلطوا منهم بالعجم ينزلون البطائح بين العراقين ، والذين اختلطوا بالروم ينزلون فى بوادى الشام ، ويقال لهم : النبط ؛ لمعرفتهم بأنباط الماء (انظر ابن حجر العسقلانى ، المجلد الرابع ، ص ٥٠٣) .

(٨) عبد الحى الكتانى:نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية ، دار الكتاب المصرى ، بيروت ، د.ت ، المجلد الثانى ، ص ٢٠ .

وأثمنه » (١) ، والذى قال ذات يوم : « تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنته » (٢) .

وكان زيد بن سلمة يغرس فى أرضه فقال له عمر رضي الله عنه : أصبت استغن عن الناس يكن أصلا لدينك وأكرم لك عليهم (٣) .

« ولما لقى عمر بن الخطاب قوما لايعملون سألهم عن سبب ذلك ، فقالوا : نحن متوكلون . فقال : كذبتم ، إنما المتوكل رجل ألقى حبة فى الأرض (أى : اشتغل بمهنة الزراعة)، ثم توكل على الله » (٤) ، ولقى عمر أبا هريرة ، فقال له ألا تعمل ؟ قال : لا أريد العمل . قال : قد طلب العمل من هو خير منك يوسف عليه السلام (٥) ، ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ [يوسف] ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعو رعيته إلى السعى على جلب الرزق للأولاد ، فكان يقول : « أوصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم » (٦) .

إن عمر بن الخطاب - فى ظل الروح الإسلامية - لا يستثنى القراء مع أنهم أهل رأيه ومشورته ومحل ثقته وتقديره ، لايستثنيهم من الحث على التماس الرزق عن طريق العمل ، وعلى الترفع على أن يكونوا عالة على الناس، فيقول لهم:« يا معشر القراء ، التمسوا الرزق ولاتكونوا عالة على الناس » (٧) ، وقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظرة الإسلام إلى أمانة العمل ومسئوليته بقوله : « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد يوم القيامة » (٨) .

وبهذا نبه عمر صحابته إلى ضرورة الاعتماد على النفس وعدم ترك المهن الإنتاجية ؛ حتى لايصبح الاقتصاد الإسلامى تابعا لغيرهم ، حتى ولو كان عذرهم فى ذلك الاشتغال بالفتوح ووفرة الثروات لديهم ؛ « لأن المهن من وسائل بناء المجتمع وعمارة الأرض وترقيتها ، والمقصود بالمهن هنا المهن بكل أنواعها وألوانها المباحة من : استصلاح للأرض ، وزراعتها ، واستخراج ما فى باطنها من خيرات ، وكذلك الصناعة بجميع أنواعها وألوانها ، والتجارة بجميع أنواعها أيضا » (٩) .

ولقد « سأل معاوية رضي الله عنه سعيد بن العاص عن المروءة ، فقال : العفة والحرفة .

(١) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١ . (٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٣) أبوحنيفة إبراهيم بن محمد :آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٤) إبراهيم النعمة : العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٥) لبيب السعيد : دراسة إسلامية فى العمل والعمال ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

(٧) لبيب السعيد : دراسة إسلامية فى العمل والعمال ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٨) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٩) على أحمد مدكور : منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

وكان بعض الصالحين يقول : يا فتيان ، احترفوا ؛ فإنى لا آمن عليكم أن تحتاجوا إلى القوم ، يعنى الأمراء ، وقال رجل للحسن : إنى أنشر مصحفى فأقرؤه بالنهار كله ، فقال : اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لابد منه ؟ ومر - رحمه الله تعالى - بإسكافى ، فقال : ياهذا ، اعمل وكل ، فإن الله يحب من يعمل ويأكل ، ولا يحب من يأكل ولايعمل » (١) .

تقول عائشة ﷺ : « كان الناس مهنة أنفسهم ، وكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا فى هيئتهم : فقيل لهم : لو اغتسلتم » (٢) ، « وقولها : (كان الناس مهنة أنفسهم) : أى ذوى مهنة » ، وعن يحيى بن سعيد أى : « كان الناس أهل عمل ، ولم يكن لهم من يكفيهم العمل من الخدم » (٣) .

وهكذا نجد أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعملون ؛ ولم يحتقروا المهن أو الحرف البسيطة ؛ وكانوا ينظرون إلى العاملين نظرة محترمة . ولقد كانت تعاليم الإسلام من قرآن وسنة وراء اشتغال المسلمين الأوائل بالحرف والمهن فى المجتمع المسلم، بل إنها تمثل بالفعل ثورة فى القيم والاتجاهات نحو العمل اليدوى والحرفى والمهنى ، فقد اندفع الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى الحرف والمهن من زراعة وصناعة وتجارة حتى وجدنا منهم : التجار البارعين ، والصناع الحاذقين ، والزراع الفالحين ، وكذا الحال فى سائر المهن والحرف .

لقد « كان صحابة رسول الله ﷺ لا يجدون أى تناقض بين أن يكونوا القدوة والأسوة فى الدين ، وأن يكونوا فى نفس الوقت هم الأثرياء الأغنياء العاملين فى شتى مجالات الاقتصاد » (٤) .

ويكفى أن نذكر من ثراء بعضهم « أن عبد الرحمن بن عوف أوصى لمن بقى من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، فكانوا مائة فأخذوها ، وأخذ عثمان فيمن أخذوا ، وأوصى بألف فرس فى سبيل الله » (٥) .

وعن « أنس قال : لقد رأيته منح لكل امرأة من نسائه بعد موته مائة ألف ، وقد مات عن أربع نسوة » (٦) .

---

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهى: المستطرف فى كل فن مستظرف ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٣٥٣ .

(٤) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه المهنى والحرفى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٥) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٩ .

(٦) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

عبد الرحمن بن عوف تاجرا :

وكان عبد الرحمن بن عوف تاجرا بارعا فى التجارة ، وكسب مالا كثيرا ، وخلف ألف بعير ، وثلاثة آلاف شاة ، ومائة فرس ترعى بالبقيع ، وكان يزرع على الحرف بعشرين ناضحا (١) ، « والنضح : الرش ، والناضح : البعير يستقى عليه ، والأنثى ناضحة » (٢) ، حتى أنه « حين توفى قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنما نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ؟ ! وما تخافون على عبد الرحمن ؟ كسب طيبا ، وأنفق طيبا وترك طيبا » (٣) .

ولأن الإسلام « يقدس العمل ويذل الجهد ويجعله أساس عمارة الأرض وترقيتها على أساس من القيم النظيفة ، فهو يحاول دائما أن يجعل الإنسان قادرا دائما على العمل » (٤) .

ومن ثم « وجب على الدولة المسلمة أن تعمل على توفير العمل لكل قادر عليه وأن تمكنه منه، بالإعداد له وبتوفير وسائله وبضمان الجزاء الأوفى عليه، وليس للقادرين على العمل من حق فى الزكاة » (٥) ، وعلى الدولة المسلمة أن تنشئ المؤسسات التى ترعى المعوقين وتدريبهم على بعض الحرف « فالمسلم لايكون إلا منتجا » (٦) .

ولعل مايؤخذ على نظامنا التعليمى فى جمهورية مصر العربية أنه مازال يعانى من وجود بعض فئات من الشباب الذى يأنف من العمل اليدوى ، ويؤثر الوظيفة الإدارية أو الكتابية على العمل الفنى ؛ مما أثر على إنتاجية مجتمعنا ، خاصة بعد أن هاجر كثير من عمالنا الفنيين إلى خارج البلاد ، الأمر الذى يدعونا لإدخال أنواع التعليم الفنى أو بعض أنواع المهن والحرف اليدوية فى برامج التعليم الثانوى ، مما يسمح للطلبة بالإلمام بشىء من الصناعات أو المهارة فى أى عمل من الأعمال اليدوية ؛ حتى لا تسد فى وجه الطالب أبواب الرزق إذا لم يسعفه الحظ بإتمام مراحل التعليم العالى ، وحتى ننزع من قلوب الشباب الاستعلاء على مثل هذه الأعمال .

إن الأخذ بنظرة الإسلام لصاحب الحرفة أو المهنة هو العلاج لمشكلة البطالة ، والتى ظهرت فى الآونة الأخيرة بين المثقفين - خاصة فى ج . م . ع - الذين يأنفون من

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٩ .

(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٦٤ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٤١٧ .

(٤) على أحمد مدكور : منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٦٨ .

(٦) رؤوف شلبى : العمل الاقتصادى من وجهة نظر الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار الاعتصام ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٤ .

العمل اليدوى الذى كرمه الإسلام وحض عليه رسول الله ﷺ - الأسوة الحسنة - وصحابته الكرام الذين تقول عنهم عائشة رضي الله عنها : « كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم » (١) .

والخلاصة أن « الإسلام حرب شعواء على البطالة ، نفَّر منها ، وحذر ، وتوعد عليها وأنذر ، وكيف توجد البطالة وقد سهَّل الله لنا الأرض ومهدها للسير عليها وجعلها كالفراش أو البسط ، كما يسر طرق الانتفاع منها ، فلا عذر يوجب البطالة ، ومن توقف عن السعى مع القدرة عليه ، فقد خالف سنة الله فى الكون ؛ لأنه يعيش عالة على إخوانه » (٢) .

وإذا كان النبى ﷺ قد كره لأتباعه هذا التعطل ونأى بالواحد منهم أن يكون كَلاً على غيره ، فلا شك « أن اعتماد الدولة على غيرها من الدول والاستدانة من الدول الأخرى يعد أكثر إهانة وخطرا ؛ لما يترتب عليه من تبعية وانقياد يتنافى مع كون الأمة المسلمة خير أمة أخرجت للناس » (٣) .

مكانة المهن والحرف عند علماء المسلمين :

لم يعرف العلماء فصلا بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، ومما يدل على قوة الرابطة بين الدين والحياة ، أن كثيرا من العلماء كانوا يمارسون حرفا معينة ويطلبون العلم فى الوقت ذاته ، وسما بعضهم إلى أسمى المراتب ، ومن أولئك : « عبد الحميد الكاتب (١٣٢ هـ) ، والضحاك بن مزاحم (١٠٥ هـ) ، فقد بدأ أولئك حياتهم معلمين للأطفال ، ثم خطت بهم مواهبهم ، فأصبحوا لامعين فى المجتمع الإسلامى ، وانتقلوا إلى مكانة جديدة ضمنت لأسمائهم الخلود » (٤) .

ومن أولئك أيضا ، أبو إسحاق الكازرونى الذى « كان يذهب عند الفجر ليتلقى الدروس فإذا أقبل النهار التحق بعمله التجارى ، وكان يختلس الوقت للنظر والاستذكار وأصبح بذلك عالما من خير العلماء » (٥) .

وغير هؤلاء من العلماء الذين لم يفصلوا بين الوظيفة الفكرية والوظيفة العملية ، أى أن الطالب كان يقسم وقته بين العمل للكسب وبين التعلم للتثقيف ، ولا زلنا نقرأ أو نسمع عن عدد كبير من علماء المسلمين الذين أغنوا مكتبات العالم بعلوم ومعارف

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٤ (كتاب البيوع) .

(٢) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٣) فوقية محمد ياقوت شهبة : القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

(٤) أحمد شلبى: التربية الإسلامية (نظمها - فلسفتها - تاريخها) ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٧ ،ص ٥٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

كثيرة ، وما نسبوا إلى آبائهم وأجدادهم ، بل نسبوا إلى المهن والحرف التى كانوا يمارسونها ، فيأكلون لقمة العيش منها ولم يجد هؤلاء العلماء ولا المجتمع الذى يعيشون فيه أى غضاضة من هذه النسبة إلى المهنة أو الحرفة، ولازلنا نقرأ اسم الزجاج ، والخياط ، والبزاز ، والخراز ، والقطان ، والقدورى الذى يشتغل بصناعة القدور ، والخصاف الذى يشتغل بخصف النعال (١) ، والثعالبى الذى يشتغل بخياطة جلود الثعالب .

وقد روى الذين أرَّخوا للإمام أحمد بن حنبل أنه كان مع علمه الجم ومكانته المرموقة عند الناس كلهم لايجد غضاضة من أى عمل ، فكان يؤجر نفسه للحمل فى الطريق إذا كان بحاجة إلى نفقة ، وقد سئل الإمام أحمد : ماتقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال : لا أعمل حتى يأتينى رزقى ؟ فقال : هذا رجل جهل العلم (٢) .

ولقد كان لعلماء المسلمين آراء عظيمة ، نذكر منهم على سبيل المثال [الشيخ الشعرانى] ، وهو من دعاة التصوف ، فقد كان يفضل الصناع على العباد ؛ لأن نفع العبادة مقصور على صاحبها ، أما المهن والحرف فنفعها لعامة المسلمين ، وكان يقول : ما أجمل أن يجعل الخياط إبرته سبحته ، وأن يجعل النجار المنشار سبحته (٣) .

ومما يدل على اشتغال عدد كبير من فقهائنا وعلمائنا بالعمل اليدوى أن محمد بن إسحاق الهروى ألف كتابا أسماه (كتاب الصنَّاع من الفقهاء والمحدثين) (٤) .

ويظهر هذا فى مجال الحياة العامة فى المجتمع الإسلامى فى العصور الوسطى ؛ حيث يبدو بوضوح عدم الفصل بين العلم والعمل ، فقد كانت الحرف والمهن والصناعات المختلفة تستقبل أبناءها من خريجى الكتاتيب ، بل إن الصبيان بعد انتهائهم من تعليمهم يشتغلون مع آبائهم فى الزراعة فى الريف ، أو بعض الحرف والمهن فى المدن ، حيث كان المجال لاكتساب المهنة عن طريق الممارسة العملية ، ويصبح الصبى ماهرا فيها بعد فترة (٥) .

« ولم تقصر المناهج فى بعض عصور الإسلام القوية اهتمامها على العلوم والدراسات النظرية ، التى يغلب عليها التفكير المجرد ، وإنما اهتمت بما يؤدى فى النهاية إلى إعداد الصبى المتعلم لمهنة أو لحرفة ، وإلى تنمية مهارة من المهارات اليدوية

(١) خصف النعل : خرزها (انظر مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٧٧) .

(٢) إبراهيم النعمة : العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢١ : ٢٣ .

(٣) يوسف القرضاوى : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٤) إبراهيم النعمة : العمل والعمال في الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(5) Dofge Bayard : Muslim Education in Medievel Times . The Middle East institute, washington. D . C . 1962 . p . 5 .

لديه باعتبار أن التدريبات المهنية ، هى من مستلزمات التقدم الحضارى » (١) .

وعقد ابن خلدون فى مقدمته بابا كاملا ـ هو الباب الخامس من الكتاب الأول ـ بعنوان : [فى المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال] ، والفصل الأول منه جعل موضوعه [فى حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية] ، وقد بنى الموضوع على المسلمة الآتية [أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى مايقوته ويمونه فى حالاته وأطواره من لدن نشوئه إلى أشده] (٢) .

وإذا كان الإنسان مضطرا إلى تحصيل الرزق لاستمرار حياته ، وأن ذلك لايتم إلا بالاشتغال بالمهن ، فإن الهدف من المهن هنا يكون إشباع الضرورات ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « اعلم أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعى فى تحصيله وهو مفعل من العيش ، كأنه لما كان العيش الذى هو الحياة لايحصل إلابهذه جعلت موضوعا له على طريق المبالغة » (٣) .

وقد ذكر مذاهب كثيرة فى تحصيل العيش ما بين بدائية كالصيد وحضارية كالصنائع، ويردد ابن خلدون ما ذكره المحققون من أهل الحكمة والأدب فقال: «المعاش إمارة ، وتجارة ، وفلاحة ، وصناعة ، فأما الإمارة : فليست بمذهب طبيعى للمعاش ، وأما الثلاثة الأخرى.فهى وجوه طبيعية للمعاش ، والفلاحة متقدمة عليها جميعا لبساطتها وفطريتها ، وأما الصنائع فهى ثانيتهما ومتأخرة عنها ؛ لأنها مركبة ، وتصرف فيها الأفكار ؛ ولهذا توجد فى أهل الحضر الذى هو متأخر عند البدو ، ثان عنه ، وأما التجارة ، وإن كانت طبيعية فى الكسب ، فالأكثر من طرقها ومذاهبها إنما هى تحيلات فى الحصول على ما بين القيمتين فى الشراء والبيع ؛ لتحصل فائدة الكسب عن تلك الفضلة » (٤) .

ويرى ابن خلدون أن الصنائع ، بشكل خاص ، تعتبر من ضروريات العمران ، ويقسمها إلى : صنائع ضرورية ، وصنائع مترفة ، وصنائع شريفة بالموضع ، ولايكتفى ابن خلدون بمجرد ذكر هذه الصنائع ، وإنما يجرى تعريفا شاملا بكل صناعة على حدة ، وهذا يبين لنا أهمية الصنائع عند علماء المسلمين وفقهائهم .

«وعن التجارة والتجار يتحدث ابن خلدون حديثا طويلا مليئا بالمعلومات والخبرات، وكأنه ممارس لاخبير بأسرارها وأبعادها ، وحديثه عن التجارة والتجار صادر من منطلق

---

(١) عبد الغنى عبود: فلسفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

كون التجارة تشكل ركنا أساسياً فى التنمية الاقتصادية للعمران البشرى ، وأن التجار على اختلاف طبقاتهم وتنوع أصنافهم يشكلون قطاعا كبيرا من قطاعات سكان المدن والأمصار . وإذا كانت الصنائع تحتاج إلى المهارات اليدوية والملكات الفنية ، فإن التجارة محتاجة إلى : اليقظة وسرعة الحركة ، وملاحظة الأسواق ، والتنقل فى البلدان . وعن الربح فى التجارة يورد ابن خلدون وسائل شتى متحدثا عن كل وسيلة بما يعرف بها ويكشف خباياها ، فمن ذلك اختزان البضاعة ، ومنها نقل البضاعة إلى بلد هى فيه أنفق وأغلى ، ومنها البيع على الغلاء بالآجال . فأما الاختزان فيكون لحين تحرك الأسعار فى الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم الربح ، وأما نقل السلع فله شروط نظيفة حددها ابن خلدون ، منها ألا ينقل من السلع إلا ماتعم الفائدة والحاجة إليه من الغنى والفقير على حد سواء ، يعنى الوسط فى البضائع ، فالناس سواء فى الحاجة إلى الوسط من كل صنف ، ومنها نقل السلع من البلد البعيد المسافة حيث تكون السلعة قليلة مطلوبة لبعد مكانها .

ولقد توسع ابن خلدون فى الحديث عن التجارة ، فتناول بالدارسة عدداً من البضائع ، والغلاء ، والرخص ، والاحتكار ، وتحدث عن المال ونشاط حركته بين مختلف الشعوب » (١) .

بل حرص أن يتحدث بإفاضة عن الصناعة والتجارة والفلاحة ، وهى الوجوه الأساسية لحركة المال والنشاط الاقتصادى .

وإذا « كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع المعقدة تضعه فى مقدمة فلاسفة التاريخ ، فإن فهمه للدور الذى يؤدى به العمل والملكية والأجور يضعه فى مقدمة علماء الاقتصاد والمحدثين » (٢) .

وقد أورد البخارى أحاديث المعاملات أولاً فى التجارة ثم فى الزراعة ، ثم فى الصنعة ؛ مما يدل على اهتمام الرسول ﷺ بالاشتغال فى الدنيا واتباع صحابته لهذا النهج وتقدير السلف الصالح (أمثال البخارى) للاشتغال فى الدنيا .

دور الدولة فى المهن والحرف :

« العمل فى كل باب من أبواب النفع (الإنتاج) فرض كفاية ، يجب تحققه ، ولو ترك كان على الجماعة كلها مغبة تركه بالنسبة للمجتمع ، وعليها الإثم أمام الله ـ تعالى ـ

---

(١) مصطفى الشكعة: الأسس الإسلامية فى فكر ابن خلدون ونظرياته ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٨٦ ، ص ٥٠ .

(٢) محمد أحمد الصادق كيلانى: الفكر التربوى فى مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٢٤ . نقلا عن:
The columbia Encyclopedia ' New yourk ' Columbia university , press ,1956 , p . 941 .

إذا هى قصرت فى إقامة فرض الكفاية ، ويرفع الإثم عنهم جميعا بالقيام به ، ويشترك الجميع فى الوزر إذا هم قصروا فيه » (١) .

ومعنى ذلك أنه إذا لم يتكاتف المجتمع كله فى توفير الحرف والمهن التى يحتاجها بالفعل أثمت الجماعة كلها « فقد أوضح فقهاء الأمة أن كل علم تحتاجه الأمة الإسلامية فرض كفاية ، إذا لم تقم به الأمة ببعض أفرادها أثمت جميعاً ، وقالوا فى ذلك : لو احتاج المسلمون لصناعة إبرة ولم يوجد بينهم من يحسن صناعتها فكل المسلمين آثمون ، وعلى ذلك فكل اختصاص مفيد هو فرض من الفروض ، لابل والتبحر فى الاختصاص مندوب » (٢) .

ويرى ابن تيمية أن على المجتمع المسلم أن يوفر الحرف والمهن ، وإن اضطر أحيانا إلى اشتغال بعض أفراده بحرفة ما عند الضرورة ، لحاجة المجتمع الإسلامى إليها ، مع فرض أجر مناسب للعاملين بتلك الحرفة دون إجحاف أو استغلال للعامل ، « فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم ونساجتهم أو بنائهم ، صار هذا العمل واجبا يجبرهم ولى الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض المثل ، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل ، ولا يمكن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم ، كما إذا احتاج الجند المرصدون للجهاد إلى فلاحة أرضهم، ألزم من صناعته الفلاحة بأن يفلحها لهم ، فإن الجند ملزمون بألايظلموا الفلاح ، كما ألزم الفلاح أن يفلح للجند » (٣) .

إن الذى يقرأ مناقشة فقهاء الإسلام حول أى مجالات العمل أكثر أولوية ومرضاة لله : العمل الزراعى ، أم الصناعى ، أم التجارى ، وبعد أن يوضحوا أهمية كل مجال وترغيب الإسلام فيه ،نجدهم يفاضلون بين تلك المجالات الاقتصادية ، « فيقول بعضهم: إن الزراعة أفضل المكاسب ، ويقول غيرهم : إن الصناعة وعمل اليد أفضل ، ويقول آخرون : إن التجارة أفضل » (٤) .

ثم يميل أغلبهم إلى القول بأن « الأفضلية فى هذه الأعمال لا تكون شاملة فى كل زمان ومكان ، فقد تكون الصناعة أفضل فى مجتمع هو بحاجة ماسة إليها ، لكن مجتمعا آخر قد توافرت فيه الحرف والمهن ، هو بحاجة إلى الزراعة فتكون الزراعة أفضل ؛ فالأفضلية إذن تتعلق بمصلحة البلد العامة لا بأفضلية نوع من العمل على نوع

---

(١) عبد الرحمن بكر: علاقات العمل فى الإسلام ، الهيئة المصرية لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤ .

(٢) ناصر على بشيه : التربية الإسلامية والتحديات فى المجال التقنى ، مرجع سابق ، ص١٧٥ ، ١٥٨ .

(٣) ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، من منشورات مسجد التوحيد ، تحقيق أبو المنذر سامى أنور ، ١٩٩٠ ، ص ٣٠ .

(٤) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨ ـ ١١.

آخر » (١) .

« الذى يقرأ مثل هذا الجدال الاقتصادى فى كتب الفقه لابد أن يدرك أننا أمام دين دنيوى وأخروى فى نفس الوقت ، دين يناقش فقهاؤه فى الأولويات الاقتصادية فى مجال الإنتاج » (٢) .

أهمية العمل والكسب للفرد والمجتمع :

إن « حياة الإنسان على الأرض موزعة بين السكن والاستقرار، وبين العمل والسعى ، من أجل العيش والاستمرار فى الرسالة الإنسانية ، وحاجته إلى السكن والاستقرار ليست بأقل من حاجته إلى السعى والعمل وبذل النشاط . ومن رحمة الله بالانسان أن قسم الزمن على الأرض ؛ ليحقق من خلال هذا التقسيم الأمرين معا ، فقسم الزمن إلى ليل يجب السكن فيه والإخلاد إلى الراحة والهدوء وتجديد الطاقات ، وإلى نهـار يجب السعى فيه والعمل من أجل إشباع الحاجات (٣)، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) ﴾ [يونس] والمعنى : « أن الله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه مع أزواجكم وأولادكم ؛ ليزول التعب والكلل بكم وجعل النهار مبصرا ؛ لتهتدوا به فى جوائجكم » (٤) .

ويقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢) ﴾ [الإسراء] ، أى : «جعلنا الليل والنهار علامتين على وجودنا وكمال علمنا وقدرتنا ، فطمسنا آية الليل للسكون والراحة ، وجعلنا الشمس مضيئة للتصرف فى المعاش » (٥).

ويقول تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) ﴾ [النحل] ، وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ ، «أى : للسكون والأعمال » (٦) ، ويقول تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ

---

(١) إبراهيم النعمة : العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ،مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٣) أحمد عبد الرحمن الجاحد : الاتجاه الإسلامى عند بعض مفكرى التربية فى مصر وأثره على التطبيق التربوى من ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢ م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة المنوفية ، كلية التربية قسم أصول التربية ، ١٩٨٣ م ، ص ٧٢ ، ٧١ .

(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٣٦٠ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٣ .

سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ [القصص] ، « أى : من رحمة الله أن خلق الليل لتسكنوا فيه ، وخلق النهار للترحال والحركات والأشغال »(١) ، والإنسان بين السكن والسعى مسئول أمام الله إن قصر فى أحد الأمرين ، وعبادة الإنسان لله هى فى اتباعه مانظم عليه الكون له ، وإن الحكم على الناس فى الدنيا والآخرة إنما هو بأعمالهم التى تعد المحك الصحيح للجزاء .

ويؤكد القرآن الكريم على تلك العلاقة الوثيقة بين العقيدة فى صورتها النظرية وبين الحياة فى واقعها العملى فى قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) ﴾ [آل عمران] ، أى : « فالذين هجروا أوطانهم وساروا إلى المدينة وأخرجوا من ديارهم فى طاعة الله وقاتلوا أعدائى فى سبيلى لأسترن عليهم سيئاتهم فى الآخرة فلا أعاقبهم عليها ولأثيبنهم »(٢) .

والإيمان هنا لم يقبع فى النفس على شكل نظرية مثالية تعز على التطبيق ، وإنما تمثل فى الحياة على شكل جهاد فى سبيل الله وهجرة فى مرضاته ، وكفاح من أجل الحق والعيش ، وتلك هى ثمرة الإيمان . والحرف والمهن فى الإسلام « تحتل المساحة الضخمة فيه ، حتى إنها تعتبر الجانب العملى والتطبيقى لكل مفاهيمه ، وأفكاره وعقيدته وشريعته »(٣) ، ولقد « ذكر العمل فى القرآن فى نحو ثلثمائة وستين آية »(٤) تصلح لأرقى اللوائح العمالية فى الحياة .

وإذا كان « الإنسان مفتقراً بالطبع إلى مايقوته ويمونه فى حالاته وأطواره من لدن نشوئه إلى أشده إلى كبره »(٥) ، فإنه لابد له من الاشتغال بمهنة أو حرفة حتى يستطيع الإنفاق على العيال من زوجة وأولاد ؛ لأن الإنفاق فرض عين على الزوج لا على الزوجة؛ لأن إنفاق المرء على زوجته وأولاده مستحق عليه، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] ،

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٨ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .
(٣) محمود السيد سلطان : قضايا فى الفكر التربوى الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .
(٤) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦١ .
(٥) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٣٨٠ .

وقوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ أى: « يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن، ومتى عجز الزوج عن نفقة زوجته لم يكن قواما عليها ، وإذا لم يكن قواما عليها كان لها فسخ العقد » (١).

ويحض رسول الله ﷺ المسلمين على التصدق من فائض أموالهم ، فكان يقول : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » (٢) . وهل يتصدق إلا من كان لديه فائض من الأموال التي مصدرها الاشتغال بمهنة أو حرفة ؟ ويقول تعالى مؤكدا على تلك المعانى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ ٥ ﴾ [النساء] ، وقوله تعالى : ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾ قيل معناه : « اجعلوا لهم فيها وافرضوا لهم فيها ، وهذا فيما يلزم الرجل نفقته وكسوته من زوجته وبنيه الأصاغر ، فكان هذا دليلا على وجوب نفقة الوالد على الولد ، والزوج على زوجته » (٣) .

ويقول تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ۝ ٦ ﴾ [الطلاق] ، ويعنى فى الآية : « المطلقات ، فلها السكن ولا نفقة لها ولا كسوة لها ، وإن كانت حاملا فلها النفقة والكسوة والمسكن حتى تنقضى عدتها » (٤) ، فإن « أرضعن لكم أولادكم منهن فعلى الآباء أن يعطوهم أجرة إرضاعهن ، وللرجل أن يستأجر امرأته للرضاع كما يستأجر أجنبية » (٥) .

إن الإنسان لابد له من الاشتغال بالمهن حتى يستطيع أن يوفر النفقة لمن وجب عليه النفقة ، وهى عبارة عن الملبس الذى يدفع عنه البرد والحر ، وكذلك المسكن ، كما وجب عليه توفير القوت الذى يحافظ به على الحياة .

وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ ٧ ﴾ [الطلاق]، «أى: لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما إذا كان

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٣٢ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١٧٠ .
(٥) المرجع السابق ، والمجلد ، ص ١٦٨ .

موسعا عليه ، وإن كان فقيرا فعلى قدر ذلك » (١) ، وقال تعالى : « ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) ﴾ [طه]، وقد خص آدم بالشقاء ، ولم يقل : فتشقيان ؛ ليعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج ، فمن يومئذ جرت النفقة على الزوج ، ونفقة المرأة : الطعام ، والشراب ، والكسوة ، والسكن » (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾ [البقرة] ، « أى : وعلى الأب الطعام الكافى واللباس بالمتعارف فى عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط ، ولا يكلف الزوج ما هو إسراف بل يراعى القصد (٣) » ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾ [الفرقان] .

من الآيات السابقة نستدل على ضرورة إنفاق الزوج على زوجته ، ولن يستطيع الإنفاق عليها إلا إذا كان صاحب حرفة أو مهنة أو عمل .

ويوجهنا رسول الله ﷺ إلى فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله ، ودينار ينفقه فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله » (٤) ، وهل يستطيع أن ينفق الرجل إلا إذا اشتغل بحرفة أو مهنة ؟ أى : اكتسب . بل يوضح لنا رسول الله ﷺ أن الإنفاق على الزوجة والولد يعلو ماعداه من الأنفاق ، فيقول : « دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك » (٥) ، ويحذر رسول الله ﷺ من عدم الإنفاق على الأولاد والزوجة فيقول : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » (٦) ، والمقصود الحث على النفقة على العيال وبيان عظم الثواب فيه ، وهو أفضل من صدقة

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١٧٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٢٥٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨ .
(٥) المرجع السابق ، والجزء ، والصفحة .
(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

التطوع ؛ ولهذا قال ﷺ : « أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » (١) .

لقد حرص الإسلام على أن يعمل كل فرد من أبنائه ليعف نفسه وآل بيته من : صاحبة وولد . « وهذا الفرد من منطلق إيمانه لن ينظر لعمله نظرة ازدراء مهما كان نوع العمل الذى يعمله ؛ ذلك لأن المجتمع فى حاجة إلى كل الأعمال شريطة أن يكون الكسب من عمل لاضرر فيه ولاضرار » (٢) .

وبهذه النظرة يكتسب الإنسان راحة نفسية بعمله ويكتسب تقدير الجماعة له ، فهو ليس بعالة على أحد بل له جهد ، وهذا الجهد مصروف إلى الجماعة آخر المطاف ، وتلك الراحة وهذا التقدير يجعلان المسلم عضوا فعالا فى الجماعة ، ينفعل بها ، ويتفاعل معها ؛ لأنه عضو فيها ، أليس هو وهى كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ؟ أو هو وهى كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ؟ (٣) .

إن المسلم العامل الفقيه بدينه ليتغلب على المعوقات ، ويحقق الأهداف والآمال . وهو بإيمانه قوى ، وهذه القوة فى الفرد مصدرٌ لقوة المجتمع كله ، وما أسعد المجتمع بالأقوياء الراسخين ، من أبنائه الذين تقوم بهم النهضة ، وما أشقى المجتمع بأبنائه الكسالى الذين يأكلون دون عمل .

« إن العمل والتنمية صنوان لايفترقان؛ فلا تنمية بغير عمل، ولا يمكن أن تتصور التنمية الحقيقية بغير عمل » (٤) ، فإذا أراد المجتمع أن ينمى نفسه فلابد أن يأخذ بالاتجاه العملى .

إن « العمل الجاد يكون ذا أثر فى عقل المسلم ، وكذلك تكون العقيدة السليمة موجهة، وإذا كانت النظرة ثاقبة ، فإن شخصية الفرد حتما ستكون قوية ومتزنة » (٥) .

والصنائع فى النهاية تكسب صاحبها عقلا . وقد عدها أبو حيان التوحيدى من جملة الأسباب التى تزيد الإنسان : بصيرة ، وحكمة ، وتجربة ، ويقظة ، ومعرفة ، وعلما ، عدها بقوله : « التقلب فى الأمصار ، والتوسط الجامع ، والتصرف فى الصناعات ، وسماع فنون الأقوال » (٦) .

---

(١) يحيى بن شرف النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٣٤ .

(٢) السيد الشحات : تعليم الصنائع ، الفكر التربوى العربى الإسلامى ، الأصول والمبادئ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة البحوث التربوية ، ١٩٨٧ ، ص ٨٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٧٧ ، ٨٧٨ .

(٤) عبد العزيز الخياط : نظرة الإسلام للعمل وأثره فى التنمية ، الطبعة الأولى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٧٢ .

(٥) السيد الشحات : الفكر التربوى العربى الإسلامى ، الأصول والمبادئ ، مرجع سابق ، ص ٨٧٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٨٧٨ نقلها من : أبو حيان التوحيدى : الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح وضبط أحمد أمين ، أحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج ٢ ، د . ت . ص ٣٥ .

دور الإسلام وتعاليمه فى نشر الحرف والمهن :

كان للإسلام دور عظيم فى نشر الحرف والمهن والصناعات بين المسلمين ، ويتضح ذلك مما نراه فى كثير من مظاهر الحياة الإسلامية ، كالمساجد والقصور وما احتوت عليه من آيات الصناعة المدهشة الباقية بعض آثارها على امتداد العالم الإسلامى اليوم ، أو ما عرفوه من وسائل الرى الصناعية الراقية ، كالناعور والدولاب وغيرها ، أو إتقان كثير من الفنون الزخرفية ، وصناعة الأوانى الخزفية والمنسوجات والتحف المصنوعة من : الزجاج ، والمعدن ، والعاج ، والخشب ، وتنوع صناعات النسيج ، وإتقان صناعة الكتاب والبارود ، وعمل إبرة السفينة ، والمرايا المحرقة ، والميكانيكا ، والساعة الدقاقة الكبيرة ، واستخراج المعادن : كالحديد ، والرصاص ، والذهب ، والفضة ، والطباعة والبارود ، والأوانى الزجاجية ، والمصابيح العربية الملونة ، والأدوية ، وصناعة السفن المدنية والحربية ، مما يدل بالفعل على أن الحرف والمهن قد تطورت فى العالم الإسلامى من صناعات سازجة لسد حاجة السكان الاستهلاكية المحلية والاكتفاء الذاتى ، إلى حرف ومهن معقدة تتداول فى أسواق دولة مترامية الأطراف هى الدولة الإسلامية .

ومن الطبيعى أيضا فى ظل التنوع فى تلك الصناعات أن تقتسم المدن الكبرى فى الدول الإسلامية الصناعات الكبرى كصناعة المنسوجات والورق فى مصر وسمرقند ، والبسط والسجاجيد فى فارس ، واشتهرت القدس بصناعة السبح . . . إلخ (١) .

إن المسلمين قد أتى عليهم حين من الدهر بعد : انغلاقهم الفكرى ، ومنع الاجتهاد ، وشيوع فتوى بعض العلماء بذلك ؛ فتساءلوا عن حكم الإسلام فى دراسة العلوم الكونية ، بعد أن استيقظ الشرق على تفوق الغرب عليه وبلوغه أقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية والطبيعة وغيرها (٢) .

إن المسلمين الأوائل قد استطاعوا بالروح السمحة وبالحرية الممنوحة للمسلم أن يكونوا حضارةً إسلامية أصيلة ، تسمى حضارة الخلق والإبداع ، وكان الإسلام مصدرها الوحيد ، وعرفها العالم لأول مرة عن طريق الإسلام ، وحضارةً قام بها المسلمون فى الأمور التجريبية إحياء ، وامتداداً ، وتحسيناً لما عرفه الفكر البشرى من قبل ، تسمى حضارة البعث والإحياء (٣) .

---

(١) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٢) السيد الشحات: تطور التعليم الدينى ، دراسة تحليلية فى مصر من ١٨٠٠ ـ ١٩٢٣ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٣٨ .

(٣) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣٤ .

ومن هنا فإنه باتخاذ طريق الأولين وفلسفتهم التى اشتقت من فلسفة الإسلام ، نستطيع أن نخلق ونعيد حضارتنا التى سلبت منا مرة أخرى ، شريطة أن نعتبر عقيدة الإسلام رسالة مهمة وضرورية ولاغنى عنها.

إن المسلمين الأوائل جعلوا العقول تفكر ، والأيدى تعمل ، والمجتمع ينتج ويزدهر ؛ فطبيعة النظام الإسلامى توجب زيادة الإنتاج فى الأمة ، وصيانة ثروتها من التبدد والضياع ، كما أن طبيعته تزيد من ثروة المجتمع ، وتقلل من نسبة البطالة وعدد الفقراء (١) .

إن التاريخ خير شاهد على أن المجتمع الإسلامى كان يقدر الحرف والمهن ؛ فقد عرف المجتمع الإسلامى للعمل قيمته فى كل عصوره ؛ فكانت الحرف تنتشر فى أنحائه ما بين : تجارة ، وزراعة ، وصناعة ، وكان العلماء والأئمة يحترفون ويعملون بأيديهم سيراً مع توجيه الإسلام ، واقتناعا بهديه فى الكسب الحلال ، وبذلك « لم يفرق الإسلام بين الحياة فى جانبيها الفكرى والعملى » (٢) .

فلا يستطيع التاريخ أن ينسى « فضل التجار المسلمين الذين كانوا يسافرون من حضرموت إلى شرق إفريقية ووسطها وجنوبها ، فينشرون الإسلام واللغة العربية أينما يحلون ، وقد كونوا ممالك إسلامية فى (مدغشقر) وجزر القمر ، وزنجبار ، ودخلوا إفريقيا ، وكونوا سلطنة كبيرة بها عرفت بسلطنة (رابح) ، كما نقلوا الحضارة إلى (ملديف) ، و(سرنديب) ، و(جاوة) ، و(سومطرة) ، والفلبين ، وانتشروا فى جزر المحيط الهادى فى استراليا ، ونشروا الإسلام فى كل موضع نزلوا فيه (٣) .

إن الإسلام يسهم فى « انتزاع تلك النزعة ، غير الإسلامية ـ التى فرضها التخلف الطويل الذى فرض على المنطقة العربية والإسلامية ، كما فرضها على تاريخ بلاد العالم الثالث ـ المتخلف ـ كلها ، وهى النظرة إلى العمل اليدوى نظرة احتقار وازدراء » (٤) ، وسخرية من الأشخاص العاملين بأيديهم .

---

(١) يوسف القرضاوى : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٢) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجى : الإسلام والحضارة الإنسانية ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣ ، ص ١٨١ .

(٤) عبد الغنى النورى ، عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٣٦ .

الفصل الثالث

الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام

يشتمل هذا الفصل على :

*** مقدمة .**

أولا : الأصول النفسية للتربية المهنية فى الإسلام :

١ ـ دافعية الفرد للعمل بمهنة أو حرفة.

٢ ـ العلم بأصول المهنة أو الحرفة.

٣ ـ القدرة على القيام بمتطلبات المهنة .

٤ ـ مراعاة الفروق الفردية .

ثانياً : الأصول الاجتماعية للتربية المهنية فى الإسلام :

١ ـ النظرة الإسلامية للعمران .

٢ ـ النظرة الإسلامية للإنسان .

٣ ـ الإتقان .

٤ ـ الأخلاقية .

٥ ـ جزاء المهنة .

الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام

مقدمة :

أتى الإسلام بأفكار وتصورات محددة لكل من الفرد والمجتمع فى كافة المجالات عامة وفى مجال التربية خاصة متميزة عن الأيديولوجيات السابقة عليها والتى كانت سائدة قبله، وانعكست هذه الفلسفة الجديدة على التربية - ومنها التربية المهنية والحرفية - وبدون فهم هذه الفلسفة الإسلامية ، لا يمكن فهم التربية الإسلامية ، ولا يمكن فهم الأيديولوجيا الإسلامية دون الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ولعله من الحقائق الثابتة أن فلسفة أى مجتمع تشكل محوراً أساسياً تقوم عليه حياة الناس بمختلف صورها وأشكالها .

إن التربية لا يمكن أن تبلغ أهدافها بإحداث تغييرات مرغوبة فى سلوك الفرد وسلوك الجماعة إلا إذا كانت ترتكز على أسس وأصول علمية واضحة ، ترسم لها مسارها ، وتوجه الممارسات المبذولة من كل المشتغلين بالعمل التربوى وهى المنبثقة من الواقع .

إن « التربية الإسلامية تتضمن مجموعة من المفاهيم التى يرتبط بعضها فى إطار فكرى واحد يستند إلى الأصول والمبادئ التى أتى بها الإسلام ، والتى ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية ، تهدى إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام » (١) .

وقد احتوت آيات القرآن الكريم عدداً من الأصول والأسس تتصل بعدد من المهن والحرف ، مثل : الصناعة ، والتعدين ، والتجارة ، والمال والاقتصاد . . . وغيرها ، سيتناولها الباحث بالتفصيل فى الفصل الحالى ، كما احتوى على أصول وأحكام فى المعاملات والعلاقات بين الناس بما يسهم فى تقوية بناء المجتمع ، وتوضيح صورة شخصية المسلم الكامل خلقاً وأدباً وعلماً وتعاملاً ، وفيما يجب عليه أن يحتذيه من المثل العليا أو ما يتحلى به من مكارم الأخلاق (٢) .

لذا كان طبيعياً عند البحث فى التربية المهنية فى الإسلام أن نتناول الأصول النظرية للتربية المهنية فى الإسلام ، أو الفلسفة التى تكمن وراء المهن والحرف التى

---

(١) سعيد إسماعيل على :الأصول الإسلامية للتربية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

حض عليها الإسلام .

ومن تلك الأصول ما يرتبط بالفرد مثل : دافعية الفرد للعمل بحرفة أو مهنة وتعليمه أصول المهنة ، وقدرته على القيام بمتطلباتها ، ومراعاة الفروق الفردية ، ومنها ماهو عام مثل : النظرة الإسلامية لكل من : العمران ، والإنسان ، والإتقان ، والأخلاقية ، وجزاء المهنة ، وتلك هى الأصول التى تكمن وراء المهن والحرف ، والتى أشار إليها الإسلام ، وسنتناولها واحدة بعد الأخرى ، كما وردت فى كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

أولاً : الأصول النفسية للتربية المهنية فى الإسلام

١ـ دافعية الفرد للعمل بحرفة أو مهنة :

تتمثل مشكلة الدافعية للعمل بحرفة أو مهنة فى أن الإنسان يميل إلى أن يعمل بقدر أقل من قدراته وإمكاناته ، ونجد أن انتاجه لا يتكافأ مع ما لديه من قدرات ومواهب، وهذا يبعث على التساؤل عن أفضل الطرق التى تساعد الإنسان بصفة عامة ، والعاملين بالحرف والمهن بصفة خاصة ، على الارتفاع بمستوى إنتاجهم بما يتناسب وطاقتهم ، وهكذا تمثل الدافعية مكانة مهمة فى سيكولوجية المهن .

« والدوافع هى القوى المحركة التى تبعث النشاط فى الكائن الحى ، وتحرك السلوك وتوجهه نحو هدف معين وهى تؤدى وظائف ضرورية فى حياة الكائن الحى ، فهى التى تحفزه للقيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال المهمة والمقيدة له فى توافقه مع بيئته » (١) .

وإذا كانت « إرادة العمل شيئاً فطرياً فى نفسية الإنسان بحكم حاجته إلى ما يشبع رغباته ، إلا أن الإسلام أتى إلى هذه الإرادة فشحذها وعبأها ودفعها لتحقيق أعظم ماعندها ، وذلك حينما غرس فى نفس المسلم أن الكسب الطيب جزء لا يتجزأ من إيمانه ، وأن عليه أن يسعى ويكد فى سبيل ذلك ، وعلى قدر عمله واتساع دائرة نشاطه يكون نفعه وجزاؤه » (٢) ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النحل] .

إن « الدين يمثل أحد المتغيرات الثقافية الأساسية التى تسهم فى تشكيل النواتج السلوكية المتنوعة والتى تمارس ضبطا، يتباين فى شدته ، على المشاعر والأفكار والأفعال الصادرة عن الأفراد ، على المستوى الصريح أحياناً والضمنى أحياناً أخرى ، فهو يمنح الإنسان توجهاً حيال الأشياء فى بيئته مما يدفع الإنسان إلى العمل والإنجاز » (٣) .

إن العمل فى الإسلام يستثير المؤمن من أعماق ضميره ؛ لأن المؤمن بالدين عامة وبعقيدة الإسلام خاصة ، يعتمد على أداء عمله وواجباته « على الناحية الخلقية ، وعلى مراقبة الضمير وخشية الله ، أكثر مما يعتمد على الالتزام والسيطرة ، التى توفرها

---

(١) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

(٢) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٣) حسن على حسن : « الدين ودافعية الإنجاز ، دراسة نفسية مقارنة لمستوى دافعية الإنجاز » ، مجلة المسلم المعاصر ، السنة الرابعة عشرة ،العدد الخامس والخمسون ، رجب ـ شعبان ـ رمضان ١٤١٠هـ، ص ٤٩ .

القوانين الوضعية ؛ لأن سلطان الخلق والضمير أقوى من سلطان القانون ، فرقابة الضمير حارس لا يغفل ، وسلطان القانون حارس كثير الغفلة والنسيان » [1] .

فالدافع إلى العمل فى الإسلام ينبع من النفس ، ثم ما يلبث أن يصبح عادة وخلقاً فى طبيعة المسلم .

وسوف نتحدث عن بعض الدوافع للعمل كما وردت فى القرآن والسنة لدفع المسلم نحو العمل والاجتهاد والابتكار .

والدوافع كما ذكرت ، دوافع فسيولوجية ، وتنقسم إلى دافعين : (حفظ الذات ـ بقاء النوع) ، ودوافع (نفسية ـ اجتماعية) ، وتنقسم إلى ثلاثة دوافع : (التملك ـ التنافس ـ الإنجاز) .

أولاً : الدوافع الفسيولوجية :

لقد اقتضت حكمة الله منح نعمة الوجود للمخلوقات ، وأن يودع فى مخلوقاته خصائصها التى تؤهلها لأداء الوظائف التى اختصها الله بها ، ومن بين الخصائص المهمة التى أودعها الله ـ تعالى ـ فى طبيعة تكوين الإنسان والحيوان الدوافع الفسيولوجية ، وتقوم الدوافع الفسيولوجية بتلبية حاجات البدن ومقاومة ما يعتريه من خلل أو اضطراب أو فقدان الاتزان ، وهى تعمل دائماً على أن يحتفظ الجسم بقدر معين من الاتزان الحيوى اللازم لحفظ ذاته وبقائه واستمراره فى أداء وظائفه .

وقد أوضحت الدراسات الفسيولوجية وجود ميل طبيعى فى جسم الإنسان إلى الاحتفاظ بدرجة ثابتة من الاتزان ، بحيث إذا اختل هذا الاتزان انبعث دافع للقيام بنشاط توافقى مستهدفاً إعادة الجسم إلى حالته السابقة من الاتزان ، وقد يتم هذا النشاط التوافقى على أساس فسيولوجى بحت لا إرادة للإنسان فيه ، كما يحدث مثلاً حينما يتصبب الجسم عرقاً فى درجة الحرارة العالية مما يؤدى إلى خفض حرارة البدن نتيجة لتبخر العرق ، وقد يتم هذا النشاط التوافقى بقيام الفرد بنشاط إرادى معين ، كأن يقوم مثلاً بتناول الغذاء فى حالة الجوع أو شرب الماء فى حالة الظمأ [2] .

وفكرة الاتزان ، هذه التى كشف عنها العلماء والمحدثون ، قد كشف عنها القرآن الكريم منذ نزوله حيث يقول تعالى: ﴿ **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩)** ﴾[الحجر]، أى: « وأنبتنا فيها من كل شيء مقدر بقدر معلوم »[3] .

ويؤكد ذلك فى موضع آخر فيقول تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)** ﴾

---

(١) زيدان عبد الباقى : العمل والعمال فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٢) محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ .

[القمر] ،وفى تفسير هذه الآية يقول ﷺ: « كل شىء بقدر حتى العجز والكيس » (١) ، أى أن قدرات الإنسان وضعت بقدر ، فشاء الله أن يعطى العجز لفرد والكياسة والفطانة لآخر ، ولكل منهما درجة معينة من الاتزان يحاول كل منهما أن يحافظ عليها .

إن كل كائن حى مخلوق بطريقة معينة وبدقة ومقدرة بحيث يكون على درجة من الاتزان ، فإذا اختل هذا الاتزان تنبعث الدوافع الفسيولوجية التى تدفع الإنسان إلى القيام بالنشاط اللازم لإعادة البدن إلى حالته السابقة عند الاتزان .

وقد أشار القرآن إلى هذه الدوافع الفسيولوجية المهمة والتى نلخصها فى الآتى :

أ ـ دوافع حفظ الذات :

لقد ذكر الله ـ تعالى ـ فى بعض آيات القرآن الكريم أهم الدوافع الفسيولوجية التى تقوم بحفظ الفرد وبقائه مثل الجوع ،والظمأ ، والتنفس، والتعب والألم. قال تعالى : ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١)** ﴾ [طه] .

فخاطب الله آدم ـ وهو فى الجنة ـ « مذكراً إياه بما هو فيه من عيش رغيد هنىء بلا كلفة ولا مشقة ،محذراً له من الوقوع فى شرك الشيطان الذى يريد أن يخرجه من الجنة إلى إحياء الأرض الذى سيشقى فيها لإشباع جوعه وإرواء عطشه وستر عراه » (٢)، أى لإشباع دوافعه الفسيولوجية .

وفى هذه الآيات إشارة إلى ثلاثة دوافع مهمة لحفظ الذات ، وهى : دوافع الجوع والعطش وتجنب الحرارة المفرطة ، كما تشير الآيات إلى دوافع حب البقاء ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ** ﴾ ودوافع التملك ﴿ **وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ** ﴾ وتعمل دوافع حفظ الذات فى خدمة دافع حب البقاء ، فهى بإشباعها حاجات الجسم الفسيولوجية ، إنما تعمل على بقاء الفرد واستمرار حياته (٣) .

كما تشير بعض آيات القرآن الكريم إلى أهمية كل من : دافع الجوع ، وانفعال الخوف فى حيـاة الإنسان ؛ مما يدل على أثرهما الكبير فى حياة الإنسان ، قال تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٣) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾ [البقرة] .

« أى سنختبركم بالضراء بقليل من : الخوف والجوع وذهاب بعض الأموال »(١) ، وذلك يحدث اضطراباً وعدم اتزان ، يحاول بعده الإنسان أن يقوم بأعمال ، لكى يشبع هذه الدوافع ويحدث الاتزان للأجهزة البشرية لديه .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾ [النحل] ، «وهذا مثل أريد به أهل مكة ؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يأتيها رزقها هنيئاً سهلاً ، فجحدت آلاء الله عليها ، فألبسها الله لباس الجوع وخوفها بعد أمنها » (٢) .

ولو لم يكن الإشباع والأمن شيئين ضروريين فى حياة الإنسان ما عاقب الله الناس بسلبهما .

إن الجوع والخوف إذا ما أصابا إنساناً ظهر عليه الاضطراب وعدم الاتزان ؛ ومن ثم كان عليه أن يقوم بعملٍ ما ليحدث الاتزان .

إن الأمن من الخوف والجوع نعمة من الله يمن بها على الإنسان فيقول تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ [قريش] .

إن فى ذلك دليلاً على فضل الله تعالى ونعمته على الناس بأن « تفضل عليهم بالأمن والإطعام من الجوع » (٣) ، وهى من الدوافع الفسيولوجية .

إنه يستحيل على الإنسان ـ كجنس ـ أن يعيش بلا اشتغال بمهنة أو حرفة ؛ إذ هو محتاج إلى ما يقوته ويمونه منذ ولادته ، وغالباً ما يدفع الشخص للاشتغال بالحرف والمهن لمواجهة حاجاته الأساسية عن طريق الأجر الذى يحصل عليه ، ومن ثم يصبح الحصول على المأكل والمشرب والمسكن دافعاً وهدفاً فى آن واحد ، وتصبح الحرف والمهن وسيلة من وسائل حفظ الذات ؛ لأنها قوام الحياة للإنسان ومنها يستطيع أن يكتسب لأهله ونفسه .

ب ـ دوافع بقاء الذات :

شاءت حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوجد دافعان فسيولوجيان يدفعان إلى القيام بنوعين مهمين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع ، وهذان الدافعان هما : الدافع الجنسى ، ودافع الأمومة .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٩ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٣ .

فالدافع الجنسى يقوم بوظيفة مهمة هى التناسل لبقاء النوع ، فعن طريق هذا الدافع تتكون الأسر ، ومن هذه الأسر تتكون المجتمعات والشعوب ، فتعمر الأرض ، وتزدهر الحضارة ،« والدافع الجنسى أساس تكوين الأسرة التى يعرفها علم الاجتماع بأنها تتكون من : زوج وزوجة وظيفتهما إنجاب الأولاد وتربيتهم ؛ فالزوج يسكن إلى زوجة فيشعر بالراحة والطمأنينة ، وتنشأ بينهما عواطف المحبة والمودة والرحمة بما يؤدى إلى استمرار الحياة الزوجية من وفاق وتفاهم وتعاون ، مما يهيئ المناخ المناسب لإنجاب الأطفال وتنشئتهم ورعايتهم وتكوين شخصياتهم تكويناً سليماً » (١) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى آيات عديدة نذكر منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات] ، يقول تعالى « مخبراً الناس أنه خلقهم من آدم وحواء ، وجعلهم شعوباً وقبائل وفصائل وعشائر وغير ذلك » (٢) ، وما لم يكن هناك دافع الجنس ، ودافع الأمومة ما وجد لآدم وحواء ذرية كونت الشعوب الحاضرة ، ويقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) ﴾ [النحل] .

وفى هذه الآية « يذكر الله ـ تعالى ـ نعمه على عبيده بأن جعل لهم من جنسهم وشكلهم أزواجاً ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة » (٣) ، وما كانت هناك الذرية التى تحافظ على بقاء النوع ، حقاً إنها نعمة للبشر ، كما أخبرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ قائلاً فى معرض حديثه عن النعم : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء] .

وشاءت حكمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوجد أيضاً فى طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً يهيئها للقيام برسالتها المهمة فى الإنجاب لحفظ النوع .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما تتحمله الأم من عناء الحمل والولادة ورعاية الطفل حتى يصبح قادراً على الاعتماد على نفسه ، فيقول تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ

---

(١) سيد عبد الحميد موسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

إحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ [الأحقاف] ، « أى قاست بسببه فى حال حمله مشقة وتعباً من : وحَام ، وغشيان ، وثقل ، وكرب ، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ، ووضعته بمشقة أيضاً من الطلق وشدته » (١) .

ويتأكد هذا المعنى أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾ [لقمان]، «أى جهد على جهد وقيل : ضعفاً على ضعف » (٢) .

إن من أهداف الاشتغال والسعى على الرزق هو أن يعف المرء نفسه بالزواج وتكوين أسرة ، وأن يكفى من تلزمه نفقته ؛ لأن الكسب مسئولية الرجل فى المقام الأول ، وهو لا يأتى إلا من العمل ، ومن ثم تصبح الحرف والمهن ضرورة من ضروريات الحياة والتى تساعد الفرد على إشباع الدافع الجنسى ، ومن ثم بقاء النوع .

ثانياً : الدوافع (النفسية ـ الاجتماعية) :

أ ـ دافع التملك :

« إن دافع التملك من الدوافع النفسية التى يتعلمها الإنسان أثناء تنشئته الاجتماعية، فهو يتعلم منذ طفولته أن يتملك ويحافظ على أدواته وألعابه ولا يسمح لغيره أن يأخذها منه ، وفى مراحل النمو المختلفة يتطور حب الفرد للتملك ، ويحاول تملك المال والعقارات التى تشبع حاجته إلى الأمن ، أى : تأمين مستقبله ، ونراه يفضل العمل الثابت المستقر الذى يؤمن مستقبله ، كما أن للمال أهميته فى إشباع حاجات الإنسان ، ويمكن ترتيب هذا الإشباع على النحو التالى :

ضروريات الحياة كالطعام والمسكن، وضروريات الصحة والتعليم وكماليات الحياة ، ومعظمها مكتسبة ، والحصول على المركز الاجتماعى والمكانة والنفوذ » (٣) .

وقد أشار القرآن الكريم فى كثير من المواضع إلى دافع التملك فقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ .
(٣) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

[آل عمران] ، وفى هذا خبر « عما زين للناس فى هذه الحياة من أنواع الملاذ من : النساء ، والبنين ، والأموال ، والخيل ، والحرث ، وإنما ذلك زهرة الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المرجع » (١) .

إنه إقرار من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن الناس يميلون إلى حب التملك من ملاذ الحياة ، وحبهم الجم ؛ لذلك قال تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر] ، « أى : حباً كثيراً » (٢) ، وفى هذا أيضاً إشارة إلى دافع التملك الغريزى الذى يوجد فى طبع الإنسان .

فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق له دوافعه الفطرية ، ومن بين هذه الدوافع دافع التملك ، وهو الذى يدفع الإنسان إلى الاشتغال بالحرف والمهن المختلفة ؛ لأنها الوسيلة التى يستطيع الفرد من خلالها أن يتملك الأشياء ، بما توفره له من أموال تعينهم على تحقيق ذلك الدافع الفطرى .

ب ـ دافع التنافس :

« التنافس من الدوافع المكتسبة التى يتعلمها الإنسان من البيئة والثقافة التى ينشأ فيها ، وقد يتعلم الفرد خلال نشأته التنافس الاقتصادى ، أو التنافس العلمى والثقافى ، أو التنافس الاجتماعى ، وغير ذلك من أنواع التنافس السائدة فى مختلف الثقافات » (٣) ، وقد حث القرآن الكريم على تنافس الناس فى تقوى الله والعمل الصالح ، فقال تعالى : ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين] ، إنه لما حكى الله عن الأبرار فى الجنة قال فى نهاية حديثه : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ ، « أى : فليستبق إلى مثله المستبقون » (٤) .

إنها دعوة إلى التنافس من أجل الأعمال الصالحة فى أى مجال كان . ويقول تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة] .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٩ .
(٣) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ .

إنها دعوة إلى « المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها » (١) والتنافس عليها ، حتى يحظى المتنافس في العمل الصالح بجنة عرضها كعرض السماء والأرض كما قال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ [الحديد] .

جـ ـ دافع الإنجاز :

يتواجد دافع الإنجاز لدى كل شخص بدرجة معينة ، ولكن هناك بعض الناس نجدهم أكثر تهيؤاً باستمرار للإنجاز من غيرهم . ويحث القرآن الكريم على ذلك الدافع في مواقف كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾ [التوبة]، إنه « خطاب للجميع ودعوة للعمل » (٢) ، والإنجاز ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١) ﴾ [النجم] ، دعوة أيضاً إلى الإنجاز ، وبلاغ عن الحساب على هذا الإنجاز ، « فكل امرئ سينال جزاء سعيه وافياً كاملاً لا نقص فيه ولا ظلم » (٣) ، وسيكون : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) ﴾ [الأحقاف] ، أي : « لكل درجات حسب عمله ، لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها » (٤) .

حقاً إنها دعوة إلى العمل والإنجاز ، ليس الإنجاز المجرد ، ولكنه الإنجاز المتقن ، إنجاز يطلع عليه رب العباد ويجازي به .

٢ ـ العلم بأصول المهنة أو الحرفة :

إن الإسلام يدعو إلى العلم مثلما يدعو إلى العمل ؛ لأن العلم أساس العمل ، والفكر يقود العمل ؛ ولذلك كانت أولى آيات القرآن التي نزلت على النبي ﷺ هي : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق] ، ثم تتابع نزول القرآن الكريم ، ووردت به آيات كثيرة تدعو إلى العلم ، وتكرم أهله ، وترفعهم إلى أعلى الدرجات .

ولا يكتفي الإسلام بالإرشاد إلى أسباب العلم ووضع المنهج الصحيح للوصول إلى الحقائق ، ولكنه يدفع الإنسان دفعاً إلى تحصيله واكتسابه والاستزادة فيه ليكون العلم

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .
(٢) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٢ .
(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٤١٥ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

أساساً للعمل (١) ، يقول تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾ [طه] ، أى زدنى منك علماً .

وكان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى » (٢) ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف] ، وفى هذا « إنكار على من يقول قولاً لا يعمل به ؛ ولهذا أكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الإنكار عليهم بقوله: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ »(٣) ، أى: « أن الإسلام يدعو إلى العمل بالعلم،وينفر من العمل بما لا يقتضيه العلم »(٤) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾ [النمل] ، تنبيهاً على أنه اقتدر بقوة العلم ؛ إذا نقل الذى عنده العلم « عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس فى لمحة بصر » (٥) .

وقال تعالى فى شأن الذين لم ينتفعوا بعلمهم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴾ [الجمعة] ، وفى هذا « ذم لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ، ثم لم يعملوا بها . مثلهم كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها حملاً حسياً ، وما يدرى ما عليه . وكذلك هؤلاء فى حملهم الكتاب ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه » (٦) ، أى أن المفروض من المسلم أن يعلم أولاً ، ثم يعمل بما يعلم .

وقال تعالى فى شأن اليهود أيضاً : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة] ، وفى هذا ذم من الله ـ تعالى ـ لليهود على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم ، حيث كانوا يأمرون بالمعروف ويدعون العمل (٧) ،

---

(١) عبد الرحمن بكر : علاقات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ .
(٤) عمر التومى الشيبانى :« نظرية المعرفة فى الإسلام » ، العلم والإيمان فى الإسلام ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، ص ١٨٥ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .
(٦) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .
(٧) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٥ .

وفى هذا تنفير من العلم بلا عمل .

إن المهن والحرف فى الإسلام لا بد أن تقوم على العلم حتى يستطيع الإنسان أن يسيطر عليها ، ويتفهم قوانينها ، ويشرع فى نمائها .

والإسلام عندما يهتم بعلم الصنائع فإنه يهتم بالاستمرار فيه ؛ لأنه قابل للزيادة والنماء ، وهو ما تدعونا إليه الآيات الكريمة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (85) ﴾ [الإسراء] ، أى : « وما أطلعكم من علمه إلا على القليل » (1) ، ويستدل من هذه الآية على أن العلم فى ازدياد ولا يقف عند نقطة معينة سواء العلم بصفة عامة أو علم الحرف بصفة خاصة ، والمسلمون مطالبون بأن يبحثوا فى نواحى المعرفة ما دامت فى نماء ، يقول تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) ﴾ [يوسف]، يقول ابن عباس: « يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم » (2) ، وهكذا يتضح أن علم الحرف والمهن قابل للزيادة المستمرة وأن الفرد المسلم مطالب بتنميته والاستمرار فيه .

ولقد « ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شىء دونهم » (3) ، فقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) ﴾ [البقرة] .

وركز القرآن على الرفع من قيمة العلم فقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) ﴾ [المجادلة] ، أى أنه يرفع الذين أوتوا العلم فى الثواب فى الآخرة وفى الكرامة فى الدنيا ، ويرفع العالم على من ليس بعالم .

« إن الإسلام يحضنا على التزود بالمعرفة والسعى فى طلب المزيد من العلم ، ذلك أن العلم هو المنطلق السليم الصحيح لاكتساب القدرات المختلفة . وللعلم هنا مفهومه الرحب الذى يشمل سائر المعارف النظرية والعملية النافعة لنا فى سائر نشاطاتنا الحرفية والمهنية » (4) ، « فالمعرفة العلمية للمهن والحرف تمكننا من القضاء على الفقر المدقع ، وإعداد الدنيا لحياة أفضل » (5) .

---

(1) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

(2) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .

(3) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(4) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

(5) فكتور فركس: الإنسان التقنى ، تعريب إميل خليل بيدس ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د . ت ، ص ٢١ .

والإسلام على قدر اهتمامه بالمعرفة قد اهتم أيضاً بالعمل « فهو يربط العلم بالعمل ربطاً محكماً لا انفصام له ؛ لأن العلم أساس العمل ، والعلم هو مفتاح المعرفة » (١) ، ورافع إنتاجية العمل والعمال على السواء ، « فالعلاقة بين العلم والعمل - فى نظر الإسلام - علاقة وثيقة » (٢) ، ومن ثم ينبغى أن يستزيد الفرد المسلم من العلم بالقدر الذى يعينه على أداء عمله على الوجه الأكمل ؛ لأن العلم يوسع مدارك الإنسان على وسائل الإنتاج الحديثة ويزيد من إنتاجه ، كما ينبغى تزويد الفرد المسلم بالقدر المناسب من المعرفة والتدريب بما يساعده على إتقان عمله وممارسة دوره ، كإنسان منتج فى المجتمع المسلم (٣) .

إن التربية الإسلامية تقرن العلم بالعمل ، والنظرية بالتطبيق ، ومن ثم « فهى لا تكتفى بالقول ، وإنما تتعداه إلى العمل والممارسة » (٤) ، ولا عجب أن نرى التربية الحديثة تقوم على أساس « الربط بين الأصول النظرية والممارسة العملية التطبيقية »(٥) ، أى « ربط النظريات بالنواحى العملية ، ومحاولة إزالة التفرقة بين العمل العقلى والعمل اليدوى » (٦) .

ولعل الإسلام قد خطا خطوة لم تصلها الحضارة الحديثة قبله ، وهى ربط العمل والحرف جميعاً بالشرع وتحقيق غاياته ، ذلك أن المسلم لا يقوم على حرفة أو مهنة إلا إذا عرف موقف الشريعة من تلك الحرفة أوالمهنة ، وما يجب عليه شرعاً فى أدائه لتلك الحرفة أوالمهنة ، ومن ثم يظل سلوكه الوظيفى أو المهنى فى إطار الشريعة وأخلاقياتها السامية .

بل إن المسلم عليه أن « يراعى تعاليم الدين وأخلاقياته فيما يكتسبه من معارف وعلوم وفى استخدامه وتطبيقاته لهذه المعارف والعلوم » (٧) ، وهذا يعنى أن التربية الإسلامية تحض على تزويد المحترفين بالمهارات المعرفية والسلوكية التى تمكنهم من السيطرة على الحرفة أو المهنة ، وبالتالى من زيادة دخلهم وتحسين مستوى معيشتهم .

إن المكلف لا يجوز له أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، فمن باع وجب عليه معرفة ما عينه الله وشرعه فى البيع ، ومن أجر وجب عليه أن يتعلم ما شرعه الله

---

(١) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتيكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق والصفحة . (٣) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٤) محمد منير مرسى : التربية الإسلامية ، أصولها وتطورها فى البلاد العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٢٣ .

(٥) محمد منير مرسى : الاتجاهات المعاصرة فى التربية المقارنة ،عالم الكتب ،القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١٦١ .

(٦) وهيب سمعان ، محمد منير مرسى : المدخل فى التربية المقارنة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٨١ .

(٧) عمر التومى الشيبانى : نظرة الإسلام فى المعرفة ، مرجع سابق ، ص ١٨٢ .

فى الإجارة ، ومن قارض وجب عليه أن يتعلم حكم الله فى القراضة . فلا يجوز الشروع فى شىء حتى يعلم ؛ فيكون طلب العلم واجب على كل حالة ، وفى ذلك كان يقول عمر بن الخطاب : (لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا فى الدين) ، أى من أحكام البيوع ، فإنه كان يُعلم كل من يتعاطى عملاً أحكامه وتكاليفه ، وقد أجمع علماؤنا أنه لا يجوز أن يتولى البيع والشراء ويجلس فى السوق إلا من هو عالم بأحكام البيوع والشراء . وإن تعلم ذلك عن إرادة فرض واجب متعين عليه ، وقد بعث عمر ابن الخطاب مَنْ يقيم مِنَ الأسواق مَنْ ليس بفقيه ، ولقد كان المحتسب فى الإسلام يمشى فى الأسواق ، ويقف على الدكان ، ويسأل صاحبه عن الأحكام التى تلزمه فى سلعته ، فإن أجابه أبقاه فى الدكان ، وإن جهل شيئاً من ذلك أقامه من الدكان، وأن علياً رضي الله عنه قال : من اتجر بغير فقه فقد ارتبك فى الربا (١) .

فالتفقه فى الدين فرض عين على كل عامل أياً كان نشاطه أو نطاق عمله . وقد «روى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أن رجلاً جاءه قائلاً : إنى أريد التجارة فادع لى ، فقال له : أوفقهت فى دين الله ؟ قال : أويكون بعض ذلك . فقال له على رضي الله عنه : ويحك ، الفقه ثم المتجر » (٢) ، وقد روى عن ابن عمر أنه قال : « من لم يتفقه فلا يتجر فى سوقنا » (٣) .

« واذا كان تفقه العامل في الإسلام واجباً وفرض عين ، فإن التفقه فى مجال عمله واجبا أيضاً وفرض عين ، وهذا يقتضى من العامل متابعة كل جديد فى نطاق عمله وصولاً إلى الإتقان والإبداع » (٤) حتى يصل إلى درجة من السعادة ؛ لأن «العلم والعمل وسيلتا السعادة ، وأن العمل لا يتصور إلا بعلم بكيفية العمل » (٥) ، وسوف نستعرض بعض الحرف والمهن كنموذج لما يجب أن يكون عليه المشتغل بها من علم .

يقول الشيرازى عن الطبيب : « والطبيب هو العارف بتركيب الأبدان ، وفراج الأعضاء ، والأمراض الحادثة فيها ، وأسبابها ، وأعراضها ، وعلاماتها ، والأدوية النافعة فيها ، وطريق مداواتها ؛ ليساوى بين الأمراض والأدوية فى كمياتها ، فمن لم يكن كذلك، فلا يحل له مداواة المرضى ، ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه ، ولا يتعرض إلى ما لم يحكم علمه » (٦) ،أى أن العلم النظرى للطبيب مهم جداً وشرط

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦ ـ ١٩ .

(٢) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٩٥ ، نقلها من شرف الدين الحسن ، فى الروض النضير ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٨ .

(٤) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

(٥) أبو حامد الغزالى : ميزان العمل ، مكتبة الجندى ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١١٧ .

(٦) عبد الرحمن الشيرازى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

ضرورى لممارسة العمل التطبيقى .

« وكان المحتسب يمتحن الأطباء بما ذكره الطبيب الشهير حنين بن إسحاق (١٩٤هـ) فى كتابه المعروف (محنة الطبيب) ، فمن وجده فيما امتحنه عارفاً ، وكان خبيراً أذن له المحتسب بالتصدى لمداواة الناس » [١] ، وكان على « الجراحين معرفة كتاب جالينوس المعروف بقاطاجانس فى الجراحات والمراهم ، وأيضاً كتاب الزهراوى فى الجراحة ، وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الإنسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب » [٢] .

أما بالنسبة للبياطرة « فينبغى أن يكون البيطار خبيراً بعلل الدواب ومعرفة ما تحتاج إليه ، وما يحدث فيها من العيوب،فيرجع الناس إليه إذا اختلفوا فى عيب الدابة »[٣] .

وبالنسبة للفصادين « فلا ينبغى أن يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته بتشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين ، وأحاط بمعرفة تركيبها وكيفيتها ؛ لئلا يقع المبضع فى عرق غير مقصود أو فى عضلة أو شريان فيؤدى إلى زمانة العضو وهلاك المقصود » [٤] .

أما بالنسبة للوعاظ « فلا ينبغى لأحد أن يتصدى لهذا الفن إلا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والفضيلة وأن يكون عالماً بالعلوم الشرعية » [٥] .

وبالنسبة للحلاق « فينبغى أن يكون بصيراً بالحلاقة » [٦] ، وبالنسبة للبزازين «فينبغى ألا يتجر فى البز إلا من عرف أحكام البيع وعقود المعاملات وما يحل فيها وما يحرم عليه » [٧] .

وقد اختلف الفقهاء هل يعين المخطئ فى حرفته أم لا ؟ فقال بعضهم : من أصاب مريضه على غير مقتضى الحكمة وصناعة الطب دفع ديته ، وقال آخرون : من لم يكن عالماً بالطب لا يحل له مداواة المرضى ؛ ولذا ذكر الكتانى فى كتابه التراتيب الإدارية (باب من لا يعرف الطب لم يكن يباح له أن يعالج الناس) ، علاوة على أنهم كانوا يحتاطون حتى لا يتعاطى الطب من ليس من أهله [٨] .

والخلاصة التى يمكن الخروج بها فى ضوء ما سبق ، أن التربية الإسلامية قد

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠١ .
(٢) المرجع السابق والصفحة .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٨٩ .
(٥) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، عنى بنقله وتصحيحه روبن ليوى ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٧٩ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ١٣١ .
(٨) انظر: عبد الرحمن الشيرازى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ،ص ٩٨ ،وعبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .

ربطت بين العلم والعمل ، وجعلت العلم أساس العمل وغير ذلك من المبادئ التربوية التى لا زالت التربية المعاصرة تسعى لتحقيقها .

٣ـ القدرة على القيام بمتطلبات المهنة :

ينبغى على المسلم أن يختار العمل الذى يناسبه أو يستطيع أداءه بكفاءة ومقدرة ، فلا ينبغى أن يختار عملاً لم يؤهل له ولا يستطيع أداءه أو لا يحسنه ، وقد « جعل الإسلام العمل على قدر الطاقة » (١) ،فيقول عليه الصلاة والسلام: « فاكلفوا من العمل ما تطيقون » (٢) ، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سئل النبى ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : « أدومها ،وإن قل » ،وقال: « اكلفوا من الأعمال ما تطيقون » (٣) .

وقد نفذ رسول الله ﷺ وصحابته والتابعون لهم بإحسان هذه القيمة الكريمة فيما يخص الولايات والمسئوليات ، فوضعوا كل إنسان فى مكانه ، « فنجد الرسول الكريم يختار معاذ بن جبل ليوليه اليمن لفقهه ورجاحة عقله وخلقه ، وعمر عاملاً على الصدقات لعدله وحزمه ، وخالد للجيش لمهارته وحنكته العسكرية ، وبلالاً لبيت المال لأمانته وتدبيره ، ويرد أبا ذر والأشعريين لضعفهم ، ويمضى أبو بكر على نهجه فيولى زيد بن ثابت جمع القرآن لعلمه وكياسته ومكانته ، ويأتيه رجل يطلب استعماله فلا يجده صالحاً فيرده » (٤) .

« عن أبى موسى قال : دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحد الرجلين : يا رسول الله ، أمِّرنَا على بعض ما ولَّاك الله ، عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه » (٥) ؛لأنه غالباً لا يكون كفؤاً له،وعن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه قال:قلت : يا رسول الله ، ألا تستعملنى ؟ قال : فضرب يده على منكبى ، ثم قال : « يا أبا ذر ، إنك ضعيف وإنها إمارة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدّى الذى عليه منها » (٦) .

وهكذا نجد رسول الله ﷺ يوضح لنا أن العامل لا بد وأن يكون مقتدراً على عمله مؤهلاً له « وهذا الحديث أصل عظيم فى اجتناب الولايات ، لاسيما لمن كان فيه ضعف

---

(١) عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٢٢ .
(٤) أحمد محمد العسال ، فتحى أحمد عبد الكريم : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦، ص ٦ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٧ .

عن القيام بوظائف تلك الولاية » (١) .

إن الإسلام يدعو إلى إسناد الأعمال (الوظائف والحرف) إلى ذوى القدرة والأمانة ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قصة موسى عليه السلام ؛ إذ قال على لسان ابنتى شعيب : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) ﴾ [القصص] ، والقوى هنا من تتوفر فيه القدرات البدنية والذهنية التى يتطلبها العمل بحسب طبيعته ومتطلبات أدائه ، وقد توفرت القوة والأمانة فى سيدنا موسى مما أهله لرعى الغنم لشعيب عليه السلام ، ويروى « أن شعيباً سأل ابنته حين قالت : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ فقال لها : وما علمك بذلك ؟ قالت : إنه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلا عشرة رجال » (٢) ، فكانت قدرته شرط من الشروط التى أهلته للقيام بالسقاء للغنم .

«ولم يباشر شعيب أمر غنمه لضعفه »(٣) ،الناتج عن كبره فى السن ، ويتضح ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾

[القصص]

وفى القرآن الكريم آيات متعددة تجلى هذا المبدأ مثل قوله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة] ، « أى : لا يكلف الله نفساً إلا طاقتها » (٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾،« أى : لا تحملنا من الأعمال مالا نطيق » (٥) .

وقال تعالى : « ﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢) ﴾ [المؤمنون] ، وهذه الآية ناسخة لجميع ما ورد فى الشرع من تكليف لا يطاق » (٦) ، فكل تكليف للإنسان لا بد أن يكون على قدر الطاقة . قال تعالى : ﴿ لا

(١) يحيى بن شرف بن حزام النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٩ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٦٩ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٩ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ .

تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ويقول تعالى : ﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾ [البقرة] ، « والموسع : الذى اتسع حاله ، يقال : فلان ينفق على قدره أى على وسعه ، والمقتر : المقل القليل المال » (١) ، ويستدل من هذه الآية على أن القدرات بين الناس مختلفة ،وأن الاختلاف طبيعة لابد أن تراعى ، يقول تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) ﴾ [الطلاق] ، « أى : لا يكلف الفقير فى النفقة على زوجته مثل ما يكلف الغنى » (٢)؛فلكل منهما قدرة معينة ، وإنه لمن الظلم أن نوحد ونساوى بين الاثنين على ما بينهما من اختلاف فى القدرات والأرزاق .

إن « العمل فى الإسلام على حسب الطاقة تكليف إلهى . وعلى الفرد أن يستغل مواهبه فى التعمير والإنتاج ، وألا يكون سعيه على قدر القوت ، بل يكون على قدر طاقته ومواهبه . واختلاف الناس فى المواهب يدل على أن كلاً منهم قد خلق لعمل معين » (٣) ، « وكل ميسر لما خلق له » (٤) ، « وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم بما يطيقون » (٥) .

وكأن رسول الله ﷺ يأمرنا بأن نعطى الأعمال للقادر عليها ؛ وإلا وجب علينا إعانتهم فى الانتهاء منها ، فقال ﷺ : « من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » (٦) .

وعن أبى ذر قال : قلت : يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ، قال : « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » ، قال : قلت : أى الرقاب أفضل ؟ قال : « أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمناً » قال : قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : « تعين صانعاً ، أو تصنع لأخرق » (الذى لا يحسن الصنعة) ، قلت: يا رسول الله ، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : « تكف شرك عن الناس ؛ فإنها صدقة على نفسك » (٧) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١٧٢ .
(٣) حلمى عبد المنعم صابر : النظام المالى فى الإسلام وتحقيق مجتمع الكفاية والأمن ، الطبعة الأولى ، الطباعى العربى للطبع والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ص ٨ ، ٩ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٩٥ .
(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١ ، كتاب الإيمان .
(٦) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤ ، كتاب الإيمان .
(٧) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٢ ، باب الإيمان .

ويتضح من الحديث ضرورة القدرة على عمل الأشياء لتوافر عنصر الإنجاز . وإن من الخير أن يعين المسلم أخاه الذى لا يحسن صنعته أو الذى لا يستطيع أن يقوم بها لضعف مقدرته ، كما يستدل من الحديث أنه عندما يضعف الإنسان ولا يستطيع أداء عمل معين ، فإن عليه أن يتجه لأداء عمل آخر يتواءم وقدراته .

ولقد ولى علماء المسلمين هذا المبدأ عناية كبيرة فيقول الغزالى ناصحاً المعلم « بأن يقتصر بالمتعلمين على قدر إفهامهم فلا يرقيهم إلى الدقيق من الجلى وإلى الخفى من الظاهر هجوماً وفى أول رتبة ، ولكن على قدر الاستعداد والقدرة » (١) .

ولهذا كان يقال : « الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره ، والمراد بصغار العلم : ما وضح من مسائله ، وبكباره : ما دق منها ، وقيل : يعلمهم جزئياته قبل كلياته ، أو فروعه قبل أصوله ، أو مقدماته قبل مقاصده » (٢) .

أى لابد أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه وتدرجه فى معارف الحرفة أو المهنة ، فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله حتى لا ينفر منها،وكذلك لا يحمل من العمل ما فوق طاقته .

كما حثت التربية الإسلامية « المربين المسلمين على ضرورة مراعاة استعداد طلاب المرحلة الأولى والكتاتيب وغيرها من المراحل ، بحيث يوجه كل فرد وفق قدراته إلى التعليم الذى يناسبه أو المهنة أو الحرفة التى تناسبه » (٣) ، بعد أن يلم بالأساس النظرى لهذه الحرفة أو المهنة .

وإذا كان الفرد لابد أن يكون عارفاً بأصول المهنة قبل الالتحاق بها ، فإنه قد لا يستطيع القيام بمتطلبات مهنته مالم يتوفر لديه الاستعداد والقدرة على هذا العمل . يقول ابن خلدون : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان التدريج شيئاً فشيئاً ، وقليلاً قليلاً ، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هى أصول ذلك الباب ، ويقرب له فى شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى ذلك قوة عقله ، واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهى إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم » (٤) .

وقد اعتنت التربية الإسلامية بالمواهب والاستعدادات والقدرات المختلفة ، وبدى علماء التربية الإسلامية ـ خاصة ابن سينا ـ ضرورة مراعاة ميول المتعلم واستعداداته وقدراته عند إرشاده إلى نوع العلوم التى تناسبه أساساً لتربيته ولمهنته أو حرفته ، فقال :

---

(١) الإمام الغزالى : ميزان العمل ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٣) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

(٤) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٥٠٢ .

« ليس كل صناعة يروقها الصبى ممكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجاب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ، ما كان أحد غـفلاً من الأدب وعارياً من صناعة ، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات ، وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق عليها بشيء » (١) .

وهكذا يرى ابن سينا أن من الواجب على القائمين على العملية التربوية أن يبحثوا عما يناسب ميول المتعلم واستعداداته وقدراته من العلوم والمهن والحرف التى يرغب فى التخصص فيها مستقبلاً ، وهو ما تؤكده التربية المعاصرة التى « ترمى إلى إعداد الفرد لأن يؤدى خدمة نافعة للجميع ، بينما تعده فى نفس الوقت لأن يحصل بنشاطه وجهده الشخصى على عمل يلائم قواه الطبيعية واستعداده » (٢) ، وإذا كانت المواهب أمراً طبيعياً فإن التخصص فى المواهب بمنزلة أمر شرعى بأن يعمل كل فرد فى الميدان الذى أعد له « وأن يتجه المرء فى مناحى الإنتاج والكسب إلى الوجهة التى تيسرها له طبيعته وقدراته » (٣) .

« وحين يرتبط الفرد بالعمل الذى تؤهله له قدراته ومواهبه يمكن أن يصبح العمل مصدراً مهماً لتحقيق الذات وتقديرها ، من خلال ما يشعر به الفرد من إنجازات يقدمها للمجتمع ومدى أهمية ما يقوم به من عمل » (٤) .

أما حين تتطلب المهنة قدرات أوسع مما يملكه صاحب الحرفة ، فإنه غالباً ما يصاب بالإحباط ، ويفقد المجتمع ما كان يملكه من قدرات ـ وإن صغرت ـ فهو فى النهاية لن يستفيد منها .

٤ ـ مراعاة الفروق الفردية :

الناس بحكم الفطرة التى خلقهم الله عليها ـ يختلفون فى الميول والنزعات التى تتعلق باختيار المهن والحرف ؛ ولذلك نجد حرص الإسلام على أن يتجه الأفراد إلى الحرف والمهن التى تتلاءم مع استعدادهم الجسمانى والعقلى والنفسى ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً (٨٤) ﴾ [الإسراء] .

أى: « قل يا محمد: كل يعمل على حدته وطبيعته فسيجزى كل عامل بعمله »(٥) ،

---

(١) محمد كمال طه الحسينى: الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٤ ، نقلها من : ابن سينا كتاب السياسة ، نشرة لويس معلوف ، مجلة المشرق البيروتية ١٩٠٦م ، ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

(٢) جون ديوى : التربية فى العصر الحديث ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ، محمد حسين المخزنجى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٥٢ .

(٣) عبد السميع المصرى : مقومات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٤) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

ويقول رسول الله ﷺ : « اعملوا فكل ميسر » (١) ، وفى رواية أخرى : « كل ميسر لما خلق له » (٢) .

فهذا بيان بأن الأفراد مختلفون فى القدرات والمواهب ، وأن لكل منهم طبيعة خاصة لا تتمشى إلا مع أعمال معينة ، فإذا سلمنا بهذا فإنه يكون بديهياً أن الأرزاق تختلف باختلاف القدرات والمواهب .

يقول الله تعالى : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾[البقرة]،أى:«ومتعوهن على قدر طاقتكم من الوسع أو التقتير» (٣)، وفى هذا تأكيد على أن الناس مختلفون فى القدرات والأرزاق ،وأن الاختلاف طبيعة . ويؤكد الحق سبحانه وتعالى ذلك فى موضع آخر فيقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) ﴾ [النحل] ، ففى هذه الآية الكريمة نص صريح على تفاوت الأرزاق بين الناس ، فمنهم الغنى والفقير ، والحر والعبد (٤) .

« والتفاوت فى الأرزاق ظاهرة فى كل مجتمع ، وتأتى عن ظاهرة التفاوت فى القدرات الشخصية ؛ ولذلك لا ينبغى تأويل المفاضلة فى الرزق بأنه تكريم للأغنياء وامتهان للفقراء ، كما يتبادر للذهن عند النظرة السطحية ، وإنما هو تنظيم محكم يكفل التعاون ؛ إذ يختص كل فرد فى المجتمع بوظيفة يقدر عليها ، وإن التسوية المطلقة بين العمال مطلب غير عملى ؛ إذ ثبت بالتجربة استحالة الوصول إليه » (٥) .

إن الناس إذا ما اختلفوا قام المجتمع؛لأن الاحتياجات الضرورية للإنسان مختلفة ، ولا بد أن يقابل هذا الاختلاف فى الضروريات اختلافاً فى القدرات البشرية ، وهو ما نجده بين الأفراد؛إذ نجد «أن لكل إنسان درجته وقدرته. وطبيعة الحياة قائمة على أساس التفاوت فى:مواهب الأفراد ، والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل . ولو كان الناس جميعاً نسخاً مكررة ما أمكن أن تقوم الحياة كما هى بهذه الصورة ، ولبقيت أعمال لا نجد لها مقابلاً للكفايات . والله الذى خلق الحياة وأراد لها الحركة والنمو هو الذى خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها » (٦) .

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ج ٨ ، ص ١٥٤ .
(٢) المرجع السابق ج ٩ ، ص ١٩٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٣ ، ص ٢٠٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٤١ .
(٥) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٢١ ، ٢٢ .
(٦) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دار البحوث العلمية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ٢١٤ .

يقول تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ [الزخرف] ، أى أن الله أفقر قوماً وأغنى قوماً وفاضل بينهم ؛ ليسخر الأغنياء الفقراء ؛ فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض » (١) .

إن الإسلام يعترف بالتفاوت الفطرى بين الأفراد فى الملكات والمواهب والجهد ، ولكن هذا التفاوت ما دامت الفرص متكافئة فى إتاحتها للكافة ، لا يمس تماسك المجتمع ، ومن ثم وجد فى الإسلام درجات ، ولم يوجد فيه طبقات (٢) ، فقد وجد فى العصور الإسلامية الأولى فروق درجات بين الأفراد ، ولم يوجد صراع طبقى ، ودموية المنازعات بين أصحاب العمل وبين العمال ، وذلك أن إيمان العامل المسلم بالتفاوت فى القدرات والمناصب « يجعله صاحب قيم، وسماحة ، وأخلاق ، وقناعة ، غير أنانى ، ولا فردى ، بل متراحماً ، متكافلاً ، متعاوناً ، وإن لم يكن مؤثراً المجتمع على نفسه » (٣) .

ومن البديهات أن الله خلق البشر متفاوتين فى صفاتهم ، وأن استجابة كل مخلوق للتربية المهنية تختلف من فرد إلى فرد ، « فالناس متباينون ، فمنهم الذكى العبقرى ، والبليد الغبى ، وصاحب المواهب الفنية ، ومن ليست له مواهب لا فنية ولا غير فنية . ووجب على كل مجتمع أن يسعى إلى تنمية مواهبه البشرية وقدراته الإنتاجية للحصول على أقصى نفع ممكن، وكذلك تأهيل أفراده للأعمال المطلوبة ، وتخصيصهم فى أعمال وتخصصات متنوعة، ومحاولة الاستفادة حتى من هوايات العجزة والمقعدين » (٤) ، ولكن لا يكون ذلك إلا بعد معرفة قدراتهم وميولهم وخلفياتهم المعرفية واتجاهاتهم .

ومن السمات المميزة للتربية الإسلامية أنها «تؤمن بالفروق الفردية وتقيم لها وزناً ، فى مناهج التربية وطرائقها ، وتؤكد على أهمية الكشف عن القابليات الفردية ، وتوجه كل إنسان إلى ما هو أهيأ بحكم فطرته واستعداداته واتجاهاته » (٥) .

ولقد كان لهذه النظرة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة صداها الواضح فى التربية الإسلامية ؛ فقد « عرف المربون المسلمون فكرة التوجيه التربوى المهنى نظراً لما بين المتعلمين من فروق فى القدرات والاستعدادات ؛ ولهذا نادى المربون المسلمون بضرورة مراعاة هذه الفروق » (٦) .

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٨٣ .
(٢) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٣٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٩ . (٤) المرجع السابق ص ١٠٦ .
(٥) عبد الغنى عبود : التربية الإسلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٨١ .
(٦) محمد كمال طه : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٦٣ .

ولقد كانت عملية التوجيه المهنى تبدأ بعد أن يتلقى الصبى قدراً من العلوم الضرورية فى الحياة ، « ثم عليه بعد ذلك أن يتجه إلى العلم أو الحرفة على حسب استعداده وتكوينه ؛ إذ ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم ، فإذا اتجه إلى العلم الذى يقبله طبعه ، فما كل من يصلح لتعلم العلوم يصلح لجميعها » (١) .

فإن من يصلح لمهنة أو حرفة معينة قد لا يصلح لغيرها ؛ وذلك لما بين المتعلمين من فروق « بالنسبة لفروع المعرفة المختلفة ، وكذلك بالنسبة لكل ما يمكن تعلمه من مهارات الحياة المتعددة » (٢) .

ولا يرى علماء المسلمين شراً فيما بين الناس من فروق ، بل إنهم يربطون بين استقامة أمور الناس وبين المحافظة على ما بين الأفراد من فروق ، وقد « ظهر ذلك واضحاً فى كتاب (المدينة الفاضلة) للفارابى ، كما جاء على لسان الأصمعى : (لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساووا هلكوا) » (٣) .

وقد أدرك المربون المسلمون هذه الحقيقة ، فاهتموا بتوجيه الصبى تربوياً ومهنياً ، فى نهاية المرحلة الأولى من التعليم الإسلامى مع مراعاة ميوله واستعداداته ، واتخاذها أساساً فى تحديد مستقبله عند إرشاده إلى المهنة التى يختارها فى مستقبل حياته (٤) .

وفى هذا المعنى يقول ابن سينا : « فلذلك ينبغى لمدير الصبى إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبى ، ويسير قريحته ، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك » (٥) .

يريد ابن سينا بذلك أن يوجه الصبى إلى الصناعة التى يرغب فيها وتتوافق مع قدراته وإمكاناته .

كما سبق أن وجدنا الغزالى ينصح المعلم بأن يقتصر للمتعلم على قدر فهمه ؛ فلا يلقى إليه مالاً يبلغه عقله . وفى ذلك دليل على عناية فقهاء المسلمين بالفروق الفردية .

إن التربية الإسلامية بهذا قد حققت ما تصبو إليه التربية الحديثة من ضرورة مراعاة ميول الأفراد وقدراتهم واستعداداتهم ، وجعلها أساساً لتوجيههم التوجيه السليم ، وإعدادهم للتهيؤ فى مستقبل حياتهم ، ومراعاة ما بين المتعلمين من فرق .

---

(١) أحمد شلبى : التربية الإسلامية (نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها) ، مرجع سابق ص ٢٩٩ .

(٢) سعيد إسماعيل على : «العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » ، دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ٢٠٠ .

(٣) عبد الحميد جابر : الذكاء ومقاييسه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٠ .

(٤) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٦٤ .

(٥) المرجع السابق والصفحة ، نقله من ابن سينا كتاب السياسة ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

ثانيا : الأصول الاجتماعية للتربية المهنية فى الإسلام

١ـ النظرة الإسلامية للعمران :

الإسلام دين يعد الإنسان للآخرة ، كما يعده لأن يكون عضواً فعالاً ومثمراً فى المجتمع ، « والتمدن الإسلامى يقوم على فلسفة خاصة به فى : الكون ، والوجود ، والإنسان ، والمجتمع ، والأخلاق . وإذا كان التمدن غير الإسلامى يمكن أن يركز على الجانب الروحى فقط أو الجانب المادى والعمرانى فقط ، فإن التمدن الإسلامى يقوم على الاهتمام بالجانبين معاً . بل لقد أدرك فقهاء الإسلام منذ البداية أن صلاح أمور الدنيا ضرورى لصلاح أمور الدين » (١) .

يقول الإمام الغزالى: « إن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله ـ عز وجل ـ لا لمن اتخذها مستقراً ووطناً » (٢) .

كما يقول فى موضع آخر : « الأشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والأعمال التى ترى الخلق منكبين عليها ، وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث : القوت ، والمسكن ، والملبس ، فالقوت للغذاء والبقاء ، والملبس لدفع الحر والبرد ، والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ، ولم يخلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ القوت والمسكن والملبس مصلحاً بحيث يستغنى عن صفة الإنسان فيه ، نعم خلق الله ذلك للبهائم ، فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبخ ، والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه ، فيستغنى عن البناء ويقتنع بالصحراء ، ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس ، والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة للعمل » (٣) ، أى أن الغزالى « يصنف المهن والحرف إلى: ضرورية لا بد من توافرها والبدء بها وإلا تعرضت حياة الناس إلى : خطر الجوع والعرى ، وعدم وجود المأوى ، وانتشار الفوضى ، ومهن خادمة أو مساعدة للمهن الأساسية ، ومهن متممة للعمران البشرى ، ثم يقرر أن هذه المهن والحرف حسب تدرج أهميتها فى حياة البشر إنما هى فروض كفاية ، لا يجوز أن يخلو منها المجتمع ، وإلا أثم شرعاً ؛ لأنه يعرض أفراده إلى المشقة الحياتية »(٤) ،

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٢١ .

(٢) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق ج ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٤) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٢٢ .

كما يقول أيضاً : « إن أصول الصناعة أيضاً من فروض الكفايات ، كالفلاحة ، والحياكة ، والسياسة ، بل الحجامة ، والخياطة ؛ فإنه لو خلا البلد من الحجام لسارع الهلاك إلى أهلها » (1) .

« وهذه النظرية الإسلامية للعمل تسوى بين تلك المهن والحرف عندما يجعل الإمام الغزالى الفلاحة والحياكة والسياسة ، بل الحجامة والخياطة من فروض الكفايات » (2) .

إن عمارة الدنيا أمر ضرورى لتوصيل رسالة الإسلام وهل يمكن أن يستقيم دين قوم لا يعلمون ولا ينتجون ، ويعيشون فى ضيق وفقر وحاجة ؟

بل « إن الدين وتعاليمه إنما جاءت لعمارة هذا الكون فى إطار أخلاقى رشيد ، وسنجد هذا المعنى يتردد فى جميع كتابات فقهاء الإسلام على مر العصور وحتى عصرنا الحديث . وهذا مفكرنا الأزهرى رفاعة الطهطاوى يؤكد على ذلك المعنى ، عندما يرى أن كمال التمدن والعمران إنما يقوم على أصلين : معنوى ، وهو التمدن فى الأخلاق والآداب ، يعنى التمدن فى الدين والشريعة ، والأصل الثانى : تمدن مادى ، وهو التقدم فى المنافع العمومية، كالزراعة، والتجارة، والصناعة، ويختلف قوة وضعفاً باختلاف البلاد ،ومداره على ممارسة العمل وصناعة اليد ، وهو لازم لتقدم العمران » (3) .

إن الإسلام ليس دين زهد وليس من مراميه حرمان المسلمين من طيبات ما أحل لهم : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) ﴾ [الأعراف] .

« ولقد خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا فى الأرض لتوفيرها وتحصيلها فتنمو الحياة وتتجدد ، وتتحقق خلافة الإنسان فى هذه الأرض ، ذلك على أن تكون وجهتهم فى هذا المتاع هى الآخرة ، فلا ينحرفون عن طريقها » (4) .

إن « الزهد فى نعم الله ليس فضيلة ، إنما الفضيلة هى فى تمتع الإنسان بها فى حدود القيم التى رسمها الدين لإثراء سعادته ، وهذه القيم تتخلل نواحي النشاط الإنسانى بأسرها ، ذلك أن الإسلام لا يرى أن فى الحياة قطاعاً يمكن اعتباره قطاعاً دنيوياً بحتاً ، فالعمل فى كل مجال من مجالات النشاط الإنسانى هو عمل روحى

---

(1) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ج 1 ، ص 17 .

(2) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص 122 .

(3) المرجع السابق ص 121 ، نقلها من : رفاعة الطهطاوى : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ص 250 .

(4) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج 5 ، ص 2711 .

شريطة أن ينسجم مع قيم الإسلام وغاياته » (١) .

« إن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التحمل والتشمر والاكتساب ،وليس التشمر فى الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد معين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة » (٢) .

إن استعادة العزة التى كتبها الله للمؤمنين والتمكين لهم فى الأرض من الأمور التى لا تقل أهمية عن فريضة الصلاة والصيام ، بل هذه العزة وهذا التمكين يمثلان الضمان لإقامة فرائض الإسلام كلها ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** (٤١) ﴾ [الحج] .

ومن المسلّم به أن المسلم لا يمكن له إقامة الفرض إلا بالمهن والحرف ومن ثم تكون المهن والحرف فرض كفاية عليه ، وبيان أن الإنسان لا يستطيع أداء الصلوات الخمس إلا بالقوت ، ولتحصيل القوت لابد من الاشتغال بالزراعة أو التجارة ؛ ولأنه لا يتوصل إلى أداء الصلاة إلا بالطهارة ولابد فيها من وجود صنبور مياه أو كوز أو دلو للحصول على هذه الأشياء لابد من الاشتغال بالصناعة ، وكذلك لا يتوصل الإنسان إلى أداء الصلاة إلا بستر العورة ، وإنما يكون ذلك بثوب ولا يحصل له إلا باكتساب عادة من تجارة الثوب أو صناعته (٣) ، « وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب » (٤) .

إن أى أمة ذات رسالة لابد لها من وسائل التمكين فى الأرض حتى لا يقضى على رسالتها ، ومن ثم كان طبيعياً أن يهتم الإسلام بالمهن والحرف ؛ لأنها من أساسيات القوة التى تمكن المسلمين من أداء شعائرهم فى أمن وأمان .

٢ ـ النظرة الإسلامية للإنسان :

يعتبر الإنسان هو مركز الدائرة الحضارية إذ يقول مالك بن نبى إن : « الحضارة = إنسان + تراب + وقت » (٥) ، « والفكرة الدينية لا شك فى أنها تقوم بعملية المزج بين هذه العناصر الثلاثة » (٦) .

---

(١) محمد عمر شبرا : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، بحث فى أهدافه وطبيعته ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الرابع عشر ، أبريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٧٨ ، ص ٧٥ .

(٢) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٣) محمد بن حسن الشيبانى : الكسب ، الطبعة الأولى ، تحقيق سهيل ذكار ، مكتبة الحرصونى ، دمشق ١٤٠٠ هـ ، ص ٧٨ .

(٤) محمود حمدى زقزوق :الحضارة فريضة إسلامية ،مجلة المسلم المعاصر، العدد الثالث والستون ، رجب ، شعبان ، رمضان ١٤١٢ هـ ، ص ٣٤ .

(٥) مالك بن نبى : شروط النهضة ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، عمر كامل مكاوى ، دار الفكر ، د . ت ، ص ٤٥ .

(٦) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

وإذا كان الإنسان بصفة عامة هو العنصر الفعال الإيجابى فى العملية الحضارية كلها ، فإن هذا يقتضينا أن نبحث موقف الإسلام من الإنسان لنتعرف عليه وعلى مكانته فى تعاليم الإسلام .

إننا إذا تدبرنا أول ما نزل من الوحى القرآنى على رسول الله ﷺ فسيتضح لنا التركيز على العناية بشأن الإنسان بصفة خاصة ، ويتجلى ذلك بوضوح من ذكر لفظ الإنسان مرتين فى الآيات الخمس الأولى من الوحى ، مع التركيز أيضاً على العلم وأدواته ، قال تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** ﴾ [العلق] .

إن مسئولية الإنسان الكبرى التى ارتضى أن يتحمل أعباءها بعد أن أشفقت من حملها السموات والأرض والجبال تعد تكريماً له قال تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢)** ﴾ [الأحزاب] .

إن تحمل المسئولية يعنى الحرية ، ويعنى استقلال الشخصية ، وتتركز هذه المسئولية الكبرى ـ التى تتمثل فى الخلافة عن الله فى الأرض لعمارتها ـ على مسئولية الإنسان عن نفسه ، كما أن الإنسان مسئول عن استخدامه أو عدم استخدامه لوسائل الإدراك العقلية والحسية ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)** ﴾ [الملك] .

وأكد القرآن الكريم الكرامة الإنسانية فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠)** ﴾ [الإسراء] ، وفى هذه الآية خبر عن تشريف الله « لبنى آدم وتكريمه إياهم فى خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ،كما فضلهم على سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات » (١) .

وعماد تكريم ابن آدم حريتهُ فى عبوديته واختيار عقيدته ، يقول تعالى : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)** ﴾ [البقرة] ، « ومن هذه الآية يتضح لنا أن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه ، فإنه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه » (٢) ، بل ترك لغير المؤمن به « أقصى

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥١ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

درجات الحرية والحماية فى مزاولة عباداتهم وإقامة شعائرهم الدينية وفرائضهم التعبدية، ويبلغ من دقة إحساسه لهذه الحرية أن فرض الزكاة على المسلمين وأوجب ما يقابلها من الجزية على غيرهم ، وعدم فرض الزكاة على الذميين وأهل الكتاب يرجع إلى أن الزكاة شعيرة تعبدية وركن من أركان الإسلام ؛ ولذلك لم يشأ أن يفرض أى نوع من أنواع العبادات الإسلامية على غير المسلمين ، والتزم بحماية دافعى الجزية وتأمينهم فى عقائدهم ومعاشهم » (١) .

وبجانب هذه الحرية نجد الحرية العلمية التى شملت فروع العلم وأنواع المعارف المختلفة ولم يحرم منها أحد يمتلك من مواهب العقل والنبوغ ما يؤهله إلى أعلى الدرجات ، وهذا النوع من الحرية هدية من هدايا القرآن لم تحصل عليه الإنسانية فى تاريخها الطويل ، إلا مع بزوغ شمس هذا الكتاب الخالد الذى جعل العلم حقاً مشاعاً لجميع البشر ، فامتلأت حلقات المساجد والمدارس ودور العلم بطلاب المعرفة من كل جنس وكل لون ، واستطاع العقل فى هذا الجو العلمى أن ينطلق فى ميادين الآداب والفلسفة والعلوم ، وأن يجتهد ويستنبط من نصوص الشريعة ما تؤهله لذلك وسائل الاجتهاد والاستنباط وأن يتدبر الكون وأحداثه وأن يناقش الآراء ويفاضل بينها ويختار منها ما يراه أقرب للصواب وأوفق للعقل (٢) .

كما قرر الإسلام ما يسمى بالحرية المدنية ومعناها أن الفرد البالغ الرشيد له الحق فى تحمل الالتزامات العامة والخاصة فى الحياة ، فالفرد البالغ له الحق فى أن يختار نوع العمل الذى يتفق وطاقته الجسمية والعقلية ، كما أنه أعطى الفرد حرية البيع والشراء والتملك والانتقال من مكان إلى مكان آخر وغير ذلك .

ففى جانب العمل يقول تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وفى الهجرة يقول تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)** ﴾ [الملك] .

هذا عن قضية الحرية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان داخل مجتمعه ، أما عن الحرية فى تصرفات الفرد نفسه وهل صدرت أعماله وتصرفاته عن رغبة منه فى حرية مطلقة أم أنه مقيد الحرية وهو مجبر فى أعماله من جهة الخالق ؟ نجد أن آيات القرآن الكريم منها ما يحمل معنى الجبر ، يقول تعالى : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)** ﴾ [هود] ، ويقول تعالى : ﴿ **قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)** ﴾ [الفتح] ،

---

(١) محمد فؤاد الهاشمى: الأديان فى كفة الميزان ، دار الكتاب العربى بمصر ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٧٣ .

(٢) عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٤٥٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) ﴾ [الإنسان] ، ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ ﴾ [الرعد : ١١] .

ويجانب هذه الآيات نجد أن هناك آيات أخرى تحمل معنى الاختيار وحرية الإرادة مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾ [يونس] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

وهذة قضية كثر النقاش حولها بين الفرق الإسلامية وتأثيرات آراء الفرق الإسلامية بالفلسفة الإغريقية تعقيداً لا تعرفه العقلية الإسلامية الواضحة ، ولو أخذ الأمر بمنهج القرآن المباشر الميسر ما اشتد هذا الجدل وما سار فى ذلك الطريق (١) .

وتنحل عقدة الموقف بما يهدى إليه تدبر آيات الإرادة فى القرآن الكريم من أن مفهوم إرادة الخالق غير مفهوم إرادة المخلوق ، فإرادتنا كسبية مسبوقة بنية وعزم وتفكير ورغبة ، وهى تقوى وتضعف وتنفذ وتتعطل وليست كذلك إرادة الله حيث لا يجوز عليه سبحانه أى عمل أو صفة كسبية ، على ما هو مقرر فى علم التوحيد ، وإنما تفهم إرادة الله فى القرآن على أنها حكم نافذ وقضاء مبرم وليست كإرادتنا عزماً على أمر ، وسعياً إليه بوسيلة أو بأخرى (٢) ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [يس] ، ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾ [الأنعام] .

وبهذا الفهم لا تعارض على الإطلاق بين إرادة الإنسان الكسبية الحرة ، وبين الإرادة الإلهية التى تقرر مصيره وتحكم عليه بما عمل وأراد (٣) .

إن الحرية التى أعطاها القرآن للأفراد هى حرية مضبوطة ، وبهذا وفر القرآن للإنسان مجالاً واسعاً للتأثير والإيجابية ، فالإنسان المسلم كامل الحرية لا تحد حريته إلا حرية أخيه الإنسان وأمن المجتمع (٤) .

وقد « ارتبطت الحرية بالمسئولية والكرامة فى وجدانه من قديم،بل وجدت حريته ، كضرورة تقتضيها مسئوليته ، أى أنه لكى يكون مسئولاً يجب أن يكون حراً » (٥) .

---

(١) عثمان جمعة :التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان ،دار الكلية الطبية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ،ص ٨٦ .
(٢) عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، دار الاحد ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٨ .
(٣) عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، مرجع سابق ص ٤٩ .
(٤) على خليل أبو العينين : فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية قسم أصول التربية ، طنطا ، ١٩٧٨ ، ص ١٢٥ ، نشرت فى دار الفكر العربى ١٩٨٠ .
(٥) خالد محمد خالد : إنه الإنسان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

ومن ثم تستطيع القول بأن الإنسان يتمتع بحمل الأمانة وهو حر فى عمله ، كما أنه مسئول عنه .

الإنسان خليفة الله فى الأرض :

إن تعاليم الإسلام تقرر أن كل شىء فى الوجود إنما هو ملك لله تعالى ، خالقه وخالق السموات والأرض وما بينهما ،وأن ما فى يد الإنسان من أشياء هى لله تعالى ، وأن ما فى يد الإنسان من مال إنما هو حائز لأمانة ووديعة أودعها الله بين يديه .

فالله وحده الذى له ملكوت السموات والأرض ، وهو مالك المال كله ، والإنسان هو خليفة الله فى أرضه ، أمره خالقه بالانتفاع بهذا المال ، ومكنه من هذا الانتفاع للوفاء بحاجاته وإصلاح معاشه شريطة أن ينفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ، ومصلحة الإنسانية بوجه عام وسوف يحاسب على ذلك كله يوم الحساب .

هذه العقيدة غرسها الإسلام فى وجدان المسلم من خلال الآيات القرآنية الكثيرة (١) نذكر منها قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾ [الأنعام] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) ﴾ [إبراهيم] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٠٧) ﴾ [البقرة] .

والمنطق البشرى يقتضى أن يكون خالق الشىء هو مالكه، وبهذا المنطق نفسه جاءت نصوص القرآن قاطعة فى أن الله له ملك السموات والأرض وما بينهما، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾[المائدة] ، وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾ [المائدة]

وقال تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٦) ﴾ [طه] ، والله سبحانه وتعالى يملك كل هذا وحده دون أن يكون له فى ملكه شريك من البشر أو غير البشر ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) ﴾ [الإسراء] ، ثم سخر لهم

---

(١) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٤٣ .

كل ما خلق فى السموات والأرض ،وهيأ لهم استغلاله واستثماره ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) ﴾ [لقمان] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ [الجاثية] .

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يسخر ملكه لفرد دون فرد ، أو لفئة دون فئة ، وإنما سخره للبشر جميعاً ، وجعله مشاعاً بين عباده الذين استخلفهم فى الأرض ليعيشوا فيه وينتفعوا به .

ولقد استعمر الله سبحانه وتعالى البشر فى الأرض فقال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾[هود]، « أى : طلب منكم عمارتها واستغلالها »(١)،كما جعلهم خلائف فى الأرض،قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤) ﴾ [يونس] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام :١٦٥]، « أى:جعلكم تعمرونها جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، وخلفاً بعد سلف » (٢) ، مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا (٣٩) ﴾ [فاطر] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ [البقرة] .

وقد اختلف العلماء من المراد بالخليفة على قولين : أحدهما : أنه آدم عليه السلام ، وقوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ذريته ، والآخر : أنه ولد آدم (٣) .

إن الملائكة حينما قالت لله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ... ﴾ « قد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا فى بناء هذه الأرض وعمارتها ، وفى تنمية الحياة وتنويعها ، وفى تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود فى تطويرها وترقيتها وتعديلها على يد خليفة

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٧٠ .

الله في أرضه ، هو الذى قد يفسد أحياناً وقد يسفك الدماء أحياناً ليتم من وراء هذا الشر الجزئى الظاهر خير أكبر وأشمل ، خير النمو الدائم والرقى الدائم ، خير المحاولة التى لا تكف والتطلع الذى لا يقف والتغيير والتطوير فى هذا الملك الكبير » (١) . .

« إن الإنسان قد اختص بالخلافة على هذه الأرض بحكم القانون الأزلى ، أو بحكم الواقع الذى تقرره العلاقة السببية الثابتة ، ومضمون خلافته فى الأرض هو نفس علة وجوده ، والحكمة من خلقه هو استعماره الأرض وإصلاحه فيها ، وخلافة الإنسان فى الأرض تعنى قوامة بنى آدم على ما عداه والقوامة تتضمن أمرين :

أولا : الحماية أو المحافظة على الذات. ثانياً : الإصلاح ومقتضاه تحقيق النماء » (٢) هذا وقد « بين الله سبحانه وتعالى لعباده الذين استخلفهم فى الأرض ، أنهم حينما يستغلون ويستثمرون ما خلقه الله ، ويحصلون على منافعه لا يأتون بشيء من عندهم ، وإنما هو رزق الله يسوقه إليهم » (٣) ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر] .

وإذا لم يكن ثمة من يرزق غير الله ، فعلى البشر أن يطلبوا الرزق من الله وحده ، وأن يبتغوه عند الله ، قال تعالى : ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت] .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى البشر أن ينفقوا من ماله الذى استخلفهم فيه وجعلهم قوامين عليه ، قال تعالى : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد] ، وما أمر الله عز وجل البشر أن ينفقوا إلا ليذكرهم بأنهم ينفقون من ماله الذى آتاهم ، ورزقه الذى ساقه إليهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة] ، وبمقتضى هذه الآيات السابقة يصير الإنسان خليفة الله على كل ما فى حيازته ، ومن ثم فعليه أن يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قياماً أميناً واعياً .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥١ .

(٢) محمود أبو السعود : الفكر الإسلامى المعاصر ، مضمونه ومستقبله ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الثالث عشر ، محرم ـ صفر ـ ربيع أول ١٣٩٨ هـ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٤٥ .

« وما دام المال مال الله ، وهو عارية فى يد البشر فليس للبشر أن يتخلفوا عن تنفيذ أمر الله عز وجل أن يؤتوا فئات من البشر شيئاً من هذا المال، فعليهم المبادرة بذلك » (١) ، قال تعالى : ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُم ﴾ [النور : ٣٣] .

« كما عليهم أن يحافظوا على هـذا المال من العبث والتبديد والضياع ويحسنوا إنفاقه ، والوفاء بما للناس فيه من حقوق ، وتوجيهه للغرض السامى الذى لأجله خلق وهو صالح المجتمع وسعادته » .

عليهم عدم الافتتان به ، وعدم اتخاذه أداة طغيان واستعباد ، ومصدر إغراء وتكبر وخيلاء وعبث بالحقوق ووسيلة انحراف فى السلوك ، وإفساد فى الأرض وإهدار للكرامة (٢) .

روح التسخير :

« إن الإسلام قد هيأ المجال الملائم أمام الإنسان لاستخدام كل طاقته الإبداعية ، ووفر له كل الشروط الضرورية التى تساعده على القيام بالمهمة الكبرى المتمثلة فى خلافته لله فى الأرض ، والنهوض بمسئوليته فى عمارة الأرض ، وجعل الله الكون كله بسمائه وأرضه وما بينهما مجالاً لنشاط الإنسان ، فكل ما عدا الإنسان فى هذا الكون مسخر لخدمة الإنسان ومجال لنشاط الإنسان » (٣)، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ [الجاثية] ، أى سخر لكم الكواكب والجبال والبحار والأنهار وجميع ما تنتفعون به وكل ذلك من فضله وإحسانه (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾ [البقرة] ، فالحق سبحانه وتعالى قد خلق للإنسان جميع المنافع من حيوانات ونبات ومعادن وجبال وكلها مسخرة له .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك] ، أى هو الذى سخر لكم الأرض بجعلها منقادة صالحة لأوجه النشاط الإنسانى « وجعلها ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع

---

(١) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٢) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ١٤٨ .

والثمار » (١) ، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) ﴾ [نوح] ،أى : « بسطها ومهدها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات ، وقد خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أنَّى شئتم » (٢) ، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾[الجاثية]، وفى هذه الآية « ذكر من الله للإنسان فيما سخر لهم من البحر لتجرى السفن فيه ابتغاء المتاجر والمكاسب وحصول المنافع المجلوبة من الأقاليم النائية »(٣)، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) ﴾ [إبراهيم] ، أى خلق الله سبحانه وتعالى « السموات سقفاً محفوظاً والأرض فرشاً وأخرج منها ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجرى عليه بأمر الله ، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من المنافع ، وسخر الشمس والقمر يسيران لا يفتران » (٤) ، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) ﴾ [يس] ، وفى هذه الآيات ، « يذكر الله تعالى ما أنعم به على الإنسان من هذه الأنعام التى سخرها لهم فهم لها قاهرون وهى ذليلة مسخرة لهم لا تمتنع منهم ، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه ، وكذا لو كان القطار مائة بعير ومن البعير ما يركبون فى الأسفار ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار ، وإذا شاءوا نحروها ولهم منافع أخرى مثل أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها » (٥) .

إن الآيات السابقة تدل دلالة واضحة أن كل ما فى الكون مسخر للإنسان « وأن الإنسان فى هذا الكون على أعلى ذروة فيه ، وهو الكائن الوحيد الذى يستطيع أن يسخر ما حوله من الكائنات لمنفعته ومتاعه ، فهو بذلك فى مركز الولى على هذه الأرض وما احتوته ، المشرف على ما فيها من طاقات وخيرات ، لا منازع له ممن عداه » (٦) .

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٩٧ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٤٢٦ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ١٤٨ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٥٣٩ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٥٨٠ .
(٦) محمود أبو السعود : الفكر الإسلامى المعاصر ، مضمونه ومستقبله ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ص ٣٥ .

وقد حدد الحق سبحانه وتعالى مهمة الإنسان فى هذا الكون بقوله : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾ [هود] .

وهذا يعنى « أن الله قد فوض إلى الإنسان عمارة الأرض ، والعمارة نقيض الخراب ، وتعنى تمهيد الأرض وتحويلها إلى حال يجعلها صالحة للانتفاع بها وبخيراتها ، والاستعمار فى الآية هو طلب العمارة ، فالإنسان مطلوب منه طبقاً للمشيئة الإلهية أن يجعل الأرض عامرة تصلح للانتفاع بها،وأن يبحث عن أفضل السبل لتيسير الحياة فيها ، كشف ما فى الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات من أجل خير البشرية جمعاء ، وقد أعطى الله الإنسان من الطاقات والاستعدادات والإمكانات ما يتناسب مع ما فى هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات ، فهناك تناسق بين القوانين الإلهية التى تحكم الأرض وتحكم الكون كله ، والقوانين التى تحكم الإنسان ، وما حباه الله به من قوى وطاقات ، حتى لا يقع التصادم بين هذه القوانين وتلك حتى لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون .

وعمارة الأرض تتحقق بالعلم الذى هو فريضة إسلامية ، وبالتقنية التى هى تطبيق للعلم ، ومن أجل ذلك تدخل تحت مفهوم الفريضة ، ولكن العمارة على هذا النحو هى أحد جوانب الحضارة ، أما الجانب الآخر الذى به تكتمل الحضارة ـ أو عمارة الأرض بالتعبير القرآنى ـ فإنه يشمل كل القيم الدينية والعقلية والأخلاقية والجمالية .

ومن هنا فإن الحضارة فى المفهوم الإسلامى تعنى تحقيق المشيئة الإلهية فى عمارة الأرض مادياً ومعنوياً ، وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة لله فى الأرض» (١) .

٣ ـ الإتقان :

لم يقتصر الإسلام على حث المسلم وحفزه إلى العمل ، إنما تجاوز ذلك إلى درجات الرقى والسمو ، إلى المطالبة بإتقان العمل وإخلاص النية فيه ؛ لأن الإسلام « يحرص على إتقان العمل وتجويده وتحسينه والإخلاص فيه وهو لا يرضى أن يؤدى مجرد أداء وإنما يدعو إلى أن يؤدى على خير وجه يحقق الغاية منه » (٢) .

ولهذا السبب جاء لفظ العمل مقروناً فى كتاب الله بكلمة العمل الصالح ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) ﴾ [الكهف] ، : « أى لانضيع أجر من أحسن وأتقن منهم عملاً » (٣) ، « ولقد خلق الله الحياة الدنيا لينظر أينا أحسن عملاً » (٤) ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ

(١) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ص ٣٦، ٣٧ .
(٢) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتيكتيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٣٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص ٣٩٥ .
(٤) المرجع السابق ، ج ١٨ ، ص ٢٠٧ .

﴿ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك] ، فعلة الحياة هى العمل المتقن .

وقد أحكم الله كل شىء وأتقنه وفى ذلك يقول تعـالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل] ، ومعناه : « أحسن كل شىء وأحكمه » (١) ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة] .

ويقول رسول الله ﷺ: « إن الله كتب الإحسان على كل شىء » (٢)، ويستدل من ذلك أن الإتقان مطلوب فى كل شىء يباشره الإنسان ، ولا يقتصر على مواطن معينة .

وقـال تعـالـى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف] ، أى « جعلنا ما على الأرض من النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ليختبركم أيكم أحسن عملاً » (٣) ، ويقول تعالى مؤكداً هذا المعنى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود:٧] .

إن الناظر فى الآيات السابقة يجد أن الأمر لا يتوقف على مجرد الاشتغال بمهنة بل يؤمر المسلم بالاتقان فيها ؛ ولهذا نجد أن إحكام العمل وإتقانه وإحسانه من أهم الأمور التى حفل بها القرآن الكريم ، فالآيات التى وردت فى هذا السبيل تقيم وزناً لإتقان العمل وإحسانه .

ولذلك فإن « رجل الحرفة أو المهنة مطالب بالخدمة فى الصنعة وإتقانها واعتبار ذلك عبادة من العبادات التى تقرب إلى الله بما تحقق للناس من نفع ، وبما فى إتقان العمل من تشبه بالله الصانع » (٤) .

وإذا كان الإسلام يغرى بتجويد العمل وإتقانه ؛ فذلك لأن العمل الجيد موضع استحسان وترقب وراحة للنفس العاملة والنفس المستعملة لمنتجاته ، وقد جعل الإسلام لإتقان العمل قيمة كبرى ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل]، وهذا « وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً من ذكر وأنثى من بنى آدم بأن يحييه الله حياة طيبة فى

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١٣ ، ص ٢٤٤ .

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٧٢ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص ٣٥٤ .

(٤) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه المهنى والحرفى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٣١ ، ١٣٢ .

الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله فى الدار الآخرة » (١) ، ونلاحظ فى الآية السابقة أن ذكر العمل جاء موصوفاً بالصلاح ولا يتأتى صلاحه إلا إذا أخذ حقه ممن يقوم به وابتغى به وجه الله وخلصت فيه النية وبذل فيه الوسع والطاقة .

إن حدود الإجادة والإتقان فى الإسلام تدور فى فلك الاستطاعة ، فقد كلف الله المسلم بإتقان عمله فى حدود استطاعته؛إذ يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) ﴾ [الأعراف] .

والمعنى : « إن الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم الصالحات وهو عمل سهل إذ لا نكلف نفساً إلا طاقتها ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٢) .

ويقدم القرآن الكريم مثلاً لإتقان العمل ويوضح أن جهد العمال واستخدام الأدوات وصهر الحديد وصب النحاس المذاب عليه أدى إلى إقامة سد صلب منيع ، بلغ من إتقانه أنه صد الأعداء عن البلاد ، وأن المغيرين على البلاد لم يستطيعوا أن يتسلقوا السد ويصعدوه لارتفاعه ؛ ولأنه أملس ، ولا أن يثقبوه لصلابته وبعد عرضه (٣) ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) ﴾ [الكهف]

وهكذا يتبين لنا أن : « الإسلام لم يطلب العمل العادى من العامل ، بل يطلب العمل الذى يستحوذ على بذل أقصى طاقات الإنسان » (٤) ، وبذلك يجود العامل العمل ويتقنه « فالغش والإهمال فى العمل دليل فساد الذمة ونومة الضمير » (٥) ، « والإقبال على العمل وإجادته هما أقصى ما يرجى من الإنسان ؛ لأنه فى العمل وحده تتجلى إنسانيته ويظهر فيه إبداعه » (٦) .

والمسلم لا يهمه كم الإنتاج بقدر ما يهمه « أن يجوده ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يراقبه فى عمله ويراه فى مصنعه أو

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٥٨٥ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٤٣٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١١ ، ص ٥٩ ـ ٦٢ .
(٤) فؤاد شندى : التنمية الاقتصادية فى الإسلام ، الأندلس للإعلام ، الجيزة ١٩٨٧م ، ص ٨٧ .
(٥) سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .
(٦) عبد السميع المصرى : مقومات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

مزرعته أو فى أى حال من أحواله » (١) .

ويدعو الإسلام الفرد المسلم إلى الإتقان والإجادة فى شخص داود عليه السلام ، إذ كان نبياً رائداً من رواد صناعة الدروع الحديدية فيقول تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ [سبأ] ، والمعنى : « أن اعمل يا داود دروعاً كوامل تامات واسعات وقدر فى الخامات فيما يجمع بين الخفة والحصانة ، فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة ، إنما نأمرك بالتقدير فى نسج حلق الدروع » (٢) .

إنها حقا صورة رائعة ! صورة نبى أمرنا الله أن نتأسى بها ، فهل آن للمسلمين أن يتفقهوا فى دينهم ليصلحوا به الدنيا ؟ !

« وإخلاص النية والرغبة فى تحسين العمل يؤدى إلى الإجادة والإتقان » (٣) ؛ ولذلك فليس بغريب أن يكون « التأكيد على الإتقان إتقان الدرس ، إتقان المهارة فى كل عمل يتعهده الفرد ضرورة تربوية » (٤) .

ولقد كان من نتيجة هذه النظرة الإسلامية أن نجد الغزالى ينصح المعلم بألا ينتقل مع المتعلمين من جانب معرفى إلى جانب معرفى آخر حتى يتقن الجانب الأول ، منبها بألا يخوض المتعلم « فى فن حتى يستوفى الذى قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً أو بعضها طريق بعض،والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) ﴾ [البقرة] ، أى لا يتجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً ، وليكن مقصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه » (٥) ، والبلوغ به إلى الإتقان .

كما أن « من وسائل إتقان العمل وتجويده وتحسينه أن يبذل الفرد المسلم أقصى جهده ليؤدى العمل فى دقة وإحكام وأن ينتفع بالعلم فى أسلوب أدائه ، وأن يستوعب الجديد فى مجاله لتنمية المهارة فيه وتطويره ،هذا إلى جانب المحافظة على أدوات الإنتاج وصيانتها والعناية بها أثناء الاستخدام وبعده ،علاوة على استخدامها بقدر طاقتها » (٦) .

إن العمل التعاونى فى المهنة من أساليب التعاون على البر ، وقد يصبح العمل التعاونى ضرورة ملحة لا سبيل للوصول إلى الإتقان بدونه ، وفى هذا المعنى يقول

---

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١٤ ، ص ١٤٠ .
(٣) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ .
(٤) محمد فاضل الجمالى : نحو تربية مؤمنة وفلسفة تربوية متكاملة لتحقيق مجتمع إسلامى ناهض ، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٧ ، ص ٨٢ .
(٥) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥٢ .
(٦) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » ثم شبك بين أصابعه (١) ، وفي هذا بيان وتشبيه على مدى اعتماد المؤمن على أخيه المؤمن وأن كلاً منهم في حاجة للآخر مثلما يعتمد البناء في الارتباط بين اللبنات ، ولا عجب أن نرى الدراسات الحديثة تهتم بالتعليم الجماعي داخل المدرسة ؛ لأنه يسهم بالتأكيد في إتقان العمل بل ويقلل من البطء الدراسي » (٢) .

ومما يجدر الإشارة إليه « أن التعاون الجماعي في العمل أصبح ضرورة لا محيص عنها ؛ لأن الجهد الفردي مهما كان بارعاً فهو محدود في نتائجه ، ودقته إذا قيس بالجهد الجماعي التعاوني ، والتعاون في العمل من الأسس التي تؤدي إلى نجاحه ، وقد اتسع مجال العمل حتى قل أن نجد عملاً ينفرد به شخص واحد ، فالمقعد الخشبي الذي يجلس عليه المتعلم اشترك في صنعه كثيرون ، الفلاح الذي غرس الشجرة ورعاها ، والعامل الذي اجتثها وحولها إلى قطعاً خشبية ، والصانع الذي صنع المسامير ، ثم النجار الذي أعد المقعد فإذا لم يحسن كل من هؤلاء عمله ، وإذا لم يتعاون الجميع على إتقانه حدث بالمقعد عيب أو عيوب ، وهكذا كل شيء يتسخدمه المتعلم من أدوات أو أشياء » (٣) .

والرقابة على المنتج أمر ضروري للوصول بالمنتج إلى حد الإتقان « ولقد عجزت المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية عن تقديم حلول نهائية لمشكلات العمل والعمال في مجال الرقابة على أداء العمل ، حيث يقوم صاحب العمل بالرقابة أو التفتيش على عماله ، بينما تتولى الدولة الرقابة على العاملين لديها ، وقد ثبت أنه ليس من السهل إيجاد هذه الرقابة بالنسبة لكل عامل أو موظف في موقعه ، بالنسبة لكل تصرف يأتيه في مجال عمله، بل إن بعض هؤلاء الرقباء في المجتمعات المعاصرة التي يتفشى فيها التسيب يحتاجون بدورهم إلى من يراقبهم ، وبذلك يدخل أرباب العمل أو الدولة في حلقات لا تنتهي من الرقابة والتفتيش، في حين أن الرقابة الإسلامية في الأساس أمر ذاتي ينبعث من داخل الفرد »(٤)، وهي نتيجة ما يسمى بالضمير الديني في العامل المسلم.

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾ [المجادلة] ، والمعنى :

(١) الإمام البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٨ ، ص ١٤٣ (كتاب الأدب) .

(2) Baker Rebecca , Acase Study of The Work Values of Vocational Cooperative and non Cooperative Students Op .c.i.t. P. 2275.

(٣) محمد كمال طه الحسيني : الاتجاه البوليتكنيكي في التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٤٤ .

(٤) محمد شوقي الفنجري : نحو اقتصاد إسلامي ، مرجع سابق ص ٩٨ .

« أن الله سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، فهو مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ثم ينبئهم به يوم القيامة » (١) .

ورغم تركيز الإسلام على الرقابة الذاتية أو ما يسمى ضمير الفرد ، فلم يهمل الرقابة الخارجية ، ووجد فى صدر الإسلام ما يسمى بالمحتسب يوكل إليه رقابة (الخبازين والجزارين والخياطين والحدادين والتجار والصاغة . . . إلخ) .

وكان رسول الله ﷺ يستعمل سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة ، ثم تعاقب الأمر فى عهد الخلفاء الراشدين فى أن يتولوا أمر مراقبة الأسواق وأصبحت الحسبة فى التاريخ الإسلامى مؤسسة من مؤسسات الدولة لها نظامها والمختصون بها (٢) .

٤ ـ الأخلاقية :

أمر الإسلام بكل عمل طيب ، ودائرة العمل الطيب الحلال واسعة ، وينهى عن كل عمل خبيث ؛ لأن الإسلام يشجع الكسب الحلال وبذل الجهد ، وينهى عن كل كسب ينتج عنه ضرراً أو يشوبه شبهة أو غش ، والعمل فى الإسلام أخلاقى بالدرجة الأولى « والمراد بالأخلاقية هنا هى ما يعبر عنه فى الأدب الإسلامى بـ (العمل الطيب) ويقابله (العمل الخبيث) وقد ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية آيات وأحاديث تدل على وجوب التمييز بين الأعمال على هذا الأساس » (٣) .

يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)** ﴾ [البقرة] .

وهو نداء عام للذين آمنوا يشمل جميع الأموال التى تصل إلى أيديهم ، تشمل ماكسبته أيديهم من حلال طيب وما أخرجه الله لهم من الأرض من زرع ومعادن وبترول (٤) .

إنه نداء إلى الإنفاق من الكسب الطيب دون غيره ، مما يدل على الارتباط بين الإيمان والكسب الطيب ، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٢٢ .

(٢) على السالوس : الاقتصاد الإسلامى ودور الفقه فى تأصيله ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، جماد الأول ١٤١١ هـ ، (مجلة الأزهر) ص ٦٣ .

(٣) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » ، دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

إن الحق سبحانه وتعالى يوصينا ويفرق لنا فى مثال بين العمل الطيب والعمل الخبيث . فيقول تعالى : ﴿ **وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)** ﴾ [النساء] ، أى أعطوا اليتامى أموالهم التى تحت أيديكم ولا تعطوهم الردىء فى مقابل الجيد ، كأن تأخذوا أرضهم الجيدة وتبدلوهم بأرضكم الرديئة ، أو ماشيتهم أو أسهمهم ، أو نقودهم وفى النقد الجيد ذى القيمة العالية والردىء ذى القيمة الهابطة ، أو أى نوع من أنواع المال فيه الجيد وفيه الردىء ، وكذلك لا تأكلوا أموالهم بضمها إلى أموالكم ، كلها أو بعضها ، وأن ذلك كان ذنباً كبيراً والله يحذركم من الذنب الكبير (١) .

تلك صورة من صور العمل الخبيث يبينها لنا الحق سبحانه وتعالى لنتجنبه وكل عمل مشابه له .

ويقول تعالى : ﴿ **قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)** ﴾ [المائدة]، أى لا يستوى الخبيث والطيب ولو كانت كثرة الخبيث تغرى وتعجب ، ففى الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف ، وما فى الخبيث من لذة إلا وفى الطيب مثلها على اعتدال وأمن من العاقبة فى الدنيا والآخرة (٢) ، فالخبيث لذته ذائلة ، أما الطيب فلذته باقية فى الدنيا والآخرة .

« الأعمال إذاً قد تكون طيبة وقد تكون خبيثة ، ولكن الإسلام يأمر بالطيب وينهى عن الخبيث » (٣) .

ويعدد الحق سبحانه وتعالى بعض الخبائث فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)** ﴾ [المائدة]

ولقد كانت الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من معالم الحياة الجاهلية ومن التقاليد المتغلغلة فى المجتمع الجاهلى ، وكانت كلها حزمة واحدة ذات ارتباط عميق فى مزاولتها وفى كونها من سمات ذلك المجتمع وتقاليده (٤) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ٥٧٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الثانى ، ص ٩٨٣ .

(٣) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر الإسلامى » ، دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الثانى ، ص ٩٧٣ .

« وهى دنسة لا ينطبق عليها وصف الطيبات التى أحلها الله » [1] ، ولذا جاءت العلة بالتحريم ؛ لأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أراد بداية أن يطهر المجتمع من تلك الخبائث التى كانت منتشرة فيه ، حتى يكون مؤهلاً لقبول منهج طيب يسير عليه « عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت آخر البقرة قرأهن النبى ﷺ عليهم فى المسجد ثم حرم التجارة فى الخمر » [2] ، وكذلك حرم رسول الله ﷺ بيع الخمر والخنزير والأصنام فقال : «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » فقيل : يا رسول الله ، أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال : « لا هو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « قاتل الله اليهود ، فإن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها ، فجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه » [3] .

وهكذا يتبين أن الإسلام فرض على المسلم أن يعمل بحرف ومهن طيبة لا تؤدى إلى ضرر للآخرين أو غشهم ولكن تؤدى إلى رفاهية ورخاء ، ولقد اهتم الإسلام بوسائل اكتساب المال وأمعن فى التفريق بين الحلال والحرام إمعاناً لم يسبق إليه قانون من قوانين العالم ، فهو يحرم كل عمل يضر به المرء غيره أو يجلب بسببه ضرراً خلقياً أو مادياً على المجتمع بأسره ، فقد حرمت الشريعة الإسلامية تحريماً باتاً الخمر وتعاطى المسكرات وبيعها وشراءها ، وكذلك البغاء ومهنة الرقص والغناء والميسر والقمار وأوراق اليانصيب والربا والغش وبيع الغرر ، والطرق التجارية التى لا تضمن النفع اليقينى إلا لأحد الفريقين دون الثانى ، وكذلك الاحتكار وغير ذلك من الصفات التى تعود على المجتمع بنوع من أنواع الضرر [4] .

وقد فهم السلف الصالح هذه المبادئ السامية التى تفرق بين العمل المشروع وغيره، فنجد أن عمر بن الخطاب أمر بتحريق حانوت كان يباع فيه الخمر ، وما يشبه ذلك ما فعله عمر بن الخطاب حين رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه [5] ، وإذا كان عمر بن الخطاب قد أتلف اللبن الذى شيب للبيع فلا يجوز التصدق به بطريقة أولى ، فإنه يحصل به عقوبة الغاش وزجره عن العود ، ويكون انتفاع للفقراء عنده فى المدينة ؛ ولهذا جوز طائفة من العلماء التصدق به وكرهوا إتلافه [6] ، لقد وجب على التربية المعاصرة أن تنمى تقوى الله فى القلوب ، فخشية المؤمن جزاء الله هى حجر الزاوية فى

---

(١) المرجع السابق والمجلد ، ص ٩٧٥ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٧ .

(٣) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٤١ .

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظام الحياة فى الإسلام ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٧ ، ص ٧٠ .

(٥) ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

الاشتغال بالحرف والمهن الطيبة ، وقد وضع الإسلام فائدة عامة فى الكسب مؤداها : أن ثمة ضوابط لاكتساب المال ومن ثم لم يبح لأبنائه جمع المال كيفما شاءوا أو بأى طريقة أرادوا ، بل فرق لهم بين الطرق المشروعة لاكتساب المال والطرق غير المشروعة في اكتسابه . فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)** ﴾ [النساء] ، وأكل الأموال بالباطل يشمل كل طريقة لتداول الأموال بينهم لم يأذن بها الله ونهى عنها، ومنها الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات ، وجميع أنواع البيوع المحرمة، والربا فى مقدمتها ، واستثنى العمليات التجارية التى تتم عن تراض بين البائع والشارى (١) .

أى أن هذه الآية قد شرطت مشروعية التجارة فى أمرين :

الأول : أن يكون عن تراض بين الفريقين .

والثانى : ألا يكون منفعة فريق قائمة على خسارة الفريق الآخر .

لأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حين يقول: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ فهذا تعقيب يجىء بعد النهى عن أكل الأموال بالباطل ، فيوحى بالآثار المدمرة التى ينشئها أكل الأموال بالباطل فى حياة الجماعة ، إنها عملية قتل يريد الله أن يرحم الذين آمنوا منها ، حين ينهاهم عنها ، وإنها لكذلك ، فما تروج وسائل أكل الأموال بالباطل فى جماعة بالربا والغش والقمار والاحتكار والتدليس والاختلاس والاحتيال والرشوة والسرقة وبيع ماليس يباع كالعرض ، والذمة ، والضمير ، والدين ، إلا وقد كتب عليها أن تقتل نفسها (٢) .

وسوف نتناول بعض النماذج للحرف والمهن التى نهى عنها الإسلام لما يترتب عليها من أضرار متعددة على الفرد والمجتمع .

أ ـ الخمر والميسر :

نهى الإسلام عن تناول الخمور والاقتراب من الميسر فقال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)** ﴾ [البقرة] ، وبالنظر فى هذه الآية نجد « أن الله سبحانه وتعالى لم يدع شيئاً من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة ، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة ، ولكن أوجب

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ .

عليهم الشرائع تدريجياً مرة بعد مرة ، فكذلك تحريم الخمر ، وهذه أول ما نزل فى الخمر » (١) ،إلى أن نزل قوله تعالى : « ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) ﴾ [المائدة] وإثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور ، وزوال العقل وتعطيل الصلوات إلى غير ذلك ، أما منفعة الخمر فكانت فى تجارته حيث كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها بربح » (٢) .

وفى هذا دليل على صناعة الخمر والتجارة فيها فى عهد رسول الله ﷺ ، وإلا لما أنزلت آيات التحريم تنهى المسلمين عن تعاطيها والاتجار فيها ليطيب كسبهم « عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر » (٣) ، كما نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن الميسر ، « والميسر قمار العرب ، قال ابن عباس : كان الرجل فى الجاهلية يقامر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بماله وأهله ، فنزلت الآية السابقة » (٤) .

ب ـ نحت الأصنام :

كانت حرفة نحت الأصنام موجودة فى عهد رسول الله ﷺ وفى العهود السابقة له ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) ﴾ [مريم] ، والمعنى : « أن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه آزر : يا أبت، لأى شىء تعبد الأصنام ؟ » (٥) ، إنه منطق غريب حقاً أن يعبد الإنسان ما يصنع بيده؛ ولذلك قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) ﴾ [الأنبياء] ، ولما كانت هذه الأصنام عاجزة عن أن تحمى نفسها فقد هوى عليها إبراهيم عليه السلام فكسرها وجعلها فتاتاً ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) ﴾ [الأنبياء] (٦) ، مما سبق نستدل على وجود حرفة نحت التماثيل فى عهود سابقة على الإسلام ، كما وجدت صناعة الأصنام أيضاً فى العهد الإسلامى الأول ، ولكن الإسلام نهى عنها ، فقد جاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ « حين دخل مكة فاتحاً أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت » (٧) ، ويقصد بالآلهة الأصنام التى كان المشركون يؤلهونها .

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٥ ـ ٥٧ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٠ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٢٩٧ .
(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨ .

جـ ـ السحر :

وجد السحر منذ عهد فرعون لعنه الله إذ رمى موسى وأخاه عليهما السلام بأنهما ساحران : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) ﴾ [طه] . وتوعد فرعون أن يهزم موسى فسوف يأتيه بكل سحار عليم ،وبالفعل قد جمع السحرة : ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) ﴾ [طه] ، وجاء الوقت المحدد فاجتمع السحرة وموسى ، وماكان من الله إلا أن كتب النصر لموسى عليه السلام ؛ إذ يقول تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) ﴾ [طه] .

هذه نماذج من الأعمال والمهن التى حرم الإسلام الاشتغال بها ، لما يمكن أن تسببه من أذى للفرد والمجتمع ، بينما ترك الباب مفتوحاً لسواها من المهن والحرف التى تساعد على عمارة الكون وحسن قيام الإنسان بدوره فى تلك الحياة .

٥ ـ جزاء المهنة :

لما كان لكل عامل قدرات ومواهب معينة فإن حقه فى الأجر يجب أن يتناسب مع قدراته ومواهبه ، فإنقاص الأجر عما يستحقه العامل عن عمله ظلم وبخس للعامل ، وقد حذر الحق سبحانه وتعالى من ذلك فقال على لسان شعيب : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) ﴾ [الشعراء] ، « وقد بدأ شعيب قومه بما بدأ به كل رسول قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر ، فقد كان قومه يأخذون بالقسر والغصب زائداً عن حقهم ، ويعطون أقل من حق الناس » (١) .

لذا نهى الله أن ينقصوهم مما يستحقونه شيئاً ؛ ولهذا كانت دعوة من الله إلى البشر فى صورة قوم شعيب أن يعطوا الأجير حقه وألا ينقصوا منه شيئاً ، فالأجر حق للعامل: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) ﴾ [الأحقاف]، أى : « لا يظلم العاملون مثقال ذرة فما دونها » (٢) ، فإعطاء الأجيرحقه تشبه بالخالق

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٢٦١٥ .

(٢) الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

عز وجل ، وإن عدم الوفاء بأجر العامل لظلم له ، وقد حذر رسول الله ﷺ من الظلم فقال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (١) ، فمتى أدى العامل عمله فقد أصبح أجره أمانة لدى صاحب العمل يجب الوفاء به ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) ﴾ [النساء] .

« ومن هذه الأمانات التعامل مع الناس ، ورد أماناتهم إليهم ، أمانة المعاملات والودائع المالية » (٢)، فإعطاء الأجير حقه من الأمانة التى أوجبها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على المؤمنين به ، وأنها لمن الإيمان .

وشدد رسول الله ﷺ على المقصرين فى أداء هذه الأمانة فقال ﷺ : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره » (٣) .

والجزاء للمهنة ينقسم إلى جزاء دنيوى (مادى) وجزاء أخروى ، وقد وعد الله بالجزاء الأخروى على لسان نبيه : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقه » (٤) .

ويستدل من هذا الحديث أن الجزاء جزاء فى الدنيا ويتمثل فيما يجب أن يحصل عليه الفرد مقابل عمله وجزاء من قبل الله سبحانه وتعالى .

إن العمل لابد أن يقابله أجر قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[التوبة : ٦٠] ، ويعنى أنه « لابد أن يأخذ العامل على الصدقة كالساعى والكاتب والقسام وغيرهم أجرة على عملهم » (٥) .

إن الإسلام يحث المسلم على ممارسة العمل الاقتصادى ، ويضع بجوار الحافز الاقتصادى حافزاً آخر هو الحافز الدينى ، الذى يغرس فى نفس المسلم بأنه يتقرب إلى الله ويتعبد له « فالإسلام يحفز على العمل بما أعده للعامل من الأجر الأخروى إلى

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١١ .
(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الثانى ، ص ٦٨٩ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٨ (كتاب البيوع) .
(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٧٨ .

جانب الأجر الدنيوي ،وبالعامل الروحي الذي يتمثل في الظفر بحب الله ورضاه »[1].

ومن أمثلة الجزاء الدنيوى والأخروى ما يذكره الله فى القرآن الكريم : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ [الطلاق] ، أى : « مخرجاً من الضيق فى الدنيا والآخرة ،ورزقاً من حيث لا يقدر ولا ينتظر ،وهو تقرير عام وحقيقة دائمة ، نجدها ويجدها كل عاقل بصيراً بأمور الحياة » [2] .

وقد يترتب على العمل الخير فى الآخرة مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) ﴾ [الكهف] ، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾ [غافر] ، أى : « أن العمال إذا ما وصلوا إلى الجنة بعد الحساب على أعمالهم رزقهم الله فيها بغير حساب » [3] ، وذلك جزاء أعمالهم الدنيوية ومن ثم فإن اقتصار حوافز العمل على النواحى الدنيوية فقط وعلى النتيجة المباشرة يبتر هذه الحوافز ويجعلها ترتكز على جانب واحد دون الآخر . إن العمل مطلوب فى الدنيا والآخرة ولا جزاء فيها للفرد إلا بناء على عمله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١) ﴾ [النجم] ، « فما يحسب للإنسان إلا كسبه وعمله لا يزاد عليه شيء من عمل غيره ، ولا ينقص منه شيء ليناله غيره ، بل سينال كل امرئ جزاء سعيه وافياً كاملاً لا نقص فيه ولا ظلم » [4] .

إن الجزاء للمهنة قاعدة إسلامية أصيلة ركز عليها الإسلام فيقول تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) ﴾ [الكهف] ؛ لذلك قال للعبد الصالح الذى قام ببناء الجدار : إنك مادمت قمت بعمل فإنك مستحق بذلك أجرا ، ولكن الرجل الصالح شغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل ! [5] .

وكان هذا خروجاً على المتعارف ، كما دعا شعيب موسى أن يأخذ أجر ما سقى لبنتيه فقال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ

---

(١) جمال الدين عياد : نظام العمل فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد السادس ، ص ٣٦٠١ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٣٠٨٣ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد السادس ، ص ٣٤١٥ .

(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٢٨١ .

أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) ﴾
[القصص]

« ويجيء مشهد السحرة بحضرة فرعون قبل المباراة يطمئنون على الأجر والمكافأة إذا كانوا هم الغالبين ، ويتلقون الوعد بالأجر الجزيل والقربى من عرشه » (١) ، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) ﴾[الشعراء]، ففى هذه الآيات يعلن الإسلام من غير لبس أو غموض أن كل عمل لابد وأن يتبعه أجر وأن العمل لا يكون إلا بأجر ، وإلا أصبح خروجاً على ما شرعه الله ، فالإسلام يحرم السخرة التى عرفتها ومارستها شعوب كثيرة ، على مر التاريخ ، ومن ذلك ماكان سائداً فى أوروبا خلال العصور الوسطى التى سادها نظام الإقطاع (٢) ، وإذا كانت المهن والحرف هى السبيل الطبيعى لكسب المعاش ولبقاء الإنسان على قيد الحياة ، ولتحقيق ذلك لابد من الأجر على الحرفة والمهنة ، « ولابد أن يكون مستوى الأجر عند الحد الذى يكفل البقاء على الأقل » (٣) ، أى أنه لا يجوز أن يهبط مستوى الأجر عن الحد الذى يكفل إشباع الحاجات الأساسية وحصوله على مسكن مناسب ؛ لأنه « إذا كان العامل يعيش فى مسكن لا تتوافر فيه الشروط الصحية فإن قدرته على احتمال التعب تهبط فى سن مبكرة ، كما تهبط فى أثناء ساعات العمل بعد فترة وجيزة من بداية يوم العمل ، وإذا كان نصيبه من الغذاء الحيوى أقل من المستوى الضرورى للإبقاء على حيوية الآدمى فإن النتائج هى ماتقدم بيانه » (٤) .

إن « العمال يكونون الطبقة العاملة فى المجتمع ، وتقضى العدالة بأن هؤلاء الذين يقومون بتغذية المجتمع وإعداد مسكنه من حقهم أن يأخذوا حقهم من الإنتاج العام ، ولا أقل من أن يسهل أمامهم وسائل التغذية والإسكان » (٥) ؛ لأن العامل الذى لا يكفى أجره ضروريات الحياة يجد نفسه فى حرج بالغ ؛ لأنه إما أن يرتشى أو يلجأ إلى العمل الإضافى مما ينتج عنه تقصير فى أداء عمله الأساسى ، أو يفكر فى هجرة البلاد فيخسر المجتمع طاقته الإنتاجية كلها . فلابد أن يكون الجزاء للمهنة كافياً مغطياً الإنفاق على الأسرة والنفس ، ومما يشير إلى هذا المعنى « ماحدث بين أبى عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب ﷺ ، حينما قال أبو عبيدة لعمر : دنست أصحاب رسول الله ﷺ - يقصد أنه استخدم بعض الصحابة فى جباية الخراج، وربما يغريهم المال فتمتد إليه أيديهم بغير حق - فقال عمر : يا أبا عبيدة ، إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة دينى فبمن

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٢٥٩٥ .
(٢) عبد السميع المصرى : مقومات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .
(٣) عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .
(٥) إبراهيم الغطريفى: العمل والإنتاج، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، ١٩٥٦م، ص ٥٠ .

أستعين ؟ فقال أبو عبيدة : أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة ، يقصد إذا استعملتهم على شيء فأجزل لهم فى العطاء والرزق حتى لا يحتاجوا » (١) ، فيتأثر بذلك عملهم وبيوتهم .

« وإذا كانت مسألة ربط الأجر بالحاجة ، أو حد الكفاية قد يؤدى إلى الإهمال فى العمل وموت الكفاءات ، فإن الأوفق ربط الجزاء بالمهنة وليس بالحاجة فعلى قدر مهنته وحرفته وعلى قدر موهبته يأخذ أجره ، ولكل حرفة جزاء معين حسب طبيعتها ، ثم يعال أصحاب الحاجات الذين لا تكفيهم أجورهم من بيت المال بقدر ما يكفيهم » (٢) ؛ لأن الإسلام الذى قرر تكافؤ الفرص فى السعى المشروع لا يحتم المساواة فى ثمار هذا السعى وقد أظهر ابن جماعة فى آرائه التربوية وعياً بضرورة الربط بين العمل والجزاء ؛ لأن هذا من شأنه أن يشجع الطالب المصيب أن يثبت لديه مهارات العمل الجيد ، وأن يتعلم الطالب المخطئ أوجه الخطأ فيتلاشاها فيما بعد (٣) ، كما يجب على المسلم أن يرد كل جزاء للمهنة مادام بدون وجه حق ، وقد روى عن أبى سعيد الساعدى قال : استعمل النبى ﷺ رجلاً من الأزد على الصدقة فجاء بالمال فدفعه إلى النبى ﷺ فقال : هذا لكم وهذه هدية أهديت لى ، فقال له النبى ﷺ : « هلا قعدت فى بيت أبيك وأمك فتنتظر أيهدى إليك أم لا ؟ » (٤) ، فأى هدية تهدى لا تأتى للإنسان إلا عن طريق وظيفته ، فالدولة أحق بها منه ، وقد فرض الإسلام على صاحب العمل إعطاء الأجير حقه إذا أجرى العقد بين الطرفين طبيعياً دون ضغط أو إكراه ، وقد تقع مساومات بين صاحب العمل والعامل عند العقد ، وذلك أن صاحب العمل يتمتع بمركز قوى ، أما العامل فيكون مركزه دون ذلك ، خاصة فى الأيام التى يكثر فيها البطالة فقد يضطر العامل أن يشتغل عند صاحب العمل بأجر زهيد لا يكافئ جهده ومهارته لينفق هذا الأجر على نفسه وعائلته ، فإن العامل فى هذه الحالة لم يعقد هذا العقد الذى فيه من الغبن ما فيه ، ولم يشتغل عند صاحب العمل إلا وهو مضطر إلى ذلك . فقرر الإسلام أن هذا العقد فى مثل هذه الحالة فاسد ، فيعطى الأجير أجرة المثل (٥) ، وأجرة المثل يقدرها الخبراء الخالون من الأغراض .

« إن الجزاء لا يترتب إلا على العمل البشرى وحده ، ولا جدال فى أن هذا هو

---

(١) أبو يوسف بن إبراهيم : الخراج ، نشره قصى بن محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ ، ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٣) ابن جماعة (بدر الدين ابن أبى إسحاق إبراهيم بن أبى الفضل سعد الله بن جماعة الكنانى) : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٤هـ ، ص ٥٤ .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١١ .

(٥) إبراهيم النعمة : العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

المبدأ الأساسى للتملك والكسب فى الإسلام » (١) ، والقاعدة فى الإسلام أن يكون الأجر بحسب العمل دون ظلم أو بخس، ولقد وعد الله عباده بالجزاء العادل لكل عمل يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة] ، « إنهم ذاهبون إلى حيث تعرض أعمالهم ليواجهوا جزاءها مهما صغرت » (٢) ، فالإسلام ليس فيه عمل دون جزاء يكافئ هذا العمل .

والخلاصة التى يمكن الخروج بها فى ضوء ماسبق أن التربية الإسلامية قد حققت الأهداف التى تصبو إليها التربية المعاصرة ، والتى تتمثل فى ضرورة ربط الأجر بالمهنة ربطاً كاملاً ، حتى يعمل العاملون فى جو من الراحة والأمان ؛ لأنهم يدركون أن عملهم لن يضيع هباء ، وأنه على قدر العمل واستحسانه يكون الجزاء ، بل إن التربية الإسلامية قد امتازت فى مناهجها بالعناية بالرقابة الإلهية والجزاء الأخروى الذى تتجاهله التربية المعاصرة مما دفع العاملون فى الإسلام إلى إتقان العمل والمثابرة عليه ، فكانت الحضارة الإسلامية والعمران الإسلامى ثمرة لتلك الأصول الإسلامية للحرف والمهن .

---

(١) سيد قطب : معركة الإسلام والرأسمالية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد السادس ، ص ٣٩٥٥ .

الفصل الرابع

التصنيفات المختلفة للمهن والحرف

يشتمل هذا الفصل على :

١ ـ تصنيف المهن والحرف فى العصر الحديث :

أ ـ تصنيف المهن والحرف تباعا للتصنيف المهنى القومى .

ب ـ تصنيف المهن والحرف حسب التعداد العام للسكان .

جـ ـ التصنيف المهنى حسب قاموس الألقاب المهنية .

د ـ التصنيف الصناعى .

هـ ـ تصنيف المهن والحرف حسب الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء .

٢ ـ تصنيف المهن والحرف عند المسلمين :

أ ـ تصنيف إخوان الصفا للمهن والحرف .

ب ـ تصنيف الإمام الغزالى للمهن والحرف .

جـ ـ تصنيف عبد الرحمن الشيرزى للمهن والحرف .

د ـ تصنيف ابن الأخوة للمهن والحرف .

هـ ـ تصنيف الخزاعى التلمسانى للمهن والحرف .

و ـ تصنيف ابن بسام للمهن والحرف .

ز ـ تصنيف ابن خلدون للمهن والحرف .

ح ـ تصنيف السيد محمود شكرى الألوسى للمهن والحرف .

ط ـ تصنيف عبد الحى الكتانى للمهن والحرف .

التصنيفات المختلفة للمهن والحرف

١ ـ تصنيف المهن والحرف فى العصر الحديث

يحاول هذا الفصل إعطاء فكرة مبسطة ومكثفة عن التصنيفات المختلفة للمهن والحرف فى كل من عصرنا الحديث ، وعصورنا الإسلامية الزاهرة ، وذلك حتى يظهر مدى التشابه والاختلاف بين تلك التصنيفات. ولكى يكون ذلك تمهيداً للحديث عن الحرف والمهن فى القرآن والسنة وهو موضوع الفصل التالى .

والتصنيف هوترتيب الوظائف إلى أنواع وتجميعها فى مجموعات وفئات على أساس تشابهها فى صفة أو أكثر . ويتوقف تحديد الصفة أوالصفات على الغاية من التصنيف فإذا كانت الغاية من التصنيف معرفة عدد الوظائف فى كل محافظة أو قطاع مثلاً فتصنيف الوظائف يتم على أساس الموقع الجغرافى (١) ، « فيتم حصر المهن الموجودة فى قطر أو منطقة جغرافية معينة ، ثم جمع المعلومات الوافية عنها ،ودراستها بصورة مستفيضة ثم تصنيفها فى مجموعات طبقاً للتماثل فى العمل الذى يؤدى ، وليس على أساس المؤهلات أو المركز الوظيفى أو مستوى المهارة أوالصناعة » (٢) .

« وإذا كانت الغاية من التصنيف معرفة عدد الموظفين شاغلى الوظائف من حملة الشهادات الجامعية أوغيرها من الشهادات ، فإن التصنيف يتم على أساس المؤهلات العليا . وإذا كانت الغاية من التصنيف معرفة قيمة نفقات الوظائف فى الدولة ، فإن التصنيف يتم على أساس الراتب . . . إلخ ، وقد اتخذت واجبات الوظائف ومسئولياتها ودرجة صعوبتها أساساً لتصنيف الوظائف ؛ لأنها تساعد من جهة على معرفة المؤهلات والخبرة اللازمة لاشتغال الوظيفة وعلى تحديد الراتب المناسب لها من جهة ثانية ، والوظيفة هى مفتاح التصنيف ونعنى بالوظيفة مجموعة من الواجبات والمسئوليات المحددة من قبل مرجع ما ليقوم بأدائها شخص ما يسمى الموظف ، وتحتفظ الوظيفة بهويتها الشخصية وبصفاتها المميزة لها سواء كانت مشغولة أو شاغرة.

ويمكن أن تكون الوظيفة دائمة أومؤقتة أى لفترة محددة ، ويتوقف راتب كل موظف على نوع العمل الذى يقوم به ، فلا أهمية فى هذا الشأن للشخص الذى يقوم

---

(١) فوزى حبيشى :تصنيف الوظائف وتحديد رواتبها ،المنظمة العربية للعلوم الإدارية،مركزالبحوث الإدارية ، ١٩٧٢، ص٧.

(٢) أحمد زكى بدوى : معجم المهن والحرف ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩ ، ص٣.

بهذا العمل أو لثقافته أو لمستواه العملى والعقلى ، فقد يكون حامل شهادة جامعية ولكن عمله سهل مثل الكاتب فيكون راتبه راتب الكاتب لا راتب الحائز على شهادة جامعية فالراتب للوظيفة فقط » (١) ، وقد يلجأ علماء الاجتماع والاقتصاد فى تصنيفهم لأنواع الإنتاج إلى تطور هذه الأنواع من البساطة إلى التعقيد ، فمثلاً كانوا يعتقدون أن الإنسان قد بدأ أولاً بنوع من الإنتاج بسيط وهوالصيد البرى أوالبحرى ، ثم توصل بعد ذلك إلى الرعى ، وأخيراً وصل إلى الزراعة . غير أن الأبحاث التى أجراها علماء الجغرافيا البشرية قد أثبتت أن هذا مجرد وهم لا يمثل الواقع فى شىء ؛ لأن الصيد البرى بمعنى الكلمة يستلزم أسلحة ومعدات نستعين بها ، وهذه المعدات كالقوس مثلاً مجهولة من كثير من الشعوب البدائية التى تجهل المعدات والأسلحة التى تبلغ درجة معينة من التطور . ثم إن هناك مجتمعات يعد أصحابها من الصيادين البحريين المهرة ، ولكنهم مع ذلك يجهلون قوارب الصيد وطرق استخدامها ، ومن ثم كان لا بد من وجود مرحلة سابقة على مرحلة الصيد البرى والبحرى وهى مرحلة جمع المواد الغذائية (٢) .

وقد اهتمت مختلف الدول بوضع تصنيف مهنى يمكن الاستفادة منه فى المجالات المختلفة التى تمس القوى العاملة من بعيد أو قريب . « وأى تصنيف مهنى يمكن التوصل إليه ، إنما يعكس مدى ما أحرزه المجتمع من تقدم اقتصادى أو اجتماعى أو تكنولوجى » (٣) . ولقد « قدرت المهن فى الولايات المتحدة الأمريكية (مثلاً) بحوالى ٣٠٠٠٠ مهنة ، ومن الجلى أنه لا يستطيع شخص مهما أوتى من قوة الذاكرة أن يعى هذا العدد الضخم ؛ ولذا فقد صنفت المهن بنفس الطريقة التى تصنف بها الكتب فى المكتبة العامة ، وإن اختلف الأسلوب المتبع فى التصنيف. وتصنيف المهن والحرف بوسائل مختلفة حسب الغرض من التصنيف » (٤) .

أ ـ تصنيف المهن والحرف تبعاً للتصنيف المهنى القومى (٥) :

يسمى التصنيف الذى أساسه نوع العمل الذى يقوم به الفرد : التصنيف بحسب المهنة أوالتصنيف المهنى(٦) . (occupational classification) .

---

(١) فوزى حبيشى : تصنيف الوظائف وتحديد رواتبها ، مرجع سابق ، ص ٧ ، ٨ .

(٢) حسن شحاته سعفان : دراسات فى علم الاجتماع الاقتصادى ، أصدره معهد البحوث و الدراسات العربية ، المطبعة العمالية بالقاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٤١ .

(٣) أحمد زكى بدوى : معجم المهن والحرف ، مرجع سابق ، ص ٣ .

(٤) سيد عبد الحميد مرسى : سيكولوجية المهن ، دراسة علمية تطبيقية للمهن و أثرها فى الفرد و المجتمع ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٢٢ .

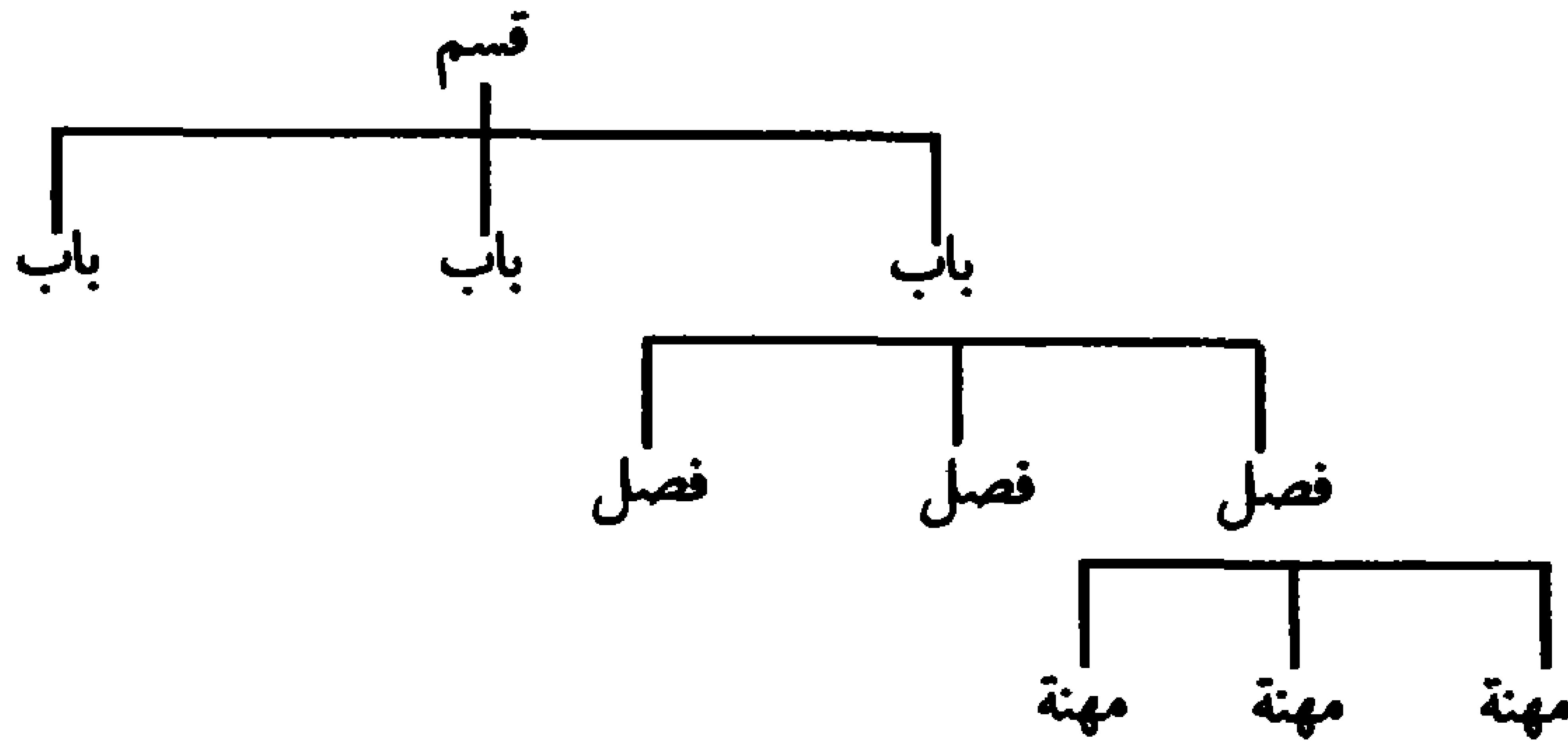
(٥) اللجنة المركزية للإحصاء : التصنيف المهنى القومى ، مطبعة مصر ، ١٩٦٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٧ .

« وتقسم المهن فى التصنيف المهنى إلى عدد من المجموعات الرئيسية بحيث تكون بين مهن كل مجموعة رئيسية علاقة محددة ، ثم تقسم كل مجموعة رئيسية إلى عدد من المجموعات الفرعية بحيث تكون بين المهن الداخلة فى كل مجموعة فرعية علاقة أكثر وضوحاً وتحديداً من العلاقة العامة بين مهن المجموعة الرئيسية ، ثم تقسم كل مجموعة فرعية إلى عدد من المجموعات الصغيرة ، بحيث تكون بين المهنة الداخلة في كل مجموعة صغيرة علاقة أكثر وضوحاً وتحديداً من العلاقة بين المجموعة الفرعية. ثم تقسم كل مجموعة صغيرة إلى مهن. ويطلق على المجاميع الرئيسية بالإنجليزية (major groups) وقد اتفق على تسميتها « أقسام رئيسية ويطلق عليها المجاميع الفرعية بالإنجليزية (minor groups) وقد اتفق على تسميتها فصولاً » [1] .

« ويعتبر التصنيف المهنى القومى أساساً لمعظم التصنيفات المهنية القومية ، قد صدر هذا التصنيف فى أول الأمر سنة ١٩٥٧ ، ثم عدل فى سنة ١٩٦٨ » [2] ، ويمتاز بأنه «يحتوى على درجات مختلفة من التفصيل (تمثل المستويات المختلفة من التصنيف) كما يمكن استعمال أية درجة منها تبعاً للغرض الذى تهدف إليه ، كما أنها تمتاز بأنها تحتوى على وصف (تعريف) لكل قسم وباب وفصل ومهنة ، مما يوحد المفهوم لدى الجميع ويمنع الالتباس » [3] .

« ويوضح الرسم المرفق الشكل العام للتصنيف المهنى » [4] .



قسم (٠) :

ويختص هذا القسم بالذين يقومون بالأبحاث ويطبقون الوسائل والمعلومات العلمية

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) أحمد زكى بدوى : معجم المهن والحرف ، مرجع سابق ، ص ٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥ .

(٤) اللجنة المركزية للإحصاء : التصنيف المهنى القومى ، مرجع سابق ، ص ٩ .

على المسائل المختلفة فى التكنولوجيا والاقتصاد والاجتماع والصناعة ، والذين يقومون بمهام فنية متعلقة بالأبحاث العلمية وتطوير وممارسة العلوم ، والذين يؤدون الأعمال الدينية والتعليمية والقانونية والفنية والأدبية ، والمصنفون فى هذا القسم يقومون بأعمال تحتاج فى العادة إلى تدريب نوع معين فى جامعة أومعهد فنى أو شبه ذلك ويشمل الآتى :

- المعماريون .
- المهندسون [مدنيون - كهربائيون - ميكانيكيون - كيميائيون - تعدين - مناجم - (آخرون مثل مهندس كفاية إنتاجية - بناء سفن - أمن صناعى)] .
- المساحون : الذين يشرفون ويشتركون فى الأنواع المختلفة من مساحة الأراضى والمساحة المائية .
- المشتغلون بعلوم الكيمياء والطبيعة والجيولوجيا وغيرها من العلوم الطبيعية .
- الكيميائيون - الفيزيائيون - الذين لم يصنفوا فى مكان آخر ، الأخصائيون فى علم الأحياء والبيطرة والزراعة ومن إليهم - الأطباء البيطريون - المتخصصون فى علم الأحياء ، وعلماء الحيوان الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- المتخصصون فى الزراعة والغابات والحدائق .
- الأطباء والجراحون وأطباء الأسنان . - المرضات والقابلات .
- الصيادلة - أخصائيو النظارات الطبية - مهنيون فى الشئون الطبية الأخرى - المدرسون - مدرسو الجامعات - مدرسون آخرون .
- رجال الدين ومن إليهم - رجال القانون - المشتغلون بالقانون .
- الفنانون والكتاب - الرسامون والمثالون ومن إليهم من الفنانين .
- الممثلون والموسيقيون والراقصون ومن إليهم من الفنانين .
- القائمون بتدريس التمثيل والموسيقى والرقص . - الرسامون والفنيون فى الهندسة .
- أصحاب المهن الفنية والعلمية ومن إليهم (المراقبة - الإشراف - دراسة المشاكل الاقتصادية) .
- المحاسبون . - الأخصائيون الاجتماعيون .
- أمناء المكتبات وأمناء المحفوظات . - الاقتصاديون والإحصائيون .
- أصحاب المهن الفنية والعلمية ومن إليهم الذين يصنفون فى مكان واحد (١) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٥١ .

قسم (١) :

يختص هذا القسم بالذين يضعون السياسة العامة ويشتركون فى وضعها بحكم عملهم كأعضاء معينين أومنتخبين فى الهيئات التشريعية المركزية والإقليمية والمحلية ، والذين يشرفون على تطبيق القوانين والقواعد الإدارية . وتشمل الآتى :

- موظفو الحكومة ، الإداريون والتنفيذيون .
- أعضاء مجالس الإدارة والمديرون وأصحاب الأعمال المشتغلون فيها .
- أعضاء مجالس الإدارة والمديرون وأصحاب الأعمال المشتغلون فيها (فى المناجم) والمحاجر والصناعة الإنتاجية والإنشائية ومرافق الكهرباء والغاز والمياه والمرافق الصحية .
- أعضاء مجلس الإدارة والمديرون (فى تجارة الجملة والتجزئة) .
- أعضاء مجلس الإدارة والمديرون وأصحاب الأعمال المشتغلون فيها (فى البنوك وغيرها من المؤسسات المالية والتأمين والتعامل فى العقارات) .
- أعضاء مجالس الإدارة والمديرون وأصحاب الأعمال المشتغلون فيها (فى النقل والمواصلات والتخزين) .
- أعضاء مجالس الإدارة والمديرون وأصحاب الأعمال المشتغلون فيها (فى أعمال الخدمات) .
- أعضاء مجالس الإدارة والمديرون وأصحاب الأعمال المشتغلون فيها (الذين لم يصنفوا فى مكان آخر) (١) .

قسم (٢) :

يختص هذا القسم بالمشتغلين فى جمع وترتيب وإمساك سجلات مكتوبة عن المعاملات المالية أو أى نوع آخر من النشاط التجارى ونقل قيم نقدية لحساب المؤسسة أو لعملائها ونسخ نصوص شفوية أو تحريرية وتأدية أعمال مكتبية أخرى . ويشمل الآتى :

- ماسكو الدفاتر والصرافون .
- المختزلون والكاتبون على الآلة الكاتبة .
- المشتغلون بالأعمال الكتابية المتنوعة .
- المشتغلون على الآلات المكتبية .
- المشتغلون بالأعمال المكتبية الذين لم يصنفوا فى مكان آخر (٢) .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٩ ـ ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ ـ ٧٤ .

قسم (٣) :

يختص هذا القسم بالمشتغلين بالبيع أو بوظائف مرتبطة ارتباطاً مباشراً ببيع السلع والخدمات بكافة أنواعها ، والذين يديرون أعمالاً تجارية بالجملة أوبالقطاعى لحسابهم الخاص . ويشمل الآتى :

- أصحاب الأعمال المشتغلون فيها والذين يعملون فى تجارة الجملة .
- أصحاب الأعمال المشتغلون فيها والذين يعملون فى تجارة التجزئة .
- وسطاء بيع عقود التأمين والعقارات والأوراق المالية والخدمات ودلالو المزادات .
- الجوالون التجاريون ووكلاء المصانع .
- الباعة ومساعدو البيع بالمحلات ومن إليهم .
- الباعة المتجولون والباعة فى الأسواق المتنقلة وباعة الصحف .
- الباعة ومساعدو البيع فى المحلات ومن إليهم الذين لم يصنفوا فى مكان آخر (١) .

قسم (٤) :

يختص هذا القسم بالمشتغلين فى (أوالذين يساعدون فى) الزراعة والغابات والصيد وصيد الأسماك أوالأعمال المتعلقة بذلك . ويشمل الآتى :

- المزارعون ومديرو المزارع .
- عمال الزراعة الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- صيادو البر وما يرتبط بهم من أعمال .
- صيادو البر ومن إليهم .
- صيادو السمك ومن إليهم .
- قاطعو الأشجار وغيرهم من عمال الغابات (٢) .

قسم (٥) :

المشتغلون فى هذا القسم يقومون باستخراج المواد الصلبة والمواد نصف السائلة والمواد السائلة والغازات من الأرض ، كما يقومون بمعالجتها حتى تكون صالحة للاستعمال المباشر أولاستعمالها فى أغراض صناعية أخرى . وتشمل :

- المشتغلون فى المناجم والمحاجر .
- المشتغلون بأعمال حفر الآبار ما إليها .
- المشتغلون بمعالجة مستخرجات المناجم .
- المشتغلون فى المناجم والمحاجر ومن إليهم ممن لم يصنفوا فى مكان آخر (٣) .

(١) المرجع السابق ، ص ٧٥ ـ ٧٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨١ ـ ٨٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨٩ ـ ٩٤ .

قسم (٦) :

يختص هذا القسم بالمشتغلين بصفة مباشرة فى حركة وإدارة وسائل نقل المسافرين والبضائع وفى تبادل المواصلات . وتشمل الآتى :

- الضباط والتنفيذيون .
- الضباط والتنفيذيون والمرشدون على السفن .
- الضباط والمهندسون بالسفن .
- صف ضباط القسم التنفيذى والقسم الهندسى بالسفن .
- صف ضباط السطح بالسفن .
- صف ضباط القسم الهندسى والوقادون والزياتون بالسفن .
- قائدو الطائرات وملاحوها والمهندسون الجويون .
- سائقو قطارات السكة الحديد ووقادوها .
- سائقو النقل البرى .
- سائقو المركبات الميكانيكية .
- سائقو المركبات التى يجرها الحيوان وسائقو الحيوانات .
- السائقون الذين يدفعون عرباتهم بأنفسهم .
- المحصلون والفرملجية فى السكة الحديد .
- المفتشون والمشرفون ومراقبى الحركة فى النقل .
- المفتشون والمشرفون على حركة النقل .
- مراقبو وملاحظو الحركة فى النقل .
- عمال تشغيل التليفونات والتلغراف وما إليها من الاتصالات السلكية واللاسلكية .
- عمال تشغيل التليفونات والتلغراف .
- عمال تشغيل المواصلات اللاسلكية .
- موزعو البريد والسعاة .
- المحصلون فى النقل البرى .
- المشتغلون فى أعمال النقل والمواصلات الذين لم يصنفوا فى مكان آخر (١) .

قسم (٧ ، ٨) :

يختص هذا القسم بالمشتغلين فى العمليات الصناعية ، والمشتغلين فى إنشاء وصيانة وإصلاح الأنواع المختلفة من الطرق والمنشآت ، والماكينات ، وغيرها من المنتجات ، كما يختص بأولئك الذين يتصل عملهم اتصالاً مباشراً بهذه العمليات. وتشمل الآتى :

- عمال الغزل والنسيج والتريكو والصباغة ومن إليهم .
- المشتغلون فى تجديد الألياف .
- عمال الغزل والتدوير .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٥ - ١٠٩ .

- عمال النسيج وعمال تجهيز الأنوال للعمل .
- عمال التريكو وعمال ضبط ماكينات التريكو.
- عمال تجهيز كرتون الجاكارد . - عمال تبييض وصباغة وتجهيز المنسوجات .
- عمال صناعة المنسوجات وما إليها الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- الخياطون وعمال قص الأقمشة وعمال صنع الفراء ومن إليهم .
- الخياطون وصانعو الملابس . - خياطو الفراء ومن إليهم .
- عمال صنع القبعات وأغطية الرأس . - أعمال التنجيد ومن إليهم .
- صانعو نماذج الأزياء - وعمال نقل النماذج على الأقمشة وعمال المنتجات المصنوعة من الأقمشة والملابس الجلدية والقفازات .
- عمل الحياكة والتطريز فى منتجات الأقمشة والفراء والملابس الجلدية والقفازات .
- الخياطون وعمال قص الأقمشة وعمال صنع الفراء ومن إليهم الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال تفصيل وتجهيز وحياكة الجلود . - عمال صنع وإصلاح الأحذية .
- عمال التفصيل والتجهيز والحياكة فى صناعة الأحذية ومن إليهم .
- السروجية .
- عمال صنع المنتجات الجلدية الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال الأفران وعمال درفلة وسحب وسبك المعادن ومن إليهم من عمال صنع ومعالجة المعادن .
- عمال أفران المعادن .
- عمال المعالجة الحرارية ومن إليهم . - عمال تشغيل ماكينة درفلة المعادن .
- عمال الحدادة . - عمال سباكة المعادن .
- عمال سحب المعادن .
- عمال صنع أو تهيئة المعادن الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- صناع الأجهزة الدقيقة والساعاتية والجواهرجية ومن إليهم .
- صناع وعمال إصلاح الأجهزة الدقيقة والساعات .
- الجواهرجية وصناع الذهب والفضة . - عمال الحفر على المجوهرات .
- صانعو العدد وآلات التشغيل . - برادو التراكيب .

- عمال تشغيل آلات الورش .
- براد والتجميع وعمال تركيب الآلات .
- ميكانيكيوالإصلاح .
- عمال تشغيل الألواح المعدنية الرقيقة .
- سمكرية الأدوات الصحية والمواسير .
- اللحامون وعمال القطع باللهب .
- عمال الإنشاءات وعمال الألواح المعدنية السميكة وعمال الإنشاءات المعدنية .
- عمال الطلاء الكهربائى وعمال الطلاء بالغمس والتغريق ومن إليهم .
- عمال المعادن الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- الكهربائيون ومن إليهم من عمال الكهرباء والإلكترونيات .
- كهربائيو تركيب المعدات الكهربائية والإلكترونية .
- كهربائيو إصلاح الراديو والتليفزيون .
- عمال تركيب وإصلاح التليفونات والتلغرافات .
- عمال الخطوط الكهربائية ووصل الكابلات .
- عمال الكهرباء والإلكترونيات الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- النجارون ونجارو التركيبات ونجارو البراميل ومن إليهم .
- نجارو الأثاث .
- النشارون وعمال توضيب ماكينات النجارة وعمال تشغيلها .
- عمال تشغيل الأخشاب الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- النقاشون ولاصقو ورق الجدران .
- النقاشون ولاصقو ورق الجدران من المشتغلين فى أعمال الإنشاءات والصيانة .
- عمال البناء بالطوب وعمال البياض وعمال الإنشاءات الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال البناء بالطوب والأحجار وعمال التبليط .
- عمال البياض .
- عمال بياض الأسمنت وعمال الموزايك .
- عمال المواد العازلة .
- عمال تركيب الزجاج .
- عمال الإنشاءات الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- الجماعون والطباعون والمجلدون ومن إليهم .
- صفافو الحروف يدوياً وآلياً .
- الطباعون .
- عمال صب الفرم (استريوثيب) والنكلشة (الجلفانو) .

- عمال الحفر بالطباعة . - الحفارون فوتوغرافياً .
- عمال التجليد ومن إليهم .
- عمال الطباعة الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال الخزف وعمال الأفران وعمال تشكيل الزجاج والصلصال ومن إليهم .
- عمال تشكيل الزجاج وقطعه وتجليخه وتشطيبه .
- صناع الخزف والصلصال ومواد التجليخ .
- عمال أفران الزجاج والسيراميك . - مزخرفو الزجاج والسيراميك .
- عمال الزجاج والسيراميك الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- العجانون والخبازون وعمال صناعة البيرة ومن إليهم من عمال الأغذية والمشروبات .
- عمال طحن الحبوب وما يتعلق بها من منتجات .
- الخبازون وصانعو الفطائر . - صانعو الحلوى من السكر والشيكولاتة .
- صناعو البيرة والنبيذ ومن إليهم .
- عمال معالجة وتبريد وطبخ الأغذية ومن إليهم من التعبئة فى العلب والأغذية المحفوظة.
- الجزارون وعمال تقطيع اللحوم . - عمال صناعة منتجات الألبان .
- عمال تصنيع المواد الغذائية الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال العمليات الكيماوية وما يتعلق بها من عمليات الإنتاج .
- عمال الطبخ وعمال التحميض وغيرهم من عمال المعالجة الحرارية فى العمليات الكيماوية والعمليات المتعلقة بها .
- عمال السحق والطحن والكندرة فى العمليات الكيماوية والعمليات المتعلقة بها .
- عمال تجهيز عجينة الورق . - صناعة الورق .
- عمال العمليات الكيماوية والعمليات المتعلقة بها الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال تجهيز الدخان وصنع منتجاته . - عمال صنع السيجار .
- عمال صنع الدخان الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- أصحاب الحرف وعمال العمليات الإنتاجية الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال صنع السلال (الأسبتة) وعمال صناعة الأثاث من القش والخيزران وما يماثلها من مواد ومن إليهم .

- أعمال صنع الإطارات وعمال فلكنة المطاط ومن إليهم من عمال صنع منتجات المطاط .
- عمال صنع منتجات البلاستيك .
- عمال الدباغة وعمال شلح الصوف وعمال صقل الفراء ومن إليهم .
- عمال التحميض الفوتوغرافى . - صانعو الآلات الموسيقية ومن إليهم .
- عمال قطع ونحت الأحجار . - عمال صنع منتجات الورق .
- أصحاب الحرف وعمال العمليات الإنتاجية المختلفون والذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال التعبئة ولصق بطاقات التمييز ومن إليهم .
- عمال تشغيل الماكينات الثابتة ومعدات الحفر والرفع ومن إليهم .
- عمال تشغيل الماكينات الثابتة والمعدات المتعلقة بها ووقادو المراجل البخارية .
- عمال تشغيل الأوناش وآلات الرفع . - عمال تشغيل نقل المواد .
- عمال تركيب وخرز الحبال والأسلاك .
- عمال تشغيل ماكينات تحريك الأتربة والماكينات الأخرى المستعملة فى عمليات الإنشاء الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- عمال تشغيل مواد نقل المواد .
- عمال تزييت وتشحيم الماكينات الثابتة والسيارات والمعدات المتعلقة بها .
- عمال الشحن والتفريغ ومن إليهم .
- الفعلة والعتالون الذين لم يصنفوا فى مكان آخر (١) .

قسم (٩) :

يختص هذا القسم بالمشتغلين بأعمال خدمات الأمن (الحماية) العامة والخاصة والخدمات الشخصية والمنزلية وخدمات التصوير والنشاط الرياضى والترفيهى . وتشمل الآتى :

- رجال المطافئ ورجال الشرطة والحرس . - رجال المباحث .
- الحراس ومن إليهم الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .
- مديرو المنازل والطهاة والخادمات ومن إليهم .
- الخدم والوصفاء (الشماشرجية) ومن إليهم من عمال الخدمة الذين لم يصنفوا فى مكان آخر .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١ - ٢١٤ .

ـ النُدُلُ (١) وعمال المقاهى وعمال الحانات ومن إليهم .

ـ المشتغلون برعاية المبانى ونظافتها ومن إليهم .

ـ فراشو المبانى . ـ عمال نظافة المنازل ومن إليهم .

ـ الحلاقون والمشتغلون بتصفيف الشعر والتجميل ومن إليهم .

ـ عمال الغسيل والتنظيف الجاف والكى .

ـ الرياضيون المحترفون والمشتغلون بالرياضة ومن إليهم .

ـ المصورون وعمال تشغيل آلات التصوير ومن إليهم .

ـ المحنطون والحانوتية .

ـ المشتغلون بالخدمات الرياضية والترفيه الذين لم يصنفوا فى مكان آخر (٢) .

قسم (س) :

وتشمل الآتى :

ـ عمال جدد يبحثون عن عمل .

ـ المشتغلون بحرف غير محددة أولم توصف بدقة .

ـ عمال لم يبلغوا عن حرفهم (٣) .

ب ـ تصنيف المهن والحرف حسب التعداد العام للسكان :

حاول الكثيرون من الأخصائيين تصنيف المهن فى فئات حتى عام ١٩٣٩ دون استخدام أسس معيارية ، وكانت النتيجة الحتمية لذلك أن أنشئت عدة تصنيفات جاءت وليدة المحاولات الفردية ، وكان بعضها أبجدياً والآخر حسب تصنيف متبع أوملائم لكافة الظروف ، ولم تساعد هذه الجهود الفردية التى اتبعت فى التصنيف على الاستفادة من المعلومات المهنية بطريقة فعالة ، وفى عام ١٩٣٩ أنشئ أول تصنيف مهنى معيارى وقد قسم هذا التصنيف المهنى إلى عشرة مجموعات رئيسية هى :

١ ـ الزراعة . ٢ ـ أعمال الغابات وصيد الأسماك .

٣ ـ التعدين . ٤ ـ الصناعات العامة والميكانيكية .

٥ ـ النقل والمواصلات . ٦ ـ الحرف (الصناعات اليدوية) .

٧ ـ الخدمات العامة . ٨ ـ الخدمات المهنية .

---

(١) النُدُلُ : بضمتين : خَدَمُ الدَّعْوة . القاموس : ندل .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٥ ـ ٢٢٧ . (٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

٩ ـ الخدمات المنزلية والشخصية . ١٠ ـ المهن الكتابية [1] .

« وقد قام مكتب التعداد بجمع البيانات عن هذه المنوعات من المهن خلال فترة عشر سنوات منذ عام ١٩٣٠ ، وقد اتضح أن هذا التصنيف به فوضى ونقص مما استدعى مراجعة عام ١٩٤٠، وجاء التعداد المهنى عام ١٩٤٠ وافياً بعد مراجعة النظم السابقة للتصنيف ثم روجع بعد ذلك عام ١٩٥٠، واشتمل على ٤٥ مهنة مقسمة إلى ١١ مجموعة أساسية مع إعطاء أرقام محورية لها » [2] .

وفيما يلى تصنيف المهن والحرف حسب ما ورد فى التصنيف المهنى لمكتب التعداد عام ١٩٥٠ :

- الأعمال المهنية والفنية وما أشبهه .
- أعمال الفلاحة والزراعة وإدارة المزارع .
- المديرون والمسئولون والملاك .
- الأعمال الكتابية .
- أعمال المبيعات .
- العمال المهرة .
- العمال أنصاف المهرة .
- الأعمال المنزلية .
- أعمال الخدمة العامة .
- العمال الزراعيون والملاحظون الزراعيون .
- العمال غير المهرة [3] .

جـ ـ التصنيف المهنى حسب قاموس الألقاب المهنية :

قامت وزارة العمل الأمريكية بمشروع بحث قومى كان من نتيجته (قاموس الألقاب المهنية) والذى نشر عام ١٩٣٩ .

وقد قام التصنيف المهنى بالقاموس على أساس تقسيم جميع المهن إلى سبع مجموعات رئيسية ، وقسمت هذه المجموعة بدورها إلى مجموعات فرعية ، وفيما يلى المجموعات المهنية الأساسية والمجموعات الفرعية المشتقة منها :

*** المهن الفنية والإدارية : وتنقسم إلى :**

- المهن الفنية .
- المهن شبه الفنية .
- المهن الإدارية والرسمية .

*** المهن الكتابية والمبيعات : وتنقسم إلى :**

- المهن الكتابية .
- المبيعات وما أشبهه .

---

(١) سيد عبد الحميد مرسى : سيكولوجية المهن ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٦ .

* مهن الخدمات العامة : وتنقسم إلى :

- الخدمات المنزلية . - الخدمات الشخصية .

- الخدمات الوقائية . - خدمات البناء .

* المهن الزراعية والصيد وأعمال الغابات وما أشبهه : وتنقسم إلى :

- المهن الزراعية وفلاحة البساتين وما أشبهه .

- أعمال الصيد . - أعمال الغابات .

- المهن الدقيقة . - المهن شبه الدقيقة .

- المهن غير الدقيقة (١) .

د - التصنيف الصناعى :

يمكن تصنيف الصناعات بنفس الطريقة التى صنفت بها المهن فى قاموس الألقاب المهنية ، ولقد مر التصنيف الصناعى بنفس المرحلة العشوائية التى مر بها تصنيف المهن ويشتمل التصنيف الصناعى على عشر مجموعات أساسية هى (٢) :

أ - الزراعة والغابات والصيد : وتشمل :

المزارع - الزراعة بأنواعها - الغابات - صيد السمك .

ب - المعادن والتعدين : وتشمل :

تعدين المعادن - تعدين فحم الأنتراسيت - تعدين القار - البترول الخام - تعدين المواد غير المعدنية .

جـ - أعمال الإنشاءات : وتشمل :

إنشاءات المبانى - الإنشاءات العامة - الإنشاءات الخاصة (٣) .

د - المصنوعات : وتشمل :

المهمات - الأغذية - صناعة الدخان - صناعة النسيج - المصنوعات الأخرى الصوفية وغيرها - المنتجات الخشبية - صناعة الأثاثات - صناعة الورق - الطباعة والنشر - المنتجات الكيميائية - منتجات البترول والفحم - منتجات المطاط - المنتجات الجلدية - منتجات الخزف والزجاج - الصناعات المعدنية الأولية - المنتجات المعدنية المشغولة - الآلات (عدا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، نقلاً عن :

USES : Dictionary of occupational Titles (3 vols) . Washington . D . C Government printing office , 1949 .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٨ . (٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

الكهربائية) ـ الآلات والمعدات الكهربائية ـ تجهيزات المواصلات ـ المعدات الفنية والعلمية وأدوات التصوير والساعات ـ صناعات متنوعة (١) .

هـ ـ المواصلات ووسائل النقل والمرافق العامة : وتشمل :

السكك الحديدية ـ خطوط السكك الحديدية والأتوبيسات بالمدينة والضواحى ـ عربات النقل ومستودعات البضائع ـ وسائل نقل متنوعة وخطوط أنابيب البترول ـ النقل المائى ـ النقل الجوى ـ الخدمات المتصلة بالمواصلات ـ المواصلات البعيدة المدى (اللاسلكى وما أشبهه) ـ الخدمات الصحية والمرافق الأخرى (٢) .

و ـ تجارة الجملة والتجزئة : وتشمل :

تجارة الجملة عن طريق التجار ـ تجارة الجملة بخلاف التجار ـ تجارة التجزئة (الأخشاب ومواد البناء) ـ تجارة القطاعى (البضائع العامة) ـ تجارة القطاعى (الأغذية) ـ تجارة القطاعى (متعهدات العربات) ـ تجارة القطاعى (الملابس) ـ تجارة القطاعى(الأثاثات) ـ تجارة القطاعى (محلات الطعام والشراب) ـ تجارة القطاعى (متنوعات) .

ز ـ الماليات والتأمين والعقارات : وتشمل :

البنوك ـ الأوراق المالية ـ شركات الاستثمار ـ البورصة والاستيراد والتصدير ـ شركات التأمين ـ خدمات التأمين ـ العقارات ـ خدمات مشتركة من التأمين والعقارات (٣) .

ح ـ الخدمات : وتشمل :

الفنادق وما فى حكمها ـ الخدمات الشخصية ـ خدمات عامة لم يسبق ذكرها ـ إصلاح السيارات ـ خدمات إصلاح متنوعة ـ السينما ـ خدمات الترفيه ـ الخدمات الطبية ـ الخدمات القانونية ـ الخدمات التعليمية ـ الخدمات المهنية ـ المتاحف والمعارض ـ عضوية الهيئات ـ المنازل الخاصة .

ط ـ الأعمال الحكومية .

ى ـ الأعمال التى لم يسبق تصنيفها (٤) .

هـ ـ تصنيف المهن والحرف حسب الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء :

قام الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء بعمل دراسة مستفيضة لموضوع التصانيف رأى من خلالها أن أشملها وأكثرها تفصيلاً هو التصنيف العربى الموحد

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

للنشاط الاقتصادى ورأى أنه يتمشى مع الصورة الحديثة لأنشطة الإنتاج بتفصيل يسمح بالمقارنة ، كما أنه يتلاءم مع التصانيف العالمية التى تأخذ بها هيئة الأمم المتحدة (١) ، ورأى أن التصنيف المناسب للصناعة كالآتى :

١ ـ استغلال المناجم والمحاجر : ويشمل :

التعدين ـ التنقيب عن خامات المواد غير المعدنية واستخراجها ـ عمليات التجهيز واستخراج الزلط والرمل ـ استخراج الطين والصلصال ـ استخراج الفحم والبترول والغاز الطبيعى ـ استخراج المياه المعدنية والجوفية (٢) .

٢ ـ المواد الغذائية والمشروبات والطباق : وتشمل :

طحن الحبوب وأوجه النشاط المتصلة بها ـ اللحوم وصناعتها (ما عدا التعبئة فى العلب) ـ اللبن ومنتجاته ـ حفظ الأغذية ـ السكر والحلويات والصناعات المتصلة بها ـ صناعات غذائية أساسها التحضير (الخل ، الخمائر ، البيرة) ـ صناعة المشروبات غير الكحولية ـ صناعة الطباق ـ الصناعات الغذائية الأخرى (تحميص وتعبئة البن ـ الشاى والكاكاو ـ الثلج ـ المثلجات ـ الفول السودانى . . .) (٣) .

٣ ـ صناعة المنسوجات : وتشمل :

القطن والصناعات المتصلة به (الحلج ، الغزل ، النسيج ، الأقمشة ، الفوط ، البشاكير ، القطن الطبى) ـ الصوف (التحضيرات الأولية ، الغزل ، النسيج ، إنتاج الجوخ ، ويشمل جميع المؤسسات التى تقوم بتلبيد الأقمشة الصوفية سواء نسيج أو تريكو ، صناعة اللباد) ـ الحرير الطبيعى والصناعى والألياف الصناعية (النسيج ، وغير ذلك) ـ الألياف النباتية الخشنة [نسيج الجوت (ويشمل المؤسسات التى تقوم بعمليات التنقيح والغزل والنسيج للجوت) ، نسيج الكتان] .

صناعات نسيج مختلفة (الصباغة ، الطباعة والتجهيز النهائى ، صناعة القطيفة والحرير والقطن ، وصناعة السجاد والأكلمة ، صناعة الخراطيم . . . إلخ) (٤) .

٤ ـ نشاط لإنتاج سلع للاستعمال الشخصى : وتشمل :

التفصيل وصناعة الملابس ـ صناعة الملبوسات الأخرى المختلفة (القفازات ، المظلات ، الطرابيش ، القبعات) ـ المنتجات الجلدية والفراء وما شابهها (لا تشمل المطاط) ـ التنجيد والسروجية ـ متنوعات (صناعة الفرش والمقشات ـ الخوص ـ حلاق الشعر . . . وغير ذلك) (٥) .

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء (رئاسة الجمهورية) : التصنيف العربى الموحد للنشاط الاقتصادى (الصناعة) ، أكتوبر ، ١٩٦٥ ، ص ١ ، ٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥ ـ ٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ ـ ١٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣ ـ ١٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٧ ـ ١٩ .

٥ ـ الصناعات الكيماوية : وتشمل :

صناعة الوقود السائل ومواد التزييت وفحم الكوك وغاز الاستصباح ـ صناعة الزيوت والدهون والصابون ـ الصناعات الكيماوية الثقيلة والأسمدة ـ إنتاج الكيماويات العضوية (فيما عدا الكيماويات الطبية) ـ إنتاج الفخار والأسمنت والجير والجبس ـ صناعة الزجاج ـ أوجه نشاط كيماوى مختلفة ـ إنتاج العقاقير والروائح ومواد التجميل (١) .

٦ـ الصناعات المعدنية : وتشمل :

صناعة الحديد ـ صناعة المعادن غير الحديدية ـ عمليات الخراطة والتشكيل ـ الماكينات والآلات وأجزاؤها ـ الصناعات الدقيقة ـ صناعة وسائل النقل على الطرق (التجميع والإصلاح) ـ عربات السكك الحديدية والترام والترولى باس (صناعتها ، تجميعها ، إصلاحها) ـ صناعة وسائل النقل البحرى والنهرى والجوى (٢) .

٧ ـ الصناعات الكهربائية : وتشمل :

الآلات والصناعات المتصلة بها ـ الأجهزة الكهربائية ـ السلع الكهربائية ـ الأجهزة والمعدات اللاسلكية .

٨ ـ النقل والمواصلات : وتشمل :

النقل على الطرق ونشاطها ـ النقل البحرى والنهرى ـ السكك الحديدية ـ النقل الجوى ـ وسائل الاتصال .

٩ ـ أنشطة مختلفة أخرى : وتشمل :

المرافق العامة (تنقية المياه ، المجارى ، إنشاء الطرق والكبارى . . . إلخ) ـ تشكيل الورق وصناعة اللوازم المصنوعة من الورق المقوى (الكرتون) ـ الطباعة والنشر وما يتعلق بها ـ الصناعات الخشبية ـ الملاهى والسياحة (٣) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠ ـ ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦ ـ ٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨ ـ ٥١ .

٢ ـ تصنيف المهن والحرف عند المسلمين

كانت هذه إلمامة سريعة عن تصنيف الحرف والمهن فى عصرنا الحديث ، وتحاول الدراسة هنا أن تعطى فكرة سريعة عن تصنيف تلك الحرف والمهن عند مجموعة قليلة من علماء المسلمين علها تعطى فكرة عن واقع تلك الحرف والمهن فى العصور الإسلامية الزاهرة ، وسنكتفى بإيراد عدد قليل من تلك التصنيفات كنموذج للعطاء الإسلامى فى هذا المجال .

أ ـ تصنيف إخوان الصفا للمهن والحرف :

ـ إخـوان الصفا اسم اتخذته جماعة من المفكرين الذين حاولوا مزج الدين بالفلسفة،وقد ظهرت فى القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى (٣٧٣ هـ ـ ٩٨٣ م) .

ويرى إخوان الصفا أن هناك صنائع دعت الضرورة إليها مثل :

١ ـ الحراثة . ٢ ـ الحياكة . ٣ ـ البناء .

يتبين ذلك من قولهم: « إن من الصنائع ما هى بالقصد الأول دعت الضرورة إليها، ومنها ما هى تابعة لها وخادمة ، ومنها ما هى متممة لها ومكملة ، ومن الصنائع ما هى جمال وزينة ، فأما التى بالقصد الأول فثلاثة وهى : الحراثة والحياكة والبناء » (١) .

ثم يشرح إخوان الصفا المهن والحرف الخادمة لهذه المهن الثلاثة فيقولون : « وأما سائرها فتابعة وخادمة ومتممة ، وذلك أن الإنسان لما خلق رقيق الجلد عرياناً من الشعر والصوف والوبر والريش دعته الضرورة إلى اتخاذ اللباس لصناعة الحياكة ، ولما كانت الحياكة لا تتم إلا بصناعة الغزل ، وصناعة الغزل لا تتم إلا بصناعة الحلج فصارت هذه الثلاث تابعة لها وخادمة . وأيضا لما كان اللباس لا يتم إلا بالحياكة فسارت صناعة الخياطة والقصارة والرفو والطرز متممة لها ومكملة ، وأيضا لما خلق الإنسان محتاجاً إلى القوت والغذاء وهما لا يكونان إلا من حب النبات وثمر الشجر ، دعت الضرورة إلى صناعة الحراثة والغرس ، ولما كانت الحراثة محتاجة إلى إثارة الأرض وحفر الأنهار ولا يتم هذا إلا بصناعة النجارة والحدادة ، دعت الضرورة إلى اتخاذها ، وصناعة الحديد محتاجة إلى صناعة المعدن وإلى صنائع أخرى ، فصارت كلها تابعة وخادمة لصناعة الحراثة والغرس » (٢) ، « ولما كان حب الزرع وثمر الشجر يحتاج إلى الدق

---

(١) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء : عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى ، المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة العربية ، القاهرة ، ج ١ ، ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٨٢ م ، ص ٢١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

والطحن ، دعت الضرورة إلى اتخاذ صناعة الطحن والعصر ، ولما كان الطحن لا يتم الغذاء به إلا بعد الخبز ، دعت الضرورة إلى صناعة الخبز والطبخ . وكل واحد منهما محتاج إلى صناعة أخرى متممة لها وخادمة ، ولما كان الإنسان محتاجاً إلى ما يكفه من الحر والبرد والتحرز من السباع ، دعته الضرورة إلى صناعة البناء ، وصناعة البناء محتاجة إلى النجارة والحدادة وكل منها محتاجة إلى صناعة أخرى معينة ، أو متممة بعضها لبعض ، وأما صناعة الزينة والجمال فهما كصناعة الديباج والحرير وصناعة العطر وما شاكلها » (1) .

مما سبق نلاحظ أن إخوان الصفا يرون أن هناك حرفا ومهنا خادمة للمهن الثلاثة الضرورية وهي :

١ ـ مهنة الحراثة :

وتقوم على مهنة الحراثة عدة حرف خادمة لها مثل :

النجارة ـ الحدادة (صناعة الحديد) ـ صناعة المعادن ، وصنائع أخرى .

وتكون متممة لها عدة حرف مثل : الدق والطحن والعصر ـ الخبز ـ الطبخ .

وكل من الدق والطحن والعصر والخبز والطبخ تحتاج إلى حرفة أخرى متممة لها .

٢ ـ مهنة الحياكة :

وتقوم على مهنة الحياكة عدة حرف خادمة لها مثل :

الغزل ـ الحلج ـ الخياطة ـ القصارة ـ الرفو ـ الطرز .

وكل من هذه الحرف تحتاج إلى حرف أخرى متممة لها وخادمة .

٣ ـ مهنة البناء :

وتقوم على مهنة البناء عدة حرف خادمة لها مثل :

النجارة ـ الحدادة .

وكل من هذه الحرف تحتاج إلى حرف أخرى متممة لها وخادمة .

كما يرى إخوان الصفا « أن بعض الصنائع تحتاج إلى الماء كصناعة الملاحين والسقائين والروائين والسباحين ومن شاكلهم ، ومنها ما تحتاج إلى التراب كصناعة حفر الآبار والأنهار والقبور وكل من ينقل التراب ويقلع الأحجار . ومنها ما تحتاج إلى النار كصناعة النفاطين والوقادين والمشعلين ، ومنها ما تحتاج إلى الهواء كصناعة الزمارين والبواقين والنفاخين ، ومنها ما تحتاج إلى الماء والتراب كصناعة الفخارين والقدورين

---

(1) المرجع السابق ص ٢١٨ .

وكل من يبل التراب. ومن الصنائع ما يحتاج الأجسام المعدنية مثل الحدادين والصفارين والرصاصين والزجاجين والصواغين ومن شاكلهم . ومن الصنائع ما تحتاج إلى أصول النبات كصناعة النجارين والخواصين والبوارين والحصريين والأقفاصيين ومن شاكلهم . ومنها ما تحتاج إلى لحاء النبات كصناعة الكتانين ومن يعمل القنب ومن شاكلهم . ومنها ما تحتاج إلى الحشائش وزهر النبات وورق الشجر كصناعة الدقاقين والعصارين والبزارين ومن شاكلهم . ومنها ما تحتاج إلى الحيوان كصناعة الصيادين ورعاة الغنم والبقر وساسة الدواب والبياطرة وأصحاب الطيور ومن شاكلهم . ومنها ما تحتاج إلى أحد الأجسام الحيوانية مثل القصابين والشوائين والطباخين والدباغين والأساكفة والسيوريين والدنانين والحذائين ومن شاكلهم . ومن الصنائع ما تحتاج إلى مقادير الأجسام كصناعة الوزانين والكيالين ومن شاكلهم . ومن الصنائع ماهى موضوع فيها قيمة الأشياء كصناعة الصيارفة والدلالين (١) .

ويرى إخوان الصفا أن هناك بعض الصنائع أشرف من الأخرى ، تلك الصنائع الشريفة هى :

صناعة آلات الرصد مثل الاسطرلاب وذوات الحلق - صناعة الصواغين - ضرب الدنانير - الحمامين والسمادين والكناسين - العطارين - المشعبذين - المصورين - الموسيقيين (٢) .

وعموما نستطيع القول بأن تصنيف المهن والحرف عند إخوان الصفا كالتالى :

١ - صنائع ضرورية : وتشمل :

الحراثة - الحياكة - البناء .

٢ - صنائع خادمة (٣) .

٣ - صنائع شريفة : وتشمل :

صناعة آلات الرصد - صناعة الأكر الممثلة بصورة الأفلاك - صناعة الدنانير - ضرب الدنانير - الحمامين والسمادين والكناسين - العطارين - المشعبذين - المصورين - الموسيقيين .

٤ - صنائع متممة : وتشمل :

الملاحين - السقائين - الروائين - السباحين - حفارى الآبار والأنهار والقبور وحامل التراب وقالع الحجارة - الوقادين والمشعلين - الزمارين والبواقين والنفاخين - الفخارين

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٥ . (٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٣) ارجع إلى ص ١٥٤ من الرسالة .

والقدوريين ـ الرصاصين والزجاجين والصواغين ـ الخواصين ـ الحصريين ـ الأقفاصيين ـ الكتانين ـ العصارين ـ البياطرة ـ مربى الطيور ـ الشوائين ـ الدباغين ـ الأساكفة ـ السيوريين ـ الدنانين ـ الوزانين والكيالين ـ الصيارفة ـ الدلالين ـ الخطباء والشعراء والقضاة والقراء ـ النائحة ـ الرقاص ـ الماسح ـ النداف ـ الكاتب ـ الحلاج ـ دقاق الأرز .

٥ ـ صناعة الزينة والجمال : وتشمل الصنائع الآتية :

صناعة الديباج ـ صناعة الحرير ـ صناعة العطر وما شاكلها .

وعموما نستطيع القول بأن إخوان الصفا يرون : « أن أكثر الصنائع أهلها متفاوتون فى منافعها كاختلافهم فى الملبوسات والمأكولات والمشروبات والمسكونات » (١) أى أنهم يرون أن الصنائع تختلف باختلاف الزمان والمكان .

ب ـ تصنيف أبى حامد الغزالى للمهن والحرف :

ولد الإمام أبو حامد الغزالى سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م ، وتوفى سنة (٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م) .

ويرى الغزالى : « أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقراً ووطناً ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام :

أحدها : أصول لا قوامة للعالم دونها وهى أربعة : الزراعة وهى للمطعم ، والحياكة وهى للملبس ، والبناء وهو للمسكن ، والسياسة وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

والثانى : ما هى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها كالحلاجة والغزل ، كما أنها تخدم الحياكة بإعداد آلاتها .

والثالث : ما هى متممة للأصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة ، وكالقصارة للخياطة والحياكة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملتها فإنها ثلاثة أضرب أيضا . إما أصول كالقلب والكبد والدماغ ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين . وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

السياسة بالتأليف والاستصلاح ؛ ولذلك تستدعى هذه الصناعات من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ؛ ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع » (١) .

ويستكمل الغزالى حديثه فيقول : « إن أصول الصناعات من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل والحجامة والخياطة ، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم ودرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك ، وأما ما يعد فضلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة فى القدر المحتاج إليه » (٢) .

أى أن الغزالى يرى أن المهن والحرف تنقسم إلى :

١ ـ مهن ضرورية دعت الحاجة إليها وتشمل :

الزراعة ـ الحياكة ـ البناء ـ السياسة (٣) ـ الحجامة .

٢ ـ حرف ومهن خادمة لهذه المهن السابقة ، ومنها على سبيل المثال :

ـ الحدادة : إذ تخدم الزراعة بإعداد آلاتها .

ـ الحلاجة : إذ تخدم الحياكة بإعداد مادتها .

ـ الغزل : وتخدم الحياكة أيضا .

٣ ـ حرف ومهن متممة ، ومنها على سبيل المثال :

ـ الخبز والطحن : وهى متممة للزراعة .

ـ القصارة : وهى متممة للخياطة .

ـ التعمق فى دقائق الحساب .

ـ التعمق فى حقائق الطب .

ويرى الباحث أن هناك شبه إجماع بين إخوان الصفا والإمام الغزالى على ضرورة الحراثة والحياكة والبناء كمهن ضرورية فى المجتمع لا يستطيع الاستغناء عنها ، وربما يرجع ذلك ـ من وجهة نظر الباحث إلى عدة أسباب :

١ ـ اتباع منهج واحد ومصدر واحد (القرآن الكريم والسنة النبوية) وهما يؤكدان على تلك المهن كما سيتبين من الفصل التالى .

٢ ـ تقارب الفترة الزمنية بينهما .

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨ .
(٣) يقصد بها نظام الحكم .

٣ ـ أن الغزالى قد تأثر بكتاباتهم ، فالملاحظ أن كلا منهم قد بدأ المهن الضرورية بالحراثة ثم الحياكة ثم البناء ، وأن كلا منهم قد قسم المهن إلى ضرورية ، وخادمة ، ومزينة .

جـ ـ تصنيف عبد الرحمن الشيرزى للمهن والحرف :

عدد عبد الرحمن الشيرزى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى ـ الثانى عشر الميلادى وتوفى سنة (٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣ م) كثيرا من المهن والحرف فى كتابه (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة) وكانت كالتالى :

« الحبوبيين ـ الدقاقين ـ الخبازين ـ الفرانين ـ صناع الزلابية ـ الجزارين ـ القصابين ـ الشوايين ـ الرواسيين ـ قلائى السمك ـ الطباخين ـ الهرائسيين ـ النقانقيين [١] ـ الحلوانيين ـ الصيادلة ـ العطارين ـ الشرابيين [٢] ـ السمانيين [٣] ـ البزازين ـ المنادين والدلالين ـ الخياطين ـ القطانين ـ الكتانيين ـ الحريريين ـ الصباغين ـ الأساكفة ـ الصيارفة ـ الصاغة ـ النحاسين ـ الحدادين ـ البياطرة ـ نخاسى العبيد والدواب ـ قوام الحمامات ـ الفصادين ـ الحجامين ـ الأطباء ـ الكحالين ـ المجبرين والجرائحيين ـ مؤدبى الصبيان ـ البقالين ـ باعة الخضراوات ـ الباقلائين ـ باعة الخزف والكيزان والأوانى»[٤] .

إن الشيرزى قد ذكر المهن والحرف التى تقع فى نطاق مسئولية المحتسب فقط ، وربما يكون هناك من المهن والحرف ما لم يذكر لعدم قيام سلطة المحتسب عليها ، كما يلاحظ أيضاً أن الشيرزى قد أسهب فى شرح غشوش العقاقير ،ووصف فروع الطب المختلفة .

وقد شمل تصنيف الشيرزى كل هذه الأمور نتيجة لتكليفه من قبل السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى بأن يضع كتابا فى الحسبة لمساعدة الحكومة الأيوبية فى مراقبة أرباب الحرف والصنائع ، وكان لا بد أن يشمل كل المهن والحرف فى هذا العصر [٥] .

د ـ تصنيف ابن الإخوة للمهن والحرف :

عدد محمد بن محمد بن أحمد بن القرشى المعروف بابن الإخوة (ت ٧٢٩ هـ ـ ١٣٣٨ م) فى كتابه (معالم القربة فى أحكام الحسبة) المهن والحرف التى كانت على المحتسب النظر فيها وفى أحوال المشتغلين بها والكشف عن أمورهم ومصالحهم وكانت

---

(١) النقانقى : صانع المصارين المحشوة باللحم والتوابل والبصل .

(٢) المقصود بالشرابيين ـ والمفرد شرابى ـ صناع الأشربة وهى الأدوية السائلة على اختلافها .

(٣) السمانون : بائعو السمن .

(٤) عبد الرحمن بن نصر الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق .

(٥) المرجع السابق ، المقدمة .

كالتالى :

« العلافين والطحانين ـ الفرانين والخبازين ـ الشوايين ـ النقانقيين الكبوديين والبواردين ـ الجزارين ـ الرواسين ـ الطباخين ـ الشرائحيين ـ الهرائسيين ـ قلايين السمك ـ قلايين الزلابية الحلوانيين ـ الشرابيين ـ العطارين ـ البيـاعين ـ اللبانين ـ البزازين ـ الدلالين ـ الرفائين ـ القصارين ـ الحريريين ـ الصباغين ـ القطانين ـ الكتانين ـ الصيارف ـ الصباغ ـ النحاسين ـ الحدادين ـ الأساكفة ـ البياطرة ـ السمسرة ـ الحمامات ـ السدارين ـ الفصادين والحجامين ـ الأطباء والكحالين والجرائحيين ـ المؤدبين للصبيان ـ القومة ـ المؤذنين ـ الوعاظ ـ المنجمين وكتاب الرسائل ـ القضاة ـ الإمارة ـ أصحاب السفن والمراكب ـ باعة قدور الخزف والكيزان ـ الفاخرين ـ الأبارين والمسلايين المرادنيين ـ الحناويين ـ الأمشاطيين ـ معاصر الزيت ـ الغرابليين ـ الدباغين والبططيين ـ اللبوديين ـ الفرائين ـ الحصريين ـ التبانين ـ الخشابين والقشاشين ـ النجارين والنشارين ـ البنائين ـ الدهانين ـ المبيضين ـ الفبيين ـ الجباسين ـ الجياريين ـ الرزازين ـ المراوحيين ـ باعة الكبريت والمكانس ـ سقائين الكيزان وأرباب القرب والدلاء ـ الغسالين لأقمشة الناس ، حمالى الحطب ـ الزبالين » (١) .

إن الناظر فى كل من تصنيف الشيرزى وابن الإخوة يجد تشابها كبيرا بينهما لاتفاقهما معا إلى درجة كبيرة فى الموضوعات والأبواب والفصول ، وفى عرضها أيضا مما يرجح أن ابن الإخوة قد استاق فكرة من الشيرزى ، واطلع على مؤلفه وإن كان كل من التصنيفين شاملين للحرف والمهن إلى درجة كبيرة ، فإن لتصنيف الشيرزى فضل الريادة فى هذا المجال .

هـ ـ تصنيف الخزاعى التلمسانى للمهن والحرف :

ولد أبو الحسن على بن ذى الوزارتين محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود المعروف بالخزاعى التلمسانى سنة عشر وسبعمائة وتوفى سنة (٧٨٩) هجرية .

وقد حدد الخزاعى التلمسانى فى كتابه تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، الحرف والصناعات وكانت أسماؤها حسب ترتيبها كالتالى :

التجارة ـ البزازة ـ العطارة ـ الصراف ـ بائع الرماح ـ بائع الطعام ـ التمار ـ بائع الدباغ ـ الحطاب ـ السمسار ـ النساج ـ الخياط ـ النجار ـ ناحت الأقداح ـ الصواغ ـ الحداد ـ البناء ـ الدباغ ـ الخواص ـ الصيد فى البر ـ الصيد فى البحر ـ العامل فى الحوائط ـ السقاء ـ الحجام ـ اللحام ـ الطباخ ـ الشواء ـ الماشطة ـ المولدة ـ الخافضة ـ

---

(١) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، مرجع سابق .

المرضعة ـ المغنى ـ حافر القبور [1] .

ويتضح من الترتيب السابق أنه ترتيب بسيط وذلك لبساطة الحرف والمهن فى عهد رسول الله ﷺ ، كما يلاحظ أن الحرف والمهن السابقة أقل من الحرف والمهن عند كل من الشيرزى وابن الإخوة ؛ ذلك لأن العصر الذى عاش فيه كل من ابن الإخوة والشيرزى أحدث من العصر الذى تناول فيه الخزاعى الحرف والمهن وهو عهد الرسول ﷺ .

هذه الفترة الزمنية التى بينهما (بضعة قرون) كفيلة بنمو المهن والحرف ، إذ إن من طبيعة المهن والحرف أن تزداد وتنمو بتقدم المجتمعات .

و ـ تصنيف ابن بسام للمهن والحرف :

عاش ابن بسام فى مصر فى القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، وكان محتسباً فأدخل الكثير من تجاربه فى كتابه (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة) وقد عدد فيه كثيراً من المهن والحرف وكانت كالتالى :

الخبازين ـ السقائين ـ السوقة ـ الجزارين ـ الشوائين ـ الهرائسين ـ الزلبانيين ـ الرواسين ـ الطباخين ـ الحلوانيين ـ هراس التمر ـ طباخ العدس الفوالين ـ السماكين ـ (بائعى السمك) ـ قلائين السمك ـ الصيادين للطيور ـ الطحانين ـ الفرانين ـ الحطابين ـ الجباسين ـ الجيارين ـ قوامة الحمامات ـ المزينين ـ الوقادين ـ الغزالين ـ الكتانيين ـ الحريريين ـ القطانيين ـ النوافين ـ الخياطين ـ البزازين ـ الغسالين ـ القصارين ـ المطرزين ـ الرفائين ـ الصيادلة ـ الشرابيين ـ العطارين ـ الصيارفة ـ الصاغة ـ الأطباء ـ الفصادين ـ الكحالين ـ المجبرين ـ الجرائحيين ـ البياطرة ـ الصباغين ـ صناع الشراك[2] ـ الأساكفة وصناع الأخفاف ـ صانع الأسفاط [3] ـ البطاطيين ـ صنعة الشرابات ـ القزازين ـ بائعى الزنهار [4] ـ بائعى الأبراز [5] ـ بائعى السماسم ـ بائعى الخشب ـ الحدادين ـ المسامريين ـ النحاسين ـ سباكة النحاس ـ النجارين ـ البنائين ـ نجارين الأقفال ـ نجارين المراكب ـ النخاسين باعة العبيد ـ النخاسين باعة الدواب الطوابين ـ الدلالين للعقارات ـ باعة الفخار ـ الزجاجين ـ معلمى الصبيان ـ الدهانين ـ المكاريه ـ النحاتين ـ حافرى القبور ـ الوراقين ـ كاتب الرسائل على الطريق ـ القضاة ـ صانعى الميازيب [6] ـ إصلاح الجوامع والمساجد ـ قراء القرآن قدام الموتى ـ غسالى الموتى ـ

(١) الخزاعى التلمسانى (ت ٧٨٩ هـ) : تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، تحقيق أحمد محمد أبو سلام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

(٢) أحزمة النعال .

(٣) الحقائب المصنوعة من الجلد المدبوغ .

(٤) ما يبيعه العطارون من التوابل وغير ذلك .

(٥) نوع من التوابل مثل الكراوية .

(٦) حنفية تدفع الماء أمام المنزل .

المراصد والمراقب ـ طباخي الولائم ـ الوزانين ـ الكيالين ـ عارضي مثاقيل الذهب ـ صنع الفضة ـ عصير الزيت - التبانين ـ القراطين ـ تجار البضائع المختلفة ـ الحصر العبداني [١] ـ الخيزرانيين ـ اللبوديين [٢] ـ العضارين [٣] ـ الأبارين [٤] ـ صانعي القرب ـ الدباغين ـ دباغي الكيمخت [٥] ـ دباغي جلود البقر [٦] .

إن المطلع على تصنيف ابن بسام يستطيع أن يتصور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر ، تصويراً دقيقا فى ذلك العصر ، خاصة الأمور المتعلقة بالمهن والحرف والأسواق . كما أن المدقق فى هذا التصنيف يجد أن ابن بسام كان معجباً بكتاب الشيرزى إلى حد أنه أطلق على كتابه عنوان كتاب الشيرزى نفسه ، ونقل مقدمته كذلك ، ويذهب الأستاذ السيد الباز العرينى محقق كتاب الشيرزى إلى « أن ابن بسام أخذ تأليف الشيرزى فنسبه إلى نفسه عنوانا ومتنا ، بعد أن أضاف إليه أبوابا متعددة ، مما جعلها تبلغ أربعة عشر ومائة باب على حين أن كتاب الشيرزى فى أربعين بابا فقط»[٧] .

ويرى الباحث أن هذا القول مبالغ فيه ، فبالرغم من اتفاق الكثير من أبواب كتاب ابن بسام مع كل من كتاب الشيرزى وابن الإخوة ، ومن ثم فإن الأبواب الأخرى التى نقلها ابن بسام من الشيرزى،لم ينقلها كما هى فهو إما اختصرها ، أو أخذ منها شيئاً ، وفى كثير من الأحيان يضيف معلومات لانجدها فى كتاب الشيرزى ومن المحتمل أن هذه الإضافات متأتية من خبراته وتجاربه التي اكتسبها من أشغاله لمنصب الحسبة ، يضاف إلى ذلك أن ابن بسام قلما يمزج صفتين فى باب واحد كما فعل الشيرزى فى كتابه ، بل أفرد دائما لكل عمل بابا خاصاً به قائما بذاته [٨] .

ز ـ تصنيف ابن خلدون للمهن والحرف :

ولد ابن خلدون فى نوفمبر سنة ١٣٣٢ م (القرن الثامن الهجرى) وتوفى سنة ١٤٠٦ م .

ويرى ابن خلدون أن الصنائع بصفة عامة متعددة وشاملة إذ يقول : « اعلم أن الصنائع فى النوع الإنسانى كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة فى العمران ، فهى بحيث تشذ عن الحصر ولايأخذها العد إلا أن منها ماهو ضرورى فى العمران أو شريف بالموضوع

---

(١) تصنع من غزل الكتان المعتدلة الخيط .
(٢) صانعو الملابس من الصوف دون حياكة .
(٣) صانعو الكيزان والتنانير من الطين .
(٤) نسبة إلى عمل الإبر .
(٥) جلود الخيل والبغال والحمير .
(٦) محمد بن أحمد بن بسام المحتسب : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائى ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ .
(٧) انظر : عبد الرحمن بن نصر الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، المقدمة .
(٨) انظر مثلاً الباب الثالث والأربعين ، فى الأطباء والفصادين .

فنخصها بالذكر ونترك ماسواها » .

فأما الضرورى فالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة ، وأما الشريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب، فأما التوليد فإنها ضرورية فى العمران ، وأما الطب فهو حفظ الصحة للإنسان ودفع المرض عنه وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهى حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ، وأما الغناء فهو نسب الأصوات ومظهر مجالها للأسماع (١) .

ويرى ابن خلدون أن الصنائع تنقسم إلى « ما يختص بأمر المعاش ضروريا كان أو غير ضرورى ، وإلى ما يختص بالأفكار التى هى خاصية الإنسان من العلوم والصنائع والسياسة ، ومن الأول : الحياكة والجزارة والنجارة والحدادة وأمثالها ، من الثانى : الغناء والسفر وتعليم العلم وأمثال ذلك ، ومن الثالث : الجندية وأمثالها » (٢) .

ويرى أن تحصيل الرزق إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعة بالاقتدار عليه ويسمى مغرما وجباية ، وإما أن يكون من الحيوان الوحشى باقتناصه وأخذه برمية من البر أو البحر ويسمى اصطياداً ، وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفة بين الناس فى منافعهم كاللبن من الأنعام والحرير من دوده ، والعسل من نحله،أو يكون من النبات فى الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته ، ويسمى هذا كله فلحاً ، وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية : إما فى مواد معنية وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة وحياكة وفروسية وأمثال ذلك ، أو فى مواد غير معنية وهى الامتهانات جميع الامتهانات والتصرفات ، وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للإعراض : إما بالتقلب بها فى البلاد أو احتكارها وارتقاب حوالة الأسواق منها وتسمى هذه تجارة (٣) .

« فهذه وجوه المعاش وأصنافه وهى معنى ماذكره المحققون من أهل الأدب والحكمة كالحريرى وغيره فإنهم قالوا : المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة ، فأما الإمارة فليست بمذهب طبيعى للمعاش فلا حاجة لنا إلى ذكرها ، والصناعة والتجارة فهى وجوه طبيعية للمعاش ، أما الفلاحة ، فهى متقدمة عليها كلها بالذات إذ هى بسيطة وطبيعية فطرية لاتحتاج إلى نظر ولا علم إشارة إلى أنها تنسب فى الخليقة إلى آدم أبى البشر وأنه معلمها والقائم عليها ، إشارة إلى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة . . وأما الصنائع فهى ثانيتها ومتأخرة عنها ؛ لأنها مركبة وعملية تصرف فيها الأفكار والأنظار ؛ ولهذا لاتوجد غالبا إلا فى أهل الحضر الذى هو متأخر عن البدو وثان عنه ، وأما

---

(١) ابن خلدون :المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤ . (٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .

التجارة وإن كانت طبيعية فى الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها إنما هى تحيلات فى الحصول على مابين القيمتين فى الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة » (١) .

والخلاصة أن ابن خلدون قد قسم الصنائع إلى ثلاثة أنواع أو ثلاث رتب ، صنائع ضرورية ، وصنائع مترفة ، وصنائع شريفة بالموضوع .

فأما الصنائع الضرورية فهى الفلاحة والبناء والحدادة والنجارة والخياطة والحياكة .

وأما الصنائع المترفة فهى مهنة الصائغ ، والزجاج ، والدهان ، والطباخ ، والصفار الفراس ، والذباح .

وأما الصنائع الشريفة بالموضوع هى : التوليد ، والكتابة ، والوراقة ، والغناء ، والطب ، والتعليم .

على أن ابن خلدون لا يكتفى بمجرد ذكر هذه الصنائع وإنما يجرى تعريفا شاملا بكل صناعة على حدة ويخصها بفصل مستقل مثل « الفلاحة والبناء،التجارة ،الحياكة ، الخياطة ، التوليد ، الطب ، الخط ، الكتابة الوراقة ، الغناء » هذا الفصل يتراوح بين القصر والطول لايقل عن صفحة واحدة ولايتجاوز سبع صفحات (٢) .

ح ـ تصنيف السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادى للمهن والحرف :

ولد السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادى سنة ١٨٥٧م وتوفى سنة ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٤م وقد عدد المهن والحرف عند العرب وكانت كالتالى :

١ ـ التجارة :

وكانت من أهم أسباب معايش العرب لاسيما سكنة الحجاز ونجد وماشابههما من الأقطار المقحطة ، والبلاد القليلة الخصب . وقد اشتهر أهل اليمن وعمان والبحرين بالتجارات الواسعة ومعايشهم الوافرة لما فى بلادهم من الخصب والرخاء .

٢ ـ الصنائع :

وكانت أيضا من أسباب المعايش المحمودة، وكانوا يرون أن الحرفة أمان من الفقر ، وكان فى العرب صنائع تقوم بما يمس جوائجهم وتقتضيه ضرورياتهم ومنها :

أ ـ صناعة البناء :

وكانت منحصرة لأهل الحضر من العرب ؛لأنهم الذين تمس إليها حوائجهم ، وهى معرفة العمل فى اتخاذ البيوت والمنازل ، وكانت بيوت أهل البادية من العرب على عشرة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ـ ٣٨٤ .

أنحاء : خِباء من صوف ، وبجاد من وبر ، وفسطاط من شعر ، وسرادق من قطن ، وبيوت من القشع [1] ، وطراف من الأديم ، وبيوت من شذب [2] وحظار [3] للإبل من شجر لتقيها الريح والبرد ، والخيمة من عيدان الشجر ، والكبة بيت يبنى من لبن .

ب ـ صناعة النجارة :

كان العرب يزاولون هذه الصناعة ، وكان النجارون يستخدمون بعض الأدوات والآلات وكانت منها : الفأس ، والحدأة [4] ، والحفين [5] ، والمنشار ، والمثقب والكلبتان لضرب المسمار من الخشب ، والعتلة [6] ، إلى غير ذلك من الآلات والأدوات .

جـ ـ الحدادة :

وكان الحدادون يصنعون النبال والمسامير والسكاكين والأواني وسائر الأدوات والآلات ، وكان الحداد في ذلك يستعين ببعض الأدوات مثل : القُرْزُم وهى السندانة ، والمطرقة وهى آلة يضرب بها الحديد ، والغطيس وهى الميقعة أيضاً أكبر من المطرقة ، والمِبْرد : الذى برد به الحديد ، والمنفاخة : ما ينفخ به الكير ، والمُشَرجَعُ : مَطْرق لا حروف لنواحيه ، والعسقلان : آلة للصائغ وهو أصغر مطرقاته .

د ـ الحياكة والنسج :

وكانت منتشرة فى أهل الحاضرة لأجل لبوسهم وفرشهم وحمل أثقالهم ونحو ذلك ، وكانوا يستخدمون بعض الأدوات فى الحياكة والنسج مثل الخف وهو الذى تلقم به اللحمة ويصفق ليلتقمها السدى ، والمشيعة : مايلف عليه الغزل ، والثناية : التى يثنى عليها الثوب ، والعدل : خشبة لها أسنان كأسنان المنشار يقسم بها السدى ليعتدل ، والصيصة: عود من طرفاء كلما رمى بالسهم فألحمه أقبل بالصيصة وأدبر بها ،والمسداد : عصا فى طرفيها صنارتان يمدد بها الثوب ، والحماران: يوضعان تحتها ليرفع السدى من الأرض ، والدعائم : خشبان تنصب ويمد عليها السدى .

هـ ـ الخياطة :

إن أهل البادية من العرب (الرحل الذين لايقيمون بمحل) كان شعارهم لبس المخيط فى الغالب ، ولبس العمائم تيجانا على رؤوسهم ، وربما ألقوا رداء على

---

(١) القشع : الجلد اليابس .

(٢) جمع شذبة وهو مايقطع مما تفرق من أغصان الشجر .

(٣) الحظيرة .

(٤) فأس ذات رأسين .

(٥) فأس ذات خلف واحد .

(٦) عصا ضخمة من الحديد لهارأس مفلطح يهدم بها الحائط .

ظهورهم واتزروا بإزار ، وأما أهل الحضر وسكنة المدر منهم فكانوا يتفننون فى لبوسهم ويختلفون فى كسوتهم .

و ـ صناعة النعال :

عرف العرب الأولون صناعة النعال ، وقد زاولوها للقيام بحاجاتهم وإن قلت فيهم ولم تصل إلى نهاية الإتقان ولم تبلغ نصاب الكمال .

٣ ـ الفلاحة :

وكانت أيضاً من أسباب معايش العرب العامة ، لاسيما سكنة اليمن والبحرين وعمان وغالب بلاد نجد ، فسكنة هذه البلاد كلها غالب معايشهم من الحرث والغرس ، ولهم فى غرس النخيل اهتمام كبير (١) .

والملاحظ على التصنيف السابق أن الآلوسى قد أكد على التجارة ثم الصناعة ثم الزراعة ، وهو ما يتفق مع تصنيف إخوان الصفا والغزالى والشيرزى وابن الإخوة وابن بسام ، وابن خلدون ، وإن كان يختلف مع تصنيف كل من الخزاعى التلمسانى وعبد الحى الكتانى ، إذ إن كليهما يبدأ تصنيفه بمهنة التجارة .

ط ـ تصنيف عبد الحى الكتانى للمهن والحرف :

عدد عبد الحى الكتانى الذى عاش فى القرن الرابع عشر الهجرى فى الجزء الثانى من التراتيب الإدارية (القسم التاسع) المهن والحرف التى كانت فى عهد رسول الله ﷺ وذكر من عملها من الصحابة رضوان الله عليهم وكانت أسماؤها كالتالى :

التجارة والكسب ـ البزازة ـ العطارة ـ الصرافة ـ التجارة فى العنبر والزئبق ـ حفر معادن الذهب ـ بائع الرماح ـ بائع الطعام ، بيع الصبيان ، بيع السكر ، بيع العقاقير ـ المرأة تبيع العطر ـ الزراعة والغراسة ـ الخرازة ـ التمار ـ بائع مادة الدبغ ـ بيع الأديم ـ الحطاب السمسار ـ النساج ـ الخياط ـ النجار ـ مهد الصبيان ـ صانع أقداح الخشب للشرب ، الصواغ ، النقاش ، صانع الأنف من الذهب ، التصوير ، استخدام الشحم للاستصباح ودهن السفن ـ بيع اللبن ـ الحداد ـ البناءات النبوية ـ الصباغ ـ الدباغ ـ الخواص وهو صانع القفاف ونحوها من ورق النخل ـ بيع الماء ـ الصيد وأنواعه ـ العمل فى الحوائط ـ السقاء والحمل على الظهر ـ الحجامة الحلاقة ـ الجزارة ـ الطبخ ـ الخبازة ـ الماشطة ـ التمريض ـ النسوة التاجرات ـ القابلة ـ والمرضعة والخافضة ـ المغزل ـ المغنون ـ أسماء المغنيات فى العهد النبوى ـ صناعة السيوف برى النبال ـ حفر القبور .

---

(١) السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، الطبعة الثانية ، عنى بشرحه وتوضيحه وضبطه محمد بهجة الأثرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ـ ٤١٧ .

هذا وقد تحدث الكتانى عن حرف ومهن متعددة كانت فى عهد رسول الله ﷺ فى أماكن متفرقة كان منها: الوزير ، المؤذن ، الخادم ، صاحب الوسادة ، صاحب النعلين (ومنهما يستدل على قيام تلك الحرفتين فى عهده ﷺ) فيمن كان يعلم فى المدينة ، صاحب الخمرة ، الكاتب ، السفير ، المحاسب ، فارض المواريث ، إصلاح الطرق ، السجان ، المقيمين للحدود ، الرجل يستخلفه الإمام على أهله إذا سافر ، سائق بدن النبى ﷺ فيمن عمل كدليل له ﷺ فى الهجرة ،فيمن كان يضرب قبته ﷺ، الحارس ، المتجسس ، المخذل ، السفن البحرية ، صانع المنجنيق ، الدبابات ، حفر الخنادق ، فى الوكيل يوكله الإمام فى الأمور المالية ، فى الفنادق لنزول المسافرين فى دار المرضى ، الطبيب ، قاطع العروق ، الكى (١) .

لقد تناول عبد الحى الكتانى الحرف والمهن فى عهد رسول الله ﷺ مثله فى ذلك كالخزاعى التلمسانى ، إذ تناول كل منهما الحرف والمهن والصنائع التى كانت على عهد رسول الله ﷺ ، وإن كان عدد الحرف عند عبد الحى الكتانى أكثر من عدد الحرف والمهن عند الخزاعى التلمسانى رغم أنهما تناولاها فى فترة واحدة ، ويرجع ذلك - من وجهة نظر الباحث - إلى أن عبد الحى الكتانى . كما يقول فى كتابه التراتيب الإدارية ، « قد ظفر بكتاب تخريج الدلالات السمعية لأبى الحسن على الخزاعى التلمسانى ، فاهتبل به أكثر اهتبال (٢) ، ونوه به وأشاد له أرفع ذكرى فظهر له التوسع فى موضوعه » (٣) وطبيعى أن يتيسر للمتأخر ، ما لا يتيسر للمتقدم من وفرة المراجع ، مما يتيح له أن يكون أكثر شمولية من سابقه .

إن الملاحظ على تصنيفات علماء المسلمين للمهن والحرف أن بعضها قد صنفت بطريقة جزئية وتفصيلية كتصنيف الشيرزى ، وابن الإخوة ، والخزاعى ، وابن بسام ، وابن خلدون ، والآلوسى ، والكتانى . والبعض الآخر صنف بطريقة كلية مثل تصنيف كلا من إخوان الصفا ؛ إذ يروا أن الصنائع تنقسم إلى :

١ - صنائع ضرورية . ٢ - صنائع مكملة . ٣ - صنائع زينة .

والإمام الغزالى الذى قسم الصنائع إلى صنائع مقصودة بالذات (ضرورية) ، وصنائع كمالية ، وصنائع زينة لها ، كما أن أجزاء الإنسان تختلف فى الأهمية بالنسبة لحياته ، فمنها ما هو أصل ومنها ما هو خادم ، ومنها ما هو بمثابة التحسين والتزيين .

وقد جاء تقسيمهما متشبعا ومتوافقا مع مقاصد الشريعة الإسلامية التى تهدف إلى ثلاث :

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، ج ٢ د . ت .
(٢) كما يقول عبد الحى الكتانى عن نفسه . (٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٢ .

١ ـ مقاصد ضرورية .   ٢ ـ مقاصد كمالية .   ٣ ـ مقاصد تحسينية [(١)] .

وقد تحدث فى المقاصد أيضاً الإمام الشاطبى ، فقد قسم المقاصد إلى :

١ ـ ضرورية .   ٢ـ كمالية .   ٣ ـ تحسينية .

وهو يرى أن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها فى الخلق [(٢)] .

وعموما نستطيع القول بأن التصنيفات السابقة للمهن والحرف أخذت تنمو بنمو التحضر الاسلامى ، ونمو حاجات المجتمع المسلم .

ولا شك أن الغرب فى العصور الوسطى ، وبداية عصر النهضة قد نقل فيما نقل الكثير من الحرف والمهن والصناعات الإسلامية ، وهذا موضوع واسع يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث .

وإذا كنا فى بداية هذا الفصل قد تحدثنا عن التصنيفات الحديثة للمهن والحرف فى العصر الحديث ، وبدا واضحا أنها قد شملت مهنا وحرفا أكثر من المهن والحرف فى تصنيفات المسلمين فى عصورهم الوسطى ، فإنما يرجع ذلك إلى تطور المهن والحرف عبر العصور ، ولايعيب ذلك تصنيفات المسلمين إذ كانت تتسم بالبساطة نظرا للعصور التى صنعت فيها .

إن تصنيفات المهن والحرف التى أقامها علماء المسلمين وفلاسفتهم تطلعنا بشكل عام على طبيعة هذا النسق وأسسه الفكرية داخل النمط العلمى والحضارى لعصرهم ، فمحال أن يهتم المحتسب بحرفة أو مهنة ليست قائمة فى المجتمع ، وإنما كانت تلك المهن والحرف موجودة بالفعل داخل المجتمع الإسلامى الأول وكانت انعكاساً لدرجة تطورهم وتقدمهم .

وفى ذلك يقول ابن خلدون : « إن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع » [(٣)] ، وكذلك إذا وجدت الصنائع والمهن والحرف الكافية لقيام المجتمع دل على أن هذا المجتمع على درجة معينة من النمو والتطور .

كذلك فإن عرض تلك التصنيفات يبرز حقيقة أن المهن والحرف لابد أن تختلف باختلاف العصور وحظ الدول من التحضر والعمران . وسوف يركز الباحث فى تلك الدراسة على المهن والحرف التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

---

(١) يوسف حامد العالم : المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، منشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ١٥٥ .

(٢) أحمد الريسونى : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى ، منشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، نشر وتوزيع الدار العالمية للكتاب الإسلامى ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٣) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٣٦٣ .

وسيأخذ الباحث بتصنيف الخزاعى التلمسانى للمهن والحرف ؛ لأنه أنسب تصنيف للمهن والحرف التى استخرجها الباحث من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإن كان الباحث سيختلف فى تصنيفه قليلا عن تصنيف الخزاعى التلمسانى ؛ إذ يرى الباحث ضرورة أن تكون بداية المهن هى الزراعة للأسباب الآتية :

- إن مهنة الزراعة متقدمة فى الخليقة عن الصناعة والتجارة .

- إن مهنة الزراعة قد ذكرت فى القرآن الكريم مرات عديدة ، فلم تذكر مهنة أو حرفة أو مكوناتها مثلما ذكرت مهنة الزراعة فى القرآن الكريم ، وهذا دليل على أهميتها للفرد والمجتمع .

- إن مهنة الزراعة تقوم عليها بعض الحرف الأخرى مثل الرعى والحلابة ، وبعض الصنائع الأخرى .

كما يرى الباحث أن يذكر بعد مهنة الزراعة تلك الحرف التى تقوم على الزراعة ولها اتصال مباشر بها . وهكذا اجتهد الباحث قدر استطاعته فى عرضه للحرف والمهن كما وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

الفصل الخامس

المهن والحرف فى القرآن الكريم

ويشتمل هذا الفصل على :

* الزراعة .
* الخبز وطحن الحبوب .
* الرعى .
* حلب اللبن من الماشية [الحلابة] .
* التجارة .
* الدباغة والحرف الجلدية .
* الأحذية .
* الاحتطاب والاتقاد .
* صناعة النسيج والحياكة والألبسة .
* الطباعة والنقوش .
* التنجيد .
* الصباغة .
* النجارة .
* صناعة المعادن .
* السباكة .
* الصياغة .
* صناعة النقود .
* البناء والعمارة .
* الصيد .
* السقاية .
* الجزارة .
* الشواء .
* الحلاقة .
* الإرضاع .
* الحفر .
* حفر القبور .
* السرج .
* التجسس .
* الخدمة .
* البريد .
* السجان .
* الفخار .

المهن والحرف فى القرآن الكريم

مقدمة :

سيظل القرآن والسنة هما مصدرا التوجيه والإرشاد فى حياة المسلمين ، وسنرى خلال هذا الفصل كيف لفت القرآن الكريم أنظار أتباعه إلى أهم الحرف والمهن من خلال الحديث عن تلك الحرف تارة ، وضرب الأمثلة المستمدة من تلك الحرف تارة أخرى ، والحديث عن مكونات تلك الحرف والمهن تارة ثالثة ، كل ذلك فى اتباع قرآنى يؤكد للمسلمين أهمية تلك الحرف والمهن وضرورتها فى حياة الفرد والمجتمع .

بيان ذلك :

الزراعة :

مهنة الزراعة قديمة جداً وقد اشتغل بها العرب قبل الإسلام ويسجل ذلك القرآن الكريم فى قول الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (٩) ﴾ [الروم] ،والمعنى : « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا ببصائرهم وقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة ؛ لأنهم قلبوا الأرض للزراعة (لأن أهل مكة لم يكونوا أهل حرث) وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء ، فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم » (١) .

كما يستدل من الآية السابقة على أن الزراعة قوة للبلدان والمجتمعات ويسجل القرآن الكريم إشارة أخرى على أن قوم موسى عليه السلام كانوا أهل زرع فيقول الله تعالى على لسان موسى : ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** (٧١) ﴾ [البقرة] ، والمعنى : « أنها بقرة غير مذللة للعمل الزراعى الكامل » (٢) ، ولقد عرف العرب الجاهليون الزراعة أيضاً ، وإن كان « الاشتغال الفعلى بالزراعة وفلاحة الأرض واستغلالها ينظر إليه بصورة عامة نظرة ازدراء وعدم تقدير » (٣) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٩ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٣) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ .

ولم تكن تلك النظرة تمنع البعض من الاشتغال بالزراعة ، إذ « ثبت أن أهل اليمن قد استغلوا الجبال والمناطق المرتفعة فزرعوها بمختلف المزروعات التى تلائم طبيعتها » (١) كما « اشتهرت الطائف بزراعة نوع من الحنطة الجيدة فضلاً عن شهرتها بزراعة الفواكه » (٢) ، ويمكننا القول بأن « الزراعة كانت ولا تزال عماد ثروة اليمن وبقية جزيرة العرب ورأسمالها الأكبر فى حياتها » (٣) .

اشتغال المسلمين الأوائل بالزراعة :

لقد كان العرب أصحاب زرع ونخل ، ويتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)** ﴾ [البقرة] ، « عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح: يا رسول الله ، أو أن الله تعالى يرد منا القرض ؟ قال:« نعم يا أبا الدحداح » ، قال : أرنى يدك ، قال : فناوله ، قال : فإنى أقرضت الله حائطاً فيه ستمائة نخلة ، ثم جاء يمشى حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله، فناداها ،يا أم الدحداح ، قالت لبيك . قال: اخرجى ، قد أقرضت ربى عز وجل حائطاً فيه ستمائة نخلة . قالت أم الدحداح : ربح بيعك » (٤) .

إننا لا نستدل بتفسير الآية لنبرهن على نماذج مسلمة تصدقت لله ، لكننا نريد أن نؤكد من خلال التفسير على اشتغال المسلمين بالزراعة ،وتملكهم البساتين ويقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)** ﴾ [البقرة]،وقوله: ﴿ **مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾ يعنى: « النبات والمعادن والركاز » (٥) .

ومما يدل على أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أصحاب زرع قول ابن عمر : «يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع »(٦) ، كما يتبين ذلك من قول الله تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)** ﴾ [النساء] ، « وقد نزلت هذه الآية فى الزبير مع الأنصارى ، وكانت الخصومة فى سقى بستان ، فقال ﷺ للزبير : « اسق أرضك ثم أرسل الماء

(١) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢١٥ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢١٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٧٣ .

إلى أرض جارك » (١) .

ومما يدل أيضاً على اشتغال العرب والمسلمين الأوائل بالحرث قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران] ، «والحرث هنا اسم لكل ما يحرث ، تقول العرب : حرث الرجل حرثاً إذا أثار الأرض بمعنى الفلاحة ، فيقع اسم الحراثة على زرع الحبوب وعلى الجنات وغير ذلك من نوع الفلاحة » (٢) .

الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها :

وردت الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها خلال آيات القرآن الكريم ، ليزداد المسلمون حرصاً على تنفيذها والالتزام بها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٣٥) ﴾ [يس] .

والنبات من أهم عناصر البيئة الطبيعية الحية ، والتى خلقها الله لنفع الإنسان نفعاً جماً ، وذلك بما يخرجه النبات من أكسجين وما يأخذه من ثانى أكسيد الكربون ، كما أن للنبات أهمية عظمى ، فهو مصدر رئيسى لغذاء الإنسان والحيوان : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤) ﴾ [طه] ، ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ (٢٧) ﴾ [السجدة]

الدعوة إلى تعمير الأرض :

إن الدعوة إلى تعمير الأرض والانتشار فى بقاعها بغية التماس الرزق والعمل لتظهر واضحة فى التربية الإسلامية ، فالله قد مهد الأرض وجعلها صالحة للحياة ليعمرها بنو البشر بالزراعة وغيرها ، ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك] ، ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) ﴾ [الأعراف] .

لذلك وجب على المسلمين الامتثال لهذه الدعوة وتنفيذها « ولو يعلم المسلمون وأبناء المسلمين ما أعد لهم فى إحياء الأرض ما ترك المسلم بقعة من الأرض دون إحياء

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥ .

رجاء الثواب المدخر عند الله » (١) .

النهى عن إهلاك النبات وقطع الأشجار :

لقد بدا النهى عن إهلاك النبات وقطع الأشجار واضحاً فى القرآن الكريم ، إذ كان هذا السلوك من صفات وعلامات المنافقين المبغوضين عند الله ،والمفسدين فى الأرض ، حيث يقول تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)** ﴾ [البقرة] .

آيات فى الزراعة تقوى الإيمان بالله :

هناك إشارات إلى تثبيت العقيدة فى النفوس من خلال بعض الآيات التى نزلت فى شأن الزراعة والتى أشار إليها القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)** ﴾ [الواقعة] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥)** ﴾ [الأنعام] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)** ﴾ [عبس] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)** ﴾ [الأنعام] .

وفى هذه الآيات السابقة يسند الله سبحانه وتعالى الزراعة إلى إرادته وقدرته لما فيها من المعجزات ما يكفى لأن يؤمن الإنسان إذا فكر فيمن يقدر على إعادة الحياة إلى الأرض بعد موتها وإلى الحبة بعد زرعها وريها ، وفيمن يجعل الجذر يندفع إلى أسفل بعيداً عن الشمس والهواء ، والساق يرتفع إلى أعلى ضد جاذبية الأرض ، ومع ذلك يمتص من عناصر التربة والماء ما يلائمه للنمو .

هذه المعجزات التى تقع تحت نظر الإنسان أدل دليل على أن الله وحده هو الزارع وعلى أن الزراعة أعظم فروع الإنتاج .

العوامل المؤثرة فى الزراعة :

لا يكتفى القرآن الكريم بالإشارة إلى الزراعة فقط ، بل يشير فى إشارات كثيرة إلى

---

(١) محمد عبد المنعم الجمال : موسوعة الاقتصاد الإسلامى ودراسات مقارنة ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١١٠ .

العوامل التى تؤثر فى الزراعة ، نماءً أو حسناً ، وفى ذلك ما يلفت نظر المسلمين إلى أهمية تلك العوامل وتدبرها ومحاولة الاستفادة منها فى حياتهم الزراعية ومن تلك العوامل التى أشار إليها القرآن ما يلى :

الهواء :

يعتبر الهواء قمة ضروريات الزراعة ؛ ولهذا خلقه الله فى كل مكان وجعله بالمجان لضرورته للإنسان والحيوان والنبات ، إذ إنه يلقح النباتات ، وفى رفع بخار الماء إلى السماء حيث تتكون السحب التى يحملها الهواء ، ولينقلها إلى المكان المعد لنزول الأمطار بإرادة الله وقدرته ورحمته فينبت الزرع .

قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (٩)** ﴾ [فاطر] ، والمعنى : « أن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها أنبتت من كل زوج بهيج » [١] ، وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)** ﴾ [النور] .

أى : « أن الله يسوق السحاب ضعيفاً ثم يجمعه ثم يركب بعضه بعضاً فترى المطر يخرج من خلاله » [٢] فيكون سبباً فى إحياء الأرض الموات ، وقال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)** ﴾ [الروم] .

إنها « نعمة من الله على خلقه فى إرسال الرياح مبشرات بمجيء المطر الذى ينزله فيحيى به البلاد » [٣] .

والهواء يحمل السحاب إلى أن ينزل المطر حيث يشاء رب العالمين : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)** ﴾ [الأعراف] ، فالهواء هو الذى يحمل الماء على شكل سحب ينقلها من مكان إلى مكان حيث ينزل إلى الأرض لينبت به الزرع ، ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٤٨ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٣٦ .

مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) ﴾ [الفرقان] .

والهواء يحمل حبوب اللقاح فيخصب أكثر النباتات : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) ﴾ [الحجر] ، وبذلك « كان الهواء من ضمن وسائل تلقيح النباتات ؛ لأنه يحمل حبوب اللقاح من أعضاء تذكير النباتات إلى أجهزتها الخاصة بالتلقيح » (١) .

والرياح تدفع السفن الشراعية عبر البحار : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) ﴾ [يونس] .

ولقد وردت لفظة « ريح » فى أربع عشرة آية قرآنية (٢) ، منها ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) ﴾ [الأحقاف] ، ووردت لفظة « ريحاً » فى أربع آيات قرآنية ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) ﴾ [القمر] ، كما وردت لفظة « ريح » مسندة إلى الضمير، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال] .

المـــــاء :

تنقسم مياه الأمطار إلى :

١ ـ **المياه السطحية** : وتوجد بالأنهار والبحيرات العذبة ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ﴾ [الرعد] ، ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ [نوح] .

٢ ـ **المياه الجوفية** : وهى المياه التى تستقر تحت الأرض مثل الآبار والعيون : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١) ﴾ [الزمر] .

---

(١) حمزة الجميعى الدموهى : عوامل الإنتاج فى الاقتصاد الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٤١٤ .

ويمن الله سبحانه وتعالى على عباده أن « أنزل من السماء ماء كثير البركة فأنبت به بساتين وكل زرع يحصد ، ونخل طوال مستويات »[1] ويتبين لنا ذلك من خلال آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) ﴾ [ق] .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) ﴾ [طه] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [فصلت] .

وقوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ (٢٧) ﴾ [السجدة] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) ﴾ [الأنعام] .

وفى الآيات السابقة إشارة إلى فضل الله سبحانه وتعالى على الناس أن أنزل المطر فأخرج من الأرض كل صنف من النبات والخضر .

والمسلم يدرك أن أمر نزول المطر لم يترك بلا ضوابط ؛ لأن الله مالك هذا الماء ووارث هذا الكون ينزل الماء بقدر وحساب ليشرب منه الأحياء ولاستنبات الأرض ليستمر بقاؤهم على الأرض ، وفى هذا يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) ﴾ [الزخرف] ، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) ﴾ [المؤمنون] .

والواجب على كل إنسان أن يشكر ربه على نعمة الماء الذى لا غنى عنه لحياة الزرع ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠) ﴾ [الواقعة] .

ولحرص الإسلام على توجيه الأبصار إلى الماء وفائدته فقد أورده فى آيات قرآنية

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٦ .

كثيرة ، ومن ذلك ما يلى :

الماء : ورد ذكر الماء فى تسع وخمسين آية قرآنية [1] ، منها قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠) ﴾ [الأنبياء] .

كما ذكرت لفظة « الماء » مسندة إلى الضمائر المختلفة ، ومن ذلك :

ماءك : ورد ذكر « ماءك » فى آية قرآنية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾ [هود] .

ماءها : ورد ذكر هذه اللفظة فى آية قرآنية واحدة ، هى قوله تعالى : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) ﴾ [النازعات] .

ماؤكم : ورد ذكر « ماؤكم » فى آية قرآنية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠) ﴾ [الملك] .

ماؤها : ورد ذكر هذه اللفظة فى آية قرآنية واحدة ، هى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) ﴾ [الكهف] .

الأنهار : ورد ذكر « الأنهار » فى سبع وأربعين آية قرآنية منها : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) ﴾ [البقرة] ، وورد لفظة « أنهاراً » فى أربع آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) ﴾ [النمل] .

البحر : ورد ذكر «البحر» فى ثلاث وثلاثين آية قرآنية [2] منها قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) ﴾ [الإسراء] .

وورد ذكر « البحار » فى آيتين اثنتين منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) ﴾ [التكوير] ، وورد ذكر « أبحر » فى آية قرآنية واحدة : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٨٥٧ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ١٤٥ .

أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) ﴾

[لقمان]

كما ذكرت لفظة « بحران » فى آية واحدة ، هى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾

[فاطر]

كما ورد ذكر لفظة « البحرين » فى أربع آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ [الرحمن] .

الأرض : الأرض هى المقر الثابت للحياة ، فمن هوائها يتنفس الإنسان وسائر الأحياء من حيوان ونبات ، ومن مائها الذى يجرى فى أنهارها وبحيراتها وينابيعها يشرب الإنسان وسائر الأحياء ،ومن زرعها الذى ينبت فى تربتها يأكل الإنسان مختلف الثمار ، وفى دروبها ومسالكها يتنقل الإنسان سعياً وراء الرزق ، وفــى بحـارها تجرى الفلك بإذن ربها [1] .

الأرض هى موطن استمرارية الحياة ، خلقها الله بأمره وسخرها بكل ما عليها وما فيها وما حولها لاستمرارية حياة الإنسان ، فالأرض مهدت وبسطت لتكون صالحة لسكنى الإنسان واستقراره ولسعيه فى دروبها وراء رزقه الذى قدره الله: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (٥٣) ﴾ [طه] ، ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا (٢٠) ﴾

[نوح]

وقد ثبت الله الجبال على الأرض لتحفظها من الاضطراب : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) ﴾ [الأنبياء] .

ولقد هيأ الله للإنسان تربتها لتكون صالحة لاستثمارها بالزراعة ، ومن الآيات التى تحدثت عن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) ﴾ [عبس] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا

---

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنصورة ، كلية التربية بدمياط ، قسم أصول التربية ١٩٩٠ ، ص ١٦٨ .

وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ﴾ [الرعد] ، ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) ﴾ [الحجر] .

وتختلف المحاصيل من مكان لآخر تبعاً لاختلاف التربة ، فى اللون والحجم والشكل والطعم والرائحة والمنفعة رغم وحدة عناصر الأرض التى ينمو فيها ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى بعض الآيات التى تشير إلى التربة كعامل من عوامل الإنتاج الزراعى ، يقول تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (٥٤) ﴾ [طه] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) ﴾ [النازعات]، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾ [يونس] ، وقال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) ﴾ [يس] .

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يسر لنا الأرض وجعلها صالحة للزراعة ، وجعل فى الأرض بساتين لنأكل من ثمرها ومما غرسته أيدينا من الثمار ، لعلنا نشكره .

وفى هذا بيان على كمال قدرة الله بإخراج النبات من الأرض ، وبيان لمدى أهمية التربة فى الإنتاج الزراعى .

ولقد وردت لفظة « الأرض » فى حالاتها الإعرابية الثلاثة فى عدد كبير من الآيات القرآنية مما يدل على مدى الأهمية العظمى للأرض ويتضح ذلك فيما يلى :

الأرضُ : فى حالة الرفع ورد ذكرها فى أربع وثلاثين آية قرآنية [١] ، منها قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) ﴾ [الزلزلة] .

الأرضَ : فى حالة النصب ورد ذكرها فى ست وثمانين آية قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) ﴾ [الأنعام] .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٣٤ .

الأرضِ : فى حالة الجر ورد ذكرها فى ثلاثمائة وإحدى وثلاثين آية قرآنية [1] منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥) ﴾ [آل عمران] .

وعلى هذا تكون الأرض قد ذكرت فى أربعمائة وإحدى وخمسين آية قرآنية مما يؤكد على أهميتها للإنسان .

ومما يؤكد حرص الإسلام على دعوة المسلم إلى استنبات الأرض ، كثرة ما ورد فى القرآن الكريم من ذكر الأشجار والنخل والزرع ومن ذلك ما يلى :

الزرع : ورد ذكر الزرع والزروع فى عشر آيات قرآنية [2] كان منها قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ [إبراهيم] .

النخل : ورد ذكر النخل فى عشر آيات قرآنية [3] كان منها قوله تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) ﴾ [ق] .

كما ورد لفظ نخلاً فى آية واحدة ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) ﴾ [عبس]، والنخلة مرتين منها قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) ﴾ [مريم] ، كما ورد لفظ نخيل سبع مرات كان منها قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾ [النحل] .

الشجر : ورد ذكر الشجر فى « ست » آيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) ﴾ [النحل] .

وورد ذكر « الشجرة » فى ثمان عشرة آية قرآنية [4] منها ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) ﴾ [القصص] ، ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) ﴾ [الدخان] .

وورد ذكر « شجرها » فى آية واحدة فى قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) ﴾ [النمل] ، وورد ذكر « شجرتها » فى آية واحدة أيضا فى قوله تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) ﴾ [الواقعة] .

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٣٧ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٤١٩ .

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٨٦٣ .

(٤) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٤٧٦ .

الثمر : ورد ذكره فى آية واحدة (1) فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً (٣٤) ﴾ [الكهف] ، كما ورد لفظ « أثمر » مرتين منها : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) ﴾ [الأنعام] ، كما ورد لفظ « ثمره » أربع مرات منها قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١) ﴾ [الأنعام] .

ووردت لفظة « ثمرات » فى ست عشرة آية قرآنية منها : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ [إبراهيم] .

التين : ورد ذكر التين فى آية واحدة فى سورة التين وهى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) ﴾ [التين] .

الزهرة : ورد ذكر الزهرة فى آية قرآنية واحدة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾

[طه]

الوردة : ورد ذكر الوردة فى آية قرآنية واحدة ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) ﴾ [الرحمن] .

الحب : ورد ذكر « الحب » فى ثلاث آيات قرآنية (2) منها قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) ﴾ [ق] ، كما ورد لفظ « حباً » فى ثلاث آيات قرآنية منها : ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) ﴾ [عبس] ، كما ورد لفظ « حبة » فى خمس آيات قرآنية منها : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ

---

(1) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٢٠٤ .

(2) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٢٤٥ .

وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة] .

الزيتون : ورد ذكر الزيتون فى أربع آيات قرآنية (١) منها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) ﴾ [الأنعام] ، كما ورد لفظ « زيتوناً » مرة واحدة فى قوله تعالى : ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) ﴾ [عبس] ، كما ورد لفظ « زيتونة » مرة واحدة أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾ [النور] .

العنب : ورد ذكر العنب فى آية واحدة (٢) هى قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) ﴾ [الإسراء] ، كما ورد لفظ « عنباً » مرة واحدة فى قوله تعالى : ﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) ﴾ [عبس] ، كما ورد لفظ « أعناباً » فى ثمانى آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) ﴾ [يس] ، كما ورد لفظ « أعنابا » مرة واحدة فى قوله : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) ﴾ [النبأ] .

الفاكهة : ورد ذكر الفواكه فى ثلاث آيات قرآنية (٣) منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) ﴾ [المرسلات]، كما ورد لفظ «فاكهة» إحدى عشرة مرة منها قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) ﴾ [الرحمن] ، وقد وردت بعض المنتجات الزراعية مرة واحدة فى آية قرآنية واحدة هى ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) ﴾ [البقرة] .

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٤٢٤ .
(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٦٢١ .
(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ص ٦٦٧ .

تعميق إدراك الإنسان بعناصر البيئة الزراعية والإحساس بها :

لم تقتصر التربية الإسلامية على تعريف المسلم بعناصر بيئته الزراعية فحسب . بل لجأت إلى تعميق إدراكه وإحساسه بهذه العناصر ، وتعريفها إليه حتى يلتمس السبل الصحيحة للتعامل معها .

ومن أهم أساليب التربية الإسلامية لتعميق إدراك الإنسان بعناصر بيئته الزراعية توثيقاً لعلاقته بها :

أ ـ ضرب الأمثال والتشبيه بعناصر البيئة الزراعية .

ب ـ القصص القرآنى ودور عناصر البيئة الزراعية فيه (١) .

أ ـ تعميق إدراك الإنسان بعناصر الزراعة من خلال ضرب الأمثلة القرآنية :

اتخذت التربية الإسلامية أساليب تربوية كثيرة مثل : القدوة والقصص القرآنى وغيرها ، وضرب الأمثال من الأساليب التربوية التى اتخذتها التربية الإسلامية تحقيقاً لأهدافها وغاياتها السامية ، والأمثال القرآنية ليست مجرد عمل فنى يقصد من ورائه الرونق البلاغى فحسب ، بل إن لها غايات تربوية ونفسية عديدة من أهمها :

١ـ تقريب المعانى إلى الأفهام ، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية .

٢ ـ إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى ، وتربية العواطف الربانية ، فالأمثال القرآنية دوافع تحرك الوجدان والعواطف ، فتندفع الإرادة نحو الخير واجتناب المنكر .

٣ ـ تربية العقل السليم على التفكير الصحيح والقياس المنطقى السليم (٢) .

ولقد وجدت التربية الإسلامية فى عناصر البيئة الزراعية حقلاً خصباً فى مجال ضرب الأمثال وعقد التشبيهات ، فاستعانت بها فى تبسيط الحقائق وتقريبها إلى أذهان المسلمين ليتم لهم إدراكها واستيعابها . وفى تثبيت القيم والمبادئ التى كانت تحرص على تأصيلها فى نفوسهم (٣) .

﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[إبراهيم]

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت] .

---

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ص ١٧٢ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٣ ، ص ٢٤٦ .

(٣) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ص ١٧٣ .

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) ﴾ [الرعد] .

الأرض :

استخدمت التربية الإسلامية الأرض فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات ، ومن الآيات القرآنية التى تضمنت ذلك :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) ﴾ [البقرة] .

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) ﴾ [الإسراء] .

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾ [البقرة] ، « وفى هذا تشبيه المرأة بالأرض، والنطفة كالبذر ، والولد بالنبات » (١) .

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) ﴾ [البقرة] ، « والجنة : البستان ، وهى قطعة أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها ، والربوة المكان المرتفع ارتفاعاً يسيراً » (٢) .

الماء :

كان للماء دور كبير فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات فى التربية الإسلامية ، ومما جاء فى القرآن الكريم من ذلك :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾ [الكهف] .

والمعنى : « أن الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض حتى استوى فأصبح النبات منكسراً من اليبس متفتت تطير به الرياح » (٣) .

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣١٨ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٤١٣ .

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾

[يونس]

والمعنى : « التشبيه والتمثيل ، أى صفة الحياة الدنيا فى فنائها وزوالها مثل ماء أنزلناه من السماء ، فاختلط الماء بالأرض فأخرجت ألواناً من النبات والحبوب والثمار والبقول والكلأ والشعير حتى إذا ازينت الأرض بالحبوب والثمار والأزهار ، وأيقن أهلها أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها ، أتاها أمرنا بهلاكها فجعلناها مقطوعة لا شىء فيها » (١) .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ [الحديد] .

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) ﴾ [الرعد] .

النبات :

ضرب المثل بالنبات وشبه به فى الكثير من آيات القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة] .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) ﴾ [إبراهيم] .

« والشجرة : النخلة ، ويجوز أن يكون المعنى : أصل الكلمة فى قلب المؤمن وهو الإيمان ، شبهه بالنخلة من المنبت وشبه ارتفاع عمله فى السماء بارتفاع فروع النخلة ، وثواب الله له بالثمرة » (٢) ، أما المقصود بالكلمة الخبيثة كلمة الكفر ، شبهها بشجرة خبيثة وهى الحنظل ، اقتلعت من أصلها فما لها من أصل فى الأرض (٣) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٥٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٦٢ .

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح] .

والمعنى : « أن المؤمنين يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ، فكان النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه ضعيفاً ، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوى أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ نباته ويستوى على عوده الذى يقوم عليه فيكون ساقاً له ويعجب هذا الزرع زراعه » (١) .

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) ﴾

[البقرة]

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) ﴾ [القمر] .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) ﴾ [الحاقة] .

الهواء :

استخدمت التربية الإسلامية الريح فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات فى عدة مواطن ، وكان مما جاء منها فى آيات القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) ﴾ [آل عمران] ، ومعنى الآية : « مثل نفقة الكافرين فى بطلانها وذهابها وعدم منفعتها كمثل زرع أصابه ريح باردة أو نار فأحرقته وأهلكته فلم ينتفع أصحابه بشىء بعدما كانوا يرجون فائدته ونفعه » (٢) .

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٨) ﴾ [إبراهيم] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٢٩٥ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

ب ـ تعميق الإدراك بعناصر البيئة الزراعية من خلال القصص القرآنى :

من المميزات التربوية للقصص القرآنى أنها تشد القارئ ، وتوقظ انتباهه ، وتجعله دائم التأمل فى معانيها ، والتتبع لمواقفها ، والتأثر بشخصياتها وموضوعها ، فهى تربى العواطف الربانية عن طريق إثارة الانفعالات المختلفة ، وتوجيه هذه الانفعالات حتى تلتقى عند النتيجة التى تنتهى إليها القصة ، وعن طريق المشاركة الوجدانية حيث يندمج القارئ مع جو القصة العاطفى ، ويعيش بانفعالاته مع شخصياتها .

وتمتاز القصة القرآنية بالإقناع الفكرى عن طريق التفكير والتأمل وعن طريق الإيحاء والاستهواء ، وهى تتكامل مع النفس البشرية فى واقعيتها الكاملة فتعرض أهم النماذج التى يريد القرآن إبرازها للكائن البشرى عرضاً صادقاً، وتوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته حتى تحقق الغرض التربوى من هذا العرض [1] . ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف] .

وللقصص القرآنى أغراض كثيرة ، منها إثبات الوحى والرسالة ، وبيان أن الدين كله من عند الله ، كذلك بيان قدرة الله تعالى ، ومنها شد أزر المؤمنين ، وبيان أن الله ينصر رسله والذين آمنوا وينجيهم من المآذق والكروب ، ومنها تنبيه بنى آدم إلى خطر غواية الشيطان ، وضرورة الحذر من كل حاجة فى النفس تدعو إلى الشر [2] .

كما كان تعميق الإدراك بعناصر البيئة الزراعية غرضاً من أغراض هذا القصص القرآنى الذى اتخذ من هذه العناصر مسرحاً دائماً لأحداثه ، فالأغنام، والإبل،والبقر ، والحمير ، وغيرها من عناصر البيئة الزراعية ، كل كان له دوره فى قصة من القصص القرآنى ، كما يلى :

الأغنام :

فدى الله إسماعيل بذبح عظيم بعد أن رأى أبوه إبراهيم فى نومه أنه يؤمر بذبح ولده : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات] .

ـ وفى حسم خلاف وقع فى مجلس قضاء الملك داود بسبب الغنم،كان ظهور رأى النبى سليمان وحكمته : ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٨١ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ ـ ٢٤١ .

وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴾ [الأنبياء] .

ـ وكان رعى الأغنام حرفة لموسى عليه السلام إذ عمل برعى الأغنام : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) ﴾ [طه]

الإبل :

من الإبل كانت ناقة صالح التى أيد الله بها نبيه : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ [الأعراف] .

البقر :

ألهم الله نبيه يوسف عليه السلام بتفسير رؤيا الملك ليكون جزاؤه عن ذلك إخراجه من السجن وجعله على خزائن الأرض : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) ﴾ [يوسف] .

ـ اجتهد بنو إسرائيل فى البحث عن بقرة حدد الله لها سمات معينة ليهتدوا عن طريقها إلى من قتل أحد أبنائهم : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) ﴾ [البقرة] .

الحمير :

ورد ذكر الحمار فى قصة عزير الذى جعله الله آية للناس على صدق البعث وقدرة الله على إحياء العظام الرميم : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ [البقرة] .

اهتمام فقهاء المسلمين بالزراعة :

كانت الزراعة أرضاً خصبة لأحكام الفقهاء من زكاة وتجارة وغيرها وما يدور حولها

من أحكام ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أبو يوسف (١١٣هـ ـ ١٨٥هـ) صاحب أبى حنيفة الذى تحدث عن زكاة الزروع فى كتابه « الخراج » (١) .

وهكذا لفت القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى الزراعة كمورد من موارد الإنتاج وحدثهم عن أهميتها ، والقوى والعوامل المؤثرة فى نمائها من هواء وماء ، وتربة ، واستمد من مظاهرها المختلفة أمثلة قرآنية تتلى فى حياتهم وتؤكد لهم أهمية الزراعة فى حياتهم ، ثم جاء الفقهاء ليبينوا كل ذلك بأحكام فقهية متعددة تناولت كل جوانب العملية الزراعية ، وما يتعلق بها من أحكام حتى السقاية والزروع والبيوع . . . إلخ .

ولم يتخلف المربون المسلمون عن إدراكهم لأهمية الزراعة ، وتعميقهم للتوجيه التربوى من خلال العملية الزراعية بعناصرها المختلفة ، فترى الكثير منهم يشبه العملية التربوية بعملية الفلاحة والزراعة قائلين مثلاً : « إن المعلم مثل الزارع ، إن التربة مثلها مثل التلميذ ، وإن الزرع نفسه كمثل ناتج التعلم والتربية ، ومن ثم فكما أن الزارع لا بد له من معرفة طيبة بنوع التربة بحيث لا يضع فيها من البذور إلا ما تهيأ له ، كذلك فالمعلم ينبغى له أن يكون على دراية بطبيعة التلميذ » (٢) .

الخبز وطحن الحبوب :

إن حرفة الخبازة عرفت من زمن قديم ؛ إذ يقول تعالى فى شأن يوسف عليه السلام : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) ﴾ [يوسف] .

يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « لما حبس يوسف وغضب الملك على خبازه وصاحب شرابه ، وذلك أن الملك عمّر فيهم فملوه ، فدسّوا إلى خبازه وصاحب طعامه أن يسماه ، فأجاب الخباز وأبى صاحب الشراب ، فانطلق صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك ، فأمر الملك بحبسهما ، فاستأنسا بيوسف » (٣) .

ويستدل من هذا التفسير أن الخبازة كانت حرفة قديمة ، ولها متخصصون فيها وقد عمل بها الرجال والنساء فى الزمن القديم ، وأن خباز الملك كان يتقاضى عن هذه الحرفة أجرا .

وإذا كانت الزراعة مهنة لكثير من المسلمين ، وكان من ضمن منتجاتها الحبوب والبقول ، فإن هذه الحبوب كانت تقوم عليها حرفة الطحن والخبز وهى من الأعمال التى تخصص فيها البعض .

(١) انظر : أبو يوسف بن إبراهيم : الخراج ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٢) سعيد إسماعيل على : النبات والفلاحة والرى عند العرب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة ،١٩٨٣ ، ص ١٠٨ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٨٩ .

وقد يكون الخبز على (الصاج) أو فى (التنور) ، وقد ورد التنور مرتين فى القرآن الكريم : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود] ، ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون] ، إنه تنور الخبز الذى يخبز فيه ، وكان تنوراً من حجارة ،وأنبع الله الماء منه، فعلمت به امرأة نوح ، فقالت : يا نوح ، فار الماء من التنور ، فقال : « جاء وعد ربى حقا » (١) .

وقد تحدث بعض العلماء عن هذه الحرفة فى العهد الإسلامى الأول ، فيذكر الكتانى « أن المسلمين فى المدينة المنورة كانوا يشترون الحب ويطحنونه ويخبزونه فى بيوتهم » (٢) .

الرعى :

يعتبر الرعى من الحرف التى تضرب بجذورها فى التاريخ ، فقد كانت من أولى الحرف التى عمل بها الإنسان ، كما عمل بها الأنبياء والمرسلون ، فكان موسى عليه السلام يرعى الأغنام ، ويتضح ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [طه] ، « أى أخبط بها الورق ليسقط فيسهل على غنمى تناوله فتأكله » (٣) .

يعتبر الرعى من الحرف الأساسية التى كان يشتغل بها الأعراب والمسلمون وخاصة فى البادية ، فقد كانت لهم أنعام ، وهذه الأنعام تحتاج إلى من يتعهدها ويرعاها ، وقد أشير إلى ذلك فى القرآن الكريم فيقول تعالى : ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [طه] ، وهذا أمر إباحة بالرعى .

وأشار الله سبحانه وتعالى إلى الرعى بقوله : ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[الأعلى] ، « أى : من جميع صنوف النباتات والزروع » (٤)، وقوله: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ ﴾[النازعات]،« أى: أخرج من الأرض عيوناً متفجرة بالماء وكذلك النبات الذى يرعى ، وشق فيها الأنهار» (٥) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٣ .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ .

ولقد كان الرعى حرفة أساسية لفئات من المسلمين إذ جاء القرآن مخاطباً لهم ومذكراً إياهم بفضله أنه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [النحل] .

« وتسيمون : ترعون إبلكم ، والسوم الرعى ، وأسمتها أنا أى أخرجتها إلى المرعى ، والخيل المسومة تكون المرعية » (١) .

ولحب المسلمين للأنعام والرعى يقول تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران] ، « والخيل المسومة يعنى الراعية فى المروج والمسارح، السوام: كل بهيمة ترعى، والأنعام: هى الإبل وكل ما يرعى » (٢) ، وفى هذا دلالة على اشتغال المسلمين الأوائل بالرعى .

تعميق إدراك الإنسان بحرفة الرعى من خلال ضرب الأمثال القرآنية :

كان لحرفة الرعى فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات دور كبير ، استخدمته التربية الإسلامية تعميقاً للإدراك بها . ومما جاء فى القرآن الكريم من ضرب الأمثال ما يلى :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة] ، وفى هذا تشبيه لواعظ الكفار وداعيهم وهو محمد ﷺ بالراعى الذى ينعق الغنم فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ولا تفهم ما يقول (٣) .

تعميق إدراك الإنسان بحرفة الرعى من خلال القصص القرآنى :

كان تعميق الإدراك بحرفة الرعى غرضاً من أغراض هذا القصص القرآنى ، ومما ورد فيه من قصص خاصة بالرعى ما يلى :

* « ذهب خصمان إلى نبى الله داود يشتكى أحدهما الآخر بأن غنمه قد نزلت حرثه فأفسدته ، فلما خرج الخصمان على سليمان وكان يجلس على الباب الذى يخرج منه الخصوم فقال : بم قضى بينكما نبى الله داود ؟ فقالا : قضى بالغنم لصاحب الحرث ، فقال : لعل الحكم غير هذا ، انصرفا معى : فأتى أباه فقال : يانبى الله ، إنك حكمت بكذا وكذا ، وإنى رأيت ما هو أرفق بالجميع . فقال : وما هو ؟ قال : ينبغى أن تدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه ، فإذا عاد الزرع إلى حاله التى أصابته الغنم عليه فى السنة المقبلة رد كل واحد منهما ماله إلى صاحبه . فقال داود :

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٢ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق، ج ٤ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

وفقت يا نبى الله ، لا يقطع الله فهمك ، وقضى بما قضى به سليمان » (١) .

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) ﴾ [الأنبياء] .

* « إن موسى عليه السلام مشى حتى بلغ مدين فوجد امرأتين تذودان الناس على غنمهما، فقال : ما شأنكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى »(٢) ، وإن قيل: كيف ساغ لنبى الله أن يرضى لابنتيه برعى الغنم ؟ قيل له: ليس ذلك بمحظور والدين لا يأباه (٣) ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾ [القصص]

ونستخلص مما سبق أن الأنبياء جميعاً قد عملوا برعى الغنم ، فالرعى حرفة الأنبياء والمرسلين ، وقد عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبله موسى عليه السلام .

حلب اللبن من الماشية (الحلابة) :

أشار القرآن الكريم إلى الانتفاع بألبان الأغنام فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) ﴾ [المؤمنون] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) ﴾ [النحل] .

ومن هاتين الآيتين نستدل بجواز الانتفاع بالألبان من الشرب وغيره ، وإن هذه الألبان لا تأتى إلا بحرفة الحلابة التى تمتهن من قبل الرجل والمرأة . ومن هذا دليل على أن المسلمين قد عرفوا تلك الحرفة ومارسوها .

التجارة :

التجارة فى أبسط معانيها تبادل المنافع ، والإنسان منذ وجد على هذه الأرض وهو يعيش فى جماعات ، وكل فرد فى مجموعة ما يحتاج إلى شىء من سلع أو خدمات الآخرين ، وعلى ذلك نستطيع القول بأن التجارة بدأت مع أولى الجماعات .

ولقد كانت التجارة من أهم موارد الدخل عند العرب كما كانت قوافلهم تقوم بنقل السلع بين شرق الجزيرة العربية وغربها وشمالها وجنوبها ، وقد سجل القرآن الكريم بعض ذلك فى قوله تعالى : ﴿ لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)

(١) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٣٠٨ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ٢٦٩ .

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ [قريش] ، أى : « جعل لهم فى التجارة الرزق والخير الذى عوضهم عن هذه الأودية الجرداء التى يقل فيها الزرع والماء ، وجعلهم يألفون الرحلة فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم » (١) .

صحابة تجار :

وقد تاجر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام « ومنهم خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه » (٢) « وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان » (٣) وغيرهم الكثيرون .

ولقد ورد ذكر التجارة فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾ [النساء] ، وفى هذه الآية « نهى من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بأنواع المكاسب التى هى غير شرعية كأنواع الربا والقمار » (٤) .

وفى ذلك دعوة إلى التجارة ولكنها التجارة المقننة ، المحكومة بأخلاقيات طيبة يرضاها الشرع الشريف ؛ وفى هذا استجاشة لضمائر المسلمين لينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل ، وأكل الأموال بالباطل تدخل فيه كل طريقة لتداول الأموال لم يأذن بها الله أو نهى عنها ، ومنها الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات لرفع ثمنها ، وجميع أنواع البيوع المحرمة (٥) .

التجارة المعنوية :

ورد ذكر التجارة أيضاً فى القرآن الكريم بمعنى آخر معنوى وهو : ابتغاء ما عند الله عز وجل من الثواب ، وذلك أن العبد يشترى ما عند الله تعالى بالأعمال الصالحة . فمن ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) ﴾ [فاطر] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) ﴾ [الصف] ، وتحض الشريعة الإسلامية على التجارة فى الحياة الدنيا والاشتغال بها ، ولكنها تحذر أيضاً من

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٣ .
(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، والجزء ، ص ٢٥ ـ ٣٢ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .
(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٩ .

«تقديم تجارة الدنيا على تجارة الآخرة التى قوامها طاعة الله ورسوله والرغبة إلى الله والدار الآخرة ؛ إذ إن ذلك يفسد صفقة العبد مع ربه ويؤذن بخسرانها » (١) .

ولقد وعظنا الله تعالى فى ذلك أبلغ موعظة فقال : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ [التوبة] .

ولقد أباح الله تجارة الإنسان مع أخيه الإنسان بصفة عامة فقال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وعاتب الله المؤمنين « على ما كان قد وقع من الانصراف من الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ» (٢) ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١) ﴾

[الجمعة]

مما تقدم نستنتج أهمية التجارة فى الإسلام واعتنائه بها ، وهو لم يذكرها دون أن يوجهنا إلى ما يحل لنا فيها وما يحرم علينا ، أى أنه أمرنا بالتجارة فى الحلال ، وحرم علينا التجارة فى المنكرات .

التجارة فى الطعام :

إن تجارة الطعام من الأعمال المهمة فى المجتمع ، وهى خدمة من الخدمات الواجبة والقائم بها يؤدى واجباً حيال المجتمع وفى سبيل الله ، وفى القرآن الكريم إشارة إلى قدم هذه الحرفة .

قال تعالى فى شأن أخوة يوسف عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) ﴾ [يوسف] ، وقوله : ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ « أى : نجلب لهم الطعام » (٣) .

وفى هذه الآية دلالة على أن أخوة يوسف عرفوا معنى التصدير والاستيراد فى مجال الطعام بمفهومه الواسع الذى يتعدى الحدود الجغرافية للبلدان .

---

(١) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٢٤ .

كما مارس الأنبياء والمرسلون هذه التجارة وتعاملوا معها إما بيعاً أو شراءً إذ يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً (٢٠) ﴾ [الفرقان] .

« وفى هذا خبر عن جميع من بعثه الله من الرسل المتقدمين ، أنهم كانوا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق للتكسب والتجارة » (١) .

« ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فقد كان يمشى أيضاً فى الأسواق ويشترى الطعام ، ويتردد فيها طلباً للكسب والتجارة » (٢) قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (٧) ﴾ [الفرقان] .

تعميق إدراك الإنسان بحرفة التجارة فى الطعام من خلال القصص القرآنى :

جاء فى القصص القرآنى ما يلى :

* « قصة أهل الكهف الذين لبثوا فى الكهف ثلثمائة سنة وازدادوا تسعاً ثم أحياهم الله ، وبعد أن تساءلوا عن مدة الرقود بعثوا أحدهم بنقودهم إلى المدينة ، فلينظر أيها أطيب قوت ، وأمروه بأن يتلطف فى دخول المدينة وشراء الطعام » (٣) ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (١٩) ﴾ [الكهف] .

والخلاصة أننا نستطيع أن نؤكد أن تجارة الطعام كانت حرفة موجودة زمن الأنبياء والمرسلين ، وقد تعامل رسول الله ﷺ مع من يحترفونها دون أن ينكر عليهم ذلك، بل لقد أوصى بها وحض عليها، وشرفت بذكر القرآن الكريم لها، وعمل الرسول ﷺ بها.

التجارة فى المسك :

« المسك : من الطيب فارسى معرب وكانت العرب تسميه المشموم » (٤) .

وقد ورد المسك فى قوله تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ [المطففين] ، والمعنى : « أن أهل الجنة يسقون من خمر خلط بمسك » (٥) ، « والرحيق من أسماء الخمر » (٦) .

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣١٣ .
(٢) المرجع السابق ، والجزء ، ص ٣١٠ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٣٧٥ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٢٥ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ .
(٦) المرجع السابق والصفحة .

وفى هذا دلالة على معرفة العرب لتجارة المسك .

الدباغة والحرف الجلدية :

يقول تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ** (٨٠) ﴾ [النحل] ، يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبيده بأن « جعل لهم من جلود الأنعام بيوتاً أى الأدم يستخفون حملها فى أسفارهم ليضربوها لهم فى إقامتهم فى السفر والحضر » (١) ، وقيل : « بيوتاً تعنى الخيام والقباب يخف عليكم حملها فى الأسفار » (٢) ، « والقب : الجلد إذا يبس وذهب ماؤه » (٣) .

والملاحظ أنه لابد أن تقوم حرفة الدباغة على أساس إصلاح جلود الأنعام للاستفادة منها فى الخيام والقباب .

ومما سبق نستطيع أن نؤكد أن الدباغة والحرف الجلدية كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ ، وقد حث عليها القرآن الكريم .

حرفة الأحذية :

ورد النعل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** (١٢) ﴾ [طه] .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : « النعل ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض ، وقيل أمر بطرح النعلين لأنهما نجسة إذ هى من جلد غير مذكّى » (٤) .

ويتبين من التفسير السابق أن حرفة دباغة الجلود قديمة جداً ، وكانت الأحذية والنعال تصنع من الجلود التى أعدت إعداداً خاصاً لذلك ، وقد امتدت هذه الحرفة فى عهد موسى مروراً بالمسلمين الأوائل وحتى الآن .

الاحتطاب والاتقاد :

استخدام الوقود فى العهد الإسلامى الأول من الخشب ومن الحطب ، يقول تعالى فى وصف جهنم : ﴿ **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ** (٣٢) ﴾ [المرسلات] ،ويقول ابن عباس : « كنا نرفع الخشب للشتاء ثلاثة أذرع أو أقل ونسميه القصر ، والقصر : هى أصول

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٥٣ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥١٨ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٧٣ .

الشجر والنخل إذا وقع وقطع وقيل : أعناق النخل » (١) .

يقول القرطبى : « هذه الآية دليل على جواز ادخار الحطب والفحم ، وإن لم يكن من القوت ، فإنه من مصالح المرء ومغانى مفاقره . وذلك مما يقتضى النظر أن يكتسبه فى غير وقت حاجته ، ليكون أرخص وحالة وجوده أمكن » (٢) .

أى أن الشرع أباح ادخار مادة الوقود ، وذلك لأهميتها عند الفرد ، إذ إنه يطهى عليها طعامه .

وقد كانت مادة الوقود غالباً من الأشجار قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) ﴾ [الواقعة] ، « أى : أخبرونى عن النار التى تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب ، أنتم خلقتم شجرتها أم نحن الخالقون لها ؟ نحن جعلنا نار الدنيا موعظة للنار الكبرى ، وتبصرة للناس المسافرين فى الظلام » (٣) .

ولما كان العرب يستخدمون الحطب للوقود الذى يستخدمه الحداد والبيت ، فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر أن الكفار والأوثان التى يعبدونها من دون الله حطب جهنم وقيل : وقود جهنم (٤) . وذلك فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) ﴾ [الأنبياء] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾[البقرة]، « والوقود: الحطب، ومعناه الخصوص فيمن سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها، والحجارة: هى حجارة الكبريت الأسود، وخصت بذلك لأنها تتميز بسرعة الاتقاد، وقوة حرّها إذا حميت .

ولقد نبه تعالى على وحدانيته ، ودل على كمال قدرته فى إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندى الرطب ، وذلك أن الكافر قال : «النطفة حارة رطبة بطبع الحياة تخرج منها الحياة ، والعظم بارد ويابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة » (٥) فنزلت الآية : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) ﴾ [يس] ، بمعنى أن الشجر الأخضر من الماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان، فأخرج الله منه النار ، وهو القادر على إخراج الضد من الضد (٦) ،

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٦٣ : ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٩ ، ص ١٦٥ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٢١ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٣٤٣ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٥٩ .

كما ذكر الوقود فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم] ، وفى موضع آخر يقول تعالى : ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ ﴾ [البروج] ، «والوقود هو الحطب » [1] .

وقد ورد فى القرآن الكريم أن امرأة أبى لهب كانت تحمل الحطب ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾ [المسد] ، يقول الإمام القرطبى فى تفسير هذه الآية : « إن امرأة أبى لهب كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر ، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها ، لشدة بخلها فعيرت بالبخل » [2] .

نستدل مما سبق على أن المسلمين عرفوا معنى الاتقاد ، ومواده الخام ومارسوا الاتقاد وكانت مواد الاتقاد من الخشب والحطب ، وأن الرجال والنساء على السواء قد عملوا فى تخزين وجمع وحرق الحطب .

صناعة النسيج والحياكة والألبسة :

يقول ابن خلدون : « صناعة الحياكة والخياطة ، هاتان الصناعتان ضروريتان فى العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفة ، فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداءً فى الطول وإلحاماً فى العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة ، . . . ثم نلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة . . وهاتان الصنعتان قديمتان فى الخليقة . . ينسبها العامة إلى إدريس عليه السلام ، وهو أقدم الأنبياء » [3] ، والملاحظ أن معظم الحرف والمهن عند المسلمين تنسب إلى الأنبياء وكأنها محاولة من المفكرين المسلمين لرفع منزلة تلك المهن والحرف ومن يشتغل بها وحث الناس على الإقبال على تلك الحرف والمهن .

ولقد ذكر ابن خلدون الغزل من الصوف والكتان والقطن ، ولم يذكر شعر الماعز ووبر الجمال والحرير ، وربما ترك ذلك لمعرفة الناس به ، ولذكره فى القرآن الكريم : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل] ، أى : « ومن أصواف الغنم وأوبار الإبل وأشعر الماعز ، تتخذون منه أثاثاً ، وقد اختلف فى الأثاث فقيل : هو المال وقيل : المتاع وقيل : الثياب » [4] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٢٨٧ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص ٢٤٠ .

(٣) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ص ٤١١ ، ٤١٢ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن المسلمين الأوائل كانوا يصنعون من الأصواف والأوبار والأشعار أثاثاً من ملابس ، وبسط وغيره .

ويجدر بنا أن نتعرف على المواد الخام التى كانت تصنع منها الألبسة والنسيج والتى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

شعر الماعز :

إن شعر الماعز أو المعز كان عند المسلمين الأوائل كما هو الآن من المواشى الكثيرة الوجود ، وقد ورد ذكر المعز فى قوله تعالى : ﴿ **ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)** ﴾ [الأنعام] .

وفى هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى أن الأنعام كلها « مخلوقة لبنى آدم أكلاً وركوباً وحمولة وحلباً وغير ذلك من وجوه المنافع كالاستمتاع بشعرها وغيره . . . »[(١)] .

« وحينما يراد استعمال شعر الماعز يعد إعداداً خاصاً ؛ إذ على الغزّال تنظيفه قبل غزله وذلك بنشره وتنظيفه من المواد الغريبة المختلفة به ، وقد يضرب بالعصا أو بآلة خاصة على نحو مايفعله النداف فى الوقت الحاضر ، لتلطيفه وجعله سهلاً للغزل ، وقد يغسل بالماء ثم ينشف ثم ينظف » [(٢)] .

ولقد كان العرب قبل الإسلام يستخدمون شعر الماعز فى غزل خيامهم ، وإن كان شعر الماعز يستعمل غالباً لصنع الخيام ، فإنه يستخدم أيضاً فى صنع الملابس ، بل صنع فيه أشياء أخرى ومنها الحبال ، قال تعالى : ﴿ **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)** ﴾ [المسد] ، أى : « فى عنقها حبل من ليف وقيل : المسد : حبل من صوف » [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)** ﴾[النحل]،والنقض والنكث واحد،والاسم النكث والنقض، وشبهت هذه الآية الذى يحلف ويعاهد ويبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكماً ثم تحله . ويروى أن امرأة حمقاء كانت بمكة كانت تفعل ذلك ، وفيها وقع التشبيه [(٤)] .

إنها دلالة على قيام حرفة غزل الصوف فى العهد الإسلامى الأول .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

(٢) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٧١ .

وبر الابل :

« الوبَر: صوف الإبل والأرانب ونحوها » [1]، وقد ورد ذكر الوبر فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل] ، أى : ومن وبر الإبل تصنعون خيامكم وثيابكم وبسطكم [2] .

كما ورد ذكر الناقة فى عدة مواضع منها : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأعراف] ، وورد ذكر الجمل فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأعراف] .

كما ورد ذكر الإبل فى موضعين اثنين أولهما : ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام] ، وثانيهما : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشية]

« وقد يكون ذكر الإبل والجمل والناقة بهذه الكثرة فى القرآن الكريم نظراً لأهميتها البالغة فى صدر الإسلام . فالجمل دون ريب هو بالنسبة للبدوى أعظم الحيوانات نفعاً ولولاه ماكانت البادية صالحة للسكنى ، فالجمل هو الذى يغذى البدوى ، وهو أداة انتقاله ، وهو رفيقه ، يشرب لبنه بدل الماء ، ويجعل طعامه من لحمه ، وكساءه من جلده، ويحوك بعض أجزاء خيمته من وبره، وكذلك بعض أنواع الملابس والبسط » [3] .

ونستدل من ذلك أن صناعة غزل الأوبار وحياكتها معروفة منذ القدم ، وقد مارسها العرب فى صدر الإسلام ونسجوا منها بعض أنواع الملابس وغيرها .

الصوف :

« الصوف للضأن وما أشبهه . قال ابن سيده : الصوف للغنم كالشعر للماعز والوبر للإبل ، والجمع أصواف » [4] ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم : ﴿ وَمِنْ

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، الطبعة الثانية ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ ، ج ٥ ، ص ٢٧١ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .

(٣) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٩٩ .

أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل] .

« وقد أذن الله سبحانه وتعالى بالانتفاع بصوف الغنم ووبر الإبل وشعر الماعز ، ولم يذكر القطن والكتان ؛ لأنه لم يكن فى بلاد العرب المخاطبين به ، وإنما عدد عليهم ما أنعم به عليهم ، وخوطبوا فيما عرفوا بما فهموا ، وتضمنت هذه الآية جواز الانتفاع بالأصواف والأوبار والأشعار على كل حال ؛ ولذا قال العلماء : صوف الميتة وشعرها طاهر يجوز الانتفاع به ويغسل مخافة أن يكون علق به وسخ » (١) .

« والعهن: هو الصوف المصبوغ ألواناً » (٢) . وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ [القارعة] ، أى : « أن يوم القيامة ستكون الجبال كالصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق » (٣) .

ويقول تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النحل]، والدفء : السخانة ، وهو ما استدفئ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس ولُحُف وقطف (كساء له وبر) (٤) . وقد دلت هذه الآية على لباس الصوف « وقد لبسه رسول الله ﷺ والأنبياء قبله كموسى عليه السلام وغيره » (٥) .

ومما يؤكد أهمية الأنعام فى اتخاذ صوفها ووبرها للاستدفاء قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [غافر] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ « فى الوبر والصوف والشعر وغير ذلك » (٦) .

الحرير :

قال تعالى : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الدخان] ، قال المفسرون فى السندس : « إنه رقيق الديباج ورفيعه . وفى تفسير الاستبرق : إنه غليظ الديباج ، ويقال هو : الحرير» (٧) ، « والحرير ثياب من الإبريسم » (٨) ، « والإبريسم : الدمقس ، وقيل : القز ، وقيل : الدمقس : الديباج ، وقيل : هو الحرير ، وقيل : الإبريسم » (٩) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٩٦ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٤٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٦٩ .
(٥) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٠ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٣٣٠ .
(٧) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .
(٨) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٤ . (٩) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٨٨ .

وقد نهى الإسلام عن لبس الحرير للرجال دون النساء ، وللأصحاء دون المرضى لما فيه من ترف يميت الرجولة ، ومن تشبه بمترفي العجم ، ومن تأثير يتركه استعماله في نفوس الفقراء .

زخرفة الملابس (الوشي) :

« الوشي معروف وهو يكون من كل لون،والوشي في اللون : خلط لون بلون ، والحائك:واشٍ يشي الثوب وشياً أي نسجاً وتأليفاً ، ووشي الثوب : حسّنه ، ووشاه : نمنمه ونقشه وحسّنه » [1] .

وقد ورد الوشي في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)** ﴾ [البقرة] .

وشية هنا : اللون [2] ، والوشي : هو تطريز وتزيين النسيج الأصلي برسوم ناتئة أو غير ناتئة أو خطوط أو مضلعات أو نحوها،وقد تصنع بالإبرة أو تحاك أصلاً مع النسيج، وقد يستعمل فيها خيوط من الحرير أو الذهب أو الفضة أو مادة أخرى تختلف عن النسيج الأصلي [3] .

ومما تقدم يتبين لنا أن الوشي كان معروفاً منذ القدم ، وقد عرفه العرب ومارسوه في مساكنهم وملابسهم .

أسماء المنسوجات والملابس :

١ـ الجلباب:

« الجلباب : القميص والجلباب ثوب أوسع من الخمار ، دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها ، وقيل : هو ثوب واسع ، دون الملحفة تلبسه المرأة ، وقيل : هو الملحفة » [4] ، « والجمع الجلاليب [5] ، وقيل : إن الجلباب هو الرداء فوق الخمار ، وهو بمنزلة الإزار اليوم » [6] .

وقد ورد في القرآن الكريم:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)** ﴾[الأحزاب] ،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٣٩٢ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٣) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٥) محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

(٦) الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥١٨ .

« أى : يا محمد ، آمر النساء المسلمات بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن نساء الجاهلية » (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾ [النور] ، وقوله تعالى : « ﴿ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ قال ابن عباس : هو الجلباب » (٢) .

٢ـ القميص :

« القميص : الذى يلبس والجمع (الأقمصة) » (٣) ، وقد ورد ذكر القميص فى قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾ [يوسف] ، « إنه لما أراد أخوة يوسف أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم ، قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها ، وهى سلامة القميص من التمزيق » (٤) ، وربما طرق فى ذهنهم تخريق القميص ولكنهم لدقة صنعته لم يستطيعوا ، وربما يكون عمى عليهم ذلك ليستبان أمرهم .

كما ورد القميص فى قصة يوسف وامرأة العزيز إذ يقول تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾[يوسف]، والمعنى: «أن امرأة العزيز قبضت قميص يوسف من خلفه فى أعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق إلى أسفل القميص » (٥) .

وقد توالى ذكر القميص فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ [يوسف] ، كما ورد ذكر القميص فى قوله تعالى : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) ﴾ [يوسف] .

ومما سبق يتبين لنا أن مهنة الحياكة وصناعة الأقمشة قديمة جداً وقد احترفها العرب قبل نزول رسالة الإسلام وبعده ومازالت حتى يومنا هذا .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥١٨ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٩ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٥١ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٤٩ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٧٠ .

٣ـ اللباس (بصفة عامة) :

«اللباس بالكسر ما يلبس وكذا الملبس »[١]، وأتى ذكر اللباس فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع دون تحديده بالضبط ، فقال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) ﴾ [الأعراف]

وفيها « يمتن الله على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش ، فاللباس ستر العورات ، والرياش والريش ما يتجمل به ظاهراً فالأول من الضروريات ، والريش من التكميلات والزيادات » [٢] .

ويتضح من هذا التفسير أن العرب لم تكن تعنى بالثياب الذى يقيهم الحر والبرد فقط ، ولكن كانوا يعتنون بالنواحى الجمالية فى الثوب .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) ﴾ [النحل] ، وقوله تعالى: « ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ هى الثياب من القطن والكتان والصوف » [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾ [البقرة] ، « الكسوة : اللباس . وقوله : ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ أى : بالمتعارف فى عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط » [٤] ، كما ورد ذكر الكسوة فى قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] ، وقيل : « إن الكسوة فى حق الرجال : الثوب الواحد الساتر لجميع الجسد ، فأما فى

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٩٠ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .

(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

حق النساء فأقل ما يجزئهن فيه الصلاة وهو الدرع والخمار» (١) ، وقد ورد ذكر الثياب أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) ﴾ [المدثر] ، كما ورد ذكره فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ﴾ [النور : ٥٨] ، وفى قوله تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) ﴾ [الإنسان] ، « والثياب هنا بمعنى الملبوسات » (٢) عامة .

وقد أباح الله سبحانه وتعالى الثياب على الإطلاق ما دام ساتراً للعورة فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾ [الأعراف] ، وقد قيل : « إن الزينة هى جميع الثياب ، وروى عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أنه كان يلبس فى الصيف ثوبين من متاع مصر مصبوغين بالمشق، وهو صبغ أحمر ، ويقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ » (٣) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى بعض المواد التى يصنع منها الثياب . حين وصفه ، وسوف نتناول بعض أنواع الألبسة وموادها الأولية كما وردت فى القرآن الكريم :

أ ـ اللباس من السندس والإستبرق :

قال تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) ﴾ [الإنسان] .

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) ﴾ [الكهف] ، وقد قال المفسرون فى السندس : « إنه رقيق الديباج ورفيعه ، وفى تفسير الإستبرق : إنه غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه ، كما لم يختلف أهل اللغة فيهما أنهما معربان » (٤) .

ب ـ اللباس من الحرير :

يقول تعالى فى وصف أهل الجنة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٧٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٦٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .

الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) ﴾ [الحج] ، أى : « وجميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم وستورهم حرير وهو أغلى مما لدينا فى الدنيا بكثير » (١) .

جـ ـ اللباس من اللؤلؤ والمرجان :

يقول تعالى : ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) ﴾ [النحل] ، وقوله : ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ « يعنى به : اللؤلؤ والمرجان » (٢) .

أداة الخياط :

إنه يلزم لصناعة الألبسة وكافة أنواعها أن تخاط عند الخياط ، الذى يستعين بالإبرة فى خياطة الثياب ، وذلك بإدخال الخيط فى ثقبها أو سمها ، وفى القرآن الكريم يقول تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) ﴾ [الأعراف] ، وقد قال الفراء : « سم الخياط : ثقب الإبرة ، والخياط : ما يخاط به » (٣) .

وفى هذا دليل على معرفة المسلمين بالخياطة والأدوات التى تعينهم على الخياطة وممارستهم لها .

الطباعة والنقوش :

ورد فى القرآن الكريم إشارة إلى مهنة الطباعة والنقوش وذلك فى قوله تعالى فى وصف أهل الجنة : ﴿ متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان (٧٦) ﴾ [الرحمن] ، «والعبقرى : ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال خالق هذه النقوش : إنها حسان ، فما ظنك بتلك العباقر ؟ وقيل : إن كل ثوب وشى عند العرب عبقرى ، ويقال : عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة » (٤) .

إن هذه الآية لتبين لنا أهمية مهنة الطباعة والنقوش ، كما تبين أيضاً ما يجب أن تكون عليه المهنة من دقة وإتقان وحسن .

التنجيد :

لقد عرف العرب والمسلمون الوسائد وقد حشوها فى الغالب من الأدم ، يقول

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٨٢٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

عبد الحى الكتانى : « إن رسول الله ﷺ أدنى الوسادة إلى سلمان حين دخل عليه ، والوسادة : ما يتوسد عليه ، أى يوضع تحت الرأس وهى التى تسمى مخدة » [١] ،وقد وردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) ﴾ [الغاشية]،« أى : وسائد والواحدة نمرقة،والمعنى:أن الواحدة بجانب الأخرى » [٢]،وقال تعالى:﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) ﴾ [الغاشية] ، « والزرابى : هى النمارق ، والنمارق : الوسائد ، وقيل : هى الطنافس المُخْمَلَةُ والبُسُط » [٣] ، وقيل : « هى كل ما بسط واتكئ عليه » [٤] .

إن مخاطبة العرب لا يمكن أن يكون بلغة لا يفهمونها ، فلابد أنهم يعرفون معنى النمرقة ، ويستخدمونها لذا خوطبوا بها ، وفى هذا دلالة على وجودها ووجود حرفة التنجيد فى العهد الإسلامى الأول .

الصباغة :

« إن عادة صبغ الثياب من العادات المعروفة عند العرب قبل الإسلام ، وكانوا يستعملون فى ذلك أصباغاً مختلفة ، كالقرف وهو قشور الشجر ، والجذور يستخرجون ما فيها من مادة ملونة لصبغ ما يصنعونه فيها من ملابس ، والأصباغ المستخرجة من بعض النباتات ، ويقوم بصبغ الثياب الصباغون ، يصبغون الملابس كما يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطتها » [٥] .

وقد ذكرت الصباغة فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع حيث يقول تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) ﴾ [البقرة] ، وقد « سمى الدين صبغة استعارة ومجازاً من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين ، كما يظهر أثر الصبغ فى الثوب » [٦] ، ونستدل من تشبيه القرآن الدين بالصبغة : أن المسلمين الأوائل كانوا يعرفون الصبغة ولذلك نزل القرآن بلغتهم .

ويقول تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠) ﴾ [المؤمنون] ، وقوله : « ﴿ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ يراد به الزيت الذى يصطبغ به الأكل يقال : صبغ وصباغ ، ودبغ ودباغ ، وكل إدام يؤتدم به فهو صبغ ، وأصل الصبغ ما يلون به

(١) عبد الحى الكتانى : التراتب الإدارية ، مرجع سابق ج ١ ، ص ٣٢ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص ٣٤ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٤٧ .
(٥) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ ، نقلها من جواد على : المفصل ، ج ٧ ، ص ٦١٦ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

الثوب ، وشبه الإدم به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه » (١) .

وقد شبه الله سبحانه وتعالى الجبال يوم القيامة بالعهن . فقال تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ ﴾ [المعارج] ، أى كالصوف المصبوغ ، ولا يقال للصوف عهن إلا أن يكون مصبوغاً ، وقال الحسن : « هو الصوف الأحمر وهو أضعف الصوف ، وقيل العهن : الصوف ذو الألوان ، فشبه الجبال به فى تلونها ألواناً » (٢) .

النجارة :

تنقسم النجارة إلى نجارة عامة ، ونجارة خاصة تتمثل فى نجارة السفن .

أولاً : النجارة العامة :

« النجر نحت الخشبة ، نجرها ينجرها نجراً : نحتها ، ونجارة العود : ما انتحت منه عند النجر ، والنجار : صاحب النجر وحرفته النجارة » (٣) .

والنجار هو الذى ينجر الخشب ، فيقوم بنشره وحفره وإصلاحه وعمله على النحو المطلوب ، ومادة النجارة الخشب ، وقد قال عنها ابن خلدون : « هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب ، ثم يعدد منافعها لأهل البدو والحضر ، فأما أهل البدو فيتخذون منها العُمُدَ والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم ، والرماح والقسى والسهام لسلاحهم ، وأما أهل الحضر ، فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم ، والكراسى لجلوسهم ، وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ، ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة أى النجارة ، وفيما يقال : إن معلم هذه الصناعة فى الخليقة هو نوح عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة » (٤) ، قال تعالى : « ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٢٧ ﴾ [المؤمنون] ، فلقد شاء الله أن يصنع نوح الفلك بيده ، وقد علم صناعة الفلك » (٥) .

وقد يصنع من الخشب أشياء مختلفة منها تقوية الجدر ، وفى صنع السقوف والأبواب وفى تقوية السلالم ، وفى صنع الشبابيك .

وقد ورد ذكر السقف فى القرآن الكريم فى مواضع عدة منها : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١١٦ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٣) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٩٣ .
(٤) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ .
(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٦٥ .

قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٦) ﴾ [النحل] ، وورد ذكر السلالم فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) ﴾ [الطور] ، أى : « مرقاة إلى الملأ الأعلى »[1] ، وكذلك : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾ [الأنعام] .

واستخدم الخشب فى صنع أثاث البيت وفى كثير من الأدوات المستخدمة فى حياة الإنسان ، وقد ورد ذكر الأثاث فى القرآن الكريم : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤) ﴾ [مريم] ،وقوله تعالى: ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴾ أى : « أحسن متاعاً ومنظراً وقيل : خير مسكناً وأحسن مجلساً »[2] .

وقد ذكر أسماء بعض أنواع الأثاث : مثل الأرائك فى قوله تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) ﴾ [يس]،« والأرائك هى: السرر »[3] «وهى: جمع أريكة ، وهى السرر وقيل : هى الأسرة »[4] ،وجمع السرير أسرة[5] ، وقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) ﴾ [الكهف] ،وقال تعالى : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) ﴾ [الصافات] ، أى : «أن الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد »[6]،ووردت فى آية أخرى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) ﴾ [الواقعة] ، أى : « السابقون فى الجنة مجالسهم على سرر جمع سرير »[7] ، وقوله تعالى : ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) ﴾ [المطففين] ، أى : « فى الجنة ينظرون وهم على الأسرة »[8] .

ويقول تعالى فى موضع آخر : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٧٤ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٣٩٨ .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٧٧ .
(٧) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٠١ .
(٨) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٢٦٤ .

﴿ زَمْهَرِيراً (١٣) ﴾ [الإنسان] ، أى : « متكئين فى الجنة على سرر لا يرون فى الجنة شدة حر ، ولا برداً مفرطاً » (١) ، كما ورد ذكر الكرسى أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ [ص] .

وقد كان كرسى سليمان من أنياب الفيلة وقد حف من جانبيه بالنخل ، وجعل على رءوس النخل التى هى على يمين الكرسى طواويس من ذهب ، ثم جعل على رءوس النخل التى على يسار الكرسى نوراً من ذهب مقابله الطواويس (٢) ، ونستدل من ذلك أن الأشجار كانت مادة لأعمال النجار يصنع منها الكراسى ، كما أن العرش من الألفاظ الواردة فى عدة مواضع من القرآن الكريم منها : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾ [يوسف] ، أى : « ورفع أبويه على السرير الذى يجلس عليه » (٣) ، « والعرش من البيت سقفه وربما المقصود الكرسى الذى يجلس عليه ، وعَرَش بنى بناء من خشب ، والعرش أيضاً : الخيمة ومنه قيل لبيوت مكة : العُرُش لأنها عيدان تنصب ويظلل عليها » (٤) ، كما ورد ذكر التابوت أيضاً أى سرير الموت فى قوله تعالى : ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) ﴾ [طه] ، وقد قيل : « إن مؤمن آل فرعون هو الذى صنع التابوت ونجره » (٥) من الخشب .

كما ورد ذكر الجفان فى قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ [سبأ] ، أى : « يعملون لسليمان ﴿ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ والجواب جمع جابية وهى الحوض الكبير الذى يجىء فيه الماء » (٦) ، واستمر عمل الجفان إلى عهد رسول الله ﷺ إذ « كان النجار ولاسيما من تخصص بالقداحة منهم بعمل القدح النضار ، وهو القدح المعمول من النضار ، والنضار خشب معروف فى الحجاز فى أيام الرسول ﷺ ويكون بغور الحجاز ، يعمل منه ما دق واتسع وغلظ من الأقداح ، وذلك لتحمل هذا

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٣٧ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٠٢٩ .

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٩٥ .

(٦) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ .

الخشب ما لا تتحمله الأنواع الأخرى من الخشب المستخرج من الحجاز ، وقد كانوا يدفنون هذا الخشب حتى ينضر ، ثم يعمل فيكون أمكن لعامله فى ترقيقه ، وقد كان عند الرسول قدح نضار عريض ، ويعبر أيضاً عن الأقداح المنحوتة من الخشب بـ (الخشيب) » (١) .

وقد ذكر الباب فى أكثر من موضع منها قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾ [يوسف] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾ [يوسف] ، أى أنهم كان لديهم نجارون يعملون هذه الأبواب فى زمن يوسف عليه السلام .

تعميق إدراك الإنسان بمهنة النجارة من خلال التشبيهات القرآنية :

لمعرفة العرب بالخشب ، فقد شبه الله سبحانه وتعالى المنافقين بالخشب فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾ [المنافقون] ، «وفى هذا تشبيه للمنافقين بالخشب المسندة إلى الحائط وأنهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون » (٢) .

ثانياً : نجارة السفن :

وجد فى العهد الإسلامى الأول نجارون تخصصوا فى صنع القوارب والسفن لاستعمالها فى صيد السمك وفى البحار والأنهار وللتجارة البحرية والنقل ، ويبدو أن هذه الحرفة قد انتشرت فى السواحل البحرية لشبه الجزيرة العربية ، أما فى الداخل فلا يمكن أن تكون منتشرة لعدم توفر وجود الأنهار الصالحة للملاحة البحرية .

وقد ذكر القرآن الكريم نجارة السفن وكانت من الأخشاب حين خاطب المولى نوح عليه السلام قائلاً : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) ﴾ [هود] ، أى : « واصنع السفينة بمرأى منا وتعليمنا لك ما تصنعه ، وقال بعض السلف : أمره الله تعالى أن يفرز الخشب ويقطعه وييبسه فكان ذلك فى مائة سنة ونجرها فى مائة سنة أخرى ، وقيل : فى أربعين سنة ، وقيل : إن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج » (٣) ، وقيل : « إن نوح قال : يارب ، ما أنا بنجار ، قال : فإن ذلك بعينى ،

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١٢٥ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

فأخذ القادوم فجعله بيده ، وجعلت يده لاتخطئ ، فجعلوا يمرون به ويقولون : هذا الذى يزعم أنه نبى صار نجاراً » (١) .

ويؤكد تلك المعنى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) ﴾ [المؤمنون] ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) ﴾ [القمر] ، أى : « وحملنا نوحاً على سفينة من خشب وخيوط من ليف تشد ألواحها ، تجرى على الماء بحفظنا جزاء لنوح الذى استمر قومه على تكذيب دعوته » (٢) .

ويمتن الله علينا بأن جعل لنا السفن المصنوعات بأيدينا جاريات فى البحر ، فى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) ﴾ [الرحمن] ، أى : « وله السفن تجرى فى البحر كالجبال فى كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر ومن إقليم إلى إقليم ، مما فيه صلاح الناس فى جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع » (٣)،وفى هذا التفسير دليل على إتقان هذه الحرفة فى هذا العصر .

ويقول تعالى موجهاً نظرنا إلى أهمية السفن : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) ﴾ [النحل] ، وفى موضع آخر يقول تعالى : ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾ [فاطر] ، أى : « وترى السفن تشق البحار والأنهار بما أودع الأشياء فى هذا الكون من خصائص ، ولكثافة الماء وكثافة الأجسام التى تتكون منها السفن ، وقوله : ﴿ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ بالسفر والتجارة من قطر إلى قطر » (٤) ، ويقول تعالى فى موضع آخر : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ [البقرة] ، « وتدل على وجود السفن التى تجرى على وجه الماء ووقوفها مع ثقلها ، وأول من عملها نوح عليه السلام » (٥) .

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣١ .

(٢) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، الطبعة السادسة ، أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة القرآن والسنة ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ، ص ٣١٣ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٢ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٢٩٣٤ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

إن قوم نوح كذبوه فنجاه الله ومن معه فى السفينة التى صنعها بيده ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ [الأعراف] ، وقوله تعالى : ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) ﴾ [يونس] .

نستدل مما سبق أن مهنة النجارة حرفة قديمة جداً ، وقد عرفها الأولون واستخدموا أدواتها ، ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) ﴾ [الكهف] ، أى : « فانطلقا موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر ،فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملون بغير نوال ، فلما ركبا فى السفينة لم يفاجأ موسى إلا والخضر قد خلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم »[1] .

وقد عرف موسى فيما بعد العلة من ذلك : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) ﴾ [الكهف] .

إن السفن نعمة من الله إذ إننا نحمل عليها من قطر لآخر ومن موضع لآخر، يقول تعالى : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) ﴾ [المؤمنون] ، ويقول تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) ﴾ [يس] ، أى: « ونعمة لهم أنا حملنا ذريتهم فى السفن ، يحمل فيها من يصعب عليه المشى والركوب من الذرية والضعفاء »[2] .

ولقد حرص الإسلام على تعريف الإنسان بالسفن وعلى انتفاعه بها وكان تأكيده على منافعها العظيمة مستمراً ، ويظهر ذلك بصورة واضحة فى كثرة عدد الآيات القرآنية التى تناولتها .

السفن : وقد ورد لفظ « السفن » فى أربع آيات[3] منها قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٥) ﴾ [العنكبوت] .

الفلك : عبر عن السفينة بلفظة « الفلك » فى ثلاث وعشرين آية[4] منها قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) ﴾ [إبراهيم] ، وقوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) ﴾ [يس] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٨١ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٣٤ .
(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .
(٤) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٦٦٨ ، ٦٦٩ .

الجاريات : عبر القرآن الكريم عن السفن بلفظة « الجاريات » فى آية واحدة (١) فى قوله تعالى : ﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ③ ﴾ [الذاريات] .

الجوار : عبر عن السفينة بلفظة « الجوار » فى ثلاث آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ㉔ ﴾ [الرحمن] .

الجارية : عبر القرآن الكريم عن السفن بلفظة « الجارية » فى آيتين من آياته فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ⑪ ﴾ [الحاقة] ،وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫ ﴾ [الغاشية] .

المواد الخام التى تقوم عليها النجارة :

ورد ذكر المواد الخام التى يعمل بها من يقوم بمهنة النجارة وهى الخشب الذى هو مادة النجارة فى القرآن الكريم ومن هذه المواد :

السدر والخمط والأثل: الخمط والأثل والسدر من الأشجار المعروفة فى كل مكان من جزيرة العرب (٢) ، وورد ذكره بقوله تعالى : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ⑯ ﴾ [سبأ] ، كما ورد السدر فى قوله تعالى : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ㉘ ﴾ [الواقعة] ، « والخمط : شجر الأراك ، أوكل شجر ذى شوك يشبه الطرفاء ، والسدر : شجر النبق ، وهو أجود ما صار لهم ولم يعد لهم منه إلا القليل » (٣) .

صناعة المعادن :

لأهمية المعادن فى حياة البشرية وجدت سورة فى القرآن الكريم تسمى سورة الحديد رقم (٥٧) إنها سميت باسم خام الحديد لبيان عظمته وأهميته للإنسان ، وتبين ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الفرد المسلم والكون بمحتوياته .

وفى نفس السورة يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ㉕ ﴾ [الحديد] ، « أى : أنشأنا وخلقنا الحديد ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ الكراع والسلاح والجنة ، وقوله : ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ مثل استخدامه فى صناعة السكين والفأس والإبرة ونحوه » (٤) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .
(٢) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٢٦١ .

يقول سيد قطب ـ رحمه الله : إن التعبير بأنزلنا الحديد يشير إلى إرادة الله وتقديره في خلق الأشياء والأحداث ، فهى منزلة بقدر وتقدير وهو قوة فى الحرب والسلم وفيه منافع للناس وتكاد حضارة البشرية القائمة الآن أن تقوم على الحديد .

ويقول تعالى في موضع آخر مشيراً فيه إلى مدى تحمل الحديد فقال تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الإسراء] ، والمعنى : « لو كنتم حجارة أو حديداً لأعادكم كما بدأكم » (١) .

وسوف نستعرض بعض المهن المتصلة بالحديد والمعادن بصفة عامة ، ثم نتعرض لبعض المنتجات التى كانت تعمل من هذه المعادن .

الحدادة :

الإنسان الذى يصنع الأدوات أو الآلات من معدن الحديد يسمى حداداً ، فالحداد هو معالج الحديد ،ويعرف أيضاً بالقين ، « فالقين الحداد وجمعه قيون » (٢) ، « ومهنة الحدادة قديمة جداً فقد مارسها العرب فى الجاهلية » (٣) ، « وقد اختص بها بنو قينقاع » (٤) .

وفى القرآن إشارة تدل على أن حرفة الحدادة كانت معروفة للعرب قبل الإسلام حيث ورد : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ]

وفى هذه الآية : « يخبر الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود ﷺ أن صير له الحديد يشكله كما يشاء » (٥) ، فيستطيع تشكيله على أى شكل حسب الحاجة .

وقد كان الحدادون يستخدمون بعض الأدوات التى تمكنهم من القيام بأعمالهم ، ومن أهم الأدوات التى كان الحداد يستعين بها أثناء عمله ليتمكن من تأمين الأشياء التى يريد صنعها هى المطارق،وقد ورد ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحج] ، « والمقامع : المطارق ، وهى المرازب أيضاً ، وسميت بذلك لأنها تقمع المضروب أى تذلله » (٦) ، وسوف نستعرض بعض منتجات الحدادة من الأسلحة .

الأسلحة :

يبدو أن المسلمين الأوائل قد استعملوا أنواعاً مختلفة من الأسلحة التى كانت

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص ٢٧٤ .
(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٦٠ .
(٣) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .
(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٣ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٢٧ .

معروفة فى عصرهم تبين ذلك من ذكر بعضها فى القرآن الكريم .

وتلك الأسلحة لم تكن وليدة المجتمع العربى : بل كانت معروفة منذ أمد طويل وعند أمم مختلفة .

« وقد أخذت مكة نصيبها من صناعة الأسلحة ، يقول حسين مروة : وإنه لذو دلالة مهمة فى موضوعنا هنا ، أن نجد صناعة الأسلحة بين الصناعات المنسوبة إلى مكة حينذاك » (١) .

ومما يؤكد ذلك أن : « خباب بن الأرت كان يعمل السيوف فى الجاهلية ، وخباب صحابى من أصحاب رسول الله ﷺ ، كان من المسلمين الأولين الذين أعلنوا إسلامهم وعذبوا فيه ، وعليه فلابد أنه كان بمكة » (٢) .

إن صناعة الأسلحة ومنها السيوف كانت متوفرة أيضاً فى (نجد) ، يقول الكتانى : « عن ابن إسحاق أنه ﷺ بعث سعيد بن زيد إلى نجد ليبتاع له الخيل والسلاح ، واتخذ ﷺ أنواعاً مختلفة من السلاح التى كانت موجودة إذ ذاك عند الأمم . كان له من السيوف تسعة لكل واحد اسم يخصه » (٣) .

وسوف نستعرض بعض أنواع الأسلحة كما ذكرت فى القرآن الكريم :

أ ـ الرماح :

الرمح من الأسلحة التى تستعمل لطعن العدو ، ويبدو أن العرب فى العصر الإسلامى الأول قد استعملوا أنواعاً مختلفة من الأسلحة التى كانت معروفة فى ذلك العصر ومنها الرماح ، وقد ورد ذكر الرماح فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) ﴾ [المائدة] .

« والرمح كان يتكون من ثلاث أقسام هى : القناة ، والسنان ، والزج ، والقناة هى القائم الذى يدخل فى أعلاه السنان ويثبت فى أسفله الزج ، والسنان : هو النصل وكان يصنع من حديد » (٤) .

وكان « نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يتجر فى الرماح وبها فدى نفسه لما أسر

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، نقلها من حسين مروة : النزعات المادية فى الفلسفة العربية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفارابى ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ١٩٧ .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

(٤) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ ـ ١٣٦ .

فى غزوة بدر ، وكانت ألف رمح ، وفى طبقات ابن سعد لما أسر نوفل بن الحارث ببدر قال له النبى ﷺ: «افد نفسك برماحك التى بجدة »، قال: أشهد أنك رسول الله، ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح، وقد أعان النبى ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح » (١) .

ب ـ صناعة الدروع :

« الدِّرع : لبوس الحديد ، تذكر وتؤنث ، والجمع فى القليل : أدرع ، وأدراع ، وفى الكثير : دروع » (٢) ، ويتضح أنها من الأسلحة التى استعملت قديماً .

وقد ورد ذكر الدرع فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)** ﴾ [سبأ] .

وهذه سورة واضحة تبين لنا أن داود عليه السلام عمل بصناعة الحديد فكان فى يده كالعجين ، وعمل منه السابغات أى الدروع الواسعة المحكمة الصنع ، وكان الدرع من ضمن الأسلحة المستخدمة قديماً ، وربما تعلم آل داود ومنهم ابنه سليمان صناعة الدروع أيضاً .

جـ ـ صناعة القسى والسهام :

« القوس : يذكر ويؤنث والجمع : قسى وأقواس » (٣) ، والقوس والسهم سلاح يمكن أن يستعمله المشاة إذا ركبوا الخيل ، فالقوس هو الآلة التى تمسك باليد ، ويشد وترها شداً قوياً ، ليرمى السهم إلى الهدف المراد رميه ، وكلما كان الشد قوياً صارت الرمية بعيدة مؤثرة (٤) .

وقد ورد ذكر القوس فى القرآن الكريم وذلك فى قوله : ﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩)** ﴾ [النجم] ، « أى : فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قدر قوسين إذا مدا ، وقد قيل : إن المراد بذلك بُعد ما بين وتر القوس إلى كبدها » (٥) .

ومن ذلك نستطيع أن نستنتج أن العرب كانوا يعرفون القوس ويتخذونه كآلة من آلات الصيد والحرب ، وكانوا يضعون فيه السهم « ويسمونه النبل ، وهو ما يرمى فى

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٨١ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٥٥ .
(٤) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ .

الهدف ، أى هو قذيفة القوس ، فإذا وضع فيه النصل الحديد فهو السهم » (١) .

وقد كان « يصنع القوس من أنواع مختلفة من خشب الأشجار ، أما الوتر فيصنع عادة من الجلد ، أما النصل فكان يصنع من الخشب أو الحديد » (٢) ، « ولقد عدت الرماية من جملة الخصال العالية فى الشخص المكملة للإنسان ، وقد اشتهر فى الجاهلية قوم بدقة رمايتهم ،وإذا أرادوا وصف رجل بدقة الرمى ،قالوا فيه : كان من أرمى الناس ، وكانت الرماية دراسة يتعلمها الرامى من رماة ماهرين ، وقد استعان الفرس والروم والرومان بالرماة الماهرين من العرب ،فكونوا منهم فرقاً خاصة من جيوشهم ، وقد كان فى صفوف قريش والوثنيون جماعة من الرماة المهرة الذين يصيبون الأهداف » (٣) .

ونستطيع بناء على ماتقدم أن نقول : إن صناعة الأسلحة كانت متوفرة فى عهد رسول الله ﷺ وحض عليها الإسلام .

د ـ صناعة السكين :

أشار القرآن الكريم إلى السكين فى قصة يوسف وامرأة العزيز إذ يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ [يوسف] ، وقوله : « ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ بالمدى حتى بلغت السكاكين إلى العظم » (٤) ، وفى ذلك إشارة إلى معرفة صناعة السكين واستخدامها .

صناعة المسامير :

عرف المسلمون صناعة المسامير وتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) ﴾ [القمر] ، « قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظى وقتادة وابن زيد : هى المسامير » (٥) ، أى: أن ألواحها قد التصقت بعضها ببعض بـ « دسر » وهى المسامير .

وفى ذلك دلالة على معرفة المسلمين للمسامير واستخدامها فى تثبيت ألواح السفينة .

---

(١) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٧٩ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٤ .

السباكة :

« سبك المعادن وغيرها :إذابتها » [(١)] ، « والسبيكة : عبارة عن خليط أو مركب من معدنين أو أكثر يمكن الحصول عليه أحياناً بخلط المعادن فى الحالة المنصهرة » [(٢)] ، ونعنى بالسباكة الانصهار بين المعادن المختلفة .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن واقعة استخدمت فيها السباكة ـ حسب مفهومنا الحديث ـ فى قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)** ﴾ [الكهف] .

وفى الآيات السابقة يخبر الله تعالى عن ذى القرنين أنه سلك طريقاً بين الشرق والغرب حتى وصل إلى مكان سحيق بين جبلين مرتفعين ، وهناك وجد قوماً لا يفقهون ما يقال لهم إلا فى عسر ومشقة ، فلما آنسوا فيه القوة والقدرة طلبوا منه أن يقيم لهم سداً فى وجه يأجوج ومأجوج ، وقد كانوا يغيرون عليهم ، فيفسدون فى أرضهم ويخربون ، على أن يجعلوا له ضريبة فى نظير هذا العمل ، فرد عليهم قائلاً : إن الذى أعطانى الله من الملك والتمكين خير لى من الذى تجمعونه ولكن ساعدونى بعملكم وآلاتكم واجمعوا قطع الحديد ، فنضعها فوق بعضها من الأساس ، حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولاً وعرضاً ، أوقد عليه النار حتى صار كله ناراً ثم أفرغ عليه نحاساً مذاباً ، فتماسك النحاس والحديد وكون سداً (سبيكة) منيعاً ، فلم يستطع يأجوج ومأجوج أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله [(٣)] .

إن الناظر فى الآيات السابقة يلاحظ إجمالاً عاماً فى الوقائع ؛ لأن ذا القرنين حينما ساوى بين الصدفين ثم جعل النار تصهره ، كان من ذى قبل مكلفاً فرقة أخرى بإذابة النحاس ، غير تلك التى كانت تعمل معه فى إذابة الحديد .

فإذا ما ذاب الحديد دعا من كلفوا بإذابة النحاس حتى يدمج الاثنين معاً ، ثم تركهما ليبردا فيتماسك الحديد والنحاس مكوناً سبيكة ذات خواص جيدة لم تكن

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤ .

(٢) عباس عبد العظيم مصطفى وآخرون : خامات ومعادن للصناعات الميكانيكية ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ٢٧ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

موجودة أصلاً فى كل معدن على حدة ، ونستدل مما سبق أن ترتيب العمل شيء واجب ومفروض ، إذ إننا نجد أن ذا القرنين قد رتب عمله فى خطوات علاوة على توزيع العمل على مجموعات ، وبالتالى نستطيع أن نؤكد أن السابقين قد عرفوا العمل التعاونى وأهميته وقاموا به علماً وعملاً .

كما أننا نعلم أن درجة انصهار النحاس «١٠٨٣م» (١) ، وأن درجة انصهار الحديد النقى تماماً «١٥٣٩م» (٢) ، أى أن درجة انصهار المعدنين مختلفة تماماً ، وهذا يستلزم بالطبع أن يسبق انصهار الحديد انصهار النحاس حتى يكون المعدنان فى لحظة واحدة قد وصلا إلى درجتى الانصهار الكامل فيذوبان فى بعضهما ذوباناً تاماً ، فيكونان السد ، وقد ذكر فى الآية السابقة أن النحاس والحديد وضعا فى لحظة واحدة فبعد أن صهر الحديد وضع النحاس المذاب عليه .

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن السابقين كانوا على علم ومعرفة بصفات وخصائص المواد وهو علم حديث له أصوله وقواعده ، وإن لم يطلقوا عليه اسم علم الخامات والمعادن كما نسميه الآن .

كما وردت السباكة فى موضع آخر من القرآن الكريم إذ يقول تعالى : ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)** ﴾ [الرعد] ، « وقد اشتملت هذه الآية على مثلين مضروبين للحق فى ثباته وبقائه ، والباطل فى اضمحلاله وفنائه ، وقوله : ﴿ **وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ** ﴾ هذا هو المثل الثانى وهو ما يسبك فى النار من نحاس وحديد فيجعل متاعاً فإنه يعلوه زبد منه ، هذا الزبد لا يثبت مع النحاس أو الحديد أو نحوهما مما يسبك فى النار بل يذهب ويضمحل ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً** ﴾ أى لا ينتفع به بل يتفرق ، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد يذهب ولا يرجع منه شيء » (٣) .

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن حرفة السباكة كانت معروفة للعرب قبل الإسلام ، وكانوا يصنعون منها السدود والحلى والأدوات والسلاح ، وحض عليها الإسلام

---

(١) مصطفى عبد الموجود : الجديد فى الخامات والمعادن ، مكتبة العهد الجديد بالفجالة ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣٣ .

(٢) انظر : أ ـ المرجع السابق .

ب ـ عباس عبد العظيم مصطفى : خامات ومعادن للصناعات الميكانيكية، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ .

لضروريتها فى حياة الأفراد والمجتمعات .

الصياغة :

« صاغ الشىء ، فهو صائغ ،(وصواغ) و(صياغ) أيضاً فى لغة أهل الحجاز ، وعمله الصياغة » [1] .

ولقد كانت الصياغة معروفة قبل الإسلام إذ جاء فى القرآن الكريم إشارة إلى مهنة الصياغة حين حدثنا عن بنى إسرائيل ، وكيف « أنهم جعلوا من حليهم المخصصة للزينة جسماً على صورة العجل الذى لا يعقل ولا يميز ، له صوت يشبه صوت البقر ، مما أودع فيه من الصناعة،فقد جعلوا فيه فراغات حين تمر فيه الريح يحدث صوتاً (خوار) ، وصنعه لهم السامرى وأمرهم بعبادته » [2] ، فقال تعالى : ﴿ **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨)** ﴾ [طه] ، وقال أيضاً : ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)** ﴾ [الأعراف] .

وقد وجدت مهنة الصياغة فى عهد فرعون أيضاً ويتضح ذلك من قـوله تعالـى : ﴿ **فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)** ﴾ [الزخرف] .

« وكانت العادة فى هذا الوقت وبخاصة فى عهد فرعون أن يسوروا الرجل بسوارين ويطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته ، فقال فرعون : هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان صادقاً » [3] .

وفى هذا دلالة على أن مهنة الصياغة قديمة جداً ، ولمعرفة العرب بها وحبهم لها وعدهم الله سبحانه وتعالى بها فى الجنة فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)** ﴾ [الحج] .

وقال أيضاً : ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)** ﴾ [الإنسان]،وقوله: ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ** ﴾ [الكهف: ٣١]،« وجمع سوار (أسورة)،وجمع الجمع (أساورة)،وقد يكون جمع أساور » [4] .

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٧٣ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ١٠٠ .

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .

ولما نهى رسول الله ﷺ عن الشراب فى إناء من ذهب أو فضة لما فيه من ترف كبير فقد وعدهم الله تعالى بها فى الآخرة فقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ⁽¹⁵⁾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ⁽¹⁶⁾ ﴾ [الإنسان] ، « أى يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب بآنية من فضة ، ولم ينف الأوانى الذهبية ، بل المعنى يسقون فى أوانى الفضة ، وقد يسقون فى أوانى الذهب » (١) ، أى أننا نلاحظ أن عمل الصاغة لم يقتصر على الحلى بل تعداها إلى صناعة الأوانى .

ولم تكن الأوانى الفضية أو الذهبية حديثة عهد حين نزل القرآن وإنما كان العرب يعرفونها فقد كانت تصنع منذ عهد بعيد ، ويتبين ذلك من قوله تعالى فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ⁽⁷⁰⁾ ﴾ [يوسف] ، « والسقاية والصواع شىء واحد والصواع : لغة من الصاع وقيل : هو إناء يشرب فيه » (٢) ، « وقال عكرمة : كان إناء من فضة ، وقال عبد الرحمن بن زيد : كان من ذهب » (٣) .

ولمعرفة العرب بمهنة الصياغة فقد ضرب بها المثل فقال تعالى : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ⁽¹⁷⁾ ﴾ [الرعد] ، « وفى هذه الآية يضرب الله المثل للحق والباطل ، فالأول يبقى والثانى يذهب ، ومن المعادن التى يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة ، ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس والرصاص ، ومنها ما لا نفع فيه يعلو السطح ، وأن ما لا نفع فيه يرمى وينبذ ، وما فيه النفع يبقى » (٤) ، وهو ما خلص من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص .

إن العرب كانوا يمارسون مهنة الصياغة فكانوا يشتغلون بصاغة الحلى وكانوا يصنعونه من معادن مختلفة .

ومما يؤكد اشتغال المسلمين الأوائل بصناعة الحلى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ⁽⁷⁷⁾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ⁽⁷⁸⁾ ﴾ [مريم]

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ .
(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٧٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ .
(٤) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٣٥٦ .

وفى تفسير هذه الآية يقول الإمام القرطبى : « كان الخباب قيناً (حداداً) فصاغ حلياً ثم تقاضى أجرته من العاص ، فقال العاص : ما عندى اليوم ما أقضيك ، فقال خباب: لست بمفارقك حتى تقضينى ، فقال العاص: يا خباب ، مالك ؟ ما كنت هكذا ، وإن كنت لحسن الطلب ؟ فقال خباب : إنى كنت على دينك فأما اليوم فأنا على دين الإسلام مفارقاً لدينك ، قال : أولستم تزعمون أن فى الجنة ذهباً وفضة وحريراً ؟ قال خباب : بلى ، قال : فأخرنى حتى أقضيك فى الجنة ـ استهزاء ـ فوالله لا تكون أنت يا خباب وأصحابك أولى بها منى ، فأنزل الله تعالى الآية السابقة » (١) .

والملاحظ على التفسير السابق أن المسلمين الأوائل لم يكن عندهم تفرقة بين الحدادة والصياغة بل كانت مهنة واحدة ، ويبدو أنها لم تنفصل عن بعضها إلا فى العصور الحديثة ، حين ظهر عصر التخصص ، ومن وجهة نظر الباحث (٢) أنه لا يوجد فروق جوهرية بين مهنتى الحدادة والصياغة إلا أن حجم المصوغات يكون صغيراً عكس حجم المشغولات التى تشكل بالحدادة .

وكان الخلخال من أدوات الزينة التى تستعملها النساء ، يوضع على الساق ، يصاغ من الذهب أو الفضة ، ولا يزال يستعمل حتى الآن فى بعض المناطق العربية ، وللأجراس الصغيرة التى تعلق به رنين خاص ونغمات ، وقد نهى الإسلام عن تبختر النساء بالخلاخل ، وإثارتهن نغماتها ، لما فى ذلك من إثارة للرجال وتأثير عليهم ، وذلك فى قوله : ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٣١) ﴾ [النور] .

مما سبق نستنتج أهمية الصياغة فى المجتمع ، وممارستها فى المجتمع الإسلامى الأول على يد صحابة رسول الله ﷺ .

الخامات التى تصنع منها الحلى والمشغولات :

أ ـ النحاس :

« النحاس : معروف و (النُّحاس) أيضا دخان لا لهب فيه » (٣) . وقد ورد ذكر النحاس فى القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ** (٣٥) ﴾ [الرحمن] ، وقال صاحب مختار الصحاح أيضاً : « القِطْر : بوزن

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) الباحث متخصص فى هذا المجال حيث إنه حاصل على بكالوريوس العلوم والتربية تخصص ميكانيكا تشغيل وتشكيل المعادن.

(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٤٩ .

القطر النحاس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] » (١) ، وقيل : القطر هو : « النحاس الذائب » (٢) .

وقد ورد ذكر القطر في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) ﴾ [الكهف] ، وقد أسالَ الله النحاس لسليمان : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) ﴾ [سبأ] .

مما سبق يتبين لنا أن العرب والمسلمين قد عرفوا النحاس واستخدموه فى صناعات متعددة .

ب ـ الذهب والفضة :

« الذهب : معروف ، وربما أُنِّث ، وشيء (مذهب) أى مموه بالذهب » (٣) ، وهو من أثمن المعادن ويقبل الطرق والتشكيل أكثر من غيره ، « والفضة معروفة ، ولجام مفضض أى مرصَّع بالفضة » (٤) .

وقد ورد ذكر الفضة والذهب فى مواضع عدة من القرآن الكريم منها : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) ﴾ [التوبة] ، وقوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ [فاطر] .

مما سبق يمكننا القول بأن صناعتى الذهب والفضة كانتا معروفتين فى شبه الجزيرة العربية فعملوا منهما الحلى والأوانى .

جـ ـ اللؤلؤ والمرجان :

« (اللؤلؤ) : الدُّر ، والجمع (اللؤلؤ) و (اللآلئ) » (٥) . وهو يستخرج من

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٤٢ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٠٦ .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٨٧ .

أصداف يحصل عليها الغواصون من قاع البحر ، « والمرجان : صغار اللؤلؤ » (١) .

وقد ورد ذكر اللؤلؤ فى قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ [فاطر] ، ونستدل من هذه الآية أن اللؤلؤ يدخل فى صناعة الحلى ومنها الأساور كما ورد ذكر المرجان فى قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾ [الرحمن] ، وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) ﴾ [الرحمن] ، ويقول تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾ [فاطر] ، « والحلية تستخرج من الملح،وقيل : إنما تستخرج من الأصداف التى فيها الحلية من الدّر،والحلية مثل اللؤلؤ » (٢) .

د ـ الياقوت :

ورد ذكر الياقوت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) ﴾ [الرحمن] ،وجاء فى تفسير الإمام ابن كثير :« كأنهن الياقوت صفاء ، والمرجان بياضا ، ومما يدل على أن الياقوت مشهور بنقائه وصفائه ؛ لأن الياقوت حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه » (٣) .

صناعة النقود :

عثر الباحثون على نماذج من نقود جاهلية تعود إلى عهود مختلفة فى مواضع متعددة مختلفة من جزيرة العرب ، وقد استعمل أهل الجاهلية النقود فى معاملاتهم ، واستعملوا نقوداً سُكَّت من ذهب ، ونقوداً سُكَّت من فضة ، وأخرى سُكَّت من نحاس ، ومن معادن أخرى ، وقد عثر على نماذج من كل نوع من هذه الأنواع ، كما تعاملوا بالنقود الأجنبية كذلك ، مثل النقود اليونانية والرومانية والمصرية والحبشية والفارسية ، وكانوا يتبايعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم ، وهو الرطل الذى هو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية هى أربعون درهماً (٤) ، « وقد ذكر أهل الأخبار أن أهل المدينة كانوا يتعاملون بالدراهم عند مقدم الرسول ﷺ » (٥) .

ولما كان النقد قليلاً فى تلك العهود فى جزيرة العرب ، وبين الأعراب خاصة ،

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢٠ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٣٣٤ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ .

(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٨ .

كانت طريقة المقايضة هى الطريقة الغالبة ، وأقصد بالمقايضة مبادلة حاجة بحاجة ومادة بمادة أخرى،وكان العرب يبيعون بالنقد لحاجتهم إليه، ويهتمون بالذهب منه خاصة (١) .

وقد ورد ذكر الدينار فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ [آل عمران] .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « الدينار معروف،وسمى بالدينار ؛ لأنه دين ونار ، وقيل معناه : من أخذه بحقه فهو دينه ، ومن أخذه بغير حقه فله النار » (٢) ، كما أشير إلى الدرهم فى قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾ [يوسف] .

ويلاحظ الباحث أن معظم التفاسير قد تناولت الدراهم من ناحية بيان العدد والكم ، وليس الكيف ، فقال أناس : إن إخوة يوسف باعوه بعشرين درهماً ، وقيل : اثنان وعشرون درهماً ، وقال آخرون : أربعون درهماً ، وهذا يدل على أن الدرهم كان معروفاً فعلاً ولم يكن بحاجة إلى تعريف ، « فالدراهم على عهد رسول الله ﷺ كانت على نوعين ، السوداء الدامية ، وزن الدرهم منها ثمانية دوانق ، والطبرية وزن الدرهم منها أربعة دوانق ؛ ولذا نستطيع أن نقول : إن من قال: إن الدرهم لم يكن معلوماً فى زمن النبى ﷺ هذا قول فاسد لم يكن القوم ليجهلوا أصلاً من أصول الدين فلا يعلمون فيه نصاً ، وقد كان النبى ﷺ يخرج السعاة فلا يجوز أن يظهر بهم جهل كهذا ، ولم يأت ما قاله من طريق صحيح .

وقال أبو عمر بن عبد البر وعياض : لا يجوز أن تكون الأوقية على عهد رسول الله ﷺ مجهولة المبلغ من الدراهم فى الوزن ثم يوجب الزكاة عليها ، وهو لا يعلم مبلغ وزنها وتقع بها البيوعات والأنكحة ، وهذا يبين أن قول من قال : إن الدراهم لم تكن معلومة إلى زمن عبد الملك فى جمعها برأى الفقهاء وهم ، وإنما معنى ذلك أنها لم تكن من ضرب أهل الإسلام ، وإنما كانت مجموعات من ضرب فارس والروم وصغار وكبار ، أو قطع فضة غير مضروبة ولا منقوشة يمانية ومغربية ، وبعد ذلك فى أيام عبد الملك كرهوا الضرب الجارى من ضرب الروم فردوها إلى ضرب الإسلام » (٣) .

« وضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم سنة ٧٥ هجرية ، وهو أول من

---

(١) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٦ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .

(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤١٤ .

أحدث ضربها ونقش عليها » (١) .

وقد كان العرب يتعاملون بالدنانير الرومية إلى أيام عبد الملك ، حيث أمر بضرب الدنانير ، فضربت بدمشق وقد نعت الدنانير الجديدة بـ «أحرش» إذ كانت فيه خشونة لجدته (٢) .

إن « مقدار النقد كان معلوماً زمن رسول الله ﷺ ، وكيف لا يكون معلوماً وقد تعلق به ركن من أركان الإسلام وهو الزكاة وغيرها من الحقوق والمقادير الشرعية »(٣) .

البناء والعمارة والنحت :

عرف المسلمون فن البناء والعمارة والنحت ، وهى من الصنائع التى ذكرت فى القرآن الكريم،وقد مارسها الأنبياء والأتباع على السواء،قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)** ﴾ [البقرة] .

« والقواعد : الأساس وقيل : هى الجدر والمعروف أنها الأساس » (٤) .

وهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عملا بمهنة البناء ولم ينكر عليهما الإسلام ذلك ، بل يذكر القرآن الكريم واقعة البناء فى أكثر من موضع إذ يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)** ﴾ [الحج] ، « أى أريناه مكانه ليبنيه » (٥) .

إن فى ذلك دعوة من الإسلام لتعلم أصول البناء ، دعوة إبراهيم وإسماعيل لبناء الكعبة ، ولم تكن الكعبة أول بيت يبنى ، وإنما كانت هناك بيوت كثيرة ، « ولكنها كانت أول بيت وضع للعبادة » (٦) ، إذ يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)** ﴾ [آل عمران] .

ومثلما دعا الإسلام إلى العمارة فقد نهى عن الخراب ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)** ﴾ [البقرة] ، « إنه بيان من الله لمن سعى فى خراب الكعبة ، وقيل:المراد سائر المساجد،إنه لذو ظلم عظيم » (٧) ،

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤١٧ .

(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤١٤ .

(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٢٠ .

(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٣٦ .

(٦) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٧) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

ونستوحى من هذه الآية فضل وثواب البناء والعمارة ، وذنب من سعى فى هدمها وخرابها .

إن تشييد المساجد علامة من علامات الإيمان إذ يقول تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة] .

والمعنى أنه « ما كان للمشركين أن يعينوا على عمارة مساجد الله » (١) ،إذ أنها من عمل المؤمنين : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة] .

إن حرفة البناء قديمة جداً ، وإلا ما طلبت آسية بنت مزاحم زوجة فرعون أن يبنى لها بيتٌ فى الجنة لولا أنها تعرف معنى البناء ، يقول تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم] .

ولقد أمر الله موسى وأخاه هارون ببناء المنازل بمصر فقال تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس] .

كما سخر الله سبحانه وتعالى الجن لسليمان : ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ] ، « فقد كان الجن يبنون له المساجد » (٢) ، « وكانوا ينحتون من الجبال أحواضاً ليجيء فيها الماء للإبل ، وقدوراً تنحت من الجبال الصم وكانت ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها » (٣) ، أى أنها لم تكن مجرد نحت أو بناء أو خلق ، إنما هى صنعة وإتقان .

ويقول تعالى : ﴿ **وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [ص] ، أى : « أن الشياطين كانوا يبنون لسليمان ما يشاء » (٤) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٨٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٢٧١ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١٤ ، ص ٢٧٦ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٢٠٦ .

ولقد امتازت قوم عاد وثمود بالعمارة فقال تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ ﴾ [الفجر] ، وذات العماد : تعنى ذات الأبنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور ، وقيل : كانوا يحكمون البناء بالعمد (١) .

إنه لعظم البنيان عند أهله وحرصهم عليه ، حيث إن تملك العقارات قد يكون غريزة فى الإنسان ، فقد عاقب الله الذين كفروا به وأشركوا فى عبادته غيره ، بأن اجتث بنيانهم من أصله : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦ ﴾ [النحل] ،فالقواعد : أصول البناء ، وإذا اختلت القواعد سقط البناء (٢) .

ويقول تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٧٨ ﴾ [الأعراف] ، إنها دلالة على اتخاذ البيوت والمنازل منذ زمن قديم ، يصعب تحديد بدايته ، ومن ثم يصعب تحديد نشأة علم البناء تحديداً علمياً دقيقاً .

ولقد كانت حرفة البناء منتشرة فى عهد رسول الله ﷺ إذ يقول تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠٩ ﴾ [التوبة] ، أى: « من أصل بنيانه ، والمراد أصول البناء » (٣) ،وقد نزلت هذه الآية فى قوم بنوا مسجداً بقصد تفريق المسلمين ، وقد دعوا رسول الله ﷺ للصلاة فيه فنهاه ربه عن الصلاة فيه (٤) ، وفى هذا دليل على قيام مهنة البناء فى عهده ﷺ .

ويقول تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] ، « وواحد البروج : برج ، وهو البناء المرتفع والقصر العظيم » (٥) ، وهذا يؤكد أن أصحاب رسول الله ﷺ والعرب عامة يعرفون البناء والقصور وأنها كانت موجودة وقت نزول القرآن الكريم .

ولقد نبغ العرب فى البناء حتى أنهم برعوا فى بناء القصور ؛ ولذا يقول تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠ ﴾ [الفرقان] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢٠ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٩٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٦٣ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٨٣ .

ومما يؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) ﴾ [الشعراء] ، أى : « تنحتون من الجبال بيوتاً حاذقين » (١) ، وفى ذلك دليل على إتقان العرب لفن البناء والنحت والعمارة .

ويقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) ﴾ [الأعراف] ، أى تبنون القصور بكل موضع ، وتتخذون البيوت فى الجبال ، واستدل بهذه الآية على جواز البناء الرفيع ، وبقوله تعالى : « ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، وقد ذكر أن ابناً لمحمد بن سيرين بنى داراً وأنفق فيها مالاً كثيراً ، فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال : ما أرى بأساً أن يبنى الرجل بناءً ينفعه » (٢) .

« وسمى القصر قصرا؛ لأن من فيه مقصور عن أن يوصل إليه ،وكانت قريش ترى البيت من حجارة قصراً كائناً من كان ، وقيل : العرب تسمى بيوت الطين قصراً » (٣) .

كما كان العرب ينحتون من الجبال ومن الأحجار أصناماً يعبدونها ؛ ولذلك عاب عليهم سبحانه وتعالى تفكيرهم : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) ﴾ [الصافات] ، ويبدو أن النحت كان منذ زمن بعيد إذ يقول تعالى : ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) ﴾ [الحجر] ، وكانت تبنى هذه البيوت « بواسطة النحاتة والبراية » (٤) .

ومما يدل على وجود الأبنية فى العهد الإسلامى الأول قوله تعالى : ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾ [الحشر] ، أى : أن أعداء الإسلام فى محاربتهم مع المسلمين كانوا يستترون وراء الأبنية ظناً منهم أنها تحميهم .

إن التوفيق للبناء نعمة من الله تعالى إذ يقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) ﴾ [النحل] ، يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « جعل لكم معناه : صيّر ، وكل ما علاك وأظلك فهو سقف وسماء ، وكل ما

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ١٢٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ٦ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٥٣ .

حملك فهو أرض، وكل ما سترك من جهاتك الأربع فهو جدار ؛ فإذا انتظمت واتصلت فهو بيت » (١) ، ويقول تعالى : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الشعراء] ، « أى : منازل، وقيل : قصوراً مشيدة ، فهل تخلدون ؟! إنه استفهام بمعنى التوبيخ » (٢) ، لمن ظن أنه قد امتلك الكون لمجرد أنه قد برع فى البناء والتشييد وأن هذا البنيان خالد وأنه خالد معه .

إن حب البناء والتشييد غريزة فى النفس؛ ولذلك وعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده الصالحين بقصور فى الجنة ، ووصف الفائزين بها بقوله تعالى : ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الزخرف]، أى : « وجعلنا للأبرار بيوتاً أبوابها من فضة » (٣) .

إنها ليست العمارة المتمثلة فى الأرض والجدر والسقف ، ولكنها العمارة المتكاملة والشاملة الأبواب أيضاً .

فلم يكن العرب حين نزول القرآن يهتمون بالبناء فقط ، إنما كانوا يهتمون بالعمارة ككل من جدر وأسقف وأبواب وغيره، حتى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى معرض حديثه عن أحكام الحج يذكر الباب فيقول تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة] .

« وكان الأنصار إذا حجوا وعادوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم ، فإنهم كانوا إذا خرج الرجل منهم بعد إحرامه من بيته ، فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء ، فكان يصعد ظهر بيته على الجدران ثم يقوم فى حجرته فيأمر بحاجته، وكانوا يرون هذا من النسك » (٤)، فنزلت الآية السابقة .

كما ورد ذكر البـاب فى قـوله تعـالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة] ، « والباب الذى أمروا بدخوله هو باب بيت المقدس ، وقيل : باب القبة التى كان يصلى إليها موسى وبنو إسرائيل » (٥) .

ولقد ورد ذكر البيوت أو الديار فى مواضع عديدة منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٥ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ١٢٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٨٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤١٠ .

آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ [النور] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾ [البقرة] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنۢ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) ﴾ [هود]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ﴾ [البقرة]

« والدار : المنزل الذى فيه أبنية ، وسميت داراً لدورها على سكانها ، كما نسمى الحائط حائطاً لإحاطته على ما يحويه » (١) .

ويميز سبحانه وتعالى بين المكان المعمور والمهجور فيقول تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد] ، وفى الكلام حذف والمعنى : « وفى الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات ، والمتجاورات المدن وما كان عامراً ، وغير متجاور : الصحارى وما كان غير عامر » (٢) .

تعميق الإدراك بالعمارة والبناء من خلال القصص القرآنى :

« كان للبناء والعمارة دور فى قصة قرية خاوية لا أنيس فيها ، أحياها الله ، وكان إحياؤها بالعمارة ووجود البناء والسكان » (٣) ، ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ [البقرة] .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٢٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

ذكر الله سبحانه وتعالى البناء لما حكى القرآن الكريم قصة سيدنا موسى والرجل الصالح إذ عملا بحرفة البناء : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الكهف] ، أى : « فوجد الرجل الصالح فى القرية جداراً يقترب من السقوط فهدمه ثم قعد يبنيه » (١) .

مما تقدم يظهر لنا توجيهات الإسلام وحثه على العمارة والبنيان ، علماً وعملاً وإتقاناً للعمارة بكل مشتملاتها من بناء الحوائط والأسقف والأبواب وغيره ، ولم يكتف بذلك بل وجهنا إلى اللمسات الجمالية فى العمارة .

الصيد :

لقد سخر الله للإنسان من ثروات البحر الكثير ، فالأسماك ذات قيمة عالية كعنصر غذائى يعتمد عليه سكان المناطق الساحلية خاصة فى حصولهم على احتياجاتهم من البروتين : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل] .

واهتمام القرآن الكريم بالصيد يدل على مدى أهمية تلك المهنة ، فالصيد يعتبر مصدر من المصادر الأساسية فى المعيشة التى كان يتعيش عليها العرب والمسلمون وقت نزول القرآن الكريم ، وسوف نتكلم عن أنواع الصيد كما وردت فى القرآن الكريم :

أولاً : الصيد فى البر :

وينقسم إلى :

أ ـ الصيد بالسهم والرمح واليد :

عرف المسلمون الصيد بواسطة السهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى الصيد بهذه الطريقة فقال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [المدثر] .

« وفى هذا تشبيه الكفار فى فرارهم من محمد ﷺ بالحمر الوحشية التى هربت من رماة يرمونها حيث يقول بعض أهل اللغة : إن القسورة هى الرامى » (٢) .

وقد أباح الإسلام أكل الحمر الوحشية ، وقد كان المسلمون يصطادونها ، فكانت تفر منهم ؛ لذا استخدمت فى التشبيه والتمثيل .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٢٤ ـ ٢٦ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) ﴾[المائدة] ، «ويبدو أن الله عز وجل خص الأيدى بالذكر؛ لأنها معظم التصرف فى الاصطياد »[1] .

وكان الصيد أحد معايش العرب ، وشائعاً عند الجميع منهم ، فابتلاهم الله فيه مع الإحرام ببعض الصيد تناله أيديهم مثل الفراخ وما لا يستطيع أن يفر، أما الرماح فتنال كبار الصيد [2] .

ب ـ الصيد بالكلاب المعلَّمة :

كان العرب والمسلمون يصيدون بواسطة الكلاب ، ولقد أباح الإسلام ذلك إذ يقول تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) ﴾ [المائدة] ، أى : « أحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من الكلاب المعلمة والفهود والصقور وأشباهها » [3] .

« وقوله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى : حبس لكم » [4] ، وتدل الآية السابقة على أن المسلمين قد اقتنوا الكلاب للصيد وأنهم مارسوا الصيد بواسطتها، ولقد أباح الله الصيد ولم يقيده إلا فى حالة الإحرام إذ يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) ﴾ [المائدة] ، أى : « ما كان صيداً فهو حلال فى الإحلال دون الإحرام بالحج والعمرة » [5] .

ويقول تعالى فى موضع آخر مؤكداً ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة : ٢] ، وفى ذلك أمر إباحة بالصيد ورفع ما كان محظوراً بالإحرام .

ثانياً : صيد البحر :

لقد وجهنا القرآن الكريم إلى صيد البحر فقال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ

---

(١) الخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية ، مرجع سابق ، ص ٧٤٤ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٦٩ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٥ .

وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ﴾ [المائدة] ، وفى هذا حكم بتحليل صيد البحر وفى نفس الوقت توجيه إلى الاستفادة من البحر والاشتغال بمهنة الصيد .

كما أشار إلى الصيد فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾ [فاطر]، وقوله: ﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ « فجمع أصناف السمك بذكر واحد فكان صغاره ككباره » [(١)] .

إنها إشارات وتوجيهات إلى فضل البحر ، وإلى كيفية استغلال الطبيعة والتعامل معها ، وإن المسلم مطالب بأن يحسن التعامل مع الموجودات ، ومنها البحر يستطيع أن يصيد منه السمك بأنواعه ، وكذلك اللؤلؤ والمرجان .

ولقد كان اليهود يمارسون تلك المهنة من قديم الزمن ، فقد كانوا يصيدون الحيتان من البحر ، ولما نهاهم الله عن الصيد يوم السبت ، تعدوا فصادوها فى السبت ، وقد سجل ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾ [الأعراف] .

نستنتج مما ورد فى القرآن الكريم أن مهنة الصيد قديمة جداً وقد عمل بها اليهود وكذلك العرب والمسلمون ، وقد لفت الإسلام الأنظار إليها .

السقاية :

« روى عن ابن عباس رضي الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [التوبة] إن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم، ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال : يا رسول الله ، هذا صاع من تمر بت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر ، فأمره رسول الله ﷺ أن ينشره فى الصدقات فسخر منه رجال وقالوا: إن الله ورسوله لغنيان عن هذا، وما يصنعون بصاعك من شيء » [(٢)].

ومعنى ذلك أنه أجر نفسه ليجر الماء بالدلو إما لسقاء البعير أو لسقاء الزرع وغيره .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

« كما ذكر السدى فقال : افتخر العباس بسقاية الحاج وشيبة بالعمار وعلى بالإسلام والجهاد فصدق الله علياً وكذبهما » (١) . فقال تعالى : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (١٩) ﴾ [التوبة] .

نستدل مما سبق أن الناس فى عهد رسول الله ﷺ كانوا يعملون بالسقاء .

الجزارة :

لقد وجدت الجزارة قبل نزول القرآن الكريم ، ثم احترفها بعض المسلمين ، ومما يؤكد ذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا يمارسونها ، ويتبين ذلك من قصة المقتول فى عهد موسى عليه السلام وقومه إذ أتى أهل المقتول إلى موسى عليه السلام لينبأهم بقاتله فقال لهم: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** (٦٧) ﴾ [البقرة] .

والمعنى : « أن الله يأمركم بذبح البقرة ثم ذبحوها ، وكان الأمر بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه» (٢).

ونستدل من هذه الآية أن مهنة الجزارة كانت موجودة فى عهد نبى الله موسى عليه السلام وأن قومه كانوا يمارسونها ، ولم ينكرها عليهم الإسلام ، بل أمر بها فى شعيرة الحج فقال تعالى : ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** ﴾
[البقرة : ١٩٦]

وفى قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** ﴾ ، أى : « لا تتحللوا من الإحرام حتى ينحر الهدى ، والمحل : الموضع الذى يحل فيه الذبح » (٣) ، « والهدى ما يهدى إلى بيت الله من بدنة وغيرها » (٤) ، « والنسك : جمع نسيكة ، وهى الذبيحة ينسكها العبد لله تعالى ، وقال ابن عبد البر : كل من ذكر النسك فى هذا الحديث مفسراً فإنما ذكره بشاة » (٥) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٩١ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص٣٧٨ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٦ .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى النسك فى موضع آخر من نفس السورة قائلاً : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) ﴾ [البقرة] ، وقيل : « إن المناسك هى أيضاً بمعنى الذبائح وهراقة الدماء ، وقضيتم بمعنى أديتم وفرغتم » (١) ، ولقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعض ما يذبح بقوله تعالى : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) ﴾ [النحل] ، وقوله : « ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أى : ومن لحومها تأكلون عند الذبح » (٢) .

وقد أكد سبحانه وتعالى على الانتفاع بالأنعام عن طريق الذبح فقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) ﴾ [غافر] .

ولقد أمر الله رسوله بالذبح مباشرة بعد صلاة العيد فقال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) ﴾ [الكوثر] ، « والمراد بالنحر : ذبح المناسك » (٣) .

إن البروتين الحيوانى لا يعادله ولا يعوضه أى بروتين مستمد من مصدر آخر ، لذلك أباح الله للإنسان أكل لحوم الأنعام كالأبقار والأغنام وغيرها،ولم يحرم أكل لحمها إلا فى بعض حالات محددة خشية إصابة الإنسان بالأمراض،وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) ﴾ [المائدة] .

والميتة : هى ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد ولما فيها من الدم المحتقن فهى ضارة للبدن ؛ ولهذا حرمها الله .

ما أهل لغير الله : ما ذبح من الحيوان وذكر عليه اسم غير الله .

المنخنقة : هى التى تموت بالخنق إما قصراً أو اتفاقاً بأن تتخبل فى وثاقها .

الموقوذة : هى التى تضرب بشىء ثقيل غير محدد حتى تموت .

المتردية : التى تسقط من شاهق أو من موضع عالٍ فتموت .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٣١ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٧٠ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٩ .

النطيحة : التى ماتت بسبب نطح غيرها لها وإن جرحها القرن وخرج منها الدم .

ما أكل السبع : أى ما عدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب فأكل بعضها فماتت وإن كان قد سال منها الدم فهى حرام .

ما ذكيتم : إلا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه فهو ذكى .

وما ذبح على النصب : كانت النصب حجارة حول الكعبة وكانت العرب فى جاهليتها يذبحون عندها وينضحون البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب ، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التى ذبحت على النصب وعدها من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ، وينبغى أن يحمل هذا على ما أهل به لغير الله [1] .

وثمة آيات كثيرة ذكرت أنواعاً مختلفة من الذبائح ، ومن ذلك :

البقر : ورد ذكر البقر فى تسع آيات قرآنية [2] ، كان منها قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ** ﴾ [الأنعام : ١٤٤] .

الغنم : ورد ذكرها فى ثلاث آيات [3] منها : ﴿ **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨)** ﴾ [طه] .

الناقة : ورد ذكرها فى سبع آيات قرآنية [4] منها قوله تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)** ﴾ [هود]

الإبل : ورد ذكرها فى آيتين اثنتين [5] منهما قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)** ﴾ [الغاشية] .

الأنعام : ورد ذكرها اثنتين وثلاثين مرة [6] ، منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢)** ﴾ [محمد] .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦ - ١١ .
(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .
(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٦٤١ .
(٤) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٨٩٩ .
(٥) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٣ .
(٦) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

يبدو لنا مما تقدم أن الإسلام حض على الذبح ، وإن كان الذبح وظيفة الجزار ، وأن هذه المهنة قديمة جداً ، وقد احترفها المسلمون فى العصر الإسلامى الأول ، ولم يجدوا أى غضاضة فى ممارستها كأحد متطلبات دينهم ودنياهم .

الشواء :

« الشواء يقصد به اللحم ، ويقال : انشوى اللحم ، وأشويت القوم أى أطعمتهم شواء » (١) .

وقد استخدم شواء اللحوم منذ زمن بعيد ، فقد استخدمه إبراهيم عليه السلام إذ قرب إلى الملائكة - وهو لا يعلم كنههم - عجلاً مشوياً ويتبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) ﴾ [الذاريات] ، أى : « عدل إلى أهله وجاء ضيفه بعجل شواه لهم » (٢) ، كما ذكر ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) ﴾ [هود] ، أى : « مشوى » (٣) ، وقيل : « إنه فتى البقر مشوى على الرضف والحجارة المحماة » (٤) .

نستخلص مما سبق أن الشواء حرفة كانت موجودة منذ زمن إبراهيم عليه السلام وامتدت إلى عهد رسول الله ﷺ ، وسوف يتأكد لنا ذلك فى الفصل القادم بإذن الله .

الحلاقة :

حين شرع الله سبحانه وتعالى مناسك الحج تعرض لحرفة الحلاقة فقال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) ﴾ [البقرة] .

والآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يحلق رأسه حتى ينحر هديه ، وذلك أن سنة الذبح قبل الحلاقة ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ فبدأ بنحر هديه ثم حلق بعد ذلك ، ولا خلاف أن حلق الرأس فى الحج نسك مندوب إليه . وفى غير الحج جائز ،

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ص ٣٥٢ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ٤٥ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٦٨ .

(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .

وكان على بن أبى طالب ﷺ يحلق رأسه ، قال ابن عبد البر : وقد أجمع العلماء على إباحة الحلق (١) .

ويقول تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾ [الحج] ، والتفث فى كلام العرب إذهاب الشعث « من قص الشارب وحلق الرأس والعانة وأشباه ذلك »(٢)، «والمعنى: أى ثم ليقضوا بعد نحر الضحايا والهدايا ما بقى عليهم من أمر الحج كالحلق ورمى الجمار وإزالة الشعث ونحوه »(٣)،وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) ﴾ [الفتح] ، «والتقصير للرجال ؛ ولذلك غلب المذكر على المؤنث ، والحلق أفضل وليس للنساء إلا التقصير » (٤) .

إن فى ذلك لدعوة إلى الحلاقة والتزين فالنظافة ركن أساسى فى الدين الإسلامى.

حرفة الإرضاع :

كان المسلمون يرون أفضل مرضع للولد أمه ، وهو السائد فى المجتمع العربى البدوى ، إلا أنه يلاحظ فى مجتمعات الحواضر الشمالية وفى مكة بالذات أنه كانت من عادات أهلها ، إذا ولد لهم ولد ، أن يلتمسوا له مرضعة من غير قبيلتهم ؛ لأنه أنجب للفكر وأفصح للسان (٥) .

ويؤكد القرآن ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾ [البقرة] ، وقوله: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ ﴾ ،أى: «إن تسترضعوا أجنبية لأولادكم » (٦). وعلى هذا يكون فى الآية دليل على جواز اتخاذ المرضعة إذا اتفق الآباء والأمهات على

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ .
(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٤٩ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٢٩١ .
(٥) واضح الصمد: الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، ص ٣١٦ ، نقلها من : ليلى صباغ : المرأة فى التاريخ العربى قبل الإسلام ، دمشق ، ١٩٧٥ ، ص ٩٢ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

ذلك . « وكان يتمادى ذو الثروة والأحساب على تفريغ الأمهات للمتعة بدفع الرضعاء للمراضع »(١)، ولكن « لا ينزع الولد من أمه إذا رضيت بالإرضاع وألفها الصبى » (٢) ، وذلك تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾ .

ولقد كان للعلماء المسلمين وقفة مع فقه الإرضاع اشتق من كتاب الله ، فعلى سبيل المثال حين نظروا فى قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ [الأحقاف] ، قال ابن عباس : « إذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً » (٣) .

بل أوجب الفقهاء « على الآباء أن يعطوهن - يعنى المطلقات - أجرة إرضاعهن ، وللرجل أن يستأجر امرأته للرضاع كما يستأجر أجنبية ، ولا تلزم بالرضاعة إلا أن يكون الطفل غير قابل ثدى غيرها فيلزمها حينئذ بالإرضاع وللأب أن يعطيها أجر المثل » (٤) ، وقد فهم الفقهاء ذلك من قوله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) ﴾

[الطلاق]

تعميق الإدراك بحرفة الإرضاع من خلال القصص القرآنى :

يقول تعالى فى شأن موسى عليه السلام : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) ﴾ [طه] ، « وناولته ثديها فمصه وفرح به ، فقالوا لها : تقيمين عندنا ؟ فقالت : إنه لا لبن لى ولكن أدلكم على من يكفله وهم له ناصحون ،فقالوا :ومن هى ؟ قالت : أمى ، فقالوا : لها لبن ؟ قالت : لبن أخى هارون وكان هارون أكبر من موسى ، فجاءت الأم فقبل ثديها » (٥) . وبذلك أرجع الله موسى إلى أمه كى تقر عينها به .

---

(١) المرجع السابق والصفحة .
(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ١٩٣ .
(٤) المرجع السابق ، ج ١٨ ، ص ١٦٩ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٩٧ .

وقد ذكر إرضاع موسى عليه السلام في أكثر من موضع : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) ﴾ [القصص] ، أى : «منعناه من الإرضاع من الأجنبيات قبل مجيء أمه وأخته » [(١)] ، ويستدل من ذلك أن حرفة الإرضاع من الأجنبيات كانت موجودة فى عهد موسى عليه السلام وأنهن كن يتقاضين عليها أجراً .

إن حرفة الإرضاع حرفة أساسية للحفاظ على النوع والنسل ، وهى غريزة فى الأم وضعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى قلبها لا تزول إلا يوم الفزع الأكبر : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ [الحج] .

الحفر :

يقول تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾ [الأنعام] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أى : « فإن قدرت على أن تطلب سرباً تخلص منه إلى مكان آخر » [(٢)] .

إن فى الآية السابقة إشارة إلى حرفة الحفر واستخدام ما دون مستوى الأرض فيما ينفع الناس ، وفيها ما يدل على معرفة العرب والمسلمين بالنفق ، واستخدامهم له .

حفر القبور :

يقول تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾ [المائدة] ، والمعنى : « أن الله بعث غراباً ، ليرى ابن آدم كيفية المواراة ، فصار فعل الغراب فى المواراة سنة باقية فى الخلق ، فرضا على جميع الناس على الكفاية من فعله منهم سقط فرضه عن الباقين » [(٣)] .

وقد احترف صحابة رسول الله ﷺ حفر القبور ، إذ إنها من فروض الكفاية والدفن للميت فيما دون الأرض ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ [التوبة] ، «عن

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٥٧ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٤١٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٤٣ .

أنس : إن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال : لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شباباً وشيوخاً ، يا بنى جهزونى ، فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبى بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك فأبى ، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام فدفنوه » (١) .

صناعة السُرج :

إن المسلمين الأوائل قد استعملوا السراج الذى كان معروفاً فى العصر الإسلامى الأول ، نتبين ذلك من تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ [الحشر] ، يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « جاء رجلاً بات عنده ضيف فلم يكن عنده إلا قوت صبيانه ، فقال لامرأته : نومى الصبية وأطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك ، فنزلت هذه الآية » (٢) .

وهذا دليل على أن المسلمين عرفوا صناعة السرج وكانوا يستخدمونه ، وإذا أردنا معرفة كيفية تشغيل السراج فلنلجأ إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) ﴾ [الأحزاب] ، حيث يقول القرطبى : « أى : وأنت يا محمد كالمصباح المضىء، ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضىء ، إذا قلَّ زيته ، ودقت فتيلته » (٣) وربما هذا دليل على أن السرج كانت تعمل بالزيت والفتيلة ، ويحتمل أن يكون المقصود بالزيت هو الكيروسين (الكاز) .

التجسس :

التجسس تعنى : « حس الأخبار، وتجسسها أى تفحص عنها ، ومنه الجاسوس » (٤) وقد أشير إلى تلك الحرفة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾ [الممتحنة]

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٢٤ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٢٠٦ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

وتفسير هذه الآية كما سيأتى بتوضيح فى نفس الحرفة فى الباب القادم : « أن حاطب بن أبى بلتعة كان له بمكة أولاد ومال فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد ، فأمر ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم ، فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً ، فأطلع الله على ذلك رسول الله ﷺ ، فبعث فى أثر المرأة فأخذ الكتاب منها » (١) .

ولقد نهى الإسلام المسلمين أن ينقلوا أخبارهم إلى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ، ونهى أن يتخذوا منهم أولياء وأصدقاء وأخلاء (٢) ، وقال العلماء « بجواز التجسس على المشركين » (٣) ،بناء على أن « الحرب خدعة » (٤) ، وقد اتفق العلماء على جواز خداع الكفار فى الحرب كيفما أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمانة فلا يجوز .

وقد قال العلماء بجواز السفر منفرداً للضرورة والمصلحة التى لا تنتظم إلا بالانفراد كإرسال الجاسوس والطليعة (٥) .

الخدمة :

كانت خدمة العبيد والخدم للآخرين منتشرة قبل الإسلام ، حيث يحكى لنا القرآن الكريم عن قوم موسى فيقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** (٦١) ﴾ [البقرة] .

ويقول القرطبى فى تفسير هذه الآية : « إن قوم موسى قالوا : لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض ، لاستغناء كل واحد منا بنفسه وكذلك كانوا ، فهم أول من اتخذ العبيد والخدم » (٦) .

ويقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٦ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٨٠ (كتاب الجهاد والسير) .

(٤) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٨٣ (كتاب الجهاد والسير) .

(٥) المرجع السابق والصفحة .

(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المائدة] ، « قال الحسن وزيد بن أسلم : إن من كانت له دار وزوجة وخادم فهو ملك ، وهو قول عبد الله بن عمر ، وكما فى صحيح مسلم عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال : ألسنا فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال : نعم ، قال : ألك منزل تسكنه ؟ قال : نعم ، قال : فأنت من الأغنياء ، قال : فإن لى خادماً ، قال : فأنت من الملوك » (١) .

إن تلك الرواية لتدل دلالة واضحة على أن المسلمين الأوائل استخدموا الخدم فى قضاء حوائجهم ، وكذلك لم يأنف الخدم من تلك المهنة ما دام الشارع الحكيم أقرها .

وقد استخدم موسى من قبل خادماً « كان معه يخدمه ويقال له : فتى ؛ لأن الفتى فى كلام العرب الشاب ، ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتياناً قيل للخادم : فتى على جهة من الأدب » (٢) ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف]،« والفتى هنا هو الخادم » (٣).

ويقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل : ٧٢]، وقد قال مجاهد : « بنين وحفدة أى : ابن وخادم ، وقيل: إن الحفدة : الأنصار والأعوان والخدم ، وقيل الحفدة : الخدم ، والمعنى أن الله جعل لكم الأزواج والأولاد خدماً » (٤) .

نستدل مما سبق أن العرب كانوا يعرفون معنى الخادم،وقد كانت حرفة فى عهدهم ، ولمعرفة الناس بالخدم والخدمة ، ولما كان الخدم وسيلة من وسائل الراحة للإنسان ، فقد خاطب الله المؤمنين واعداً إياهم بالخدم فى الحياة الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإنسان] ، أى : « يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب » (٥) ، وقد ذكر « أن ابن الزبير لما مرض بمكة استأجر عجوزاً لتمرضه فكانت تغمز رجله وتفلى رأسه » (٦) .

والإسلام ينظر إلى حرفة الخدم على أنها حرفة شريفة لا غبار عليها ، ولا دناءة فيها ، وقد أفرد الكتانى عدة أبواب تتحدث عن الخدمة فجعل باباً فى ذكر من خدم رسول الله ﷺ ، وقد ذكر منهم أبو حمزة أنس بن مالك وهند وأسماء ابنة حارثة

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .
(٢ ، ٣) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ١١ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ ، ٥٧٨ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ .
(٦) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

الأسلميان وربيعة بن كعب الأسلمى ، ثم جعل باباً آخر فى ذكر من كان يخدمه ﷺ من مواليه ، وجعل باباً فى ذكر من كان يوقظه ﷺ إذا نام ، وباباً فى ذكر من كان يخدم النبى ﷺ إذا أراد حاجته داخل منزله، ثم باباً فى استخدامه ﷺ فى ذلك امرأة، ثم استخدامه ﷺ يهودياً ، وآخر فى الأشياء التى كان ﷺ لا يكلها إلى أحد من خدمه ، وأخيراً ذكر الذين قام بخدمتهم المصطفى ﷺ بنفسه (١) .

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام لا يرى بأساً من الاشتغال بتلك الحرفة ؛ إذ إنها من الضروريات لكل من الفرد والمجتمع .

البريد :

هو « فى الأصل الدابة المرتبة فى الرباط ، ثم سمى به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة المشهورة » (٢) .

وكان العرب يستعملون «الإبل لنقل البريد ثم استبدلوها بالبغال ثم بالخيل لسرعتها، وكان لكل سفر بريد ، وكان أعظم مساعد على اطراد سير البريد الطويل ما بين البلاد الشاسعة ، وهذه الوظيفة كانت عندهم من الوظائف العالية التى لا يوليها إلا الخليفة نفسه ولا يتولاها إلا ذو الأهلية ، وابتدأ أول بريد عند العرب بعد الهجرة النبوية بأمر أول خليفة ، وكان يتسع باتساع فتوحاتهم التى بلغت مسافات شاسعة ، بل إن أعظم اتساع ونظام كان فى بريد العرب ، ثم فى عهد الخلفاء العباسيين حيث بلغت محطات البريد نحو ألف محطة ، وكانت تسمى عندهم بالسكك ومع هذا الاتساع كانت الأشغال سائرة بكل ذمة فى مواعيد السفر والوصول ، فقد كان لكل محطة رئيس لملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات ، وكان جميع هؤلاء الرؤساء مضطرين أن يقدموا تقاريرهم عن كل ما يحدث فى الخطوط إلى عموم الإدارة ، وكان للبريد لائحة عمومية تحتوى على قوانين البريد فى سيره وجغرافية الطرق ، وكان ينفق على البريد مبالغ وافرة ، وقيل : إن نفقة فرع اليمن فقط كانت تبلغ نحو أربعة ملايين درهم سنوياً ، ومن ذلك يعلم قدر نفقات باقى الخطوط وما كان يبذله العرب لتنظيم البريد وقدر أهميته عندهم » (٣) .

وحرفة البريد قديمة جداً استخدمها سليمان ﷺ ، ويبدو ذلك من قوله تعالى على لسان سليمان ﷺ : ﴿ **اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** (٢٨) ﴾ [النمل] ، وكان قد « أرسل سليمان لبلقيس بصحيفته مع الهدهد ،

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣ ـ ٣٢ .

(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

فقرأته على الملأ وكان يدعو إلى الإسلام » (١) ، وفى هذه الآية دليل على قدم حرفة البريد وجواز إرسال الرسائل إلى الآخرين وتبليغهم بالأمور التى تهمهم ، أى : أنها تدل على جواز المخاطبة بصفة عامة .

ويوجهنا القرآن إلى حرفة البريد فى موضع آخر فيقول تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) ﴾ [طه] ، « وفى هذا أمر من الله لموسى بالذهاب إلى فرعون وأن يدعوه ؛ لأنه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز » (٢) .

كما بعث الله موسى إلى القوم الظالمين وذلك بقوله : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) ﴾ [الشعراء] ، نستدل من ذلك على أن البريد قد استعمل فى الإسلام وأقيم له عامل مخصوص يسمى عامل البريد ، ينقل أخبار الولاة والبلاد لدار الخلافة والعكس ، وقد وجد البريد من قبل نزول رسالة الإسلام ، وإن كان قد رتب على طرق ومناهج معينة فى الإسلام .

السجان :

يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ [آل عمران] ، ومن هذه الآية « استدل بعض البغداديين - من علمائنا - على حبس المديان ، فإذا كان له ملازمته ومنعه من التصرف جاز حبسه » (٣) .

ويقول تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) ﴾[النساء] ، وهذا الإمساك والحبس فى البيوت كان فى صدر الإسلام قبل أن يكثر الجناة ، فلما كثروا وخشى قوتهم اتخذ لهم سجن (٤) ، وقد حكى « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من حبس فى السجون ، وقال : أحبسه حتى أعلم منه التوبة ، ولا أنفيه من بلد إلى بلد فيؤذيهم » (٥) ، وكان هذا اجتهاداً من عمر بن الخطاب لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ١٩٠ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٩٢ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١١٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٨٤ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٥٣ .

أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) ﴾ [المائدة] ،وقد قال مالك والكوفيون: « نفيهم سجنهم ، فينفى من سعة الدنيا إلى ضيقها ، فصار كأنه إذا سجن فقد نفى من الأرض » (١) .

وفى هذا دليل على أن الخلفاء المسلمين كانوا يتخذون للمفسدين فى الأرض السجون ، وأن هذه السجون كانت تحتاج دائماً إلى عمال يقومون على أمرها ، وكانت مرتباتهم تدفع من قبل الدولة ابتغاء المحافظة على أمنها .

ولقد كان السجن معروفاً منذ زمن بعيد ، فحين حاج فرعون موسى وانقطعت به الحجة رجع إلى الاستعلاء والتكبر فتوعد موسى بالسجن ، وفى توعده بالسجن ضعف « روى أن سجنه كان أشد من القتل ، وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه من سجنه حتى يموت » (٢) ، ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) ﴾ [الشعراء] .

تعميق الإدراك بالسجن من خلال القصص القرآنى :

ورد ذكر السجن فى قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز ، إذ هددت امرأة العزيز يوسف بالسجن إن لم يستجب لأمرها : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) ﴾ [يوسف] ، والمعنى أن دخول السجن أحب إلى يوسف مما تدعوه إليه من الفاحشة ، ثم توالى ذكر السجن فى آيات أخرى منها : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾ [يوسف] ، ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) ﴾ [يوسف] .

ألهم الله نبيه يوسف عليه السلام تفسير رؤيا الملك ليكون جزاؤه عن ذلك إخراجه من سجنه : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) ﴾ [يوسف] .

مما سبق نستطيع القول بوجود السجن قبل الإسلام وبعده وكان البعض من الناس يقومون عليه .

صناعة الفخار :

عرف العرب صناعة الأدوات والمعدات الفخارية إذ يقول تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) ﴾ [الرحمن] ، « والصلصال : الطين الحُرّ خلط بالرمل فصار

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١٣ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(يتصلصل) ، إذا جف ، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار » (١) .

تعقيب :

بعد استعراض تلك المهن والحرف فى القرآن الكريم يمكن القول بأن كتاباً مجملاً فى تشريعاته كالقرآن الكريم لا يمكن أن يتناول كل الحرف والمهن اللازمة لقيام المجتمع الإسلامى عبر العصور ، وإنما أتى بنماذج للحرف والمهن فقط ، والتى ينبغى أن تكون فى كل مجتمع ، كما ينبغى أن تنمو وتزداد كماً ونوعاً باختلاف المكان والزمان ، حتى تقابل حاجات الإنسان المتطورة والمتنوعة عبر العصور بحيث يظل المجتمع الإسلامى دائماً وأبداً مجتمع الكفاية وعدم الحاجة إلى الآخرين فى طعامه وشرابه وكسائه وكافة أمور حياته ، ولعل نظرة متأنية فى حديث القرآن عن المهن والحرف المختلفة ، نلحظ لفتات متعددة منها :

أن القرآن الكريم قد ذكر بعض المهن وتعمق فيها موضحاً جوانبها المتعددة ، بينما مر مروراً عابراً على بعض الحرف فلم تذكر إلا فى موضع واحد أو موضعين على الأكثر .

ومن أمثلة المهن التى تعمق القرآن الكريم فى ذكرها مهنة الزراعة إذ نجد أنه قد تناول جوانبها بإسهاب من حرث وبذر وسقى وحصاد وما يتبع ذلك كله من أحكام شرعية ، بالإضافة إلى ورود منتجاتها فى أكثر من موضع ، فالحرث جاءت مادته فى صورة « تحرثون » مرة واحدة فى سورة الواقعة (الآية : ٦٣) وفى صورة حرث (٩مرات) وذلك فى سورة البقرة (الآيتان ٧١ ، ٢٠٥) وآل عمران (الآيتان ١٤ ، ١١٧) والأنعام (الآيتان ١٣٦ ، ١٣٨) والأنبياء (الآية ٧٨) ، والشورى (الآية ٢٠) .

أما الزراعة فقد وردت مادتها فى عدة سور منها (تزرعون) فى سورة يوسف (الآية ١٤٧) ومرة فى سورة الواقعة (الآية ٦٤) ، (والزُرَّاع) مرة فى سورة الفتح (الآية ٢٩) .

والسقى بمعنى رى الأرض ورد ذكرها مرتين : مرة فى سورة الرعد (الآية ٤) ، ومرة فى سورة الفرقان (الآية ٤٩) ، وذكرت فى مواضع أخرى بمعنى سقاية الإنسان والأنعام ، أما ألفاظ النبات بأنواعها المختلفة فقد ذكرت فى ٩٦ آية من بصل وثوم ، وبقل ، عدس ، الزيتون ، العنب ، الرمان . . . إلخ (٢) .

وربما تعمق القرآن الكريم فى بيان مهنة كالزراعة لأهميتها ؛ ولأنها تعد أساساً لقيام

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق .

حرف وصناعات شتى ، فعليها تقوم حرفة الخبز وطحن الحبوب وكذلك الرعى ، والحلابة وبعض الصنائع مثل صناعة غزل ونسج الثياب ... إلخ . وربما يكون ذلك لأنها الأولى فى الخليقة ، سابقة على الصناعة والتجارة .

أما حرفة صناعة الفخار فقد مر عليها القرآن مروراً سريعاً وذلك من وجهة نظر الباحث يتناسب مع أهميتها ، إذ يرى الباحث أن التحليل الكمى لبعض الحرف والمهن يؤدى بنا إلى معرفة وزنها النسبى (أى ثقلها وأهميتها) بين المهن والحرف الأخرى . فمثلاً المهنة التى تذكر فى مواضع أكثر من ذكر مهنة أخرى تعد ذات أهمية أعلى منها ، وإن كان كلاهما مهما فى عملية التقدم والعمران .

الفصل السادس

المهن والحرف فى السنة النبوية

ويشتمل هذا الفصل على :

* الزراعة .
* الخبز وطحن الحبوب .
* الرعى .
* الحلابة .
* البزازة .
* الصرافة .
* الكيالة والوزانة .
* التجارة فى الطعام.
* التمارة .
* تجارة المسك .
* دباغة الجلود .
* الأحذية .
* الاحتطاب .
* السمسرة .
* النساجة .
* الخياطة .
* صناعة الحبال .
* التنجيد .
* الطباعة والنقوش .
* الصباغة .
* النجارة [تجارة عامة ـ تجارة سفن] .
* الحفر على الخشب .
* الصياغة .
* الحفر على المعادن .
* الحدادة .
* صناعة الأسلحة .
* صناعة الأجراس .
* صناعة النقود .
* البناء والعمارة .
* التبليط .
* تجارة العقارات .
* صناعة الحصير .
* الصيد .
* السقاية .
* الحجامة .
* التطبيب.
* الختان .
* تجارة الماشية .
* الجزارة .
* الطبخ .
* الشواء .
* صناعة الأمشاط .
* التجميل .
* الحلاقة .
* الإرضاع .
* الحفر .
* السرج .
* التجسس .
* الخدمة .
* البواب .
* البريد .
* السجان .
* التصوير .
* الحراسة .
* التعليم .
* المكاتبة .
* الترجمة .
* الفتيا .

المهن والحرف فى السنة النبوية

مقدمة :

إن الدراسة المتأنية لسنة رسول الـله ﷺ تبرز بجلاء أن رسول الله ﷺ كان من أشد الناس حرصاً على تأكيد قيمة العمل الحرفى و المهنى فى نفوس أتباعه ، فكان يحثهم على الحرف و المهن ، بل كان قدوة لهم أيضاً ، وقد مارس الأنبياء والمرسلون حرفاً ومهناً يتعيشون منها فهذا نجار وذاك حداد وذاك راع للغنم . . . إلخ.

وإذا كانت إرادة العمل شيئا فطريا فى نفسية الإنسان بحكم حاجته إلى ما يلبى رغباته ، فإن رسول الـله ﷺ يأتى إلى هذه الإرادة فيشحذها ويعبئها ويدفعها لتحقق أعظم ما عندها ، وذلك حينما يغرس فى نفس المؤمن أن الكسب الطيب جزء لا يتجزأ من إيمانه وأن عليه أن يسعى ويكد ويحترف فى سبيل ذلك .

فيقول رسول الله ﷺ: « ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الـله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (١) ، فلا عجب إذن أن نرى صحابة رسول الـله ﷺ ذوى حرف مختلفة فقد قرءوا القرآن وسمعوا رسول الـله ﷺ .

« فكان خباب بن الأرت: الحداد ، وعبدالـله بن مسعود: الراعى للغنم ، وسعد ابن أبى وقاص: صانع النبال، والزبير بن العوام : الخياط ، وبلال بن رباح : الخادم ، وسلمان الفارسى: الحلاق، وعلى بن أبى طالب: الذى سقى بالدلاء على تمرات » (٢) وسيرة ابن هشام مليئة بذكر هؤلاء ، وكثير غيرهم ،وفى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، والطبقات الكبرى لابن سعد بيان شاف لذلك . . فقد تحدث كثير من العلماء عن المهن والحرف فى عصر الرسول ﷺ ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤ هـ) الذى وضع كتاباً فى السلاح وصناعته قسمه إلى اثنين وثلاثين بـاباً تحدث فيـها عن السـلاح من سيوف ورماح وقسى وسهام وترس وسوط وعصا وغيرها ، وتحدث عن جملة ذلك من الرجال ، كما خصص بعض الأبواب لفنون القتال (٣).

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٧٤ .

(٢) السيد الشحات : « تعليم الصنائع » الفكر التربوى العربى الإسلامى ، الأصول و المبادئ ، مرجع سابق ص ٨٦١ ، نقله من ابن قتيبة ، دار المعارف ، ص ٨ ، ١٦ ، ١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٦٣ . نقلها من المورد :
مجلة تراثية فصلية تصدر عن وزارة الثقافة ، العراق ، العدد ٤٥ سنة ١٤٠٤ هـ ، وما زال كتاب السلاح مخطوطاً ، وقد مكث صاحبه فى تأليفه ٤٠ سنة .

كما تحدث غيره مثل أبى الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعى التلمسانى المتوفى سنة (٧٨٩ هـ) الذى عدد فى كتابه تخريج الدلالات السمعية على ماكان فى عهد رسول الـله ﷺ من الحرف والعمالات الشرعية .

وكانت أسماء هذه الحرف حسب ترتيبها كالتالى : التجارة ، البزازة ، العطار ، الصراف ، بائع الرماح ، بائع الطعام، التمار ، بائع الدباغ ، الحطاب ، السمسار ، النساج ، الخياط ، النجار ، ناحت الأقداح ، الصواغ ، الحداد ، البناء ، الدباغ ، الخواص، الصيد فى البر ، الصيد فى البحر ، العامل فى الحوائط ، السقاء ، الحجام ، اللحام ، الطباخ ، الشواء ، الماشطة ، المولدة ، الخافضة ، المرضعة ، المغنى ، حافر القبور ، و الملاحظ على تلك الحرف :

١ـ أنها كانت معروفة للعرب وأقرها الإسلام واحترفها المسلمون ، ولم يأنفوا من واحدة منها حتى كبار الصحابة .

٢ـ إن أية حرفة أو مهنة مذكورة إما أن يكون الرسول ﷺ حث عليها قولاً أو قام بها عملاً أو تعامل بنتاجها ، أو رأى محترفها فتعامل معه من غير أن ينكر عليه مهنته ويعنى هذا أن الحرف و المهن المذكورة مرضى عنها مشرعاً .

٣ـ إن الواحد من الصحابة رضوان الـله عنهم ما كان يفضل بين إخوانه بنوع حرفته أو مهنته ، أو بما قدره الله عليه من مال أو جاه بل التاجر وحافر القبور والحداد فى كفة الميزان الإسلامى سواء ؛وذلك لأن التقوى هى نقطة الارتكاز والتفاضل (١).

فبنظرة إلى واقع المجتمع الإسلامى فى عصوره الأولى نجده قد ازدهر و بقى لا يقربه الخراب؛لأنه لم تنتقص صنائعه ، وكان يمكن أن يحدث العكس لو قلت صنائعة ، وقد فطن ابن خلدون لذلك فعقد فصلا فى مقدمته بعنوان « أن الأماصر إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع » ثم خصص فى مقدمته ستة عشر فصلاً عن الصانع علماً وتعليماً وأهمية وأثراً ونتيجة .

إن عجلة المجتمع لا تدور إلا بتعدد المهن و تنوع الحرف ،ومن ثم يمكن القول بأننا أمام أمة استوفت أنظمتها فى الميدان الاقتصادى (الزراعة ، التجارة ، الصناعة) (٢) ، وفى ميدان العمران فى عهد رسول الله ﷺ وقد ازدهر هذا المجتمع يوم فقه أبناؤه دينهم وتفاعلوا معه فتعددت حرفهم واعتمدوا على أنفسهم أكثر من اعتمادهم على غيرهم ، بيد أن مجتمعنا اليوم قد أصيب فى بنيانه بعوامل متعددة منها : انصراف أبنائه عن المهن والحرف وركونهم إلى التواكل واعتمادهم على الغير فغزيت ثقافتهم واختلت أحوالهم .

(١ ، ٢) المرجع السابق ، ص ٨٦٢ ، ٨٦٣ .

« والإسلام وحده هو الذى يمكن أن يعيد المسلمين إلى عالم الحضارة الخلاقة المبدعة ، أو يدخلهم حلبتها مرة أخرى شريطة أن يعتبروا عقيدته رسالة هامة و ضرورية لا غنى عنها لتقدم المجتمع » (١) .

وفى هذا الفصل سيدور الحديث عن المهن و الحرف فى السنة النبوية .

الزراعة :

حرصت السنة النبوية على ترسيخ عدة مبادئ بشأن الزراعة من أهمها ما يلى :

الدعوة إلى الزراعة :

فالإسلام يدعو إلى الزراعة و يحث عليها ؛ لأن الزراعة والغرس فيهما مادة الغذاء للأحياء فيحث رسول الله ﷺ المسلمين على تعمير الأرض بالزرع و النبات والأشجار فيقول ﷺ: « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ،فإن أبى فليمسك أرضه» (٢) « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » (٣) ، وفى رواية أخرى : « ما من مسلم يغرس غرساً إلا ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » (٤) .

وفى الحديث :« فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض بالزراعة » (٥).

وهكذا « ربط الرسول الزراعة وغرس الأشجار وزراعتها ورعايتها بالأجر وجعله صدقة جارية يكتب أجرها للمسلم الذى يقوم بذلك ، فكان فى هذا حث قوى للمسلمين على الالتزام بهذه الدعوة عن إيمان و اقتناع ، فهم قد تعرفوا بداية على ما يجنونه من منافع وفوائد عن تلك النباتات ، ثم ارتبطت فى أذهانهم بالأجر والثواب فى الدنيا و الآخرة » (٦).

علاوة على « أن الأصل أن يشبع الإنسان حاجاته المعيشية من ثمار عمله ونتاج سعيه إذا كان قادراً على ذلك » (٧).

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٨١ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص١٤١ (باب ما كان من أصحاب النبى ﷺ يواسى بعضهم بعضاً فى الزراعة و الثمرة) .

(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٥ (باب فضل الزرع و الغرس إذا أكل منه) .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٧٢ (باب فضل الغرس و الزرع) .

(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٦ .

(٦) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .

(٧) سعيد إسماعيل على : النبات و الفلاحة والرى عند العرب ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

استصلاح الأراضي :

حث رسول الله ﷺ على تعمير الأرض « فيما اصطلح عليه فى العصر الحالى بـ (استصلاح الأراضى) ، أما التعبير الذى كان مستخدماً فهو إحياء الأرض الموات أى جعل الأرض غيرالصالحة للزراعة مهيأة لذلك » (١).

عن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال : « من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق » (٢) أى أحق بها « قال عروة : قضى بها عمر رضي الله عنه فى خلافته » (٣).

تنظيم الزراعة :

وضع رسول الله ﷺ نظماً لـلزراعة ومنها « المزارعة » و هى نوع من التعاون بين العامل صاحب الأرض على أن يكون للعامل الذى يقوم بزراعة الأرض نصيب مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو الربع أو الأكثر من ذلك أو الأدنى حسب ما يتفقان عليه ، والمزارعـة عمل بها رسول الـله ﷺ و عمل بها أصحابه من بعده فـقد أخبر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « أن النبى ﷺ عامل خيبـر بشطر ما يخـرج منـها من ثمـر أو زرع » (٤) ، وفى رواية أخرى : « عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها » (٥) . « وأراد رسول الله ﷺ بهذه الإشارة أنه لا فرق فى جواز هذه المعاملة بين المسلمين وأهل الذمة » (٦) .

ومن نظم الزراعة ما هو جائز ، وما هو منهى عنه ، فقد أجاز رسول الله ﷺ المزارعة بشطر ما يخرج من الأرض كما أجازها بالدينار و الدرهم « عن رافع بن خديج قال : حدثنى عماى أنهم كانوا يكرون الأرض على عهد النبى ﷺ بما ينبت على الأربعاء أو شىء يستثنيه صاحب الأرض فنهى النبى ﷺ عن ذلك ، فقلت لرافع : كيف هى بالدينار والدرهم ؟ فقال رافع : ليس بها بأس بالدينار والدرهم » (٧) .

على حين نهى رسول الـله ﷺ عن المزارعة الفاسدة « عن رافع رضي الله عنه ، قال: كنا أكثر أهل المدينة حقلاً ، وكان أحدنا يكرى أرضه فيقول : هذه القطعة لى وهذه لك ، فربما أخرجت ذِهِ ولم تخرج ذِهِ فنهاهم النبى ﷺ » (٨) .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٣٢ .

(٢) الإمام البـخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٤٠ (باب من أحيا أرضاً مواتا) .

(٣) المرجع السابق والصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٨ (باب إذا لم يشترط السنين فى المزارعة) .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٨ (باب المزارعة مع اليهود) .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٩ .

(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(٨) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٨ (باب ما يكره من الشروط فى المزارعة) .

أى: أن رسول الله ﷺ نهى أن يكون للعامل فى الأرض الزراعية قدراً معيناً من مساحة الأرض تكون غلتها له ؛ إذ ربما أنتجت الأرض و لم تنتج هذه المساحة التى اتفق على أخذ غلتها ؛ لذا نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، كما وضع رسول الله ﷺ نظماً فى الرى و المساقاة .

والمساقاة فى الشرع : هى دفع الشجر لمن يقوم بسقيه و يتعهده حتى يبلغ تمام نضجه نظير جزء معلوم من ثمره . وروى « عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قالت الأنصار للنبى ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال : « لا » فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا » (١).

و كانت الاختلافات بين المزارعين المسلمين ترد إلى رسول الله ﷺ ليحكم فيها . من أمثلة ذلك حديث الزبير « أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً إلى رسول الله ﷺ فى شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك » ، فغضب الأنصارى ، فقال : يا رسول الله ، آن كان ابن عمتك، فَتَلَوَّنَ وجه رسول الله ﷺ ثم قال : « اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر » (٢).

و يستدل من الحديث أنه عند الخلاف فى الرى يسقى الأعلى ثم الأسفل (٣).

ومما يدل أيضاً على اشتغال المسلمين الأوائل بمهنة الزراعة « أن النبى ﷺ كان يوماً يحدث - وعنده رجل من أهل البادية - أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع ، فقال له : ألست فيما شئت ؟ قال : بلى ، ولكنى أحب أن أزرع ، قال : فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده ، فكان أمثال الجبال، فيقول الله : دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شىء ، فقال الأعرابى : والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبى ﷺ » (٤) .

وفى هذا فوائد منها : « دلالته على فضل الزرع وأن المهاجرين والأنصار كانوا مزارعين لقول الأعرابى : والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصارياً » (٥).

تعميق إدراك الإنسان بعناصر البيئة الزراعية من خلال ضرب الأمثال النبوية:

لقد وجدت السنة النبوية فى عناصر البيئة الزراعية حقلاً خصباً فى مجال ضرب

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٦ . (باب إذا قال : اكفنى مؤنة النخل وغيره) .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ . (باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين) .

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٤٤ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(٥) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

الأمثال و عقد التشبيهات ليتم للمسلمين إدراكها و استيعابها .

الأنعام:

إن الأنعام قد شغلت مساحة واسعة فى مجال ضرب الأمثال وعقد التشبيهات تعميقاً للإدراك بها كعنصر من عناصر البيئة الزراعية والإحساس بها ، ومما جاء فى السنة الشريفة : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن طلقها ذهبت » (١).

و زار رسول الله ﷺ المقابر فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا » قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: « أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال : « أرأيت لو أن رجلاً له خيل غير محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء » (٢).

النبات:

ضرب المثل بالنبات فى حديث رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب و طعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » (٣).

و عن ابن عمر قال : قال ﷺ : « إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم » فأردت أن أقول هى النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكت قال النبى ﷺ: «هى النخلة »(٤).

« و فى الحديث ضرب الأمثال و الأشباه لزيادة الإفهام و تصوير المعانى لترسخ فى الذهن » (٥).

الماء :

ضرب رسول الله ﷺ الأمثال وعقد التشبيهات بالماء ، ومن ذلك ما جاء فى قوله ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كالغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٠ (باب استحباب إطالة الغرة و التحجيل فى الوضوء) .
(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٨ .
(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص٢٦٠ .

نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير » (١) .

وقال رسول الله ﷺ : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ،ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» (٢).

الأرض :

استخدمت التربية الإسلامية الأرض فى ضرب الأمثال وعقد التشبيهات ، ومن أمثلة ذلك فى الحديث الشريف استخدام رسول الله ﷺ أنواع التربة فى تصوير اختلاف درجات الناس فى الانتفاع بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، قال ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعَلِمَ وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » (٣).

الهـواء :

لم يعرف المسلمون الأولون عن الهواء غير أنه الرياح « يقول أنس : كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك فى وجه النبى ﷺ » (٤) ، وقد ذكر ﷺ بعض أنواع الرياح فى قوله :« نصرت بالصبّا و أهلكت عاد بالدّبُور » (٥).

« والصبا : من أنواع الرياح وهى تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس وضدها الدبور وهى التى أهلكت قوم عاد » (٦).

ومن الأحاديث النبوية التى عقد فيها لرسول الله ﷺ تشبيهاً بالريح ما قاله ابن عباس : « كان رسول الله ﷺ أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة فى رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة » (٧).

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣ ، ٤ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ، ص ٣٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠ (باب إذا هبت الرياح) .

(٥) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٦٠ .

(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥ .

« المرسلة : المطلقة ، يعنى أنه فى الإسراع بالجود أسرع من الريح ، وعبر بالمرسلة إلى دوام هبوبها بالرحمة و إلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه » (١).

الخبز و طحن الحبوب :

عرف العرب قبل الإسلام طحن الحبوب ، وقد « كان الناس يستعملون الرحى التى يديرونها بالأيدى للحصول على الطحين ، فلم يكد يخلو بيت منها وهى لا تزال مستعملة فى بعض المناطق الريفية » (٢).

« وكان الشعير من أكثر الحبوب انتفاعاً به فى جزيرة العرب ومنه يصنع خبز أكثر الأعراب و الفقراء وهو أنواع : منه الشعير العربى ، وهو أبيض و سنبله حرفان عريض وحبه كبار، والشعير الحبشى وهو أسود الحب والسنبل،وقد كان يهود المدينة يتاجرون به وبدقيق الشعير يبيعونه فى مواطنهم ، وفى الأسواق ولا سيما سوق بنى قينقاع » (٣).

« والحنطة : هى من أهم المواد الضرورية التى يتاجر بها وهى غذاء الطبقة الموسرة فى الأكثر ، أما الطبقات الفقيرة فقد كانت تقتات بالخبز المصنوع من الشعير ، ويستعمل هذا النوع من الخبز الفلاحون وأهل القرى والأعراب ويقال للطحين : « دققم » أى « دقيق » ويصنع بطرق مختلفة أشهرها الرحى التى تدار باليد .

ومع أن معظم الأسر تصنع الطحين فى بيوتها فإن كثيراً من الناس يشترون الطحين من الأسواق ويستوردونه من الخارج من بلاد الشام مثلاً ، ثم يبيعونه فى الأسواق المحلية للاستعمال » (٤) .

و ينضج الخبز فى « التنور» بعد تسخينه بالنار ، وقد يخبز على بعض الأوانى أو الحجارة وذلك بأن يبسط العجين عليها بعد تسخينها فيكون خبزاً ، ويكون التنور عند أهل المدر لاستقرارهم ، « أما أهل الوبر وهم متنقلون فى الغالب فيخبزون الخبز على الحجارة أو المعادن لبساطتها وسهولتها ونقلها معهم حيث ذهبوا ، وهى لا تحتاج إلى إيقاد نار تحتها لإحمائها ، ليخبز العجين عليها» (٥).

وقد مارس المسلمون الطحن والعجن والخبازة فقد جاء ذكرهم فى كثير من أحاديث الرسول ﷺ .

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٧ .
(٢) انظر كلاً من جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٦١ .
واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٠ .
(٣) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ . (٥) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٦١ .

« عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبى ﷺ خمصاً شديداً، فانكفأت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شيء فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجنة فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إليّ فراغى وقطعتها فى برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه. فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبى ﷺ فقال: يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً فحى هلا بكم، فقال رسول الله ﷺ: « لا تنزلن برمتكم ولا تخبرن عجينكم حتى أجيء »، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذى قلت، فأخرجت له عجيناً فتفل فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فتفل وبارك ثم قال: « ادع خابزة فلتخبز معى واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها » وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه و إن برمتنا لتغط كما هى وإن عجيننا ليخبز كما هو » (١).

وعن عبد الله بن قدامة أنهم كانوا مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك فأتوا على واد فقال لهم النبى ﷺ: « إنكم بواد ملعون فأسرعوا »، وقال: « من اعتجن عجينة أو طبخ قدراً فليكبها » (٢).

ويستدل من الحديث أن المسلمين الأوائل قد مارسوا عجن الطحين بأنفسهم وهم فى السفر، فكانوا يعرفون معنى العجين حتى « قال حسان لرسول الله ﷺ بالنسبة للمشركين: لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين» (٣)، وقوله :(لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين) إشارة إلى تخليص نسب الرسول ﷺ من نسب المشركين بحيث يختص الهجوم بهم دون رسول الله ﷺ، وفيه إشارة إلى أن الشعرة إذا أخرجت من العجين لا يتعلق بها منه شيء بخلاف ما إذا سلت من العسل مثلاً فإنها قد يعلق بها منه شيء، أما إذا سلت من الخبز فإنها تنقطع قبل أن تخلص » (٤).

مما تقدم يتبين لنا معرفة العرب قبل الإسلام والمسلمين بالعجن والخبز وطحن الحبوب.

الرعى:

تبين من تناولنا للحرف والمهن فى القرآن الكريم أن حرفة الرعى قديمة جداً،

(١) الإمام البخارى: صحيح البخارى، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٣٩ (باب غزوة الخندق).

(٢) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٣٨.

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٣٩ (كتاب المناقب) باب من أحب ألا يسب نسبه.

(٤) المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٤٠ (كتاب المناقب).

ولعلها من أولى الحرف التى عاش عليها الأعراب قبل الإسلام « فمن المعروف أنه كان للأعراب وخاصة فى البادية أنعام ، وهذه الأنعام تحتاج إلى من يتعهدها ويرعاها » (١) ، ولم تكن عملية الرعى من واجبات الفتيان ولا من أعمال الحرائر إلا الفقيرات منهن وقد كانت خاصة بالعبيد و الإماء والقيان (٢).

ولما أتى الإسلام تغيرت النظرة إلى الرعى من نظرة متدنية إلى نظرة احترام وتقديس ، والدليل على ذلك أن مارس رسول الله ﷺ وكذلك جميع الأنبياء حرفة الرعى ، عن النبى ﷺ قال : « ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم » فقال أصحابه : وأنت فقال : « نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » (٣).

« والقراريط: إما إن تكون جزءا من الدينار أو الدرهم أو اسم موضع بمكة» (٤) ، وكان يسأل عن رعيه للغنم فكان يرد بالإيجاب ، وعن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران نجنى الكباث (٥) فقال : « عليكم بالأسود منه فإنه أطيب » فقال : أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم وهل من نبى إلا رعاها » (٦) .

ولذلك كان صحابة رسول الله ﷺ يحبون الغنم والبادية « عن ابن أبى صعصعة الأنصارى عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدرى رضي الله عنه قال له : إنى أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت فى غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة ، قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ » (٧).

وكان رعاة الغنم ينتشرون فى أدنى الأرض،وأعلاها ونتبين ذلك من حادثة الهجرة حيث يحكى أبو بكر الصديق رحلة هجرته مع الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة فقال : « ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة فرميت ببصرى هل أرى من ظل فآوى إليه ، فإذا صخرة أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويته ثم فرشت للنبى ﷺ فيه ثم قلت:اضطجع يا نبى الله ، فاضطجع النبى ﷺ ثم انطلقت أنظر ما حولى هل أرى من الطلب أحداً ، فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى

---

(١) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٣٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥١٦ .

(٥) الكباث : ثمر الأراك وقيل : هو الغصن من الأراك ، انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٥٠٥ .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٠٥ (كتاب الأطعمة) .

(٧) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٥٤ (باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم) .

الصخرة يريد منها الذى أردنا فسألته فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ قال: لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، قلت:فهل أنت حالب لبناً ؟ قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال : هكذا ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لى كثبة من لبن » (١) .

وقد كان رسول الله ﷺ وصحابته يستمتعون بألبان الأغنام ولحومها « عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبى ﷺ أعطاه غنماً يقسمها على صحابته فبقى عتود ، فذكره للنبى ﷺ فقال: « ضح به أنت » (٢) ، و« عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة فقال: « ويحك إن شأنها شديد فهل لك من إبل تؤدى صدقتها ؟» قال: نعم ، قال : « فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك شيئاً » (٣).

يتضح من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أجاز للراعى الذى يرعى غنماً (ويستنبط أنها كثيرة العدد ؛ لأنه يخرج صدقتها) أن يستمر فى رعايتها دون الجهاد ولن يحرم أجر المجاهد (بشرط أن يكون الجهاد فرض كفاية) .

ولم تقتصر حرفة الرعى على الرجال دون النساء بل كانت مشاعاً يحترفها الرجال والنساء على السواء وقد « أخبر عبد الله أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنماً له بالجبيل الذى بالسوق وهو بسلع ، فأصيبت شاة فكسرت حجراً فذبحتها فذكروا للنبى ﷺ فأمرهم بأكلها » (٤) ، وفى هذا وغيره مايدل على أن النساء كانت ترعى الغنم .

تعميق الإدراك بحرفة الرعى من خلال القصص النبوى :

كان تعميق الإدراك بحرفة الرعى غرضاً من أغراض القصص النبوى ؛ حيث يبين لنا الرسول ﷺ موقف راعية غنم فيقول : « نادت امرأة ابنها وهو فى صومعة قالت : يا جريج . قال : اللهم أمى وصلاتى ،قالت: يا جريج ، قال : اللهم أمى وصلاتى ، قالت: يا جريج ، قال : اللهم أمى وصلاتى ، قالت : اللهم لا يموت جريج حتى ينظر فى وجه المياميس (٥) ، وكانت تأوى إلى صومعته راعية ترعى الغنم فولدت،فقيل لها : ممن هذا الولد ؟ قالت:من جريج نزل من صومعته ، قال جريج:أين هذه التى تزعم أن

---

(١) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤ (باب مناقب المهاجرين و فضلهم) .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٩ (كتاب الوكالة) .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٥ (باب زكاة الإبل) .

(٤) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١١٩ .

(٥) المياميس : زوانى المدينة ، انظر: ابن حجر العسقلانى :فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٥٥٤ .

ولدها لى ؟ قال : يا بابوس من أبوك ؟ قال : راعى الغنم » [1] .

« البابوج: خف أو حذاء بدون رقبة (وفارسيته: بابوس)ومعناه غطاء القدم» [2].

ويبين لنا رسول الله ﷺ أنه سيأتى زمان تكون فيه حرفة الراعى الملجأ للمسلم ليبعد عن الفتن فيقول رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » [3] .

« والقطر : المطر وهو أيضاً جمع قطرة » [4] « وقيل : بطون الأودية» [5] .

ويذكر رسول الله ﷺ بعض أمارات الساعة لأصحابه فيقول فى حديث طويل : «إذا تطاول رعاة الإبل البهم [6] فى البنيان . . . » [7] .

ومما سبق يتبين لنا أن الإسلام ينظر إلى الرعى كحرفة محترمة مارسها الرسول ﷺ بنفسه وصحابته الكرام .

الحلابة (حلب اللبن من الماشية) :

« مارس العرب فى العصر الجاهلى الحلابة ، وكانت النساء لا يحلبن لأنه عار عندهن وإنما يحلب الرجال » [8] .

وقد مارس المسلمون حلب اللبن من الماشية [9] « عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فسلم النبى ﷺ وصاحبه ، فرد الرجل ، فقال : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى وهى ساعة حارة وهو يحول فى حائط له ـ يعنى الماء ـ فقال النبى ﷺ : « إن كان عندك ماء بات فى شنة وإلا كَرَعْنَا » والرجل يحوّل الماء فى حائط ، فقال الرجل: يارسول الله ، عندى ماء بات فى شنة ، فانطلق إلى العريش فسكب فى قدح ماء ثم حلب عليه من داجن له فشرب النبى ﷺ

(١) الإمام البخارى: صحيح البخارى،مرجع سابق،ج ٢،ص٨٠ (باب إذا دعت الأم ولدها فى الصلاة) .

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، ج ١ ،ص ٣٥ .

(٣) الإمام البخارى: صحيح البخارى،مرجع سابق ،ج ٨ ،ص١٢٩ (باب العزلة راحة من خلاط السوء) .

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٤١ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

(٦) البهم : قد تكون صفة للرعاة أى أنهم مجهولو النسب ،وقد تكون صفة للإبل : « يعنى الإبل السود » ، انظر : المرجع السابق ، ج١، ص ٢٢٣ .

(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٨) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

(٩) الماشية تقع على الإبل والبقر والغنم ولكنه يقع فى الغنم أكثر .

انظر : ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

ثم أعاد فشرب الرجل الذى جاء معه» (١) .

ويحكى أبو بكر الصديق رحلة هجرته مع الرسول ﷺ من مكة الى المدينة فيقول: « ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فرميت ببصرى هل أرى من ظل فآوى إليه فإذا صخرة أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويته ثم فرشت للنبى ﷺ فيه ثم قلت : اضطجع يا نبى الله،فاضطجع النبى ﷺ ثم انطلقت أنظر ما حولى هل أرى من الطلب أحداً ، فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذى أردنا فسألته فقلت : لمن أنت ياغلام ؟ قال: لرجل من قريش سماه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، قلت : فهل أنت حالب لبناً ؟ قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال : هكذا ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لى كثبة من لبن » (٢).

وفى ذلك دعوة من خليفة رسول الله ﷺ إلى الحلابين لكى يلتمسوا النظافة حين ممارستهم لحرفة الحلابة ، وكان هناك ما يسمى بالحلاب ، وكان عبارة عن أداة من أدوات الحلابة ؛ إذ إنه جامع للبن الحلب ، « عن عائشة قالت : كان النبى ﷺ إذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء نحو الحلاب فأخذ بكفه ، فبدأ بشق رأسه الأيمن ثم الأيسر فقال بهما على رأسه » (٣) .

« والحلاب : إناء وهو ما يحلب فيه يسمى حلاباً ومحلباً ، قال القاضى عياض: الحلاب و المحلب بكسر الميم ، إناء يملؤه قدر حلب الناقة ، والمعنى أن رسول الله ﷺ دعا بإناء قريب من الإناء الذى يسمى الحلاب ليستخدمه فى غسله ، وقيل : إنه أقل من شبر فى شبر ، وقيل : إنه كوز يسع ثمانية أرطال » (٤) .

الذى يعنينا أن الحلابة كان لها كوز معين مما يدل على ممارسة أهل النبوة لتلك الحرفة.

تنظيم الحلابة :

وضع رسول الله ﷺ من القوانين ما ينظم العلاقة بين البائع والمشترى للماشية وبين الراهن للماشية والمرتهنة عنده فقال ﷺ: « لا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه (٥) ،

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ١٤٤ (باب الكرع فى الحوض) .

(٢) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤ (باب مناقب المهاجرين و فضلهم) .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٣ ، ٧٤ . (باب من بدأ بالحلاب أو الطيب عند الغسل) .

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٣٧ (باب تحريم حلب الماشية بغير إذن مالكها) .

وعن النبى ﷺ أنه كان يقول : « الرهن يركب بنفقته ويشرب لبن الدر إذا كان مرهوناً » (١).

و المعنى : « ينتفع المرتهن من الرهن بالركوب و الحلب بقدر النفقة ، والحكمة فى العدول عن اللبن إلى الدر الإشارة إلى أن المرتهن إذا حلب جاز له ؛ لأن الدر ينتج من العين بخلاف ما إذا كان اللبن فى إناء مثلاً ورهنه فإنه لا يجوز للمرتهن أن يأخذ منه شيئاً » (٢).

تعميق إدراك الإنسان بحرفة الحلابة من خلال القصص النبوى :

ومما جاء فى الحديث النبوى فى تعميق لحرفة الحلابة قصة الثلاثة الذين « كانوا يمشون فأصابهم المطر فدخلوا فى غار فى جبل فانحطت عليهم صخرة . قال: فقال بعضهم لبعض : ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه ، فقال أحدهم : اللهم إنى كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجىء فأحلب فأجىء بالحلاب ، فآتى به أبوى فيشربان ، ثم أسقى الصبية وأهلى وامرأتى ، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان ، فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلى ، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر ، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ، فقال : ففرج عنهم ، وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجال النساء ، فقالت : لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار ، فسعيت فيها حتى جمعتها فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركتها ، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة . قال : ففرج عنهم الثلثين. وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيراً بفَرَق من ذُرَة فأعطيته ، وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقراً و راعيها ، ثم جاء فقال : يا عبد الله ، أعطنى حقى . فقلت : انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك ، فقال: أتستهزئ بى ،قال : فقلت : ما أستهزئ بك ولكنها لك ، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فكشف عنهم » (٣) .

البـزازة :

« البز : الثياب ، البزاز : بائع البز حرفته البزازة » (٤) .

عرف العرب قبل الإسلام حرفة البزازة « واشتهرت اليمن بتصدير أفخر أنواع

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٧١ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ (كتاب البيوع) .
(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٤ .

الثياب إلى الحجاز وإلى أماكن أخرى ، وكانت الحكومة حينئذ تحتكر تجارة البز وكانت تنتهج فى خطتها الاقتصادية نهج احتكار الدولة بيع السلع الرائجة المهمة مثل تجارة البز » (١) .

وقد عمل بهذه الحرفة بعض صحابة رسول الله ﷺ فكانوا يتاجرون فى الثياب ، فذكر البخارى فى حديث هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة : « قال ابن شهاب : فأخبرنى عروة عن الزبير أن رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض » (٢) .

ومن أصحاب رسول الله الذين كانوا يشتغلون بالبزازة : عثمان بن عفان فقد كان بزازاً ، وقال ابن عبد البر : جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً وتم الألف بخمسين فرساً ، وكل ذلك مما اكتسب من المال بحرفة البزازة إذ لم يكن يحترف بغيرها (٣) .

وكان أبو بكر الصديق بزازاً وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف ، كما كان محمد بن سيرين بزازاً (٤) .

الصرافة :

كان صحابة رسول الله ﷺ يتجرون فى الصرف « عن أبى المنهال : قال : كنت أتجر فى الصرف ، فسألت زيد بن أرقم رضي الله عنه فقال : قال النبى ﷺ » (٥) .

وعن عمرو بن دينار وعامر بن مصعب أنهما سمعا أبا المنهال يقول: سألت البراء ابن عازب وزيد بن أرقم عن الصرف فقالا : كنا تاجرين على عهد رسول الله ﷺ فسألنا رسول الله ﷺ عن الصرف ، فقال : « إن كان يدا بيد فلا بأس ، وإن كان نسيئاً فلا يصلح » (٦) .

« وقوله عن الصرف : أى بيع الدراهم بالذهب أو عكسه وسمى به لصرفه عن مقتضى البياعات فى جواز التفاضل فيه » (٧) .

وكان صلوات الله عليه وسلامه يحذر أصحابه من صرف السلعة بسلعة من جنسها إلا مثلا بمثل وقد « نهى النبى ﷺ عن الفضة بالفضة والذهب بالذهب إلا سواء

---

(١) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٧٠ ، ١٣٦ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٧٧ .
(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص٣٢ .
(٤) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص٧٢ .
(٦) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٤٨ .

بسواء،وأمرنا أن نبتاع الذهب بالفضة كيف شئنا والفضة بالذهب كيف شئنا » (١)، وفى رواية أخرى يقول رسول الله ﷺ:«لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا سواء بسواء ، والفضة بالفضة إلا سواء بسواء ، وبيعوا الذهب بالفضة و الفضة بالذهب كيف شئتم» (٢) .

« وقال أبو سعيد فى الصرف : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الذهب بالذهب مثلاً بمثل و الورق بالورق مثلاً بمثل » (٣) .

« وعن ابن شهاب عن مالك بن أوس أخبره أنه التمس صرفاً بمائة دينار فدعانى طلحة بن عبيد الله فتراوضنا حتى اصطرف منى،فأخذ الذهب يقلبها فى يده، ثم قال : حتى يأتى خازنى من الغابة ، وعمر يسمع ذلك فقال : والله لا تفارقه حتى تأخذ منه ، قال رسول الله ﷺ:« الذهب بالذهب رباً إلا هاء وهاء ،والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء » (٤) .

« وقوله : إنه التمس صرفاً أى من الدراهم بذهب كان معه ، وقوله : فتراوضنا أى وصف كلا منا للآخر سلعته ، وقوله : إلا هاء وهاء : إلا أخذاً وعطاءً ، أى بمعنى خذ وهات فيقول كل واحد من المتعاقدين لصاحبه : هاء فيتقابضان فى المجلس ، كما يفاد من الحديث أن النسيئة لا تجوز فى بيع الذهب بالورق ، وإذا لم يجز فيها مع تفاضلهما بالنسيئة فأحرى ألا يجوز فى الذهب بالذهب وهو جنس واحد » (٥) .

«وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز » (٦) ، « والمقصود بيع الذهب بالذهب موزوناً بموزون ولا تشفوا أى لا تفضلوا » (٧) .

مما تقدم نستنتج أن المسلمين الأوائل عرفوا الصرف وتعاملوا أيضاً بالنقود الأجنبية وقد أباح الشرع الشريف تلك التجارة ، وقد عمل بها أصحاب رسول الله ﷺ .

الكيالة و الوزانة :

« أخذ الجاهليون الأوزان من البيزنطيين ،وذلك قبل الإسلام بأمد ، وقد كانت أسماء الأوزان والمكاييل فى عهدهم كالآتى :

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ . (٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٧ (كتاب البيوع) .

(٥) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ (كتاب البيوع) .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٩٧ (كتاب البيوع) .

(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ،مرجع سابق ، ج ٤،ص ٤٤٥ (كتاب البيوع) .

المثقال : بمعنى مقدار ووزن .

الحبة : قدرها البعض بعشر الدانق ، وقدرها آخر بسدس ثمن درهم وهو جزء من ثمانين وأربعين جزءاً من الدرهم .

الكيلة : وهى تختلف من حيث الحجم باختلاف الاصطلاح .

الأيفة : تعادل ثلاث كيلات .

العومير : ليست لها معايير ثابتة بالقياس إلى العيارات الأخرى .

الحومر : الكيلة التى تبلغ خمس إيفات .

القاب : مكيال للغلة .

البث : عشر الحومر .

الزق : وحدة عامة لوزن المائعات .

الشاقل : وزن يقسم إلى نصف و ثلث و ربع .

الميزان : الآلة التى يوزن بها .

المنّ : خمسة عشر شاقلاً .

الرطل : نصف منّ .

الفالج : مكيال ضخم : وقيل مكيال يكال به.

الوزنة : ثلاث آلاف شاقل .

الصاع : أربعة أمداد .

المد : ملء كف الإنسان المعتدل .

القنطار : وزن أربعين أوقية من ذهب ، وقيل : ألف ومائتا دينار .

الأوقية : قيل : سبعة مثاقيل ، وأنها أربعون درهماً .

الوسق : ستون صاعاً ، وهو خمسة أرطال و ثلث .

الحمل : و هو مقدار ما يحمله الحيوان و هو شيء تقديرى غير مضبوط تماماً.

القفيز : يستخدم لتقدير كميات الأشياء الجامدة .

الفرسخ : يقيس الأبعاد .

الميل : يقيس الأبعاد أيضاً »(١) .

ولما أتى الإسلام حض على أن يكال كل شيء وأن تتحدد صفات الأشياء ، وكانت

---

(١) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٤١١ ، ٤٢٨ .

أسماء الأوزان المستعملة فى عهد النبى ﷺ عشرة وهى : « الدرهم ـ الدينار ـ المثقال ـ الدانق ـ القيراط ـ الأوقية ـ النش ـ النواة ـ الرطل ـ القنطار » (١) .

وكان رسول الله ﷺ يكيل بنفسه للآخرين ويرجح إذا كان لهم حق عليه « عن محارب أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : اشترى منى رسول الله ﷺ بعيراً بوقيتين ودرهم أو درهمين ، قال : فلما قدم صراراً أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها فلما قدم المدينة أمرنى أن آتى المسجد فأصلى ركعتين ووزن لى ثمن البعير فأرجح لى » (٢) .

« فلما قدم صراراً : هو موضع قريب من المدينة » (٣) .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يأمر بالكيل فى البيع والشراء : عن عثمان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له : « إذا بعت فكِل وإذا ابتعت فاكتل » (٤) بمعنى : « إذا بعت فأوف وإذا ابتعت فاستوف ، أى : إذا أعطى وأخذ لا يزيد ولا ينقص » (٥) .

وفى بيع الطعام قال ﷺ : « من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه » (٦) ، وعنه أنه قال : « كيلوا طعامكم يبارك لكم» (٧) ، وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يكتاله » (٨) أى يأخذه بالكيل ، وكان أهل المدينة يتعاملون بالمكيال حتى « أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لهم فى مكيالهم ، وبارك فى صاعهم ومدهم » يعنى أهل المدينة » (٩) .

وقد كال رسول الله ﷺ بنفسه دين أحد أصحابه ؛ إذ « حدثنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن أباه استشهد يوم أحد وترك عليه ديناً ، وترك ست بنات فلما حضر جزاز النخل قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : قد علمت أن والدى قد استشهد يوم أحد وترك ديناً كثيراً ،وإنى أحب أن يراك الغرماء فقال : « اذهب فبيدر كل تمر على ناحية » ففعلت ثم دعوته، فلما نظروا إليه أغروا بى تلك الساعة ، فلما رأى ما يصنعون أطاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرات ثم جلس عليه ، ثم قال: « ادع لى أصحابك » فما زال

---

(١) الخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية ، مرجع سابق ، ص ٦٠٣ .

(٢) الإمام مسلم: صحيح مسلم،مرجع سابق،ج ٥ ، ص ٥٣ (كتاب البيوع) باب بيع البعير باستثناء ركوبه .

(٣) المرجع السابق والصفحة .

(٤) الإمام البخارى: صحيح البخارى،مرجع سابق،ج ٣،ص ٨٨ (كتاب البيوع) باب الكيل على البائع والمعطى.

(٥) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ،مرجع سابق،ج ٤ ، ص ٤٠٤ (كتاب البيوع).

(٦) الإمام البخارى :صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨١ (كتاب البيوع) باب الكيل على البائع والمعطى .

(٧) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ (كتاب البيوع) باب ما يستحب من الكيل .

(٨) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٧ (كتاب البيوع) .

(٩) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٨٩ (كتاب البيوع) . باب بركة صاع النبى ﷺ ومده .

يكيل لهم حتى أدى الله عن والدى أمانته » (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة والناس يسلفون العام والعامين ، وقال : عامين أو ثلاثة ، شك إسماعيل ، فقال : « من سلف فى تمر فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم» (٢) ، إنها دعوة إلى تحديد الكيل منعاً للاختلاف « وقول المصنف (باب السلم فى كيل معلوم) أى ما يكال ، واشترط تعيين الكيل فيما يسلم فيه من المكيل متفق عليه من أجل اختلاف المكاييل ، إلا ألا يكون فى البلد سوى كيل واحد فإنه ينصرف إليه عند الإطلاق » (٣).

التجارة فى الطعام :

كان الطعام يباع على عهد رسول الله ﷺ وقد وضع رسول الله ﷺ أساسيات وجب على بائع الطعام الالتزام بها وهى كيل هذا الطعام ، وأن يبيعه مستوفياً فيقول رسول الله ﷺ : « من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يكتاله » (٤) أى يأخذه بالكيل ، وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه »(٥) أى يقبضه وافياً كاملاً وزناً أو كيلاً ، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه و يقبضه » (٦).

« وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه » ، قال : وكنا نشترى الطعام من الركبان جزافاً ، فنهانا رسول الله ﷺ أن نبيعه حتى ننقله من مكانه » (٧) ، وقوله : « جزافاً » أى : بلا كيل ، وقوله : « حتى ننقله » أى : نقوم بنقله من المكان الذى اشتريناه منه إلى مكان غيره حتى يحق لنا أن نزيد قدراً من سعره ؛ لأن الزيادة حينئذ تكون على النقل والتحويل .

وكان النبى ﷺ يشترى طعامه بنفسه « عن عائشة رضي الله عنها قالت : اشترى رسول الله ﷺ من يهودى طعاماً بنسيئة ورهنه درعه » (٨).

وإذا كان المسلم مطالباً بالتزام هذه الأساسيات فى تجارته للطعام فلاشك أنه مطالب بها لمنع الاختلافات بين البائع والمشترى ولتحديد السلعة تحديداً دقيقاً ينأى بها عن وقوع

---

(١) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٢٣ ، باب : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١١ (كتاب السلم) .

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٧ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة . (٦) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٨ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٨ .

(٨) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨١ (باب شراء الحوائج بنفسه) .

الخلاف بين المسلمين حولها .

التمارة :

كان المسلمون الأوائل يعملون فى بيع التمر إذ كان مادة أساسية للغذاء ، وكان رسول الله ﷺ يضع توجيهاته للبائعين فيقول ﷺ: « البر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء و التمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء » (١).

« وعن أبى سعيد ﷺ قال: كنا نرزق تمر الجمع وهو الخلط من التمر وكنا نبيع صاعين بصاع فقال النبى ﷺ : « لا صاعين بصاع ولا درهمين بدرهم » (٢).

« ولقد جاء بلال إلى النبى ﷺ بتمر برنى ،فقال له النبى ﷺ :« من أين هذا ؟ » قال بلال : كان عندي تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبى ﷺ ، فقال النبى عند ذلك : « أوَّه أوَّه عين الربا ، لا تفعل ولكن إذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتره » (٣) أى اشتريه بالثمن .

«وقوله:(جاء بلال إلى النبى بتمر برني) ضرب من التمر معروف وقيل له ذلك ؛ لأن كل تمرة تشبه البرنية وقوله : (أوَّه ـ أوَّه) كلمة تقال عند التوجع وقيل: إنما تأوه ليكون أبلغ فى الزجر ، وقال : إما للتألم من هذا الفعل ، وإما من سوء الفهم ، والمقصود بع التمر الردىء أولاً بالدرهم ثم اشترى به تمراً جيداً » (٤).

وهكذا ربط الرسول بيع التمر بالأجر الحلال البعيد عن الربا وجعل بيعه بالدراهم أو بالمقايضة بشرط أن يكون البيع بالمثل .

تجارة المسك « الطيب » :

« عرف العرب قبل الإسلام تجارة الطيب ، وقد كان الطيب من أهم المواد التى تاجر بها العرب الجنوبيون . تاجروا بتصديره إلى خارج المنطقة العربية الجنوبية إلى بلاد الشام ومصر والعراق ، وتاجروا به فى الداخل أى فى أسواق اليمن وفى الحجاز وفى مواضع أخرى من جزيرة العرب » (٥) ، وقد « أقبل العبرانيون و المصريون على استيراده وشرائه لاستعماله فى الأغراض الدينية ، وفى الحفلات التى لها صلة بالأفراح الدينية والأعياد » (٦).

وقد قال ﷺ فى الطيب : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٦ (باب بيع التمر بالتمر) .
(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦٧ (باب بيع الخلط من التمر) .
(٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٣٣ (باب إذا باع الوكيل شيئاً فاسدا فبيعه مردود) .
(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٧٢ ، ٥٧٣ .
(٥) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٩٢ .
(٦) المرجع السابق نفس الصفحة .

المسك وكير الحداد لايعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أوتجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أوثوبك أوتجد منه ريحاً خبيثة » (١) ، لقد أراد رسول الله ﷺ أن يقرب الصور إلى أذهان صحابته فكان يضرب لهم الأمثلة من الواقع الحسى الذين كانوا يعيشونه ، ومن ثم نستدل من هذا الحديث على طهارة المسك وجواز بيعه ؛ لأنه كان يباع فى عهد النبى ﷺ « وكان أنس ﷺ لا يرد الطيب ، وكذلك كان النبى ﷺ لا يرد الطيب » (٢) ، « وعن ابن عمر ﷺ أنه قال : لو كنت تاجراً ما اخترت على العطر شيئاً إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه » (٣) .

وكانت بعض النساء يعملن بتجارة المسك « فقد كانت أسماء بنت مخربة تبيع العطر بالمدينة وهى أم عباس ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، كما كانت بالمدينة امرأة عطارة تسمى حولاء بنت ثويب كانت تبيع العطر » (٤).

دباغة الجلود :

« الدباغة : هى دبغ الإهاب بما يدبغ به ، والإهاب الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ والدباغ ما يدبغ به» (٥).

وقد عرف العرب قبل الإسلام دباغة الجلود « واشتهرت اليمن بدباغة الجلود والاستفادة من هذه الجلود فى أغراض صناعية وبتصدير الجلود إلى أماكن أخرى من جزيرة العرب ولا تزال اليمن تضع الجلود على الطريقة القديمة وتصدرها إلى الخارج ، وقد اشتهرت مكة فى الإسلام بدبغ الجلود ، كذلك جلود الجمال والبقر والغزلان ، وقد كانت الدباغة حرفة أكثر أهل الطائف ، يدبغون بصورة خاصة الأدم الثقيل المليح . والواقع أن اعتماد العرب الجاهليين على الجلود كان كبيراً ؛ لأنها كانت متيسرة لهم وهى أسهل فى العمل من الخشب أو الحديد أو الأشياء الأخرى بالنسبة إلى عمال جزيرة العرب. (والقرظ) من أهم ما استعمل فى دباغة الأدم ، يجلب فيطحن بحجر الطواحين ثم يستعمل فى الدباغة ، وأحجار الطواحين كانت ضخمة جداً استعملها الجاهليون للطحن وكانت هذه الحرفة ـ حرفة دباغة الأدم فى ذلك الوقت ـ ذات شأن عند القوم»(٦)،ومن أهم المواد المصنوعة من الجلود الدلاء والقرب والنعال والخفاف والبساط ومواد أخرى تستخدم فى البيت ، ولم تكن بيوت أهل الوبر مصنوعة من الوبر وشعر

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى : مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٢ (باب فى العطار وبيع المسك) .
(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ .
(٣) الخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية ، مرجع سابق ، ص ٧٠٤ .
(٤) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٠ .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٩٨ .
(٦) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

المعز أو الصوف فقط بل صنعوها من جلود الأنعام ، كذلك فكانوا يحملونها معهم فإذا نزلوا فى مكان ما نصبوها وناموا تحتها » (١) ، « فالبيوت المصنوعة من جلود الأنعام تكون صالحة وملائمة للسكن فى أثناء نزول الأمطار ، بخلاف البيوت المصنوعة من الوبر أو شعر المعز أو الصوف فإنها تتشبع بالمطر فينفذ منها الماء إلى الآوين إليها كما أنها لا تحمى ساكنيها من البرد والرياح ، حماية البيوت المصنوعة من الجلود » (٢) ، وقد اشتغل المسلمون بدباغة الجلود ،وجاء فى الحديث : « إذا دبغ الإهاب فقد طهر » (٣) ، وقد «استخدم الدباغون فى ذلك مواد مختلفة وعالجوا الجلد قبل دبغه لترقيقه وتوظيفه وصقله » (٤) ، كما « استخدموا مواد مساعدة تعين على نتف الصوف والشعر من الجلد بسهولة وبدون أذى لهم أو للجلد مثل مادة الجير أو مواد أخرى ، كما استعملوا مواد تساعد على حفظ الجلد ومنعه من التلف لدبغه مثل العفص وغيره من مواد نباتية دابغة » .

والعفص : الذى يتخذ منه الجير ، ويستعمل العفص فى الدباغة كمساعد على حفظ الجلد ومنعه من التلف (٥) ، وقد أمر رسول الله ﷺ بالانتفاع بالجلود حين « مر بشاة ميتة فقال:« هلا استمتعتم بإهابها » ، قالوا: إنها ميتة ،قال:« إنما حرم أكلها » (٦) وقد « ذكر الحديث فى(باب جلود الميتة قبل أن تدبغ) مما يدل على دبغ هذه الجلود » (٧) ، وقد روى أن داجنة (شاة) كانت لبعض نساء النبى ﷺ فماتت فقال ﷺ : « ألا أخذتم إهابها (جلدها) فاستمتعتم به » (٨) ، وكانت الجلود ذات شأن كبير فى العهد الإسلامى الأول ، « وقد دخلت فى صناعة الخيم وبيوت الأعراب » (٩) ، « عن على رضي الله عنه قال : بعثنى النبى ﷺ فقمت على البدن فأمرنى فقسمت لحومها ثم أمرنى فقسمت جلالها وجلودها » (١٠) ، فلا يقسم الجلد إلا إذا كان ذا شأن كبير .

وكذلك دعا رسول الله ﷺ إلى الانتفاع بجلال البدن وجلودها خلال أداء مناسك الحج « عن على رضي الله عنه أيضاً قال :أمرنى رسول الله ﷺ أن أتصدق بجلال البدن التى نحرت وبجلودها » (١١) .

---

(١) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٧٣ . (٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٧٤ .
(٣) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩١ .
(٤) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٣١ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٢ .
(٨) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .
(٩) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .
(١٠) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ص ٢١٠ (باب لا يعطى الجزار من الهدى شيئاً).
(١١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٨ (كتاب الوكالة) .

« وقوله : بجلال البدن أى ما تلبسه الدواب » (١) ، وكان يصنع فى عهده ﷺ إناء الماء من الجلد أيضاً « يقول أنس بن مالك: كان النبى ﷺ إذا خرج لحاجته أجىء أنا وغلام معنا إداوة من ماء يعنى يستنجى به » (٢) ، « إداوة : بكسر الهمزة إناء صغير من جلد متخذ للماء وجمعه أداوى » (٣).

وقد تاجر يهود الحجاز بالشحوم فكانوا يذيبونها و يبيعونها و يقبضون أثمانها « عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح هو بمكة : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير و الأصنام » فقيل : يا رسول الله ، أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ، فقال:« لا هو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه » (٤) ، وقوله : « أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس » أى : فهل يحل بيعها لما ذكر من المنافع فإنها مقتضية لصحة البيع ، وقوله : (فقال : لا هو حرام) أى البيع ، هكذا فسره بعض العلماء كالشافعى ومن اتبعه ، ومنهم من حمل قوله : (هو حرام) على الانتفاع ،فقال : يحرم الانتفاع بها وهو قول أكثر العلماء فلا ينتفع من الميتة أصلاً عندهم إلا ما خص بالدليل وهو الجلد المدبوغ » (٥) ، « وقد ذكر النبى وزوجه الدبغ صراحة ، عن سودة زوج النبى ﷺ قالت : ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها ، ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صارت شناً » (٦) .

« والشن:الجلد البالى والجمع شنان وفى المجمل (شَنِئْتُهُ) أَشْنَؤُهُ من باب تعب ، شنأ مثل فَلْس » (٧) ، وفى مجال الحث على الاشتغال بدبغ الجلود يقول ابن عباس : إن رسول الله ﷺ مر بشاة مطروحة أعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة فقال النبى ﷺ : « ألا أخذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به » (٨) ، وجاء فى كتاب التراتيب الإدارية : « أن سعيد ابن عائذ المؤذن مولى عمار بن ياسر كان يتجر فى القرظ وهو ورق يدبغ به فقيل له سعد القرظ » (٩) ، « وإن أم المؤمنين زينب بنت جحش كانت امرأة صناع اليد ،

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٠ .
(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١١٠ (باب بيع الميتة والأصنام) .
(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٦ .
(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٧٤ .
(٧) أبو العباس أحمد بن محمد على الفيومى:المصباح المنير، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة ج ١،ص ٤٤٢ .
(٨) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ (باب طهارة جلود الميتة بالدباغ) .
(٩) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

فكانت تدبغ وتخرز ، وعن أسماء بنت عميس قالت : أصبحت فى اليوم الذى أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتى النبى ﷺ ولقد هنأت يعنى دبغت أربعين إهاباً من أدم » (١) .

« وذكر ابن دريد فى الوشاح فى باب الصناعات فى باب من كان دباغاً : الحارث ابن صبيرة فقال : أسلم يوم الفتح هو وابنه » (٢).

الأحذية :

عرف العرب الجاهليون صناعة الأحذية وكانوا يصنعونها من الجلود ، و كان أشهر مراكز صناعة الجلود مدينة صنعاء التى عرفت بإنتاج النعال المشعرة كما عرفت حضرموت بنعالها فقيل : نعل حضرمى (٣) ، وقد ورد لفظ النعلين والخفين فى أحاديث كثيرة مما يدل على امتداد وجود حرفة الأحذية فى عهد رسول الله ﷺ .

ومن هذه الأحاديث :

« عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه مسح على الخفين » (٤) ،«وعن عروة ابن المغيرة عن أبيه قال: كنت مع النبى ﷺ فى سفر فأهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فإنى أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما » (٥) ،«وأخبرنا أبو مسلمة سعيد بن زيد الأزدى قال: سألت أنس بن مالك أكان النبى ﷺ يصلى فى نعليه ؟ قال : نعم» (٦) ، «وإن النبى ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر : « يا بلال ، حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام فإنى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة » قال : ما عملت عملاً أرجى عندى أنى لم أتطهر طهوراً فى ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى» (٧)، «وعن النبى ﷺ أن رجلاً سأله ما يلبس المحرم فقال : « لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً من الورس أو الزعفران ، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين و ليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين » (٨).

« النعل : الحذاء والجمع : نعال ، وأنعل ونعلته بالتثقيل جعلت له نعلاً وهى جلدة على أسفله حتى تكون له كالنعل للقدم » (٩).

« وخَفَّ : الشىء خَفا ، وخَفَّ الرجل أى : طاش ، وشىء خِفٌّ بالكسر أى :

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦ .   (٢) نفس المصدر ، ص ٩٢ .
(٣) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٢ (باب المسح على الخفين) .
(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٢ (باب إذا أدخل رجليه وهما طاهرتان) .
(٦) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٨ (باب الصلاة فى النعال) .
(٧) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ (باب فضل الطهور بالليل والنهار) .
(٨) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله) ..
(٩) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ٨٤٢ .

خفيف » (١) ، « والخف للبعير كالحافر للفرس » (٢) .وعن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن ، رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها ؟ قال : وما هى يابن جريج ؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين ، ورأيتك تلبس النعال السبتية ، ورأيتك تصبغ بالصُفرة ، ورأيتك إذا كنت بمكة أهلّ الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى كان يوم التروية ، قال عبد الله : أما الأركان فإنى لم أر رسول الله ﷺ يمس اليمانيين ، وأما النعال السبتية فإنى رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعل التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها ، وأما الصفرة فإنى رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها ، فأنا أحب أن أصبغ بها وأما الإهلال فإنى لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به راحلته » (٣) ، « السبت : الراحة والسبات النوم وأصله الراحة » (٤) .

وعن النبى ﷺ قال : « العبد إذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة » قال النبى ﷺ : « فيراهما جميعاً ، وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » (٥) ، «وحدثنا عيسى بن طهمان ، قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثنى ثابت البنانى بعد عن أنس أنهما نعلا النبى ﷺ » (٦).

وعن علقمة قال : دخلت الشام فصليت ركعتين فقلت : اللهم يسر لى جليساً ، فرأيت شيخاً مقبلاً فلما دنا قلت : أرجو أن يكون استجاب ، قال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : أفلم يكن فيكم صاحب النعلين والوسادة و المطهرة ، أو لم يكن فيكم الذى أجير من الشيطان ، أو لم يكن فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ، كيف قرأ ابن أم عبد : والليل ؟ فقرأت : والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى قال : أقرأنيها النبى ﷺ فاه إلى فى ، فما زال هؤلاء حتى كادوا

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٢) إبراهيم مصطفى و آخرون : المعجم الوسيط ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٦ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٣ (باب غسل الرجلين فى النعلين و لا يمسح على النعلين) .

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١١٣ (باب الميت يسمع خفق النعلين).

(٦) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٠١ (باب ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه و قدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك) .

يردونى » (١) « صاحب النعلين : أى نعلى رسول الله ﷺ وكان ابن مسعود يحملهما ويتعاهدهما » (٢) .

نستطيع أن نؤكد أن صناعة الأحذية كانت حرفة مهمة عند العرب الجاهليين والمسلمين على حد سواء ، وقد اشتهرت بها أماكن متعددة ،من جزيرة العرب ،وهى صناعة تقوم على أساس دباغة الجلود وإصلاحها التى عمل بها المسلمون وبرعوا فيها للاستفادة منها فى تلك الحرفة .

الاحتطاب :

عرف العرب الجاهليون حرفة الاحتطاب واستعملوا « أدوات فى الاحتطاب والقطع منها الحدأة وهى الفأس ذات الرأسين أما الفأس ذات الرأس الواحد فتسمى الفأس وأما الأداة التى ينقر بها الخشب ، فيقال لها : المنقار ، والمنجل:الآلة التى يقطع بها العود والحشائش و ما شابه ذلك» (٣) ،ورغم ضآلة أجر هذه الحرفة نجد أن رسول الله ﷺ يحض على الاشتغال بها خير من أن يصير المسلم عالة على غيره فيقول ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » (٤) ، وعن الزبير بن العوام ﷺ قال : قال النبى ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكف الله به وجهه خير من أن يسأل الناس أعطى أو منع» (٥) ، « فالإسلام يعتبر كل عمل يجلب رزقاً حلالاً هو عمل شريف كريم ولو كان احتطاب حزمة يجتلبها فيبيعها فيكف الله به وجهه من أن يراق ماؤه فى سؤال الناس » (٦).

وكان كثير من صحابته ﷺ يمارس الاحتطاب « عن أنس بن مالك ﷺ أن رعلاً وذكوان وعقبة وبنى لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم و غدروا بهم فبلغ النبى ﷺ فقنت شهراً يدعو فى الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان » (٧).

السمسرة :

المراد بالسمسار : هو المتولى العقد بين البائع والمشترى بأجر كالسماسرة ،وهو الذى

---

(١) نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ٣٥ (باب مناقب عبد الله بن مسعود) .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١١٥ .

(٣) جواد علـى : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٩ (باب بيع الحطب و الكلأ) .

(٦) يوسف القرضاوى : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج ٥، ص ١٣٤ (باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة) .

يسميه الناس الدلال فإنه يدل المشترى على البائع (١).

وبالنسبة لأجر السمسرة : لم ير ابن سيرين وعطاء وإبراهيم و الحسن بأجر السمسار بأساً ، وقال ابن عباس : أن يقول : بع هذا الثوب فما زاد على كذا وكذا فهو لك . « وقال ابن سيرين : إذا قال : بعه بكذا فما كان من ربح فهو لك أو بينى و بينك فلا بأس به استناداً لقول النبى ﷺ : « المسلمون عند شروطهم » (٢) ،وقد أباح رسول الله ﷺ أجر السمسرة إلا أن يكون السمسار من أهل البلد والمشترى من غير أهلها وقادم إليها فلا يجوز أن يكون له سمساراً ، وإن جوّز العلماء السمسرة فقد جوّزوها فى بيع الحاضر للحاضر تبعاً لقول ابن عباس رضي الله عنه : « نهى رسول الله ﷺ أن يتلقى الركبان ولا يبيع حاضر لباد قلت : يا بن عباس ، ما قوله : لا يبيع حاضر لباد ؟ قال : لا يكون له سمساراً » (٣).

النساجة :

عرف العرب الجاهليون صناعة النسيج ، « وقد اشتهرت صناعة البسط فى جزيرة العرب وهناك أنواع عديدة منها تنسب إلى مواضع متعددة وهى تنسج من الأصواف ومن شعر المعز و يشتغل بنسجها النساء والرجال ، وقد اشتهرت بعضها باسم (العبقرى) و (العباقرى) » (٤) « حتى إن حكومة البطالمة احتكرت صناعة نسيج الكتان » (٥) .

وقد احترف المسلمون الأوائل فن النسيج وعملوا به وكانوا يهدون رسول الله ﷺ من منتجاتهم « عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة ببردة قال : أتدرون ما البردة؟ فقيل له : نعم ، هى الشملة منسوجة فى حاشيتها - قالت : يا رسول الله ، إنى نسجت هذه بيدى أكسوكها ، فأخذها النبى ﷺ محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم : يا رسول الله ، اكسنيها ، فقال: « نعم » ،فجلس النبى ﷺ فى المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت ، سألتها إياه لقد عرفت أنه لا يرد سائلاً ،فقال الرجل : والله ما سألته إلا لتكون كفنى يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه » (٦) . إنها امرأة مسلمة ، أتقنت صناعة نافعة فقد نسجت بردة وأهدتها للنبى ﷺ ، ويستفاد من ذلك أن المرأة المسلمة كانت تعمل فى الصناعة التى كانت تناسبها وكانت تتقنها ، «وقد كان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٢٠ (باب أجر السمسرة) .

(٣) المرجع السابق و الصفحة .

(٤) جواد علـى : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٧٠ .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٠ (باب ذكر النساج) .

وعامر بن كريز يعملون الخز وهى نساجة تنسج من صوف وإبريسم» [(١)] ، بل إن المسلمين الأوائل عرفوا الجمع بين النسيج و الزخرفة فى قطعة واحدة . « عن عائشة أن وليدة كانت سوداء لحى من العرب فأعتقوها فكانت معهم ، قالت: فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته أو وقع منها فمرت به حديّاة ،وهو ملقى فحسبته لحماً فخطفته ، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه ، قالت : فأتهمونى به . قالت : فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قبلها، قالت : والله إنى لقائمة معهم إذا مرت الحديّاة فألقته ، قالت: فوقع بينهم قالت: فقلت هذا الذى اتهمتمونى به، زعمتم وأنا منه بريئة وهو ذا هو ، قالت : فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، فقالت عائشة: فكان لها خباء فى المسجد أوْ حِفْشٌ » [(٢)] .

« الوشاح بكسر الواو ، ويجوز ضمها ويجوز إبدالها ألفاً خيطان من لؤلؤ يخالف بينهما ، وتتوشح به المرأة وقيل : ينسج ـ من أديم ـ عريضاً ويرصع باللؤلؤ وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، وعن الفارسى لا يسمى وشاحاً حتى يكون منظوماً بلؤلؤ وودع ، وقولها فى الحديث : من سيور ، يدل على أنه كان من جلد ، وقولها بعد (فحسبته لحماً) لا ينفى كونه مرصعاً ؛لأن بياض اللؤلؤ على حمرة الجلد يصير كاللحم السمين .

وقوله حُدَيّاه : تصغير حَدَأَةَ وهى الطائر المعروف المأذون فى قتله فى الحل والحرم» [(٣)] ، « والخباء : الخيمة من وبر و غيره ولكن لا يكون من شعر . والحفش : البيت الصغير القريب السمك مأخوذ منه الانخفاش وهو الانضمام وأصله الوعاء الذى تضع فيه المرأة غزلها » [(٤)].

وكان بعض المجوس يشتغلون بالنساجة حتى « قال الحسن فى الثياب ينسجها المجوس لم ير بها بأساً » [(٥)] ، و عن معتمر فى رواية أخرى : « لا بأس بالصلاة فى الثوب الذى ينسجه المجوس قبل أن يغسل وإن كان كره ذلك ابن سيرين » [(٦)].

الخياطة :

عرف العرب الخياطة فى العصر الجاهلى وقد «اشتهرت فى اليمن عند ظهور الإسلام بالنسيج والحياكة ، وقد أصدرت أنواعاً عديدة من الأقمشة والثياب إلى مختلف أنحاء جزيرة العرب،ومن ثياب أهل اليمن الناعمة، الثياب التى تعرف باسم (الخال) [(٧)]

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص١٩١ .

(٧) الخال : برد معروف أرضه حمراء فيها خطوط سوداء .

وهو ثوب ناعم وضرب من البرود ، و(الوصائل) ، هى ثياب يمانية حمر ، والعصب وهى ضرب من البرود وضرب من الثياب ،(الممرجل) ثياب من الوشى فيها صور المراجل ، والجدة وهى ضرب من ضروب البرود كذلك و(المعاجر) « وهى من ضروب الثياب المصنوعة فى اليمن ، والسحل ضرب من الضروب ، وكذلك (المُرحّلْ) وقد صورت عليه الرمال ، والسيراء وهى ثياب مخططة » ،وبعض هذه الأقمشة والثياب والبرود مصنوعة من الكتان وبعضها من القطن مثل الثياب السحولية البيض المصنوعة من القطن ، وقد اشتهرت اليمن بهذه الثياب وطلبها الناس فى مختلف أنحاء جزيرة العرب،وقد كان أثرياؤهم يتباهون باستعمالهم الحلل والثياب اليمنية (١) ،وقد « اشتهرت عدن بصنع البرود ، كما اشتهرت قطر بنوع من الثياب يقال له: الثياب القطرية » (٢) .

ولقد مارس المسلمون الأوائل مهنة الخياطة فى زمن رسول الله ﷺ، وقد ورد فى السنة أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه ، قال أنس بن مالك : فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً ومرقاً فيه دباء وقديد فرأيت النبى ﷺ يتتبع الدباء من حوالى القصعة ، قال : فلم أزل أحب الدباء من يومئذ » (٣) .

« والدباء : بضم الدال وتشديد الباء والمد: القرع ، والواحدة:دبّاءة » (٤)، «والقد: الشق طولاً ، والقديد : اللحم » (٥).

أم سليط خياطة :

أخبرنا « ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء المدينة فبقى مرط جيد فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين ، اعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التى عندك ، يريدون أم كلثوم بنت على ، فقال عمر : أم سليط أحق ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ ، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد ، قال أبو عبد الله تزفر : تخيط » (٦) .

إن هذا الحديث يستدل منه على أن النساء كن يعملن بتلك المهنة علاوة على « جواز الأجرة على الخياطة رداً على من أبطلها لعله أنها ليست بأعيان مرئية ولا صفات

(١) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص١٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٧٣.

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج ٣ ، ص ٧٩ .

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٠ (كتاب الجهاد و السير ـ باب حمل النساء القرب إلى الناس فى الغزو) . .

معلومة ، فالخياط إنما يخيط الثوب فى الأغلب بخيوط من عنده ، فجمع إلى الصنعة التجارة ومعناها التجارة فى الخيوط بالإضافة إلى الإجارة » (١).

« وعن النبى ﷺ أن رجلاً سأله ما يلبس المحرم ؟ فقال : « لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوباً مسه من الورس أو الزعفران ، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين و ليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين » (٢).

وهذه الملابس المذكورة تحتاج إلى تخصصات حياكية متعددة لتغير حالتها من القماش إلى تلك الأسماء التى سميت بها ، مما يدل على وجود حياكة الملابس المختلفة فى زمن رسول الله ﷺ .

النهى عن خياطات معيبة :

عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن اشتمال الصماء وأن يحتبى الرجل فى ثوب واحد ليس على فرجه منه شىء » (٣) .

وقوله : « (عن اشتمال الصماء) هو بالصاد المهملة والمد ، قال أهل اللغة : هو أن يخلل جسده بالثوب لا يرفع منه جانباً و لا يبقى ما يخرج منه يده ، وقد سميت صماء لأنه يسد المنافذ كلها فتصير كالصخرة الصماء التى ليس فيها خرق ، وربما يعرض له حاجته فيتعثر عليه إخراج يده فيلحقه الضرر . والاحتباء : أن يقعد على أليتيه وينصب ساقيه ويلف عليه ثوباً ويقال له : الحبوة وكانت من شأن العرب » (٤) .

الخامات التى تصنع منها الملابس :

تعددت الخامات التى كانت تصنع منها الملابس فى عهد رسول الله ﷺ، فقد صنعت من قطن وكتان وصوف وحرير . . . وغيره ، وسوف نتناول بعض الأحاديث التى تناولت فى ذكر هذه الخامات .

الصوف و الكتان و الخز :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: « لقد كان رسول الله ﷺ يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات فى مروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد » (٥) ،

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦١ .
(٢) الإمام البخارى: صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج ١،ص ٤٥،(باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل) .
(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

« المروط : جمع مرط بكسر أوله : كساء من خز أو صوف أو كتان » (١).

الحـريـر:

« عن عقبة بن عامر قال: أهدى إلى النبى ﷺ فروج حرير فلبسه فصلى فيه ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له ، وقال : « لا ينبغى هذا للمتقين » (٢).

« وظاهر هذا الحديث أن صلاته فيه كانت قبل تحريم لبس الحرير » (٣) ، ولم يستثن رسول الله ﷺ من لبس الحرير غير المرضى إذ ثبت أن « النبى ﷺ رخص لعبد الرحمن بن عوف و الزبير فى قميص من حرير من حكة كانت بهما » (٤) .

و يمكننا الاستدلال من الحديث على صناعة الملابس من الحرير فى عهده ﷺ .

القـطـن :

عرف المسلمون القطن كمادة لصناعة القماش ،ومما يدل على ذلك قول عائشة « أن امرأة سألت النبى ﷺ عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل ، قال : « خذى فِرصَةً من مسك فتطهرى بها » قالت : كيف أتطهر بها قال : « تطهرى بها » ، قالت : كَيف ، قال :« سبحان الله تطهرى ! » فاجتذبتها إلىَّ فقلت :تتبعى بها أثر الدم » (٥) .

« وقوله ﷺ : فِرَصةً أى : قطعة من صوف أو قطن» (٦) ، « وكان نساء يبعثن إلى عائشة بالدرَجَة فِيها الكرسف فيه الصفرة فتقول : لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء ، تريد بذلك الطهر من الحيض » (٧).

« والكرسف : بضم الكاف و السين المهملة بينهما راء ساكنة : هو القطن» (٨).

الـكتـان :

كان صحابة رســول الله ﷺ يلبسون الملابس من الكتان « عن أيوب بن محمد قال : كنا عند أبى هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط فقال :بخ بخ ،أبو هريرة يتمخط فى الكتان » (٩) .

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ .
(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١١ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١١٨ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٥ ،٨٦ .
(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٧ .
(٨) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٦٧ .
(٩) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٧ .

الكتان المخلوط بالحرير :

سيأتى فى الصياغة أن رسول الله ﷺ نهى عن الديباج والقسى والإستبرق . «والقسى : ثياب من كتان مخلوط بحرير كان يؤتى بها من مصر ونسبت إلى قرية على ساحل البحر يقال لها : القس ، وقيل : القس كانت مدينة على ساحل دمياط غلب عليها البحر فاندثرت فكان يخرج منها ثياباً مفتخرة ويتاجر بها فى البلاد » (١) .

مما سبق نستدل على صناعة الأقمشة من عدة خامات متنوعة .

صناعة الحبال :

«إن صناعة الحبال (العقال) معروفة منذ القدم وقد مارسها العرب فى الجاهلية » (٢) والإسلام فلقد كانت حرفة لعائشة زوج رسول الله ﷺ ، وعنها أنها « قالت : كنت أفتل القلائد للنبى ﷺ فيقلد الغنم ويقيم فى أهله حلالاً » (٣) ،« القلادة: التى فى العنق وتقليد الغنم أن يعلق فى عنقها شىء » (٤) .

وفى رواية أخرى : « حدثنا مالك عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرته قالت عائشة رضي الله عنها : أنا فتلت قلائد هدى رسول الله ﷺ بيدى ، ثم قلدها رسول الله ﷺ بيديه ، ثم بعث بها مع أبى ، فلم يَحْرُمْ على رسول الله ﷺ شىء أحله الله له حتى نحر الهدى » (٥).

وكان المسلمون الأوائل يعقلون ناقاتهم بالحبال يقول أنس بن مالك : « بينما نحن جلوس مع النبى ﷺفى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله»(٦) ، «وعقله بتخفيف القاف:أى شد على ساق الجمل ـ بعد أن ثنى ركبتيه ـ حبلاً » (٧).

ولم تقتصر صناعة الحبال على تقليد الغنم فقط ، وإنما كانت تستخدم فى أشياء عديدة ،« عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبى ﷺ فإذا بحبل ممدود بين السارتين فقال : « ما هذا الحبل ؟ » قالوا : حبل زينب فإذا فترت تعلقت فقال النبى ﷺ : « لا ، حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد » (٨) .

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٩١ (باب الأمر باتباع الجنائز) .

(٢) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ (باب تقليد الغنم) .

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٤٨ .

(٥) الإمام البخارى :صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج ٣ ،ص ١٣٤ (باب الوكالة فى البدن و تعاهدها) .

(٦) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(٨) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

التنـجيـد :

« التنجيد: التزيين ،و(النجاد) بوزن النجار الذى يعالج الفرش والوساد ويخيطها» (١).

وقد ورد فى كثير من الأحاديث اللحاف والوسادة والنمرقة مما يدل على وجود حرفة التنجيد فى عهده ﷺ ، وقد ورد ذكر الوسادة فى الأحاديث الآتية :

« عن كريب مولى ابن عباس أن عبد الله بن عباس أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبى ﷺ وهى خالته فاضطجعت فى عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله فى طولها » (٢) ، « الوسادة : بالكسر المخدة والجمع وسادات ووسائد والوساد بغير الهاء كل ما يتوسد به من قماش وغير ذلك » (٣).

« وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتها تحت وسادتى فجعلت أنظر فى الليل فلا يستبين لى ، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال : «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » (٤).

« وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت اتخذت على سهوة لها سترا فيه تماثيل فهتكه النبى ﷺ فاتخذت فيه نمرقتين فكانتا فى البيت يجلس عليهما » (٥) ، « والنمرقة : بضم النون والهاء الوسادة » (٦).

« وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله ، فعرفت فى وجهه الكراهية فقلت: يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: « ما بال هذه النمرقة؟ » قلت:اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم » (٧).

وفى رواية أخرى : « عن عائشة رضي الله عنها قالت:حشوت للنبى ﷺ وسادة فيها تماثيل

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٤٦ .

(٢) الإمام البخارى: صحيح البخارى ،مرجع سابق ،ج١،ص ٥٧ (باب قراءة القرآن بعد الحدث و غيره) .

(٣) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير ، مرجع سابق ، ج ١، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٦ (باب قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾) .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

(٦) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨٦٠ .

(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٣ (باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء) .

كأنها نمرقة » (١) ، كما ورد ذكر اللحاف فى الأحاديث الآتية :

« عن عائشة قالت : أعدلتمونا بالكلب والحمار ، لقد رأيتنى مضطجعة على السرير فيجىء النبى ﷺ فيتوسط السرير فيصلى فأكره أن أسنحه فأنسل من قبل رجلى السرير حتى أنسل من لحافى » (٢) ، « وقولها : أعدلتمونا ؟ هو استفهام إنكار من عائشة قالته لمن قال بحضرتها : يقطع الصلاة الكلب و الحمار و المرأة » (٣).

« وسنح الشىء يسنح بفتحتين سنوحا : سهل وتيسر ، وسنح الطائر جرى على يمينك إلى يسارك والعرب تتيامن بذلك ، قال ابن فارس : السانح ما أتاك عن يمينك من طائر وغيره » (٤) « والمقصود بقولها : « أن أسنحه أى أظهر له من قدامه » (٥)، «اللحاف: كل ثوب يتغطى به والجمع لحف» (٦) « وعن هشام عن أبيه قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت عائشة : فاجتمع صواحبى إلى أم سلمة ، فقلن : يا أم سلمة ، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان ،أو حيث ما دار ، قالت فذكرت : ذلك أم سلمة للنبى ﷺ ، قالت : فأعرض عنى ، فلما عاد إلىّ ذكرت له ذلك فأعرض عنى ،فلما كان فى الثالثة ذكرت له ، فقال : « يا أم سلمة ، لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل على من الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » (٧).

وكان كل ما ينجد يحشى فىّ الغالب من الليف أو الصوف المنقوش ، ومما يدل على ذلك الأحاديث الآتية :

« عن عبد الله بن عمرو حدثنا أن رسول الله ذكر له صومى فدخل على فألقيت له وسادة من أدم حشوها ليف فجلس على الأرض وصارت الوسادة بينى وبينه فقال: « أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام » ، قال : قلت : يا رسول الله ، قال : « خمساً » ، قلت : يا رسول الله ، قال : « سبعاً » . قلت : يا رسول الله ، قال : « تسعاً » ، قلت : يا رسول الله ، قال : « إحدى عشرة » ، ثم قال النبى ﷺ : « لا صوم فوق صوم داود عليه السلام شطر الدهر صم يوماً و أفطر يوماً » (٨) .

---

(١) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ (باب الصلاة على السرير) .
(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .
(٤) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .
(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .
(٦) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٥٥ .
(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٣٧ (باب فضل عائشة رضي الله عنها) .
(٨) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٣ (باب صوم داود عليه السلام) .

وفى حديث طويل لابن عباس أنه دخل على رسول الله ﷺ: « فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه » (١) .

«وعن عائشة قالت : كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه من ليـف »(٢) ، « الأديم: الجلد المدبوغ و الجمع أدم »(٣) ، «وربما كانت تـحشى قطع التـنجيد من صوف منـقوش ، و الدليل على ذلك أن أم سليم بعثت إلى معلم الكُتاب :ابعث إليّ غلماناً ينفشون صوفاً ولا تبعث إلى حراً » (٤) ، و قد كان الصوف ينفش أولاً قبل أن ينجد .

هكذا نستنتج أن المسلمين الأوائل قد مارسوا حرفة التنجيد ونجدوا الوسائد واللحف وغيرها من الليف أو الصوف المنفوش .

الطباعة والنقوش :

عرف العرب فى العصر الجاهلى طباعة ونقش المنسوجات وكانت تسمى الوشى(٥)، والثياب الموشاة منها ما يكون مستورداً من بابل وبلاد الشام والهند ومصر وفارس وغيرها ، ومنها ما يكون منسوجاً محلياً، خاصة فى اليمن التى اشتهرت منسوجاتها فى كل مكـان من جزيـرة العرب وذلك لجودتها وأناقتـها (٦) . واستمرت هذه الحرفـة حتـى بعد أن بعث النبى ﷺ،ومما يدل على ذلك «عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها أخبرته أنها اشترت غرفة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله فعرفت فى وجهه الكراهية فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت ؟ فقال رسول الله ﷺ:«ما بال هذه النمرقة؟» قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم» وقال: «إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة »(٧).

« النمرقة : وسادة صغيرة » (٨) ، والتصاوير التى كانت على النمرقة يستنبط أنها بالطباعة والرسم وليس تصويراً فوتوغرافياً كالذى نراه فى يومنا ، ومن ثم يكون

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٦ (باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة فى السطوح وغيرها) .
(٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٢١ (باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه و تخليهم عن الدنيا) .
(٣) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٥ .
(٥) الوشى:خلط لون بلون ،ومنه وشى الثوب إذا رقمه ونقشه وقال ابن الجوزى:الموشى المخطط بألوان شتى .
انظر :ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٧٠ .
(٦) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٥٩٩ .
(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٣ .
(٨) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٨٠ .

المسلمون قد عرفوا الطباعة والنقوش .

«وعن عائشة أن النبى ﷺ صلى فى خميصة لها أعلام فقال: « شغلتنى هذه ، اذهبوا بها إلى أبى جهم وأتونى بأنبجانية » (١) ،وقد كانت الخميصة هدية من أبى جهم لرسول الله ﷺ وكان قراما لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبى ﷺ : « أميطى عنا قرامك هذا فإنه لا تزال به تصاوير تعرض فى صلاتى » (٢) ، « القرام : الستر الرقيق وبعضهم يزيد وفيه رقم ونقوش » (٣) .

الصباغة :

« الصبغ والصبغة : ما يصبغ به وجمع الصبغ : أصباغ » (٤).

« عرف العرب قبل الإسلام عادة صبغ الثياب فقد وجد لديهم نوع من البسط يقال له: « عبقرى » وهى البسط فيها الأصباغ والنقوش وعبقر قرية باليمن» (٥)، وكانوا يستعملون فى ذلك أصباغاً مختلفة كالقرف وهو قشور الشجر ، والجذور يستخرجون ما فيها من مادة ملونة لصبغ ما يصنعونه فيها من ملابس ، والأصباغ المستخرجة من بعض النباتات ، ولألوان العمائم أو الملابس دخل فى المناسبات الاجتماعية فكانوا يستعملون للحرب مثلاً نوعاً خاصاً من العمائم ذوات ألوان خاصة ويستعملون فى الأحزان نوعاً خاصاً من العمائم و الثياب ،وهو الثوب الأسود الذى كان يستعمل فى الحِداد ،ويقوم بصبغ الثياب الصباغون ، يصبغون الملابس كما يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطاتها (٦) .

وفى « جملة الأصباغ المعروفة والشائعة عند الجاهليين : العصفر ،وهو نبت أصفر يستخرج منه صبغ أصفر تصبغ به الثياب والأقمشة وأمثالها، والورس : هو صبغ أصفر يؤخذ من نبات طيب الرائحة تصبغ به الملابس ، فيقال : ملحفة مورّسه » (٧).

وظلت هذه الحرفة قبل الإسلام فقد عرفها المسلمون واستخدموا الملابس المصبوغة، ويتضح ذلك من حديث رسول الله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلا على زوج فإنها لا تكتحل ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب»(٨) « ثوب عصب :بفتح العين وسكون الصاد المهملتين ، هو ضرب من برود اليمن يُعْصَبُ

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩١ (باب الالتفات فى الصلاة) .
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ (باب إن صلى فى ثوب مصلب أو تصاوير هل تفسد صلاته ؟) .
(٣) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٦٨٦ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٨٠ .
(٥) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٣ . (٧) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
(٨) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٧٨ (باب القسط للحادة عند الطهر) .

غزله يجمع ثم يصبغ ثم ينسج » [1] .

كما ورد ذكر حرفة الصباغة فى حديث « ابن عمر ﷺ قال : نهى النبى ﷺ أن يلبس المحرم ثوباً مصبوغاً بورس أو بزعفران » [2].

و لبس رسول الله ﷺ الثياب المصبوغة :« عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ فى قبة حمراء من أدم » [3] .

وفى تفسير هذا الحديث يقول ابن حجر العسقلانى :«وهذا الحديث يشير إلى جواز الصلاة فى الثوب الأحمر والخلاف فى ذلك مع الحنفية فإنهم قالوا: يكره ، وحمله البيهقى على ما صُبغ بعد النسج ، وأما ماصبغ غزله ثم نسج فلا كراهية فيه » [4].

إن الواضح من هذا التفسير أن المسلمين قد مارسوا صبغ الثياب وقد استخدموها، ومما يؤكد ذلك أيضاً « قول معمر :رأيت الزهرى يلبس من ثياب اليمن ما صبغ بالبول ، وصلى على بن أبى طالب فى ثوب غير مقصور » [5] ، « وقوله : مصبوغاً بالبول : إن كان للجنس فمحمول على أنه كان يغسله قبل لبسه ، وإن كان للعهد فالمراد بول ما يؤكل لحمه ؛ لأنه كان يقول بطهارته ، وثوب غير مقصور أى خام » [6] .

النجـارة :

تنقسم النجارة إلى : نجارة عامة ، ونجارة السفن :

النجارة العامة :

عرف العرب قبل الإسلام النجارة ، وقد استعملوا الخشب فى أعمال البناء فى اليمن فى التسقيف والشبابيك والسلالم و الجدران وغيرها [7] ، ومن ثم انتقلت هذه الحرفة إلى المسلمين فأدخلوها فى أعمال العمارة بصفة عامة « عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سقط عن فرس فجحشت ساقه أو كتفه وآلى من نسائه شهراً ، فجلس فى مشربة له درجتها من جذوع فأتاه أصحابه يعودونه فصلى بهم جالساً وهم قيام ، فلما سلم قال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا وإن صلى قائماً فصلوا قياماً » ونزل لتسع وعشرين » [8] « والجحش:

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٢) الإمـام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٩٧ (باب الثوب المزعفر) .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٧) جواد علـى : تاريخ العـرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٧ .

(٨) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

الخدش أو أشد منه قليلاً ، والمعنى : أن رسول الله ﷺ صلى فى الغرفة المرتفعة ، وهى معمولة من الخشب ، وإن قيل بأنه لا يلزم من كون درجها من الخشب أن تكون كلها خشبا » (١) ، فإن الذى لاشك فيه أن المسلمين قد استخدموا الخشب فى النجارة العامة.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر أن يعمل منبره من خشب « عن أبى حازم أتى رجال إلى سهل بن سعد يسألونه عن المنبر فقال : بعث رسول الله ﷺ إلى فلانة ـ امرأة سماها سهل ـ أن مرى غلامك النجار أن يعمل لى أعواداً أجلس عليهن إذا كلمت الناس ، فأمرته بعملها من طرفاء الغابة ، ثم جاء بها ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ بها فأمر بها فوضعت فجلس عليه » (٢).

وفى رواية أخرى : « عن جابر بن عبد الله ﵁ : أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه ؟ فإن لى غلام نجار ، قال : « إن شئت » ، فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبى ﷺ على المنبر الذى صنع فصاحت النخلة التى كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق،فنزل النبى ﷺ حتى أخذها وضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت ، قال : « بكت على ما كانت تسمع من الذكر » (٣) .

وفى قوله ﷺ:«مرى غلامك النجار» دليل على انتشار تلك الحرفة بين المسلمين ، وأنهم كانوا يستخدمون الخشب فى صناعة الأرائك وكانوا يمارسون تلك المهنة ، وفى قوله : « من طرفاء الغابة » دليل على استغلال الخامات المتوفرة فى البيئة .

« إن أكثر ما يروى عن عروة بن الزبير أنه كان يقطع السدر ويتخذ منه أبواباً » (٤) «وكان عتبة بن أبى وقاص أخو سعد نجاراً » (٥) ، وإذا كان بعض الأشراف كهؤلاء الصحابة قد مارسوا مهنة النجارة فلابد أن يكون هناك عامة كانوا يشتغلون بها دون أنفة أو نظرة متدنية لها .

تعميق الإدراك بمهنة النجارة من خلال القصص النبوى :

« للقصة فى التربية الإسلامية وظيفة تربوية ذات أهمية كبيرة ، فهى تتميز بمميزات جعلت لها آثار نفسية وتربوية محكمة و بعيدة المدى ، فهى مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية فى النفس تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٠ .
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٥) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

حسب مقتضى القصة و توجيهها و العبرة منها » (١).

وقد استخدم رسول الله ﷺ القصة فى تعميق إدراك الصحابة بأداة من أدوات النجارة وهى المنشار:

« عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعوا لنا ، قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط من الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه،والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » (٢) ، « والمنشار: أداة من أدوات النجار ينشر بها الخشب » (٣) .

نجارة السفن :

عرف العرب قبل الإسلام صناعة السفن ، « وكانوا يصنعون سفنهم فى مواضع متعددة من سواحل الجزيرة العربية ،وكانوا يستعملون فى ذلك الخشب المحلى المتيسر لديهم والساج المستورد (٤) ومن بعض الأخشاب القوية الصلدة المستوردة الأخرى .

وقد صنع الجاهليون سفنهم وقواربهم ؛ كذلك مستعينين بالخشب المحلى بالدرجة الأولى ، ولا سيما فى صناعة السفن الصغيرة والقوارب التى لا تبتعد كثيراً عن الساحل (٥)، وصناعة السفن الكبيرة تحتاج إلى أخشاب وإلى مسامير من حديد تستعمل فى ربط الألواح والأخشاب بعضها ببعض ، وإلى أيدى فنية عاملة ، ولم تتيسر هذه الأشياء فى جزيرة العرب ؛ولهذا اقتصرت صناعة السفن على السفن الصغيرة فى الغالب وهى سفن ليس فى مقدورها اختراق آفاق البحار الكبيرة والمحيطات (٦) ، « وكان على أصحاب معامل السفن العرب استيراد الخشب القوى الصالح لبناء السفن من الخارج أو شراء السفن جاهزة من الأسواق الخارجية،وقد صنعت هذه السفن من الألواح المشدودة بالليف،وقد رأى بعض المستشرقين أن هذه اللفظة من أصل عربى هو (مدرعات) ويراد بها السفن المشدودة بدروع النخل » (٧)، وكان المسلمون يستخدمون الأخشاب فى

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٨١ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .
(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٦٠ .
(٤) الساج : من أثمن الأخشاب وأنفسها فى صناعة السفن وهو خشب مقاوم صلب ، وقد وجد فى الهند . انظر : جواد على ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٠٥ .
(٥) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٣ .
(٧) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٧٤ .

صناعة السفن ، ومما يدل على استخدامهم السفن أن « أبا موسى ﷺ قال: بلغنا مخرج الرسول ﷺ و نحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان ـ أنا أصغرهم ـ أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم ، إما قال : بضع وإما قال : فى ثلاثة وخمسين ، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفرَ بن أبى طالب فأقمنا معه ـ حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر ،وكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعنى لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة » (١).

وهناك « نجارون تخصصوا بصنع القوارب والسفن لاستعمالها فى صيد السمك وفى البحار والأنهار للتجارة البحرية والنقل ، ومن المفروض أن تكون هذه الصناعة انتشرت فى السواحل البحرية لشبه الجزيرة العربية ، أما فى الداخل فلا يمكن أن تكون منتشرة لعدم توافر وجود الأنهار الصالحة للملاحة البحرية ،وربما تكون انتشرت فى العراق لوجود نهرى دجلة والفرات ؛ حيث يمكن استخدام القوارب الصغيرة»(٢) ،إن ما ورد فى الإسلام من بيان عن البحر جعل الشوق فى نفوس المسلمين إلى ركوبه وإلى الاستفادة منه « والإسلام هو الذى حمل العرب فى الواقع على ركوب البحر والتحول فى المحيطات ، وبناء الأساطيل الحربية لمقاتلة الأعداء ، وفتح السواحل،وإنشاء المراسى ومواضع بناء السفن لمد المسلمين بالسفن الحربية ، وسفن التجارة على حد سواء » (٣) .

تعميق إدراك الإنسان بصناعة السفن من خلال القصص النبوى :

ومما أتى فى الحديث النبوى من تعميق لإدراك المسلمين لصناعة السفن ما ورد عن النبى ﷺ ، إذ يقول :«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً،وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » (٤) .

الحفر على الخشب :

عرف المسلمون الحفر على الأخشاب واتخاذ الأوعية منها ، وقد جاء إلى رسول الله ﷺ وفد وسألوا عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده قال : « أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ » قالوا:الله ورسوله أعلم،قال:« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٧٤ .

(٢) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٤٥.

(٣) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩.

(٤) الإمام البخارى:صحيح البخارى ،مرجع سابق،ج ٣،ص١٨٢ (باب هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه) .

تعطوا من المغنم الخمس » ، ونهاهم عن أربع : عن الحنتم والدباء والنقير والمزفّت وربما قال : والمقير ، وقال : « احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم » (١).

الحنتم : هى الجرة ، وقيل : الجرار الخضر ، وقيل : إنها جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم .

الدباء : القرع والمراد اليابس منه .

المزفت : ما طلى بالزفت .

النقير : أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء .

المقير : ما طلي بالقار وهو نبت يحرق إذا يبس تطلى به السفن وغيرها كما تطلى بالزفت (٢) .

ويعنينا من الحديث أن المسلمين الأوائل قد عرفوا النحت على الخشب و قد صنعوا منه الأقداح بدليل قوله ﷺ : (والنقير) « ولم ينه رسول الله ﷺ عن الشرب منها إلا لأنه يسرع فيها الإسكار ، وربما شرب منها من لا يشعر بذلك ، ثم ثبتت الرخصة فى استخدام كل وعاء (فيما عدا الذهب والفضة) مع النهى عن شرب كل مسكر » (٣).

الصياغة :

تحلى الجاهليون بالحلى المستخرجة من البحر واستفادوا منها ، وكان هناك من يحترف حرفة صقل هذه الحلية وإعطائها الشكل المطلوب المرغوب فيها ، وتهذيب الخرز والأصداف المستخرجة من البحر وثقبها لتكون صالحة للاستعمال ،وقد كان الصاغة يساهمون فى هذه الحرفة بإدخالها فى الزينة المصنوعة من الذهب أو الفضة أو الرصاص القلعى (٤) ، « وأما الرصاص القلعى فإنه الرصاص الشديد البياض، والفضة من المعادن المشهورة المعروفة فى اليمن ومن هذا المعدن صنعت حلى ونقود » (٥) ولما أتى الإسلام لم يجد الصحابة أى غضاضة فى العمل فى تلك الحرفة ، ويذكر « أن عليا عليه السلام قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغنم ، وكان النبى ﷺ أعطانى شارفاً من الخمس ، فلما أردت أن أبتنى على فاطمة ـ عليها السلام ـ بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلاً صواغاً من بنى قينقاع أن يرتحل معى فنأتى بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين وأستعين به فى وليمة عرسى » (٦) ، « وقوله : الصواغ بفتح أوله على الإفراد وبضمه على

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٢) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٣٩ .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

الجمع وأصله عمل الصياغة ، وكان ذلك فى زمن رسول الله ﷺ وأقره مع العلم به فيكون كالنص على جوازه ، وقوله : كانت لى شارف أى : ناقة مسنة » (١) .

ويتضح من الحديث أن الصياغة كانت حرفة موجودة زمن رسول الله ﷺ ، وكانت نساء المسلمين يلبسن القرط والحلى من المعادن المختلفة ، ومما يدل على ذلك «أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء ، فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم ، وبلال يأخذ من طرف ثوبه » (٢).

« وإن زينب امرأة ابن مسعود استأذنت النبى فقالت: يا نبى الله ، إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندى حلى لى فأردت أن أتصدق به ، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم ! قال النبى ﷺ : « صدق ابن مسعود زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم » (٣) ، وكان قد بلغها أن النبى ﷺ قال للنساء :« تصدقن ولو من حليكن » (٤).

وقد لبس رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب ثم ما لبس أن خلعه من يده .« عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اتخذ النبى ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب ، فقال النبى ﷺ : « إنى اتخذت خاتماً من ذهب » فنبذه وقال : « إنى لن ألبسه أبداً » فنبذ الناس خواتيمهم » (٥) ، بل نهى رسول الله ﷺ صراحة عن لبس خاتم الذهب للرجال « عن البراء رضي الله عنه قال: أمرنا النبى ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز وعيادة المريض وإجابة الداعى ونصر المظلوم وإبرار القسم ورد السلام وتشميت العاطس ، ونهانا عن آنية الفضة وخاتم الذهب والحرير والديباج والقسى والإستبرق » (٦).

أى: أن الصاغة زمن رسول الله ﷺ كانوا يصنعون الذهب فى صور شتى من خواتم وقرط وحلى وأوانى« عن علقمة قال : كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خباب فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرءوا كما نقرأ ، وقال : إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك ؟ قال : أجل ، قال :اقرأ يا علقمة ، فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير : أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا ؟ قال : أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبى ﷺ فى قومك وقومه ، فقرأت خمسين آية من سورة مريم ، فقال عبد الله : كيف ترى ؟ قال : قد أحسن ، قال عبد الله : ما قرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه ،

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٧١ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٥ (باب عظة الإمام النساء وتعليمهن) .

(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ (باب الزكاة على الأقارب).

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤(باب العرض فى الزكاة).

(٥) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ١١٩(باب الاقتداء بأفعال النبى ﷺ).

(٦) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٠ (باب الأمر باتباع الجنائز).

ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال : ألم يأن لهذا الخاتم أن يلقى ؟ قال : أما إنك لن تراه علىّ بعد اليوم فألقاه » (1).

وقود الصائغ :

كان الإذخر وقود الصائغ فى عهد رسول الله ﷺ ويشير إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنه فى قوله : إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرم مكة ولم تحل لأحد قبلى ولا لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمعرف » ، وقال عباس بن عبد المطلب: إلا الإذخر لصاغتنا ولسقف بيوتنا ؟ فقال : « إلا الإذخر » (2).

النقاشة (الحفر على المعادن) :

عرف المسلمون الأوائل كيفية النحت والنقش على المعادن « عن قتادة قال : سمعت أنسا رضي الله عنه يقول : لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لا يقرءون كتاباً إلا إذا كان مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ، فكأنى أنظر إلى بياضه فى يده ونقش فيه محمد رسول الله » (3).

وفى رواية أخرى : « عن أنس بن مالك قال :كتب النبى ﷺ كتاباً أو أراد أن يكتب فقيل له : إنهم لا يقرءون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة نقشه « محمد رسول الله » كأنى أنظر إلى بياضه فى يده » (4) .

ويستدل من الحديث « أن شرط العمل بأى مكاتبة أن يكون مختوماً ليحصل الأمن من توهم تغييره ، لكن قد يستغنى عن ختمها إذا كان الحامل عدلاً مؤتمناً » (5).

كما يستدل من الحديث أن المسلمين عرفوا حرفة الرسم والنقش على المعادن .

الحـدادة :

لقد دفعت حاجة الإنسان إلى المعادن لاستخراجها واستخدامها فى أمورهم الحياتية من حربية وزراعية ومنزلية ، فانصرف إلى الاشتغال بها لتحويلها إلى أشياء نافعة ؛ لذلك ظهرت عملية التنقيب عن المعادن ، وظهرت صناعة الحدادة وأمثالها فعمد الإنسان إلى استخلاصها من المادة القريبة المختلطة بها كما اشتغل الصناع فى خلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها (6).

---

(1) المرجع السابق ، ج 5 ، ص 220 (باب قدوم الأشعريين و أهل اليمن).

(2) المرجع السابق ، ج 3 ، ص 79 . (3) المرجع السابق ، ج 4 ، ص 54 .

(4) المرجع السابق ، ج 1 ، ص 25 ، 26 .

(5) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج 1، ص 273 .

(6) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص 105 .

وكانت الحدادة من الصناعات التى اشتغل بها العرب في العصر الجاهلى خاصة اليهود منهم ، فقد عرفوا القين ، ومارس بعضهم هذه الصنعة ، وقيل : إن أول من عمل الحديد من العرب الهالك بن مراد بن أسد بن خزيمة ؛ فلذلك قيل لبنى أسد : القيون وقيل لكل حداد : مالكى (١) .

وقد مارس الحدادة أصحاب رسول الله ﷺ « عن خباب قال: كنت قيناً فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت : لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث ، قال : دعنى حتى أموت فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك » (٢) فنزلت: ﴿ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾[مريم] «وأصل القين: الحداد ، وقال الزجاج : القين الذى يصلح الأسنة ، والقين أيضاً : الحداد » (٣) .

ومثال آخر لصحابى حداد يتضح من حديث « أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى سيف القين وكان ظئراً (٤) لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان،فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟ ! فقال: « يا بن عوف: إنها رحمة » ثم أتبعها بأخرى فقال رسول الله ﷺ:« إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » (٥) .

« وعن مجاهد أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال: « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرام الله ولم تحلل لى إلا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكها ولا يختلى خلاها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب إلا الإذخر يا رسول الله ، فإنه لابد للقين والبيوت ، فسكت ثم قال : «إلا الإذخر فإنه حلال » (٦) .

كما يستدل من الحديث السابق أن الإذخر وإن كان وقوداً للحداد فإنه أيضاً وقود

---

(١) انظر المرجع السابق ، ص ١١٢ .
جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٩ (باب ذكر القين والحداد) .
(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ .
(٤) ظئراً : زوج المرضعة (أى والد من الرضاعة لأن زوجته أم بردة بنت المنذر بن زيد أرضعته بلبنها)
انظر :ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ،ص٣٩٧ ، وعبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، ١١٩ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٠٥ (باب قول النبى ﷺ : « إنا بك لمحزونون ») .
(٦) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٤ (باب مقام النبى ﷺ بمكة زمن الفتح) .

للصائغ ، « والإذخر نبات معروف عند أهل مكة طيب الريح وبالمغرب صنف منه والذى بمكة أجود وأهل مكة يستعملونه بدلاً من الحلفاء فى الوقود ، ولا غنى للبيوت والحداد فى اتخاذه كوقود لإشعال النار » (١) .

تعميق إدراك الإنسان بمهنة الحدادة عن طريق ضرب الأمثلة النبوية :

كان رسول الله ﷺ يضرب لصحابته الأمثلة بالمهن التى يرونها أمام أعينهم فكان يقول ﷺ: « مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة » (٢) ،وإن كان الحديث قد ذكر فى معرض تربية النبى ﷺ لأصحابة على حسن اختيارالصديق فأنه ضرب الأمثلة بصناعة معروفة فى عهده ﷺ .

وقد كان الحداد يضع الوقود (الإذخر) فى الكير للحصول على درجة الحرارة التى يحتاجها ، وكان الناس يعرفون كير الحداد فكان ﷺ يضرب به المثل « فيقول رسول الله ﷺ : « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون بيثرب تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد» (٣). وفى رواية أخرى:« إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها » (٤). أى أمرنى ربى بالهجرة إلى المدينة ونهى أن يقال للمدينة : يثرب ولها فضل غالب على فضل غيرها ، وتنفى شرار الناس فلا تترك فيها من كان فى قلبه دغل ، وتميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد ردىء الحديد من جيده ، والكير: حانوت الحداد والصائغ ، وقيل : الكير هو الزق ، والحانوت هو : الكور (٥) .

صناعة الأسلحة :

عرف العرب قبل الإسلام صناعة الأسلحة من الحديد «وكانت عملية تصنيع الحديد محلية ضمن البيئة العربية » (٦) ولم يقتصر الإنتاج على الاحتياجات المحلية ، بل «اشتهرت اليمن فى العصر الجاهلى بتصدير المصنوعات المعدنية مثل السيوف والخناجر وأدوات الحرب والصحائف المعدنية المصقولة » (٧) ؛ إذ « كانت تتوفر فيها معظم المعادن كالحديد والذهب والفضة » (٨) .

ومن ثم نستطيع أن نؤكد أن صناعة الأسلحة كانت متوفرة لدى المسلمين الأوائل

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٩ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٢ (باب فى العطار وبيع المسك) .
(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٦ (باب فضل المدينة) .
(٤) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٩٨ (باب من بايع ثم استقال البيعة) .
(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص١٠٥ .
(٦) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .
(٧) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٣٦ .
(٨) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٣٧ .

وكانوا يمارسون البيع و الشراء فيها « عن أبى قتادة رضي الله عنه قال :خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فبعث الدرع فابتعت به مخرفاً فى بنى سلمة ، فإنه لأول مال تأثلته فى الإسلام » (١) ، ويستدل من الحديث أن « أبا قتادة باع الدرع فاشترى بثمنه البستان (مخرفاً) وكان أول مال يجمعه فى الإسلام ؛ لأن قوله : تأثلته يعنى : جمعته » (٢).

وقد ورد ذكر السلاح فى قول النبى ﷺ:« من حمل علينا السلاح فليس منا »(٣)، وقد كان الصحابة يحملون السلاح فى جنوبهم على الدوام حيث كانوا عرضة لهجوم كفار قريش عليهم فى أى وقت ، ويبدو ذلك من حديث جابر بن عبد الله الذى يقول فيه: « مر رجل فى المسجد ومعه سهام فقال له رسول الله ﷺ :« أمسك بنصالها » (٤) وكانوا يقتدون برسول الله ﷺ .

« وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلى إليها والناس وراءه ، وكان يفعل ذلك فى السفر فمن ثم اتخذها الأمراء » (٥) ، وكانت الدروع ذات شأن عند المسلمين الأوائل حتى أن عائشة رضي الله عنها تروى « أن النبى ﷺ اشترى طعاما من يهودى إلى أجل ورهنه درعاً من حديد » (٦) ، « واستدل به على جواز بيع السلاح من الكافر ، كما يجوز بيعه ورهنه » (٧) ، وكان أبو أمامة يقول : « قد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب ولا الفضة ، إنما كانت حليتهم العلابى والآنك والحديد » (٨).

« العلابى » : الجلود الخام التى ليست بمدبوغة ، والآنك : الرصاص ، وقيل : هو الرصاص الخالص ، وقيل : هو القصدير ، وفى هذا الحديث نجد أن تحلية السيوف وغيرها من آلات الحرب بغير الفضة والذهب أولى » (٩) ، وإن « كان سيف الزبير محلى بفضة ، قال هشام : وكان سيف عروة محلى بفضة » (١٠) .

وقد كان السلاح أداة أساسية لدى المسلمين مكنتهم من رد العدوان عن أنفسهم ،

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٢ .
(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .
(٣) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٩ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ (باب يأخذ بنصول النبل إذا مر فى المسجد) .
(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٣ (باب سترة الإمام سترة من خلفه) .
(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٤ (باب شراء النبى ﷺ بالنسيئة) .
(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٦٩ .
(٨) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٧ (باب حلية السيوف) .
(٩) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١١٣ .
(١٠) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٣٤٩ .

وكان أداة من أدوات الحرب والقتال عن عائشة ﵂ قالت : لما رجع النبى ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل ﵇ ، فقال : وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم ، قال : « فإلى أين ؟ » قال : ها هنا وأشار إلى بنى قريظة ، فخرج النبى ﷺ إليهم » (١) ، ولم يكن الصحابة يدفعون بأنفسهم داخل حلبة المعركة دون تدريب « عن عائشة قالت : رأيت النبى ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم » (٢) .

« واللعب بالحراب ليس لعباً مجرداً بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو ، وقال المهلب : المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين ، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه » (٣) ، واللعب بالحراب من التدريب للحروب فهو جائز فى المسجد وغيره ، ولم تقتصر صناعة السلاح على الأغراض الحربية فقط ، بل كان الصحابة يصنعون السكين للأغراض المنزلية،ويحدثنا بهذا « جعفر ابن عمرو بن أمية أن أباه عمرو بن أمية أخبره أنه رأى النبى ﷺ يحتز من كتف شاة فدعى إلى الصلاة فألقاها والسكين التى يحتز بها ثم قام فصلى ولم يتوضأ » (٤) .

تعميق الإدراك بالسلاح من خلال القصص النبوى :

لعب السلاح دوراً هاماً فى بعض قصص النبى ﷺ وكان لوجوده أهمية لا يستهان بها ، ومن أنواع السلاح الذى كان له دور فى القصص القرآنى :

السكين : قال رسول الله ﷺ : « كانت امرأتان معهما ابناهما ،جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت صاحبتها:إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى ،فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: آتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى » قال أبو هريرة : والله إن (٥) سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية» (٦).

صناعة الأجراس :

عرف المسلمون صناعة الأجراس ، وقد ورد فى ذكر حديث رسول الله « عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أن الحارث بن هشام ﵁ سأل رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٤٢ ، (باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب و مخرجه إلى بنى قريظة ومحاصرته إياهم) .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٩٦ (باب قطع اللحم بالسكين) .

(٥) « إن » فى العبارة نافية بمعنى (ما) .

(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٩٨ .

يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّه عَلَىَّ فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ،وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول » قالت عائشة رضي الله عنها : لقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً » (١).

« الصلصلة : فى الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين ، وقيل : هو صوت متدارك لا يدرك فى أول وهلة » .

« والجـرس : الجُـلجـل الذى يعلق فى رءوس الدواب واشتقاقه من الجرْس بإسكان الراء وهى الحسّ ، وقيل : الجرس ناقوس صغير أو سطل فى داخله قطعة نحاس يعلق منكوساً على البعير ، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة » (٢).

وكان العرب يعلقون فى قلائد البعير الأجراس ويتضح ذلك من تفسير حديث «أبى بشير الأنصارى رضي الله عنه إذ أخبر أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، قال عبد الله : حسبت أنه قال : والناس فى مبيتهم ، فأرسل رسول الله ﷺ رسولاً : لا تبقين فى رقبة بعير قلادة من وتـر أو قـلادة إلا قـطـعت» (٣)، قال ابن الجوزى: ربما صحف من لا علم له بالحديث فقال : (وبر) ، وقد حكى ابن التين أن الداودى جزم بذلك وقال : هو ما ينزع من الجمال يشبه الصوف .

وفى المراد بالأوتار ثلاثة أقوال :إحداها : أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسى لئلا تصيبها العين بزعمهم ، ثانيهما : النهى عن ذلك لئلا تختنق الدابة بهما عند شدة الركض ، ثالثهما : أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس (٤)، كما عرف المسلمون الناقوس وهو يشبه الجرس « عن أنس بن مالك : لما كثر الناس قال : ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشىء يعرفونه فذكروا أن يوروا ناراً ويضربوا ناقوساً فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة » (٥) .

مما تقدم يتبين لنا أن صناعة الأجراس كانت قائمة بالفعل فى عهده ﷺ .

صناعة النقود :

بيَّنا فى الفصل السابق أن العرب قبل الإسلام كانوا يتعاملون بالنقود المحلية وكذلك الأجنبية ، وكانوا يستعملون نقوداً سكت من ذهب وأخرى من فضة ومعادن أخرى ،

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٧٢ (كتاب الجهاد والسير) باب ما قيل فى الجرس ونحوه فى أعناق الإبل.

(٤) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٦٥ .

(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

فلما جاء الإسلام أقر تلك المتعاملات النقدية ، وقد ورد ذكر الدينار والدرهم والأوقية فى كثير من أحاديث رسول الله ﷺ ، مما يدل على قيام صناعة النقود فى العهد الإسلامى الأول ، وسنكتفى بالإشارة إلى البعض منها :

الأواقى :

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءتنى بريرة فقالت : كاتبت أهلى على تسع أواق فى كل عام وقية فأعيننى، فقلت : إن أحب أهلك أن أَعُدَّها لهم ، ويكون ولاؤك لى فَعَلْتُ» (١).

الأوسق :

« عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ رخص فى بيع العرايا فى خمسة أوسق أو دون خمسة أوسق» (٢) .

الدرهم :

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً من خيبر فجاءه بتمر جنيب،فقال رسول الله ﷺ: « أكُلُّ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً » (٣) .

الدوانق:

« اكترى الحسن من عبد الله بن مرداس حماراً فقال : بكم ؟ قال : بدانقين ، فركبه ثم جاء مرة أخرى فقال : الحمار الحمار فركبه ولم يشارطه ، فبعث إليه بنصف درهم» (٤) .

الدينار :

« نهى النبى ﷺ عن بيع الثمر حتى يطيب ولا يباع شىء منه إلا بالدينار والدرهم إلا العرايا » (٥) .

مما تقدم نستنتج أن المسلمين الأوائل عرفوا صناعة سك النقود وتعاملوا

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٥ ، ٩٦ (كتاب البيوع) .
(٢) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٩ (كتاب البيوع) .
(٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٢ (كتاب البيوع) .
(٤) المرجع السابق و الجزء ، ص١٠٣ (كتاب البيوع) .
(٥) المرجع السابق و الجزء ، ص ٩٩ (كتاب البيوع) .
« العرية » : النخلة يعريها صاحبها رجلاً محتاجاً فيجعل له ثمرها عامها ، انظر : محمد بن أبى بكر الرازى ، مرجع سابق ، ص ٤٢٩ .

أيضاً بالنقود الأجنبية وتبايعوا بالأوزان منها،واستعملوا الدينار والدرهمَ والفلوس بأنواعها .

البناء والعمارة :

«هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضرى وأقدمها وهى معرفة العمل فى اتخاذ البيوت والمنازل » (١) .

«عرف العرب الجاهليون فن البناء والعمارة والنحت فى مناطق مختلفة من الجزيرة العربية ؛ حيث تتوفر مواطن الحجر والمواد المساعدة التى تدخل فى إنشاء العمارات مثل الجبس ونحوه وحيث مواطن الحضارة » (٢) .

« ولقد بلغ من إتقانهم لفن العمارة أن كانوا يذيبون الرصاص فى اليمن ويضعونه فى أسس الأبنية الضخمة وفى الجدران ، كما نقروا أحياناً فى أواسط الرخام نقراً عميقاً، ثبتوا فى داخلها أوتاداً من الرصاص أو الحديد لتربط بين قطع الرخام ولتكون لها سنداً وقوة فلا تسقط » (٣) .

والواقع أن البناء و العمارة بدأت مع أولى خطوات الإنسان على الأرض فهى قديمة جداً ، وقد مارسها الأنبياء والمرسلون ، ففى حديث رفع قواعد البيت العتيق روى أن إبراهيم عليه السلام قال لابنه إسماعيل : « إن الله أمرنى أن أبنى هاهنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى،حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ، وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » (٤) .

« وحدثنا عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يحدث أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه : يا بن أخى ، لو حللت إزارك فجعلت على منكبيك دون الحجارة ؟ قال : فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه فما رؤى بعد ذلك عرياناً ﷺ » (٥) .

وعن عمرو بن دينار وعبد الله بن أبى يزيد « قالا:لم يكن على عهد النبى ﷺ حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر فبنى حوله حائطا ، قال

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٤٠٦ .
(٢) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .
(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ (باب كراهية التعرى فى الصلاة وغيرها) .

عبيد الله : جدره قصير ، فبناه ابن الزبير » (١) .

وحين هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة « ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر سعد بن زرارة ، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا : لا ، بل نهبه لك يا رسول الله ، ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه » (٢) ، ولم يستح من العمل فى البناء ومشاركة أصحابه .

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يعملون بالبناء ، يتبين ذلك من حديث خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على : انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه ، فانطلقنا فإذا هو فى حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار » ثم يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن » (٣) ، « وكان النبى ﷺ يصلى قبل أن يبنى المسجد فى مرابض الغنم » (٤) « وكان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً و زاد فيه عمر ، بناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشب ، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج » (٥) .

« والحجارة المنقوشة بدل اللبن ، والساج نوع من الخشب معروف يأتى من الهند » (٦).

وكان لا يمنع المطر كما قال أبو سلمة :« سألت أبا سعيد الخدرى فقال : جاءت سحابة فمطرت حتى سال السقف وكان من جريد النخل فأقيمت الصلاة فرأيت رسول الله ﷺ يسجد فى الماء والطين حتى رأيت أثر الطين فى جبهته » (٧) .

وكان المسجد فى عهد رسول الله ﷺ يقوم على ستة أعمدة يتبين ذلك من حديث

---

(١) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥١ (باب بنيان الكعبة) .

(٢) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٧٨ (باب اللهم امض لأصحابى هجرتهم) .

(٣) الإمام البخارى :صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص١٢١ ،١٢٢(باب التعاون فى بناء المسجد).

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ (باب أبوال الإبل و الدواب و الغنم و مرابضها) .

(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢١ (باب بنيان المسجد) .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٧) الإمام البخارى :صحيح البخارى،مرجع سابق،ج١ ،ص١٧١ (هل يصلى الإمام بمن حضر).

« عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبى فأغلقها عليه ومكث فيها ، فسألت بلالاً حين خرج ماصنع النبى ﷺ ؟ قال : جعل عموداً عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه ـ وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ـ ثم صلى » (١) ، أى : أن المسلمين الأوائل لم يعرفوا بناء الجدر فقط لكنهم عرفوا الأعمدة التى تقام عليها السقوف أيضاً ونفذوها فى مسجد رسول الله ﷺ.

« وحدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع قال :حدثنى أبى وكان من أصحاب الشجرة، قال : كنا نصلى مع النبى ﷺ الجمعة ثم ننصرف وليس للحيطان ظل نستظل فيه » (٢) ، وقد رأى رسول الله ﷺ ذات يوم « فى جدار القبلة مخاطاً أو بصاقاً أو نخامة فحكه » (٣) .

وكان ابن عمر رضي الله عنه يحترف البناء ، وعنه أنه قال : « رأيتنى مع النبى ﷺ بنيت بيدى بيتاً يكننى من المطر ويظلنى من الشمس ما أعاننى عليه أحد من خلق الله » (٤) .

وتحدثنا عائشة رضي الله عنها عن بناء مسجد أبى بكر فتقول : « ابتنى أبو بكر مسجداً بفناء داره يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه والنبى يومئذ بمكة » (٥) .

« وقصفة القوم : تدافعهم وازدحامهم » (٦) .

وكانت مهنة البناء و العمارة منتشرة بين الصحابة يمارسونها فى إقامتهم وسفرهم ، عن أنس رضي الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ فى السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال: فنزلنا منزلاً فى يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ، ومنا من يتقى الشمس بيده قال : فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » (٧) .

ولما كاد المطر أن يهدم البيوت طلب أعرابى من رسول الله ﷺ أن يدعو ربه أن يكون المطر حول المنازل لا عليها ، ويحدثنا عن ذلك أنس فيقول : « أصابت الناس سنة على عهد النبى ﷺ فبينما النبى ﷺ يخطب فى يوم الجمعة قام أعرابى فقال :

(١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٣٤ (باب الصلاة بين السوارى فى غير جماعة) .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص١٥٩ (باب غزوة الحديبية) .
(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص١١٢ (باب حك البزاق باليد من المسجد) .
(٤) نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٨٢ (باب ما جاء فى البناء) .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .
(٦) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٣٨ .
(٧) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٤ (باب أجر المفطر فى السفر إذا تولى العمل) .

يا رسول الله ، هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى فى السماء قزعة ، فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذى يليه حتى الجمعة الأخرى،وقام ذلك الأعرابى أو قال غيره فقال : يا رسول الله ، تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال : « اللهم حوالينا لا علينا » (١) .

مما تقدم يتبين لنا أن المسلمين قد برعوا فى البناء والتشييد ، كما استخدموا أنواعاً من مادة البناء مابين حجارة منقوشة ، وبالتالى قد استخدموا حجارة غير منقوشة ـ استدلالا ـ بالإضافة إلى اللبنات .

« واللبنة : هى القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء ويقال لها ما لم تحرق : لبنة ، فإذا احترقت فهى آجرة » (٢) .

تعميق إدراك الإنسان بمهنة البناء والعمارة من خلال ضرب الأمثلة النبوية :

ومما جاء فى الأحاديث النبوية من ضرب الأمثال والتشبيه بمهنة البناء قول رسول الله ﷺ : « مثلى ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة » (٣) ، وقوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وشبك بين أصابعه (٤) .

تعميق الإدراك بمهنة البناء و العمارة من خلال القصص النبوى :

ومما جاء فى الأحاديث النبوية من قصص تعمق الإدراك بمهنة البناء قصة ذلك الراعى جريج الذى يحكى عنه رسول الله ﷺ فيقول : « كان رجل فى بنى إسرائيل يقال له : جريج يصلى ، فجاءته أمه فدعته ، فأبى أن يجيبها فقال : أجيبها أو أصلى ؟ ثم أتته فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه المومسات ، وكان جريج فى صومعته ،فقالت امرأة : لأفتنن جريجاً ، فتعرضت له فكلمته فأبى ، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً ، فقالت : هو من جريج ، فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعى . قالوا : نبنى صومعتك من ذهب ، قال : لا إلا من طين » (٥) وفى ذلك دلالة على أن مادة البناء الأساسية كانت من الطوب اللبن .

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ،مرجع سابق ، ج ٢ ص ١٥ (باب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة).

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٦٤٦،(كتاب المناقب) .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٩ (باب نصرة المظلوم) .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٩ (باب إذا هدم حائطاً فليبن مثله) .

التبليط :

عرف المسلمون تهذيب الأرض ودكها بالحجارة فكانت تبدو كأنها مبلطة بالبلاط ، وقد ورد البلاط فى حديث « جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : دخل النبى ﷺ المسجد فدخلت إليه وعقلت الجمل فى ناحية البلاط ، فقلت : هذا جملك ، فخرج فجعل يطيف بالجمل قال : « الجمل والثمن لك » (١) « والمقصود بالبلاط فى الحديث : حجارة مفروشة كانت عند باب المسجد » (٢) .

تجارة العقارات :

كان صحابة رسول الله ﷺ يمارسون بيع وشراء العقارات ، ومما يدل على ذلك قول عمرو بن الشريد : « وقفت على سعد بن أبى وقاص فجاء المسور بن مخرمة فوضع يده على إحدى منكبى ؛ إذ جاء أبو رافع مولى النبى ﷺ فقال : يا سعد ، ابتع منى بيتىَّ فى دارك ، فقال سعد : والله ما أبتاعهما . فقال المسور : والله لتبتاعنهما ، فقال سعد: والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة أو مقطعة . قال أبو رافع : لقد أعطيت بهما خمسمائة دينار، ولولا أنى سمعت النبى ﷺ يقول : الجار أحق بسقبه » ما أعطيتكهما بأربعة آلاف وأنا أعطى بها خمسمائة دينار فأعطاها إياه » (٣) ، وقوله : (ابتع منى بيتىَّ فى دارك) أى الكائنين فى دارك : وقوله : (منجمة أو مقطعة) أى : مؤجلة على أقساط معلومة ، والسقب: القرب والملاصقة .

ويدل الحديث على « أن أبا رافع كان شريك سعد فى البيتين ولذلك دعاه إلى الشراء منه » (٤).

تعميق إدراك الإنسان بتجارة العقارات من خلال القصص النبوى :

ومما جاء فى تجارة العقارات قول النبى ﷺ : « اشترى رجل من رجل عقار له ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب،فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب ، وقال الذى له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما إلى رجل ، فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد ، قال أحدهما : لى غلام ،وقال الآخر :لى جارية ، فقال : أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقوا » (٥) .

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٧ (باب من عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد) .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١١٤ ، ١١٥ (باب عرض الشفعة على صاحبها قبل البيع) .

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥١١ .

(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢١٢ .

وفى قوله : (اشترى رجل من رجل عقاراً له) دليل على انتشار تلك الحرفة بين الناس .

صناعة الحصير :

صنع المسلمون الأوائل الحصير والقفاف وغيرها من سعف النخيل ، وقد عمل بتلك الحرفة بعض صحابة رسول الله ﷺ « فقد كانت حرفة سلمان الفارسى وهو أمير فى المدائن فكان يعيش بها وكان يقول :أحب أن أعيش من عمل يدى رغماً عن راتبه »(١).

واستخدم الحصير كمصلى لرسول الله ﷺ « عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له فأكل منه ثم قال : « قوموا فلأصل لكم » ، قال أنس : فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبث فنضحته بماء ، فقام رسول الله ﷺ وصففت واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا ، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف » (٢) ، كما استعمل رسول الله ﷺ الخمرة للصلاة عليها « عن ميمونة قالت : كان النبى ﷺ يصلى على الخمرة » (٣) ، « والخمرة : بضم الخاء وسكون الميم هى كالحصير الصغير من سعف النخل » (٤).

والفرق بين الحصيرة والخمرة « إن كان ما يصلى عليه كبيراً قدر طول الرجل فأكثر فإنه يقال له: حصير ولا يقال له: خمرة،وكل ذلك يصنع من سعف النخل وما أشبهه»(٥).

وكان رسول الله ﷺ يطلب من عائشة أن تناوله الخمرة للصلاة فتقول رضي الله عنها: «أمرنى رسول الله ﷺ أن أناوله الخمرة من المسجد ، فقلت : إنى حائض ، فقال : «تناوليها فإن الحيضة ليست فى يدك » (٦) ، وقوله: « إن حيضتك ليست فى يدك » يعنى أن يدك ليست نجسة ؛ لأنها لا حيض فيها . وقد « كان للنبى ﷺ حصير يبسطه بالنهار ويحتجزه بالليل فثاب إليه ناس فصلوا وراءه » (٧) .

« واختلف الناس بأى شيء دووى رسول الله ﷺ يوم أحد فسألوا سهل بن سعد الساعدى وكان من آخر من بقى من أصحاب النبى ﷺ بالمدينة فقال : ما بقى من أحد أعلم به منى،كانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم عن وجهه وَعَلِيٌّ يأتى بالماء على تُرْسِه ، فأخذ

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ (باب الصلاة على الحصير).

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ (باب الصلاة على الخمرة) .

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، والخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية ، مرجع سابق ، ص ١٢١ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ (كتاب الحيض) .

(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨٦ (باب صلاة الليل) .

حصير فَحُرِّق فحشى به جرحه » (١).

الصيد :

كان العرب قبل الإسلام يعتاشون من البحر ولاسيما سكان السواحل ؛ حيث يسد هذا الصيد جزءاً مهماً من معيشتهم فيستعملون مايحتاجون إليه ويبيعون الفائض منه أو يتقايضون به ، وقد كان سكان السواحل يخرجون بالوسائل المتيسرة لهم لصيد السمك، ومنهم من يصطاد عند السواحل فيجمع مايقع تحت يديه ليستفيد منه. وقد عاش على صيد البحر خلق كثير من سكنة السواحل فى ذلك الزمن ؛ حيث كانت سبل العيش قليلة ضيقة وعلى السمك وحده كانت معيشة سكان بعض السواحل حتى فى الإسلام (٢) . إذ كان بعض المسلمين يتعيشون من الصيد وكان للصيد أنواع كثيرة فكانت هناك صيد البر وصيد البحر ، وسوف نتناوله واحدة بعد الأخرى .

١ ـ الصيد فى البر :

الصيد بالكلاب :

كان صحابة رسول الله ﷺ يتصيدون بالكلاب المعلمة « عن عدى بن حاتم ﷺ قال : قلت: يا رسول الله ، إنا نرسل الكلاب المعلمة ، قال : « كل ما أمسكن عليك » قلت : وإن قتلن ؟ قال : « وإن قتلن » قلت : وإنا نرمى بالمعراض ، قال : « كل ما خرق وما أصاب بعرض فلا تأكل » (٣).

الصيد بالقوس وبالرمح :

«عن أبى ثعلبة الخشنى قال :قلت : يا نبى الله ، إنا بأرض قوم أهل الكتاب، أفنأكل من آنيتهم ؟ وبأرض صيد أصيد بقوسى أو بكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم،فما يصلح لى ؟ قال : « أما ما ذكرت من أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها ، وإن لم تجدوا فاغسلوها و كلوا فيها ،وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل ، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله فكل ، وما صدت بكلبك غير معلم فأدركت زكاته فكل » (٤).

عن أبى قتادة « أن أباه ﷺ أنه أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة الحديبية ، قال: فأهلوا بعمرة غَيْرِى قال: فاصطدت حماراً وحشياً فأطعمت أصحابى وهم محرومون ، ثم أتيت رسول الله ﷺ فأنبأته أن عندنا من لحمه فاضلة فقال : « كلوه » وهم

---

(١) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٥١ (باب ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾) .
(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١١١ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١١١ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١١٢ .

محرومون» (١) وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « خير فرسانـنا أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع » (٢).

الصيد بالسهم :

عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ عن الصيد ؟ قال : « إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله ، فإن وجدته قد قتل فكل ، إلا أن تجده قد وقع فى ماء فإنك لا تدرى الماء قتله أو سهمك » (٣).

الصيد باليد :

« عن أنس بن مالك قال: مررنا فاستنفجنا أرنباً بمر الظهران، فسعوا عليه فلغبوا، قال: فسعيت حتى أدركتها ، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، فبعث بوركها وفخذيها إلى رسول الله ﷺ فأتيت بها رسول الله ﷺ فقبله » (٤) « فلغبوا: أى أعيوا وعجزوا عن أخذها » (٥) .

الصيد بالمعراض :

عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ عن صيد المعراض ، فقال :« ما أصاب بحده فكل، وما أصاب بعرضه فهو وقيذ » (٦). وقوله عليه السلام : « إذا أصاب بحده » يعنى إذا أصاب بحده وجرحه ، أما إذا ما أصاب بحده ولم يجرحه فلا يؤكل ، وما أصاب بعرضه لم يؤكل لأنه رض (وقيذ) ، والمعراض: خشبة محدودة الطرف ، وقيل : فى طرفها حديدة يرمى بها الصيد ، وقيل : سهم لا ريش له » (٧) .

٢ ـ الصيد فى البحر :

« البـحر : المـاء الكثير مالحاً كان أم عذباً فى مكان متسع وعميق ، وكل نهر عظيم بحر » (٨).

« عن جابر رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمرَّ علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة ، قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال: كنا نمصها كما يمص الصبى ، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال : وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا هى دابة

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٤ (باب غزوة ذى قرد و غيرها) .
(٣) نفس المصدر، ج ٦ ، ص ٥٨ (باب الصيد بالكلاب المعلمة) .
(٤) نفس المصدر، ج ٦ ، ص ٧١ (باب إباحة الأرانب) .
(٥) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٦٠٠ .
(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٥٧ (باب الصيد بالكلاب المعلمة) .
(٧) الخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية ، مرجع سابق ، ص ٧٤٣ .
(٨) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

تدعى العنبر ، قال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفى سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا ،قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنًا ،قال : وقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن،ونقتطع منه الفِدَر كالثور ـ أو كقَدر الثور ـ فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم فى وقب عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟» قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله » (١).

« خبط : اسم الورق الساقط من الشجر ، وخبط من باب ضرب أسقطته فإذا سقط فهو خبط » (٢).

مما سبق يتبين لنا ممارسة المسلمين الأوائل للصيد بكل أنواعه براً وبحراً ، وأن أناساً كثيرين كانوا يتعيشون على الصيد فى عهده ﷺ .

السقاية :

لقد مارس بعض النسوة فى البيئة الإسلامية من الأعمال العامة ما يلائم البيئة وما يحتاج إليه المجتمع ، ومنها السقاية فى ميدان الحرب « عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان ،أرى خدم سوقهما تنقزان القرب ـ وقال غيره: تنقلان القرب ـ على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم،ثم ترجعان فتملآنها،ثم تجيئان فتفرغانها فى أفواه القوم »(٣) ، «وعن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع النبى ﷺ فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة » (٤).

وكانت بعض النساء المسلمات يقمن بخياطة القرب حتى لا يتسرب منها الماء « وإن عمر بن الخطاب قسم مروطاً بين نساء من نساء المدينة فبقى مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين ، اعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التى عندك ـ يريدون أم كلثوم بنت على ـ فقال عمر : أم سليط أحق ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ ، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد ، قال أبو عبد الله : تزفر : تخيط » (٥).

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٦١ .

(٢) أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى : المصباح المنير ، مرجع سابق ، ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٠ (كتاب الجهاد والسير) باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال .

(٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤١ (كتاب الجهاد والسير) باب رد النساء الجرحى والقتلى .

(٥) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٠ (كتاب الجهاد والسير) باب حمل النساء القرب إلى الناس فى الغزو.

إن عمر بن الخطاب وإن كان قد أعطى لباساً من صوف لأم سليط ؛ لأنها كانت تخيط القرب ، فإن هذا يعنى بالضرورة حصول السقائين على أجر مقابل السقاء بطريقة الاستدلال .

ولما كان الحج تجارة وبيع وشراء إذ تعمر مكة فى تلك الأيام وتنشط وتعود على أهلها بأرباح ، ولتأمين هذا الموسم اتخذت قريش كل ما استطاعت أن تتخذه من وسائل لحماية الوافدين وإراحتهم على قدر الإمكان ، فكان منها سقاية الحاج ، « عن جابر رضي الله عنه فى حديثه الطويل الذى فيه : ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال: « انزعوا بنى عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم » فناولوه دلوا فشرب منه (١).

الحجامة :

مارس المسلمون الحجامة وهى تعد من أعمال التطبيب ، وقد تعيشت بيوت كثيرة على تلك الحرفة ، عن أنس رضي الله عنه قال : « حجم أبو طيبة رسول الله ﷺ فأمر له بصاع من تمر وأمر أهله أن يخففوا من خراجه » (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « احتجم النبى ﷺ وأعطى الذى حجمه ولو كان حراما لم يعطه » (٣) « والحجم : فعل الحاجم ، والاسم : الحجامة ، وقد (احتجم) أى من الدم ، الحجم : المص ، الحجَّام : المصَّاص » (٤).

وكان رسول الله يحتجم فى أحوال كثيرة « عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم » (٥)، ويستدل من الحديث على « جواز الفصد وبسط الجرح وقطع العرق وقلع الضرس وغير ذلك من وجوه التداوى ، إذا لم يكن فى ذلك ارتكاب ما نهى عنه المحرم من تناول الطيب وقطع الشعر » (٦).

« وعن أم علقمة : كنا نحتجم عند عائشة فلا تنهى» (٧). وكانت الحجامة على عهد رسول الله ﷺ حرفة يؤخذ عليها أجراً .«عن عمرو بن عامر قال :سمعت أنسا رضي الله عنه يقول : كان النبى ﷺ يحتجم ولم يكن يظلم أحداً أجره» (٨) ، وفى الحديث : « إباحة

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ،مرجع سابق ، ج ٤ ،ص ٤٢ ،٤٣ (كتاب الحج) باب حجة النبى ﷺ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٦١ .
(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٦٢ .
(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٢ ، (باب الحجامة والقيء للصائم).
(٨) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٢ (باب خراج الحجام) .

الحجامة ، ويلتحق به ما يتداوى من إخراج الدم وغيره ، وقوله : (ولم يكن يظلم أحدا أجره) فيه إثبات إعطائه أجرة الحجام بطريقة الاستنباط » (١).

التطبيب :

« عرف العرب الجاهليون بعض المعارف الطبية الأولية المتوارثة عبر الممارسة فى نطاق الأسرة كالحجامة والكى بالنار والعلاج بالأعشاب » (٢).

وحين أتى الإسلام دعا إلى التطبيب فقال ﷺ : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » (٣)،وقال ﷺ: « لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل » (٤) « وفى الحديث جواز التداوى » (٥).

وقد مارس رسول الله ﷺ الطب بنفسه ، فقد ثبت « عن جابر قال : رمى سعد بن معاذ فى أكحله قال : فحسمه النبى ﷺ بيده بمشقص ، ثم ورمت فحسمه الثانية » (٦). وقوله : على أكحله « أى : على عرق معروف فى وسط اليد ومنه يفصد ، وقوله : فحسمه أى : قطع دم جرحه فى أكحله بالكى ، وقوله : بمشقص هو حديد طويل غير عريض كنصل السهم » (٧)، وفى هذا دلالة على براعة المسلمين الأوائل فى الطب ، لدرجة أنهم قد صنعوا الأدوات اللازمة له كالمشقص » .

« عن سليمان قال: سمعت أبا سفيان قال : سمعت جابر بن عبد الله قال: رمى أبى يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله ﷺ » (٨) ، وكان بعض صحابة رسول الله ﷺ يعملون بالطب ، وقد تخصصوا فيه حتى « بعث رسول الله ﷺ إلى أبى بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه » (٩) «وعن أنس رضي الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ أكثرنا ظلاً الذى يستظل بكسائه ، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً ،وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا فقال النبى ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » (١٠).

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ (باب خراج الحجام) .

(٢) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٥٨(كتاب الطب).

(٤) الإمام مسلم :صحيح مسلم ،مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢١ ، كتاب السلام (باب لكل داء دواء واستحباب التداوى) .

(٥) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ،مرجع سابق ، ج ٧ ،ص ٤٣٢ (كتاب المغازى) .

(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٢ (كتاب السلام) .

(٧) يحيى بن شرف النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٢ .

(٨) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٢ (كتاب السلام) باب لكل داء دواء واستحباب التداوى .

(٩) المرجع السابق والصفحة .

(١٠) الإمام البخارى: صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ ، (باب فضل الخدمة فى الغزو) .

ـ ولقد مارست نساء المسلمين الطب فى الحرب وبعيداً عن ميدان الحرب ، ففى ميدان الحرب عن الربيع بنت معوذ قالت : « كنا مع النبى ﷺ نسقى ونداوى الجرحى و نرد القتلى إلى المدينة » (١).

« وعن حفصة قالت: كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن فى العيدين ، فقدمت امرأة فنزلت قصر بنى خلف،فحدثت عن أختها ، وكان زوج أختها غزا مع النبى ﷺ ثنتى عشرة ، وكانت أختى معه فى ست قالت : كنا نداوى الكَلْمَى و نقوم على المرضى » (٢).

« وقولها : العواتق : هى من بلغت الحلم أو قاربت التزويج ، وكأنهم كانوا يمنعون العواتق من الخروج درءاً للمفاسد ، والكَلْمَى : جمع كليم و هو الجريح » (٣) .

كما كان بعضهن يداوى الجرحى والمرضى بعيداً عن ميدان الحرب ، فقد ذكر أنه كانت لـ « كعيبة بنت سعد الأسلمية » خيمة بالمسجد تداوى فيها الجرحى و المرضى وهى التى عالجت (سعد بن معاذ) من جرحه يوم الخندق ، و(رفيدة) التى داوت جرحى المسلمين يوم ذهابهم إلى بنى قريظة ، وورد ذكر زينب طبيبة بنى أود التى كانت تعالج الأبدان وتطبب العيون وتداوى الجروح » (٤) .

ولقد طببت فاطمة الزهراء رضي الله عنها رسول الله ﷺ،يتبين ذلك من « قول أبى حازم : أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ فقال : أما والله إنى لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ، ومن كان يسكب الماء وبما دووى قال : كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلىّ يسكب الماء بالمجَنّ ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها و ألصقتها فاستمسك الدم ، وكسرت رباعيته يومئذ ، وجرح وجهه ، وكسرت البيضة على رأسه » (٥) .

الختان :

وجدت تلك الحرفة منذ زمن بعيد فقد روى « عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم » (٦) .

وقد كان من عادة العرب قبل مجيء الإسلام وبعده أن يختتن الرجال ، ففى حديث طويل « ... أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله

---

(١) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤١ (باب مداواة النساء الجرحى فى الغزو) .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ .

(٤) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٣١٩ .

(٥) الإمام البخارى :صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٣٠ (باب ما أصاب النبى ﷺ من الجراح يوم أحد) .

(٦) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .

ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب فقال : هم يختتنون » (١) .

ويتضح من الحديث السابق أن رسول الله ﷺ كان مختتناً ، إذ كانت عادة من عادات العرب .

وكان المسلمون لا يختتنون الرجل حتى يدرك ، ويتضح ذلك من ابن عباس حين «سئل مثل من أنت حين قبض النبى ﷺ قال : أنا يومئذ مختون ، قال : وكانوا لا يختتنون الرجل حتى يدرك » (٢) ، وفى رواية أخرى : « عن ابن عباس قبض النبى ﷺ وأنا ختين » (٣) .

تجارة الماشية :

لقد كان للماشية أثر كبير فى حياة جزيرة العرب وفى حياة الأعراب بصفة خاصة (٤)؛ « لأن منها ألذ الغذاء وأنفعه وأغلى الكساء وأرفعه وبها المأوى والزينة والجمال وحمل الأثقال ، ومنها كذلك الدواء والشفاء » (٥) .

كان العرب قبل الإسلام يتباعون فيما بينهم الماشية و حين أتى الإسلام لم ير بأساً من اشتغال المسلمين بتلك الحرفة ، و كان الرسول ﷺ هو القدوة فى ذلك ؛ إذ كان يمارس هذه الحرفة بنفسه « عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشترى النبى ﷺ جملاً من عمر » (٦) .

و عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضي الله عنهما قال :« كنا مع رسول الله ﷺ ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها، فقال النبى ﷺ: « بيعاً أم عطية » أو قال : « أم هبة » قال: لا بل بيع ، فاشترى منه شاة » (٧) .

« وقوله : « مشعان » أى طويل جداً فوق الطول وبه شعث الرأس » (٨) ، أى : أن الرسول ﷺ كان يمارس تلك الحرفة بنفسه مع المشركين .

وعن جابر بنٍ عبد الله رضي الله عنهما قال : كنت مع النبى ﷺ فى غزاة فأبطأ بى جملى وأعيا ، فأتى عليَّ النبى ﷺ فقال : « جابر ؟ » فقلت : نعم . قال : « ما شأنك ؟ » قلت : أبطأ بى جملى وأعيا فتخلفت فنزل يحجنه بمحجنه ، ثم قال : « اركب » ،

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٨١ (باب الختان بعد الكبر و نتف الإبط) .
(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٨٢ (باب الختان بعد الكبر و نتف الإبط) .
(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٨٠ .
(٥) حمزة الجميعى الدموهى : عوامل الإنتاج فى الاقتصاد الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .
(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٠ (باب شراء الحوائج بنفسه) .
(٧) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٥ (باب الشراء و البيع مع المشركين وأهل الحرب) .
(٨) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ .

فركبته فلقد رأيته أكفه عن رسول الله ﷺ قال : « تزوجت ؟ » قلت : نعم ، قال : «بكراً أم ثيباً ؟ » فقلت : بل ثيباً . قال : « أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ » قلت : إن لى أخوة فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن . قال : « أما إنك قادم ، فإذا قدمت فالكيس الكيس » . ثم قال : « أتبيع جملك ؟ » قلت : نعم ، فاشتراه منى بأوقية ، ثم قدم رسول الله ﷺ قبلى وقدمت بالغداة ، فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد ، قال: « آلآن قدمت؟ » قلت : نعم ، قال : « فدع جملك فادخل فصل ركعتين » . فدخلت فصليت ، فأمر بلالاً أن يزن له أوقية ، فوزن لى بلال فأرجح فى الميزان . فانطلقت حتى وليت فقال : « ادع لى جابراً » ، قلت : الآن يرد عَلَيَّ الجمل ولم يكن شىء أبغض إلىّ منه ، فقال :« خذ جملك ولك ثمنه » (١).

وكان صحابة رسول الله يقتدون به ، « عن عروة أن النبى ﷺ أعطاه ديناراً يشترى به شاة فاشترى له به شاتين ، فباع إحداهما بدينار ، وجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة فى بيعه ، وكان لو اشترى التراب لربح فيه » (٢) .

وقد اتجهت التربية الإسلامية إلى تنظيم العلاقة بين البائع والمشترى تنظيماً يرتكز على أسس إسلامية من أهمها ما يلى :

أ ـ النهى عن حلب الغنم بعد شرائها ثم إرجاعها للبائع :

كان رسول الله ﷺ يبين لأصحابه بعض أحكام البيع والشراء مثل قول رسول الله ﷺ: «من اشترى غنماً مصراة فاحتلبها ، فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ففى حلبتها صاع من تمر » (٣) ، « وقوله : من اشترى غنماً مصراة فاحتلبها » يقصد به أن التمرمقابل للحلبة أى أن صاع التمر متوقف على الحلبة» (٤) .

ب ـ النهى عن بيع الإبل الهيم إلا إذا بين للمشترى :

كان صحابة رسول الله ﷺ يمارسون تجارة الماشية ، وكانوا كثيراً ما يسترشدون برسول الله ﷺ فى بيان أحكام البيع والشراء ، فكان يعرض على رسول الله ﷺ الخلاف بين الصحابة حين يمارسون تلك التجارة « عن عمرو قال:كان ها هنا رجل اسمه نواس، وكانت عنده إبل هيم فذهب ابن عمر رضي الله عنهما فاشترى تلك الإبل من شريك له، فجاء إليه شريكه فقال : بعنا تلك الإبل ، فقال : ممن بعتها ؟ فقال : من شيخ كذا وكذا ، فقال :ويحك ذاك والله ابن عمر ، فجاءه فقال :إن شريكى باعك إبلا هيماً ولم يعرفك ، فقال : فاستقها. قال : فلما ذهب يستاقها ، فقال:دعها ، رضينا

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ج ٣ ، ص ٨١ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ . (٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٣ .
(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ج ٤ ، ص ٤٣١ .

بقضاء رسول الله ﷺ « لا عدوى » سمع سفيان عمر » (١).

« والهائم : المخالف للقصد فى كل شىء ، والإبل الهيم : التى أصابها الهيام وهو داء تصير منه عطشى تشرب فلا تروى ، وقيل : هو داء ينشأ منه الجرب ، وقوله : (فاستقها) أى فارتجعها ، فلما ذهب لارتجاعها قال ابن عمر : دعها فقد رضيت بحكم رسول الله حيث حكم ألا عدوى ولا طيرة .

نتبين من الحديث جواز بيع الشىء المعيب إذا بينه البائع ورضى به المشترى ، سواء بينه البائع قبل العقد أو بعده ، ولكن إذا أخر بيانه عن العقد ثبت الخيار للمشترى، وقوله : (لا عدوى) قال الخطابى : لا أعرف للعدوى هنا معنى إلا أن يكون الهيام داء من شأنه أن من وقع به إذا رعى مع الإبل حصل لها مثله ، وقال غيره : أى رضيت بهذا البيع على ما فيه من العيب ولا أعدى على البائع حاكماً » (٢).

تعميق إدراك الإنسان بأصول بيع وشراء الماشية من خلال ضرب الأمثلة النبوية :

استخدم رسول الله ﷺ الحيوان فى ضرب الأمثال ، وعقد التشبيهات ليوضح للمسلمين ما يصعب عليهم فهمه فى أمور دينهم وفى تأكيد المبادئ التى يبثهم إياها وفى إعطائهم الموعظة والعبرة ، ومما جاء فى الحديث النبوى من ضرب الأمثال والتشبيه بالحيوان نفسه :

« عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول : حملت على فرسى فى سبيل الله فأضاعه الذى كان عنده ، فأردت أن أشتريه وظننت أنه يبيعه برخص ، فسألت النبى ﷺ فقال :« لا تشترى ، ولا تعد فى صدقتك وإن أعطاكه بدرهم فإن العائد فى صدقته كالعائد فى قيئه » (٣).

الجـزارة :

« عرف العرب من قديم الأزل مهنة الجزارة ، وكانت تعد لحوم الإبل من اللحوم اللذيذة الطيبة عندهم ، وكانت تنحر عند قدوم شخصية كبيرة تقديراً لها ، وتنحر تقرباً إلى الأصنام وفى المناسبات الدينية،ويبيع الجزارون لحومها وسائر اللحوم الأخرى»(٤).
وحين أتىَ الإسلام لم ير المسلمون بأساً من الاشتغال بها ، ومما يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٢ (باب شراء الإبل الهيم أو الأجرب الهائم المخالف للقصد فى كل شىء) .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢١٥ (باب لا يحل لأحد أن يرجع فى هبته وصدقته) .

(٤) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٨، ص ١٦٨ .

ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته »[1]. وقوله ﷺ : « لا تخفروا ،أى : لا تغدروا، وكان من الناس من يذبح لغير الله ومنهم من لا يأكل ذبيحة المسلم » [2].

« وعن ابن مسعود ، جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب ، فقال لغلام له قصاب: اجعل لى طعاماً يكفى خمسة فإنى أريد أن أدعو النبى ﷺ خامس خمسة ، فإنى قد عرفت فى وجهه الجوع ، فدعاهم فجاء معهم رجل فقال النبى ﷺ : « إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له فأذن له وإن شئت أن يرجع رجع » ، فقال : لا بل أذنت له » [3] ، وقوله : لغلام له قصاب أى : جزار [4].

وكان رسول الله ﷺ يحض على الاستفادة بكل ما يمكن من الثروة الحيوانية علاوة على اللحم من جلود وأجله « عن على قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أقوم على بدنة وأن أتصدق بلحمها وجلودها وأجلتها وألا أعطى الجزار منه قال : نحن نعطيه من عندنا » [5] ، والمقصود بأجلتها : ما تلبسه الدابة لتصان به،وتجليل الفرس : إلباسه الجل » [6].

ولقد مارس رسول الله ﷺ حرفة الجزارة بنفسه فكان يذبح الشاة « عن قتادة عن أنس : ضحى النبى ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما » [7].

وكان الجزارون يستخدمون السكين كأداة من أدوات الجزارة ، وقد استعملها رسول الله ﷺ فى الذبح « عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه قال : رأيت النبى ﷺ يأكل من كتف يحتز منها ثم دعى إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ ،وحدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى ، وزاد فألقى السكين »[8] ،وصارت الجزارة حرفة لأناس كثيرين وكانوا كثيراً ما يسألون رسول الله فيها « وإن رسول الله ﷺ وقف فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ،فجاءه رجل فقال:لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح فقال: «اذبح ولا حرج » فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى ، فقال : « ارم ولا حرج » فما سئل النبى ﷺ عن شىء قدم ولا أخر إلا قال : « افعل ولا حرج » [9].

(١) الإمام البخارى : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٦ (باب ما قيل فى اللحام والجزار).

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٨٧ (باب فى الصدقة بلحوم الهدى وجلودها) .

(٦) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٧) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج ٧ ، ص ١٣٣ (كتاب الأضاحى) .

(٨) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٥١ كتاب الجهاد والسير (باب ما يذكر فى السكين) .

(٩) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١ (باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها) .

« إن لحوم الإبل من ألذ الغذاء وأنفعه ؛ ولذا تهتم الدول حديثاً بتنمية الثروة الحيوانية لمواجهة احتياجات السكان المتزايدة من منتجات هذه الثروة ، وتتجه الأمم إلى تحقيق هذه التنمية عن طريق مضاعفة الأعداد الموجودة حالياً من الحيوانات المختلفة ، وكذلك عن طريق الاهتمام بالحيوانات الموجودة وحسن رعايتها حتى يزداد إنتاجها من اللحوم » (١) .

ولقد كانت الأعياد موسماً للجزارين إذ كانت تباع فيها كميات كثيرة من اللحوم ، وكان رسول الله ﷺ يأمر بالذبح يوم عيد الأضحى بعد صلاة العيد ، فقد قال النبى ﷺ: «من ذبح قبل الصلاة فليعد » فقام رجل فقال: هذا يوم يشتهى فيه اللحم » (٢) .

ويتضح لنا من تلك الأحاديث أن رسول الله ﷺ مارس حرفة الجزارة بنفسه ، وكذلك بعض أصحابه كعلى رضي الله عنه وبعض الناس فى عهده ، « فالبروتين الحيوانى لا يعادله ولا يعوضه أى بروتين مستمد من مصدر آخر ؛ لذلك أباح الله أكل لحوم الأنعام كالأبقار والأغنام وغيرها ، ولم يحرم أكل لحمها إلا فى بعض حالات محدودة خشية إصابة الإنسان بالأمراض » (٣).

الطبخ :

لا يستطيع الإنسان أن يتناول الأطعمة بعد أن تأتى من الحقول مباشرة ، إنما تكون فى حاجة إلى تهذيب وتنظيف وطبخ ، وقد عرف المسلمون الأوائل حرفة الطبخ إذ ورد فى حديث « عائشة زوج النبى ﷺ أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها ، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت : كلن منها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « التلبينة مُجَمَّة لفؤاد المريض تذهب بعض الحزن » (٤).

وإذا كان المسلمون فى العهد الإسلامى الأول قد عرفوا شواء اللحوم فقد عرفوا أيضاً طبخها . « عن البراء وعبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنهم أنهم كانوا مع النبى ﷺ فأصابوا حمراً فطبخوها فنادى منادي النبى ﷺ اكفوا القدور » (٥). وقد كان الصحابة يدعون بعضهم بعضاً إلى الطعام فكان لا يرد أحدهم صاحبه ، ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة « عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته

(١) عبد العزيز شريف :مستقبل الثروة الحيوانية فى الوطن العربى،القاهرة ،دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٩ م ، ص ١٥١ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢١ (باب الأكل يوم النحر) .

(٣) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٩٧ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٧٣ (باب غزوة خيبر) .

له فأكل منه ثم قال : « قوموا فلأصل لكم » قال أنس : فقمت إلى حصيرلنا قد اسود من طول ما لبس فنضحته بماء ، فقام رسول الله ﷺ وصففت واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا ، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف » (١).

« وحدثنا أنس بن سيرين قال: سمعت أنساً يقول : قال رجل من الأنصار : إنى لا أستطيع الصلاة معك وكان رجلاً ضخماً فصنع للنبى ﷺ طعاما فدعاه إلى منزله فبسط له حصيراً ونضح طرف الحصير فصلى عليه ركعتين » (٢).

الشواء :

يعتبر الشواء من أهم الحرف الشائعة ، وقد وجد منذ زمن بعيد ، ومن حديث رسول الله ﷺ نتبين أن حرفة الشواء كانت معروفة فى عهده ﷺ « عن خالد بن الوليد قال : أتى النبى ﷺ بضب مشوى فأهوى إليه ليأكل ، فقيل له : إنه ضب ، فأمسك يده ، فقال خالد : أحرام هو ؟ قال : « لا ولكنه لا يكون بأرض قومى فأجدنى أعافه » فأكل خالد ورسول الله ﷺ ينظر ، قال مالك عن ابن شهاب : بضب حنيذ » (٣). «(حنذ) الشاة: شواها وجعل فوقها حجارة محماة لتنضجها فهى حنيذ أى مشوية » (٤).

صناعة الأمشاط:

من تلك الصناعات النسوية التى تدخل فى نطاق تجميل المرأة حرفة (الماشطة) التى تقوم بتمشيط الشعر ، وقد مارس بعض النسوة هذه الحرفة فى العصر الجاهلى ، فقد ذكر أن (آمنة بنت عفان) أخت عثمان كانت فى الجاهلية ماشطة ، كذلك (شبرة بنت صفوان القرشية) و(أم سليم بنت ملحان) التى جملت ومشطت وأصلحت من أمر (صفية بنت حيى) حين تزوجها النبى ﷺ ، ومنهن أيضاً (أم أيمن) و(أم رعلة القشيرية) » (٥) . وحرفة الماشطة تحتاج إلى أمشاط فهى أداتها ، وقد وجدت صناعة الأمشاط فى الجاهلية ، وامتدت حتى بعد أن أتى الإسلام وكانت مادتها الأساسية من عظام الموتى مثل الفيل .

« قال الزهرى فى عظام الموتى نحو الفيل وغيره : أدركت ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها ويدهنون فيها لا يرون به بأساً ، وقال ابن سيرين وإبراهيم : لا بأس بتجارة العاج » (٦) « ، والعاج : هو ناب الفيل ، وقيل : عظم الفيل ، وقيل : إن كل

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ (باب الصلاة على الحصير) .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ص ١٧١ (باب هل يصلى الإمام بمن حضر) .
(٣) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٩٣ (كتاب الأطعمة) .
(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .
(٥) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١١١ .
(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى،مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٨ (باب ما يقع من النجاسات فى السمن والماء) .

عظم عاج ، ولكنه في الغالب ناب الفيل » (١) ، « ومشطت الشعر مشطاً :سرحته ، وامتشطت المرأة : مشطت شعرها والمشط الذي يمتشط به والجمع أمشاط ».(٢).

ولقد ورد المشط في حديث رسول الله ﷺ « عن عائشة قالت: سحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان يوماً وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال : « شعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه » ، قلت :وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق ، قال : فبماذا ؟ قال : في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ،قال :فأين هو ؟ قال : في بئر ذي أروان » ، قال : فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ، ثم رجع إلى عائشة فقال : « والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين » قلت : يا رسول الله ، أفأخرجته ؟ قال : « لا ، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شراً وأمر بها فدفنت » (٣).

وفي هذا ما يدل على أن صناعة الأمشاط من العاج كانت قائمة في عهد المسلمين الأوائل .

التجميل :

عرف العرب قبل الإسلام حرفة التجميل وكان هناك الماشطة والواصلة وهذه اختصاصية بوصل شعر المرأة بشعر معار ، وكان أكثر من يفعل ذلك يهوديات العرب . والتنميص أو إزالة شعر الوجه ويطلق على العاملة فيه (النامصة) وتزجيج الحواجب وتدعى (بالمزججة) وهذه يكون عملها بترقيق الحواجب بإزالة الشعر الزائد منها ، و(المفلجة) وهي التي تقوم بعملية التفريق بين الأسنان ، وكان العرب يعدونه من الجمال ، وهناك (الواشمة) التي تقوم بعملية (الوشم) (٤). ولما أتى الإسلام أباح التزيين ونهى النامصة والمزججة والواشمة والمغيرات طبيعة ما خلق الله .

وكانت عائشة رضي الله عنها تمشط شعر رسول الله ﷺ ، وعنها أنها قالت : « كان النبي ﷺ يصغي إلى رأسه وهو مجاور في المسجد فأرجله وأنا حائض » (٥) . « وقوله : باب الحائض ترجل رأس المعتكف أي تمشطه وتدهنه ، وفي الحديث جواز التنظف

---

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥٦٩ .
(٢) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي : المصباح المنير ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٧٨٨ .
(٣) الإمام البخاري :صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ (باب هل يستخرج السحر) .
(٤) واضح الصمد : الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .
(٥) الإمام البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٦٢ .

والتطيب والغسل والحلق والتزين إلحاقاً بالترجل » (١).

« وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : كنا مع النبى ﷺ فى غزوة ، فلما قفلنا كنا قريباً من المدينة تعجلت على بعير لى قطوف ، فلحقنى راكب من خلفى فنخس بعيرى بعنزة كانت معه فسار بعيرى كأحسن ما أنت راء من الإبل ، فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إنى حديث عهد بعرس ، قال : « تزوجت ؟ » قلت : نعم ، قال : « أبكراً أم ثيباً ؟ » قلت : بل ثيباً ، قال : « فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » قال : فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال : « أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً أى عشاء لكى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة » (٢) أى : « حتى تتزين لك وتستعد للقائك ، والأشعث : المغبر الرأس » (٣).

وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يتزين ويتطيب ويتجمل ، وقد حدث « أن رجلاً اطلع من جحر فى دار النبى ﷺ والنبى ﷺ يحك رأسه بالمدرى فقال : « لو علمت أنك تنظر لطعنت بها فى عينك إنما جعل الإذن من قبل الأبصار » (٤).

الحلاقة :

كانت الحلاقة حرفة لأناس كثيرين فى عهد رسول الله ﷺ « ولم يكن هناك خلافاً فى إلحاق الإزالة بالحلق سواء كان بموسى أو بمقص أو غير ذلك » (٥) . وقد أمر رسول الله ﷺ بعض أصحابه بالحلق وهو محرم حينما رأى الأذى يتدنى من رأسه .

«عن كعب بن عجرة ﷺ أنه خرج مع النبى ﷺ محرماً فقمل رأسه ولحيته فبلغ ذلك النبى ﷺ ،فأرسل إليه فدعا الحلاق فحلق رأسه ثم قال له: « هل عندك نسك ؟ » قال : ما أقدر عليه ، فأمره أن يصوم ثلاثة أيام أو يطعم ستة مساكين لكل مسكين صاع فأنزل الله عز وجل فيه خاصة : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] ثم كانت للمسلمين عامة » (٦) « والنسك : يطلق على العبادة وعلى الذبح المقصود ، والمقصود بالنسك فى الحديث : تقرب بشاة أو اذبح شاة » (٧).

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد « حلق رأسه فى حجة الوداع » (٨). « وكان

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى،مرجع سابق ، ج ٤، ص ٣٢٠ ، (باب الحائض ترجل رأس المعتكف) .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٥١(باب تستحد المغيبة وتمتشط).

(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣٣٩ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢١١ (باب الامتشاط) .

(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٩ .

(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ .

(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٩ .

(٨) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٢٥ (باب حجة الوداع) . .

أبو طلحة أول من أخذ من شعره» (١). وكان قد «حلق وطائفة من أصحابه وقصر بعضهم»(٢) ، وكان الحلاق يقوم بحلاقة الرأس كاملة أو تقصير الشعر .

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم ارحم المحلقين » ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ، قال : « اللهم ارحم المحلقين » ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ، قال : « والمقصرين » (٣). وقد نهى رسول الله ﷺ عن القزع « عن نافع مولى عبد الله أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقول : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن القزع ، قال عبيد الله : قلت : ما القزع ؟ فأشار لنا عبيد الله قال : إذا حلق الصبى وترك هاهنا شعره وهاهنا وهاهنا ، فأشار لنا عبيد الله إلى ناصيته وجانبى رأسه » (٤).

الإرضاع :

« كان الجاهليون يعتقدون أن أفضل مرضعة للولد أمه ،وهوالسائد فى المجتمع العربى البدوى، إلا أنه يلاحظ فى مكة بالذات أنه كانت من عادات أهلها إذا ولد ولد أن يلتمسوا له مرضعة غير أمه فى غير قبيلتهم . ولنا فى الرسول الكريم شاهد صدق فقد أرسل إلى (حليمة بنت أبى ذؤيب) من بنى سعد لإرضاعه ، ولينشأ طفولته الأولى بعيداً عن الحاضرة (مكة) وما يجتاحها من الأوبئة ، وكان من عادات العرب مدح الرجل بالثناء على مرضعته ، وذمه بشتمها فيقال : « نعمت المرضعة مرضعته، وبئست المرضعة مرضعته » (٥) ، وحدث أن أرضعت مرضعة واحدة رجل وزوجته ففرق بينهما رسول الله ﷺ .« عن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبى إهاب بن عزير فأتته امرأة ، فقالت: إنى قد أرضعت عقبة والتى تزوج بها ، فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتنى ولا أخبرتنى ،فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله فقال رسول الله ﷺ : « كيف وقد قيل ؟ » ففارقها عقبة ، ونكحت زوجاً غيره (٦).

وكان رسول الله ﷺ يذكر تلك الحرفة فيقول : « إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة » (٧) ،وفى حديث طويل نجد أن «عدى بن الخيار تزوج امرأة يقال لها : أم قتال بنت أبى العيص ، فولدت له غلاما

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ٣٣٦ (باب الماء الذى يغسل به شعر الإنسان) .
(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٣ (باب الحلق والتقصير عند الإحلال) .
(٣) المرجع السابق والصفحة .
(٤) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٢١٠ (باب القزع) .
(٥) واضح الصمد: الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ ـ ٣١٨ .
عن ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
(٦) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٣ .
(٧) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٧٩ (باب ما يكره من الحرص على الإمارة) .

بمكة فكنت أسترضع له ... » (١) ، « وقوله : أسترضع له أى : أطلب له من يرضعه » (٢).

مما تقدم يتبين لنا أن العرب سواء قبل الإسلام أو بعد الإسلام كانوا يلتمسون الرضعاء لأبنائهم .

الحفر :

عرف المسلمون حرفة الحفر ومارسوها ، وقد أمر النبى ﷺ بحفر الخندق حول المدينة ، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين فسارعوا إلى عمله معه حتى فرغوا منه . «عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول : « لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزل السكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا » (٣).

وحرفة الحفر لها من البساطة ما يجعل المعظم يعمل بها ، حتى إن المهاجرين والأنصار لم يجدوا فيها أنهم بحاجة إلى تدريب أو تعليم قبل الاشتغال بها ، وعملوا بها مباشرة بعد أمر رسول الله ﷺ ، وربما يكونوا قد تلقوا بعض التدريب قبل الاشتغال به .

« عن أنس رضي الله عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم ويقولون : نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً » (٤).

وكان رسول الله ﷺ يقف معهم فى طريق الصعاب ليحل لهم ما يعترضهم من مشكلات وصعاب أثناء الحفر . « حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابراً رضي الله عنه فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبى ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ؟ فقال : « أنا نازل » ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبى ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم »(٥).

صناعة السُرج :

دعت الحاجة إلى الإضاءة ليلاً ؛ لذلك لجأ المسلمون إلى صناعة السُرج ، ولقد عرفت تلك الصناعة بعد فترة من بداية الإسلام ، ومما يدل عَلى ذلك حديث عائشة

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٢٨ (باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه) .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٤٢٦ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣١ .

(٤) المرجع السابق والصفحة .

(٥) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٣٨ (باب غزوة الخندق) .

زوج النبى ﷺ أنها قالت : « كنت أنام بين يدى رسول الله ﷺ ورجلاى فى قبلته ، فإذا سجد غمزنى فقبضت رجلى ،فإذا قام بسطتها قالت :والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح» (1) .

« وقول عائشة رضي الله عنها : والبيوت ليس فيها مصابيح كأنها أرادت به الاعتذار عن نومها على تلك الصفة ، وفيه إشعار بأنهم صاروا بعد ذلك يستصبحون » (2). ومما يؤكد معرفتهم بصناعة المصابيح بعد ذلك حديث أنس « أن رجلين من أصحاب النبى ﷺ خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله » (3) .

« وكان يسرج مسجد رسول الله ﷺ بسعف النخل ، فلما كانت المصابيح والزيت والحبال أسرج بها المسجد» (4) . كما ورد ذكر السراج فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه « أن رجلاً أتى النبى ﷺ فبعث إلى نسائه فقلنا : ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : «من يضم أو يضيف هذا ؟ » فقال رجل من الأنصار: أنا ،فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمى ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبيانى فقال : هيئى طعامك وأصبحى سراجك ،ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء ، فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: « ضحك الله الليلة ـ أو عجب ـ من فعالكما » ، فأنزل الله: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)**﴾ » [الحشر] (5) .

وكان هناك من التوجيهات النبوية ما يتعلق بالمصابيح فى المنازل مثل قوله ﷺ : «خمروا الآنية وأجيفوا الأبواب وأطفئوا المصابيح ، فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت » (6) . وفى قوله ﷺ : « أطفئوا المصابيح » : دليل على انتشار صناعة المصابيح فى عهده ﷺ ، وأن المسلمين كانوا يستخدمونها « وكانوا يصنعون فتيلة المصابيح من القطن » (7) .

---

(1) المرجع السابق ، ج 1 ، ص 107 (باب الصلاة على الفراش) .

(2) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج 2، ص 222 .

(3) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 125 .

(4) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 222 .

(5) الإمام البخارى: صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج 5 ، ص 42، 43 (باب ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾) .

(6) المرجع السابق ، ج 8 ، ص 81 (باب لا تترك النار فى البيت عند القوم) .

(7) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، مرجع سابق ، ص 49 .

التجسس :

كان التجسس حرفة يعمل بها بعض من آمن برسول الله ﷺ ، فكانوا يتجسسون أخبار العدو وينقلونها إلى رسول الله ﷺ ، ومن الصحابة الذين عملوا بها الزبير بن العوام .

« عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ : « من يأتينى بخبر القوم يوم الأحزاب » قال الزبير : أنا ، ثم قال: « من يأتيني بخبر القوم » ، قال : الزبير أنا ، فقال النبى ﷺ : « إن لكل نبى حواريا وحوارى الزبير» (١) ، « وفى الحديث جواز استعمال التجسس فى الجهاد ، كما يبين الحديث قوة إيمان الزبير وصحة يقينه » (٢) ؛ لذا يجب على الجاسوس أن يكون ذا يقين قوى واقتناع بالقضية وذا مقدرة على القيام بها .

كما عرف بتلك الحرفة صحابة آخرون « ففى السيرة أنه عليه السلام لما خرج إلى بدر بلغ قريباً من الصفراء بعث بسبسة بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة ، وعدى بن أبى الزغباء الجهنى حليف بنى النجار إلى بدر يتجسسان له الأخبار عن أبى سفيان بن حرب وغيره ، وفى غزوة بدر أيضاً بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وسعد بن أبى وقاص وغيرهم إلى بدر يلتمسون له الخبر » (٣) .

وروى « أن العباس عم النبى ﷺ أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ ، فكتب إليه أن مقامك بمكة خير » (٤) .

وفى صحيح البخارى « فى قصة الهجرة عن عائشة قالت : وكان عبد الله بن أبى بكر يأتيهما بأخبار قريش وهو غلام شاب فطن ، فكان يبيت عندهما ويخرج من السحر فيبيت مع قريش »(٥) .

وقد قال على رضي الله عنه :« بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ،حتى انتهينا إلى الروضة ، فإذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجى الكتاب ، فقالت : ما معى من كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ؟ فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ :« يا حاطب ، ما هذا ؟ » ، قال : يا رسول الله ، لا تعجل علىَّ ، إنى كنت امرأ ملصقاً

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٣ ، (باب فضل الطليعة) .
(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٦٣ .
(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٦١ .
(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٧٥ .

من قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى، وما فعلت كفراً و لا ارتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد صدقكم » ، قال عمر : يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، قال: « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (١) .

مما تقدم يتبين لنا أن الإسلام قد جوز التجسس على الأعداء لحماية المسلمين ودفع الضرر عنهم ، وقد نهى عن التجسس لصالح الأعداء وجلب الضرر على الأمة المسلمة من قبل المسلم .

قم المسجد « كنس المسجد » و التقاط الخرق و القذى من العيدان :

« عن أبى هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ـ أو شاباً ـ ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها ـ أو عنه ـ فقالوا : مات ، قال : « أفلا كنتم آذنتمونى » قال : فكأنهم صغروا أمرها ـ أو أمره ـ فقال : « دلونى على قبره » فدلوه ، فصلى عليها . ثم قال : « إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتى عليهم » (٢) . « القمامة : الكناسة والجمع قمام ، وتقمم أى : تتبع القمام فى الكناسات » (٣) .

ويبين الحديث فضل تنظيف المسجد والسؤال عن العامل إذا غاب .

الخدمة :

كانت خدمة النساء الأخريات الغريبات عن المرأة مهانة فى المجتمع الجاهلى ، وعلى الرغم من هذا الشعور ، بالإباء والأنفة والعزة الذى كان ينتاب المرأة الجاهلية ، فإن ما يلفت الانتباه فى ذلك العصر هو أهمية الرقيق وكثرة الإماء والعبيد والسبايا ، أضف إلى ذلك الأرامل والفقيرات اللواتى كانت تدفعهن الحاجة والفاقة للعمل فى خدمة الأخريات من أهل اليسر . ولم يكن عمل هؤلاء محصوراً بخدمة شؤون المنزل ، بل كان منهن من يهتم بتربية الأولاد » (٤) .

وكانت النساء المسلمات يطلبن الخدام لمساعدتهن فى أعمال البيت وقد ورد «أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى فى يدها من الرحى ، فأتت النبى ﷺ تسأله خادماً فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت

---

(١) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٧٢ ، ٧٣ (باب الجاسوس) .

(٢) الإمام مسلم: صحيح مسلم ،مرجع سابق ،ج ٣ ، ص ٥٦ ، كتاب الجنائز (باب الصلاة على القبر) .

(٣) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

(٤) واضح الصمد : الصناعات و الحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .

أقوم، فقال : « مكانك » ، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى ، فقال : «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم . إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما ، فكبرا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين ، فهذا خير لكما من خادم » (١) .

وقد ثبت أن رسول الله كان يستعين بالخدم في قضاء حوائجه « عن أنس ﷺ قال: قالت أمى : يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له ، قال : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته » (٢) .

يقول أنس أيضاً : « إن رسول الله ﷺ قال لأبى طلحة : « التمس لنا غلاماً من غلمانكم يخدمنى » فخرج أبو طلحة يردفنى وراءه ، فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال » ، فلم أزل أخدمه حتى أقبلنا من خيبر وأقبل بصفية بنت حيى قد حازها » (٣) .

وكان من صفات الخدم الكياسة والفطانة ، ومما يدل على ذلك حديث أنس حين قال : « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أنساً غلام كيس فليخدمك قال : فخدمته فى الحضر والسفر فوالله ما قال لى لشىء صنعته لِمَ صنعت هذا هكذا ، ولا لشىء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا » (٤) .

إنها تربية الرسول لنا يعلمنا كيف تكون معاملة الخدم . وقد وضع رسول الله ﷺ بعض الأسس فيما يخص حرفة الخدم ومنها قوله ﷺ : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » (٥) .

ويتبين من الحديث « إقرار الإسلام صراحة بحرفة الخدمة ولكن بشروط منها المواساة للخدم وحسن معاملتهم» (٦) .

البواب :

لم يكن رسول الله ﷺ يستخدم بواباً على بابه بصفة أساسية ، فمن تواضعه

---

(١) الإمام البخارى: صحيح البخارى ،مرجع سابق ،ج ٨ ،ص ٨٧ (باب التسبيح و التكبير عند المنام) .
(٢) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٩٣ (باب دعوة النبى ﷺ لخادمه بطول العمر و بكثرة ماله) .
(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٩٧ (باب التعوذ من غلبة الرجال) .
(٤) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ١٥ (باب من استعار عبداً أو صبياً) .
(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤ (كتاب الإيمان) .
(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

ﷺ أنه لم يكن له بواب راتب « عن أنس بن مالك يقول لامرأة من أهله : تعرفين فلانة ؟ قالت : نعم ، قال : فإن النبى ﷺ مر بها وهى تبكى عند قبر ، فقال : «اتقى الله واصبرى » ، فقالت: إليك عنى فإنك خلو من مصيبتى قال : فجاوزها ومضى ، فمر بها رجل فقال ، ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت : ما عرفته ، قال : إنه لرسول الله ﷺ قال : فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بواباً فقالت: يا رسول الله ، والله ماعرفتك ، فقال النبى ﷺ: « إن الصبر عند أول صدمة » (١) .

يقول الكتانى تعليقاً على هذا الحديث : « وفى قوله : (فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بواباً) تفيد أنه لما قيل لها : إنه رسول الله ﷺ استشعرت خوفاً وهيبة فى نفسها ، فتصورت أنه كالملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول إليه فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته ، وقيل : إن المراد أنها لم تجد بوابه فى تلك الحالة حاضرا » (٢) . ومن تفسير الكتانى يتضح أن الملوك فى عهده ﷺ كانوا يتخذون بوابين ، ولا ينافى الحديث السابق وجود بواب لرسول الله ﷺ بدليل اتخاذ الرسول ﷺ أبى موسى بواباً فى مجىء أبى بكر ثم عمر ثم عثمان واستئذانه عليهم ، وقوله ﷺ فى كل : « افتح له وبشره بالجنة » .

« وعن أبى موسى أن النبى ﷺ دخل حائطاً وأمرنى بحفظ الباب فجاء رجل يستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فإذا أبوبكر ، ثم جاء عمر فقال : « ائذن له وبشره بالجنة »، ثم جاء عثمان فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » (٣) . « قد جمع العلماء بين القصتين بأنه كان ﷺ إذا لم يكن فى شغل من أهله ولا انفراد من أمره كان يرفع حجابه بينه وبين الناس، ويبرز لطالب الحاجة ،وإذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بواباً » (٤) .

ومما يدل على أن بعض الناس فى عهده ﷺ كانوا يتخذون بوابين ، ما روى أن رسول الله ﷺ بعث إلى « أبى رافع اليهودى رجالاً من الأنصار فأمر عليهم عبد الله ابن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فإنى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الباب ،

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق، ج ٩،ص٨١ ، (باب ما ذكر أن النبى ﷺ لم يكن له بواب).

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٣) الإمام البخارى: صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١١٠ ، باب قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ .

(٤) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، ج ١ ، ص ٢٤ .

فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم غلق الأغاليق على وتد ، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسْمَرُ عنده وكان فى علالى له ، فلما ذهب عنه أهل سَمَرِه صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته علىّ من الداخل، قلت : إن القوم نذروا بى لم يخلصوا إلى حتى أقتله فانتهيت إليه » (١) .

البريـد :

أطلق البريد على حامل الرسائل وقد استعمل البريد فى الإسلام،« وأقيم له عامل مخصوص يسمى: عامل البريد ينقل أخبار الولاة والبلاد لدار الخلافة والعكس، والمشهور أن أول من وضعه فى الإسلام معاوية بن أبى سفيان ، ولعله أول من رتبه على طرق ومناهج مخصوصة ، رتب له الميل والمحطات ، وإلا فالبريد معروف عند من قبله من الخلفاء الراشدين واشتهر أمره فى مدة سيدنا عمر بن الخطاب ، وفى الصحيح لدى باب أبواب الإبل والدواب والغنم ومرابضها . وصلى أبو موسى فى دار البريد قال الحافظ: دار البريد المذكورة موضع بالكوفة كانت الرسل تنزل فيه إذا حضرت من الأمراء إلى الخلفاء ، وكان أبو موسى أميراً على الكوفة فى زمن عمر وفى زمن عثمان وكانت الدار فى طرف البلد » (٢) .

وقد استعمل رسول الله البريد فى عهده « عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه » (٣) .

إن رسول الله ﷺ كان يبعث إلى الأمراء يدعوهم إلى الإسلام ، وقد بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبى وبعثه بكتابه وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى إلى هرقل ليدفعه إلى قيصر ، وقد ثبت ذلك فى الصحيح إذ يقول البخارى : « إن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه كسرى حرقه ، فحسبت أن سعيد بن المسيب قال: فدعا عليهم النبى ﷺ أن يمزقوا كل ممزق » (٤) .

وفى رواية أخرى يقول الإمام البخارى : « عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه أخبره أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبى ،وأمر رسول الله ﷺ أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر » (٥).

---

(١) الإمام البخارى: صحيح البخارى، مرجع سابق، ج ٩، ص٨١ (باب قتل أبى رافع عبد الله بن أبى الحقيق) .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

(٥) المرجع السابق والصفحة .

«بُصرى : هى موضع بالشام » (١) .

وقد روى أن رسول الله ﷺ « بعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، وبعث سليط بن عمرو وأحد بنى سليط (عامر بن لؤى) إلى ثمامة بن أثال ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ،وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وبعث المهاجر بن أمية المخزومى إلى الحارث ملك اليمن ، وقال ابن جماعة : بعث رسول الله ﷺ ستة نفر فى يوم واحد فى المحرم سنة سبع » (٢) .

السجان :

« بعث النبى ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له : ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج إليه النبى ﷺ فقال : « أطلقوا ثمامة » ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » (٣) .

وكان « شريح يأمر الغريم أن يحبس إلى سارية المسجد فكان إذا قضى على الرجل بحق أمر بحبسه فى المسجد إلى أن يقوم بما عليه ، فإن أعطى الحق وإلا أمر به إلى السجن » (٤) .

والحبس الشرعى ليس هو السجن فى مكان ضيق وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف كان فى بيت أو مسجد أو ملازمة الغريم له ؛ ولهذا أسماه رسول الله ﷺ أسيراً ،وكان هذا هو السجن فى زمنه عليه السلام وزمن أبى بكر رضي الله عنه ، فلما كان زمن على أحدث السجن وكان أول من أحدثه فى الإسلام وكان فى بئر مظلمة ، ولعل عمر كان يحبس فى الآبار قبل شراء الدار التى أعدها للسجن. والسجن بمعنى حبس الغريم غريمه مثلاً كان موجوداً ، أما اتخاذ محل معين بنى لذلك خصيصاً فلم يكن إلا فى زمن عمر » (٥) .

« وقد ثبت أن نافع بن عبد الحارث قد اشترى داراً للسجن بمكة من صفوان بن أمية » (٦)، « وعن الحسن بن محمد ـ يعنى ابن الحنفية ـ قال : أخذنى الزبير فحبسنى

---

(١) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٣) الإمام البخارى: صحيح البخارى ،مرجع سابق،ج ١ ،ص ١٢٥ (باب ربط الأسير فى المسجد) .

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .

(٥) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٩١ .

فى دار الندوة فى سجن عـارم فانفلت منه » (١) ، « ذكر الفاكهى أنه قيل له : سجن عارم ؛ لأن عارماً كان مولى لمصعب بن عبد الرحمن بن عوف فغضب عليه ، فبنى له ذراعاً فى ذراع ثم سد عليه البناء حتى يميته فمات فسمى ذلك المكان سجن عارم . قال الفاكهى: وكان السجن فى دبر دار الندوة » (٢) .

« إن الحبس فى أيامنا هذه لا يجوز عند المسلمين وذلك أنه يجمع الجمع الكثير فى موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة ،وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحر والصيف » (٣) .

التصوير :

عرف المسلمون الأوائل حرفة التصوير وقد ورد ذكرها فى حديث رسول الله ﷺ: « إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة » (٤) .وقد كانت بيوت كثيرة تعتاش على تلك الحرفة وقد ورد « عن سعيد بن أبى الحسن قال : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال : يا أبا عباس ، إنى إنسان إنما معيشتى من صنعة يدى ، وإنى أصنع هذه التصاوير فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول : سمعته يقول : « من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ، فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر كل شىء ليس فيه روح » (٥) .«والمراد بالتصاوير الأشياء التى تصور ، وربا الرجل أى انتفخ ، وهى كناية عن ذعره وخوفه ، وقوله : (كل شىء) هو بيان للشجر ؛ لأنه لما منعه من التصوير وأرشده إلى الشجر كان غير واف بمقصوده ، وأنه قصد كل ما لا روح فيه ولم يقصد خصوص الشجر » (٦) .

ويدل هذا الحديث على أن التصوير كان فى عهد رسول الله ﷺ وإلا ما جاءت الإشارة إليه .

الحراسة :

عرفت الحراسة فى عهده ﷺ وكان يعمل بها ذلك الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص « عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : كان النبى ﷺ سَهِرَ فلما قدم المدينة قال : « ليت رجل من أصحابى صالحاً يحرسنى الليلة » ، إذ

---

(١) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٩٢ . (٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٩٦.

(٤) الإمام البخارى: صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٣ (باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء) .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٨ (باب بيع التصاوير التى ليس فيها روح و ما يكره من ذلك) .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ .

سمعنا صوت سلاح، فقال : « من هذا ؟ » فقال: أنا سعد بن أبى وقاص جئت لأحرسك ، ونام النبى ﷺ » (1). ويستفاد من الحديث أن « على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل» (2) .

وقد استخدم أبو بكر الصديق حراساً على المدينة حينما أتته الوفود بعد وفاة رسول الله ﷺ تطلب عدم دفع الزكاة . يقول الخزاعى التلمسانى : « ولما توفى رسول الله ﷺ وتولى أبو بكر الخلافة ، أجمعت عليه العرب فأرسلوا وفوداً أن يقيموا الصلاة ويعفوا من الزكاة ، فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن الله توكل بهذا الأمر فهو ناصر لمن لزمه وخاذل من تركه ، وأنه بلغنى أن وفوداً من وفود العرب قدموا يعرضون للصلاة ويأبون الزكاة ،ألا إنهم لو منعونى عقالاً مما أعطوه رسول الله ﷺ مع فرائضهم ما قبلته ، ألا برئت الذمة من رجل من هؤلاء الوفود آخذ بعد يومه وليلته بالمدينة ، فتواثبوا يتخطون رقاب الناس حتى ما بقى فى المسجد منهم أحد ، ثم دعا نفراً فأمرهم بأمره ، فأمر علياً بالقيام على نقب من أنقاب المدينة ، وأمر الزبير بالقيام على نقب آخر ، وأمر طلحة بالقيام على نقب آخر ، وأمر عبد الله بن مسعود يعسعس ما وراء ذلك بالليل والارتباء نهاراً ، وجد فى أمره ، و قام على ساق رضي الله عنه » (3) .

التعليم :

دعا رسول الله ﷺ إلى العلم والتعليم ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يحض على فهم العلم فكان يقول : « من يرد الله به خيراً يفهمه وإنما العلم بالتعلم » (4) . ويستدل من الحديث أن حصول العلم لا يأتى بأخذ الأسباب مع التوكل على الله ، كما يدعو الحديث إلى تعلم العلوم النفعية بإطلاقها .

وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» (5) . وهى دعوة من رسول الله ﷺ إلى تعلم العلوم الشرعية « عن ابن عباس قال : ضمنى رسول الله ﷺ وقال : « اللهم علمه الكتاب » (6) .

وكان صلوات الله وسلامه يحض المتعلمين على نقل علومهم إلى الآخرين ، فكان يقول : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه الله مالاً فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها » (7) .

---

(1) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤١ (باب الحراسة من الغزو فى سبيل الله) .

(2) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٩٦ .

(3) الخزاعى التلمسانى : تخريج الدلالات السمعية ، مرجع سابق ، ص ٣٠٨ ، (نقله من أبى الفرج بن الجوزى كشف مشكل الصحيحين (البخارى ومسلم) .

(4) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(5) المرجع السابق و الصفحة

(6) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(7) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨ .

وعمل كثير من صحابته ﷺ بهذا التوجيه النبوى فكانوا يعلمون الناس بعد أن يتعلموا من رسول الله ﷺ «ومنهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف الذى علم الاثنا عشر الذين بايعوا رسول الله ﷺ فى العقبة الأولى، وكان يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام» (١) . « ومنهم معاذ بن جبل الذى كان يفقه الناس فى الدين » (٢) . كثير من الصحابة الذين اشتغلوا بتعليم الناس نذكر منهم : عمرو بن حزم الخزرجي وأبا عبيدة ابن الجراح ، ورافع بن مالك الأنصارى ، وعمرو بن زيد الأنصارى ،وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ،وأبا زيد ومعاذ وأبا الدرداء وسعد بن عبادة و غيرهم الكثيرين (٣) .

وكان رسول الله ﷺ يدعو إلى تعليم الأهل والإماء فكان يقول : « ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» (٤) . إن رسول الله ﷺ كان يولى اهتماماً خاصاً بتعليم النساء ، فكان يجعل لهم يوماً يعلمهن فيه على حدة عن أبى سعيد الخدرى ، قالت النساء للنبى ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : « مامنكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار » فقالت امرأة :واثنتين ، فقال : « واثنتين» (٥) .

« وكان رسول الله ﷺ يحرض وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من ورأءهم ، وقال مالك بن الحويرث : قال لنا النبى ﷺ : « ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم » (٦) .

المكاتبة :

« عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة قال : أملى على المغيرة بن شعبة فى كتاب إلى معاوية أن النبى ﷺ كان يقول فى دبر كل صلاة مكتوبة: لا إله إلا الله وحده لاشريك له ،له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » (٧) . كان المغيرة آنذاك أميراً على الكوفة من قبل معاوية ، وأن معاوية كتب إليه عن طريق ورَّاد اكتب لى بحديث سمعته من رسول الله ﷺ خلف الصلاة،فبعث إليه بهذا الحديث،ويستدل به على العمل بالمكاتبة، إذ كان وراد كاتبا للمغيرة بن شعبة .

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٢ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٣ . (٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٣ ـ ٤٦ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١، ص ٣٥ (باب تعليم الرجل أمته وأهله) .
(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٦ (باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم) .
(٦) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٢ . (٧) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

وكان أول من كتب لرسول الله ﷺ أبى بن كعب ، وكان إذا لم يحضر دعا زيد ابن ثابت فكتب الوحى وإلى الملوك أيضاً . وظل زيد بن ثابت بعد رسول الله ﷺ يكتب لأبى بكر وعمر ، كما عمل بالمكاتبة أيضاً عبد الله بن الأرقم فكان يجيب عن رسول الله ﷺ إلى الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويأمره أن يطبعه ويختمه وما يقرؤه لأمانته عنده ، كما كان معاوية يكتب للنبى ﷺ فيما بينه وبين العرب » [1] .

الترجمة :

وجد فى العصر الإسلامى الأول ما يسمى بالترجمان وهو« المعبر من لغة بلغة »[2] . وكان من عادة الملوك والأمراء أن يتخذوا من رعيتهم من يتوسمون فيهم القدرة على الترجمة للعمل لديهم ، وقد اتخذ هرقل له فى عهد رسول الله ﷺ ترجمان يتبين ذلك من حديث « عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه » [3] .

ولمعرفة صحابة رسول الله ﷺ بالترجمان فقد ذكره ﷺ فى معرض حديثه عن يوم القيامة . « عن عدى بن حاتم ﷺ يقول : كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان أحدهما يشكو العَيْلَةَ والآخر يشكو قطع السبيل ، فقال رسول الله ﷺ : « أما قطع السبيل فإنه لا يأتى عليك إلا قليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير ، وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه ، ثم ليقفن أحدكم بين يدى الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، ثم ليقولن له : ألم أوتك مالاً ؟ فليقولن : بلى ، ثم ليقولن : ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فليقولن : بلى ، فينظر على يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة » [4] .

وقد كان رسول الله يعد بعض الصحابة للعمل بالترجمة « عن زيد بن ثابت أن النبى ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتبت للنبى ﷺ كتبه وأقرأتهم كتبهم إذا كتبوا إليه ، وقال أبو حجرة : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس وقال بعض الناس : لا بد للحاكم من مترجمين » [5] .

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٥ (باب الصدقة قبل الرد) .

(٥) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٩٤ (باب ترجمة الحكام و هل يجوز ترجمان واحد) .

الفُتيا :

كان صحابة رسول الله يستفتونه فيجيبهم « عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ وقف فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ، فجاءه رجل فقال : لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ؟ فقال : « اذبح ولا حرج » ، فجاء آخر فقال :لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى ؟ فقال : « ارم ولا حرج » ، فما سئل النبى ﷺ عن شىء قدم ولا أخر إلا قال: « افعل ولاحرج » (١) . «وكان رسول الله ﷺ يجيب أحياناً عن الفتيا بإشارة اليد والرأس» (٢) .

يقول الكتانى فى كتابه التراتيب الإدارية : « لم ينكر النبى ﷺ فتوى غيره فى زمانه ؛ لأنه صدر عن تعليمه؛ولذلك كان يفتى فى زمنه ﷺ عدد كبير من الصحابة ، وأما بحضوره فلم يكن يفتى أحد سوى أبى بكر الصديق ﷺ» (٣) .

ومن هؤلاء الصحابة الذين كانوا يشتغلون بالإفتاء على سبيل المثال لا الحصر : « أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى وسلمان وابن عباس وسعد ابن أبى وقاص وأبو هريرة وأنس والزبير ، وعبادة بن الصامت ومعاوية وعائشة وأم سلمة » (٤) .

تعقيب :

وبعد استعراض نماذج من المهن والحرف فى حديث رسول الله ﷺ نستطيع القول بأن السنة النبوية قد أكدت على بعض المهن والحرف ،وكانت حريصة على الحث على الاشتغال بها لكى تستمر خلافة الإنسان على الأرض ، ولينمو ويزدهر المجتمع ويصل إلى حد الكفاية على أقل تقدير .

ولقد ركزت السنة النبوية الشريفة على بيان مكانة المهن والحرف وأهميتها لكل من الفرد والمجتمع ، ولم تكتف بذلك وإنما قد بثت اتجاهات إيجابية نحو المهن والحَرف ، وقد استخدمت فى ذلك بعض الأساليب ، منها أسلوب ضرب الأمثال ، وتعميق الإدراك ببعض المهن والحرف من خلال القصص النبوى .

وقد بثت السنة النبوية الشريفة قيماً معينة تتسم بالشمولية والواقعية والأصالة والجدة .

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق و الصفحة (باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد و الرأس)

(٣) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

وتعد هذه التوجيهات الإسلامية نحو علاقة الإنسان بالمهن والحرف الدعائم الثابتة لتربية مهنية إسلامية ، والمبادئ الأساسية للتربية المهنية فى الإسلام والمستمدة من إحدى أصوله وهى السنة النبوية الشريفة ، وهى إذ تؤكد أن السيرة النبوية لم تكن بمعزل عن الجانب المادى فى حياة المسلمين ولا عن الحرف والمهن ، فالإسلام دين ودنيا .

ومن خلال الفصلين السابقين يلاحظ الباحث الآتى :

- إن كلا من القرآن الكريم والسنة النبوية قد اهتما ببعض المهن والحرف ، منها على سبيل المثال : الزراعة، الخبز ، طحن الحبوب ، الرعى ، الحلابة ، التجارة ، البناء، العمارة . . . إلخ.

- إن المهن والحرف فى الحديث الشريف أكثر من المهن والحرف فى القرآن الكريم،فالقرآن الكريم كتاب مجمل فى أحكامه وإرشاداته ، وهو كتاب عام لكل ما يحتاجه الإنسان فى حياته .

- إن هناك مهناً وحرفاً قد أكد عليها الحديث الشريف دون القرآن الكريم ومنها على سبيل المثال لا الحصر : الحراسة ، الطبخ ، الاحتطاب . . . إلخ .

إذا كانت هذه هى أهم الحرف والمهن فى القرآن والسنة ، فإن المهم ليس مجرد أداء تلك المهن والحرف ، بل الأهم من ذلك أن تؤدى فى إطار أخلاقى معين يحدده الإسلام لأصحابه ، بحيث تغدو تلك الحرف والمهن أدوات تعمير للكون ، ونهوض بالإنسان والمجتمع وهذا ما سيتناوله الباحث فى الفصل التالى .

الفصل السابع

أخلاقيات المهن والحرف

يشتمل هذا الفصل على :

* مقدمة .
* نية العمل .
* تجنب النجش .
* الصدق .
* تجنب الغش .
* تجنب الحلف .
* تجنب الاحتكار للسلعة .
* الوفاء بالكيل والميزان .
* اتقاء الشبهات .
* الوفاء بالعهد .
* السماحة فى البيع والشراء وإنظار المعسر .
* التطوع بالعمل بدون أجر فى ظروف خاصة .
* الأمانة .
* تجنب أكل أموال الناس بالباطل .
* تجنب المنابذة والملامسة .
* تجنب المزابنة .
* شروط البيع والشراء .
* مراعاة الوقت ودقته .
* مراقبة الله فى العمل .
* الإتقان .
* الشعور بالمسئولية .
* العمل التعاونى

أخلاقيات المهن والحرف

مقدمة :

المبادئ والأخلاق الإسلامية منها ما هو عام يعتنقها كل مسلم ، ومنها ماورد مخصصا لنشاط معين يعتنقها المسلم الذى يزاول النشاط . والأخلاق هى جوهر الإسلام وروحه السارية فى جميع نواحيه ، والرسول ﷺ هو « النموذج الأعلى لهذه الأخلاق» (١) ، وقد وصفه الخالق عز وجل بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم] فلم يكن « بفظ ولاغليظ ولاسخاب فى الأسواق »(٢).

إن الأخلاق تحتل بصفة عامة مكانه مهمة فى تكوين شخصية المسلم مها كانت مهنته أو حرفته ، ويكفى أن نذكر هنا قول الرسول ﷺ : « إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً » (٣).

ولقد كانت الأخلاق من السمات الأساسية للمجتمع الإسلامى ، فهى الترجمة العملية للدين الإسلامى ؛ لأن الإسلام « يربط الأخلاق بالدين ويعتبرها الجانب العملى التطبيقى للدين »(٤).

ومما تجدر الإشاره إليه أن « القرآن أصل الأخلاق الإسلامية » (٥). والأخلاق بهذا المعنى خروج من عبودية النفس ، والاتجاه إلى الخالق سبحانه وتعالى خروج من الرغبة فى شيء مادى إلى الرغبة فى رضاء الله سبحانه وتعالى ، كذلك فإن « موضوع القيم الأخلاقية فى الإسلام هو علاقة الإنسان بربه ومجتمعه وبالكون الذى يعيش فيه ، ونظرته إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى سلوكه ، وإلى مكانته فى المجتمع بأنظمته وعلاقاته بماضيه وحاضره ومستقبله »(٦).

« ويخطئ الكثيرون حين يعالجون موضوع الإنتاج منفصلاً عن تصور الإنسان لحياته ودوره فيها ، وكيفية تناوله لوسائل عيشه وأسباب رزقه » (٧) ، وذلك أن دور

---

(١) محمود السيد سلطان : مفاهيم تربوية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٦ (باب حسن الخلق)

(٤) عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الإسلامية ، الطبعة الأولى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، ١٩٧٥ م ، ص ٢٣ .

(٥) أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٦) محمد الهادى عفيفى : فى أصول التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٣٧٧ .

(٧) أحمد محمد العسال ، فتحى عبد الكريم : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

الأخلاق وتأثيرها فى دفع الطاقة الإنسانية وتقديمها لأحسن ما عندها أمر لاخلاف عليه.

« والقيم الأخلاقية فى الإسلام هى نتاج طبيعى للإيمان ؛ لأن قيم الصدق والجهاد والكرم وإنظار المعسر لايمكن أن تكون لها قيمة فى عزلة عن الإيمان » (١) .

إن « مجال الأخلاق فى الإسلام هو مجال الحياة كلها ، فالأخلاق الإسلامية فى علاقتها بالبناء الاجتماعى جاءت وفقا للمقومات البشرية المشتركة فى صورة مبادئ كلية عامة ، تقبل التفريع والتطبيق فى الجزئيات المتجددة والأصـول المتغيرة دون أن تفارق أصول الحياة الإنسانية وجوانبها المختلفة، وتحمل فى مضمونها عناصر التطور والتقدم » (٢).

ويشمل النظام الأخلاقى فى الإسلام أخلاقا نظرية وأخرى عملية، فقد حث الإسلام على ربط القول بالعمل والنظرية بالتطبيق ، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾[فصلت] .

وفى موضع أخر : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾[البقرة] .

« والقيم الأخلاقية قيم أساسية لانستطيع الاستغناء عنها ؛ إذ إنها من صلب الدين الذى ندين به فى مجتمعنا العربى وهو الدين الإسلامى الحنيف ، ولكى يكون لها دور واضح يجب ربطها بالواقع الذى نعيش فيه حتى يؤمن الأفراد بقيمتها العملية إلى جانب إيمانهم بقيمتها النظرية » (٣).

«وينتج عن اتصال الأخلاق بالواقع الذى يعيش فيه الإنسان أنها لاتصبح قاعدة من القواعد التى يجب أن تطبق دون تفكير ، وإنما دخول التفكير وقيامه بعملية في ميدانها هو الذى يعطيها قيمة أخلاقية ، وبذلك يستطيع الإنسان أن يحدد مواطن الصعاب التى تعترضه والتى تواجهه ، وأن يحدد المساوئ والشرور التى يصادفها ، وأن يصل إلى طرق تؤدى إلى القضاء عليها » (٤) بما لا يتعارض وقيمه الأخلاقية .

الأخلاقيات والمهن والحرف :

أثبتت الدراسات الاجتماعية المقارنة والدراسات الاقتصادية أن أخلاقيات المجتمع وسلوكياته لها أثر كبير على شكل النظام وعلى نوع التنمية الناتجة عن هذه السلوكيات ،

(١) جابر قميحة : المدخل إلى القيم الإسلامية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ص ١٣٠ .

(٢) سيد قطب : نحو مجتمع إسلامى ، دار الشروق ، القاهرة ،١٩٨٣ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) حسن قطب الجلادى : تنمية بعض القيم الأخلاقية عند التلاميذ فى مرحلة التعليم الأساسى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم أصول التربية ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨٨ ، ص ٣٩ .

(٤) محمد لبيب النجيحى : فلسفة التربية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥٩ .

وقد أصبح من الأمور التى لاشك فيها أن النظام العام لأى مجتمع ، ينبثق انبثاقاً من المنهج الأخلاقى لحياة الأمة وسلوكها ونظرتها العامة ، وبالتالى فإن التنمية تتأثر تأثراً مباشراً بأخلاقيات المجتمع ، فليست التنمية مجرد اختيار منهج من مناهج الفكر ، أو اختيار نظام معين من الأنظمة السائدة ، وإنما التنمية فى حقيقتها عبارة عن تفاعل الأمة بكاملها وتحريك جميع طاقاتها لتحقيق أهداف وغايات التنمية ، الأمر الذى لايتم ولايحصل البتة إلا بتبنى منهج وغايات وخطط وأسلوب ، لا يتعارض مع أخلاقيات المجتمع وفلسفته ونظرته العامة للحياة والكون والإنسان والخالق جل جلاله ؛ ولهذا كان من المهم دراسة أخلاقيات المجتمع لمعرفة مدى انسجامها أو تعارضها مع مستلزمات التنمية (١). وفى مجال التنمية الاقتصادية أكدت عدة كتابات على ضرورة جعل ما كان يعامل معاملة الثوابت كمتغيرات عند دراسة تطور المجتمعات وأحد هذه الثوابت الأخلاقية ، ومن هؤلاء (أ . هيجن) إذ يقرر : أن الانتقال إلى مرحلة النمو الاقتصادى يصحبها تغييرات سياسية واجتماعية أساسية ،وترجع أسباب ذلك إلى القوى التى تؤثر فى جوانب متعددة من السلوك الإنسانى (٢).

إن التنمية الاقتصادية عملية معقدة متعددة الجوانب وتحتاج إلى معالجة شاملة ، غير أن أحد جوانبها الأساسية هو القيم الأخلاقية التى تسود المجتمع ، والفضائل التى أجمع علماء الأخلاق عليها تؤدى إلى خلق ظروف أفضل لتنمية أسرع .

والإسلام بما حواه من مكارم الأخلاق يدفع فى هذا الاتجاه بشرط الإيمان بهذه القيم (٣).

ويظهر تأثير القيمة الأخلاقية على المتغيرات الاقتصادية المواتية لعملية التنمية الاقتصادية :

تكوين رأس المال :

إن الاعتدال فى الأنماط الاستهلاكية والحفاظ على النعمة مهما كانت إمكانيات الفرد كبيرة ، لابد وأن تجعل الميل الجدى للاستهلاك أقل من نظيره فى المجتمعات التى لاتتبنى هذه القيمة ، ومن ثم فإن مايترك لأغراض الادخار والاستثمار لابد وأن يكون

---

(١) سلطان أبوعلى: « الأخلاق والتنمية » أبحاث ندوة « إسهام الفكر الإسلامى فى الاقتصاد المعاصر » التى نظمتها جامعة الأزهر (مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية والإسلامية ، والمعهد العالمى للفكر الإسلامى « واشنطن » فى الفترة من ٦ ـ ٩ سبتمبر ، ١٩٨٨، منشوارت المعهد العالمى للفكر الإسلامى » ص ٥٦٧ ؛

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٥ . نقلا عن :

E . Ehagen : on the theary of social chonge; How Economic Growth Begins porsey , Press, 1962 , P.35 .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٧ .

أكبر ، ومن ثم تمول التنمية بدرجة أكبر من الموارد الذاتية .

زيادة الإنتاج :

يرتبط بعلاقة مباشرة بالعمل وإتقانه وكذلك بالانتفاع بالزمن ، والشجاعة والاحترام تدفع إلى إدخال الموارد الجديدة فى دائرة الاستغلال بدلاً من تركها عاطلة ، وكل هذا يؤدى إلى زيادة الإنتاج ، أو بمعنى آخر فإن زيادة تحلى أفراد المجتمع بفضائل الأخلاق يؤدى إلى رفع إنتاجية عوامل الإنتاج المختلفة .

عدالة التوزيع :

إن عدالة التوزيع تجعل أفراد المجتمع يسهمون بدرجة أكبر فى إنمائه نتيجة لشعورهم بالانتماء إليه والإفادة من ثماره ، وقيمة العدل والتعاون هى خير ما يدفع الأفراد ذاتياً نحو تحقيق مزيد من العدالة فى المجتمع .

تنفيذ السياسات اللازمة :

لقد أظهرت تجارب القيم أن النجاح فى تحقيق هذا الهدف لايعتمد على مجرد الاكتفاء بوضع الخطط بل فى حالات كثيرة ، فإن تجارب التخطيط لم تكن مرضية بدرجة كافية وذلك لسببين :

أولاً : أن الخطط لم تحقق تطلعات أفراد الشعب التى حوتها هذه الخطط .

ثانياً : تسبب الأخطاء التى تراكمت فى ظل غياب قوى التصحيح .

ومن ثم تصبح هناك حاجة إلى اتباع سياسات تصحيحية فى مجال السياسات المختلفة ، مثل إصلاح الاختلالات السعرية ، وربط الأجر بالإنتاج ، واستعادة التكلفة الاستثمارية من تسعير الخدمات الأساسية مع تجنب التضخم الجامح(1).

« ومثل هذه السياسات غير شعبية ولاتطبق إلا بصعوبة مالم يكن هناك صدق ومصداقية بين الحكومة والشعب ، ومن هنا تبرز أهمية الصدق كسلوك أخلاقى يحكم أفراد المجتمع . ويتضح من هذا أن الالتزام بهذه القيم الأخلاقية يدفع عجلة التنمية بدرجة أسرع عن حالات غيابها ، وحيث إن هذه القيم متضمنة فى الإسلام فإن التأكيد عليها يؤدى إلى تحقيق التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية بفاعلية أكبر . ومعنى التأكيد عليها فى المفهوم الإسلامى أن تقر فى القلب وأن يصدقها العمل»(2).

إن حديث علماء المسلمين عن الأخلاق والقيم ليبين إدراكهم« أن الأخلاق عنصر

---

(1) المرجع السابق ص ٥٥٦ نقلا عن :

W.C.Baum and S.M topbiert; Investing in Development,. oxford university . press, 1985.

(2) المرجع السابق ، ص ٥٥٦ .

أساسى للتنمية ، فهى تسمو بالإنسان ، وتحمى فاعلياته وإنجازاته ، فحاجة التنمية إلى القيم أمر مؤكد ؛ نظراً لأن القيم الخلقية تعتبر عنصراً جوهرياً لاستقطاب أى نشاط مشترك منتج لتسمو به فوق الحاجة الوقتية والمنفعة والمصلحة الشخصية ،واتجاهات الحياة اليومية ، وهى من ناحية أخرى تحمى شبكة العلاقات الاجتماعية ، وهى ضرورية لجهود التنمية الصحيحة . وكلما حدث إخلال بالقانون الخلقى فى مجتمع معين ، حدث تمزق فى شبكة العلاقات الاجتماعية التى تتيح له أن يصنع تاريخه ، فهى إذن من أهم وسائل بعث الطاقة الروحية الخيرة لدى الأفراد ، للانتصار على أنفسهم والتفاعل مع البيئة بما فيها ومن فيها ، فضلا عن أنها تساعد على بلورة الرؤية الحضارية ، وتوضح غاياتها فى استخدام الأشياء ، وهذا مما يساعد على نجاح جهود التنمية ، ودفعها فى الطريق الصحيح .

والإسلام يحتوى على تعليمات أخلاقية ، وبناء أخلاقى متكامل يمتاز بالحيوية القائمة على التفاعل بين الإنسان وبين تلك القواعد الأخلاقية الإسلامية ، تظهر فاعليتها فى مجال التنمية الإسلامية فى تحقيق الأهداف ، وفى حماية منجزات المجتمع الإسلامى ، والفرد فى المجتمع الإسلامى من الانهيار والانحلال والتسيب ، فهى ضابط للجهد التنموى المبذول ، تضبط إيقاعه ، وتحوله إلى فعالية حقيقية وواقع يحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة » (1).

وهكذا اهتمت أدبيات التربية الإسلامية بالعنصر الأخلاقى في تكوين شخصية المسلم بحيث لايخلو كتاب منها من الحديث عن أخلاق (الطالب والمعلم) .

ومن ثم فالمهنى أو الحرفى المسلم إنما يستمد أخلاقه من أخلاق هذا الدين عامة غير أن كتب الحسبة بالذات قد ركزت بحوار تلك الدعوة الأخلاقية العامة على بعض الجوانب المهمة فى حياة الحرفى اليومية (2).

فقد تحدث الشيرزى عن الحسبة وأحكامها بادئاً بتعريفها أنها « أمراً بمعروف ، ونهياً عن منكر ، وإصلاحاً بين الناس» (3).

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) ﴾[آل عمران]. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بقاصر على ولاة الحسبة وإنما ساعدهم فى ذلك شيوخ الطوائف المهنية أو العمالية فى المجتمع المسلم .ويطول الحديث لو ذهبنا ننقل من كتب الحسبة ما ورد فى شأن

(1) على خليل أبو العينين : التربية الإسلامية والتنمية ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(2) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدارسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(3) عبد الرحمن الشيرزى : « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » ، مرجع سابق ، ص ٦ .

أخلاقيات المهن والحرف ؛ ولذا نكتفى بالإشارة هنا إلى القليل منها .

يقول الشيرزى : « جميع أرباب الحرف أمثال السباكين والرخامين والطلائين وصناع الأقفال وغيرهم الذين يعقدون اتفاقاً ، ويتقاضون تأمينا أو (عربوناً) مقابل القيام بأى جزء من أجزاء العمل ، فينبغى عليهم ألا يتخلوا عن هذا الجزء من العمل ، لتأدية عمل آخر قبل أن ينجزوا العمل الأول » (١) ، كذلك لابد من مراعاة « العناية والمهارة فى عملهم » (٢) ، كذلك « لابد من مراعاة ساعات العمل إذا كان باليومية . فقد يوافق أكثر الصناع على أجرة معلومة كل يوم فيتأخرون عند الغد وينصرفون قبل المساء » (٣) ، وإن جرى فيما يعمله العامل زيغ أو ميل أو انحراف عن الاستواء لزمه عيب ذلك وفساده حتى يعود صحيحا مستقيماً ، وذلك مثل « من لم يستعمل من يبنى من الصناع ما يصحح به عمله من زوايا وموازين وخيوط » (٤).

ويقول ابن الإخوة فى الذى يمارس الفصادة : « ينبغى ألا يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته وأمانته وجودة علمه بتشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين وأحاط بمعرفتها وكيفيتها ؛ لئلا يقع المبضع فى عروق غير مقصودة أو عضلة أوشريان فيؤدى إلى زمانة العضو وهلاك المفصود » (٥).

ورجل الحرفة أوالمهنة مطالب بأن يتحلى بالأمانة فى عمله وعدم الغش والتدليس فى صنعته،فالنحاسون والحدادون مثلاً «لايجوز لهم إذا اشتروا قطعة نحاس فيها لحامات إلا أن يُطلع المشترى عليها ، وإذا كانت مما يبيض فيأمرهم أن ينقشوا عليها عتيق ملحوم بقلم غليظ حتى يعرفه المشترى ويدخل على بصيرته ،فإن أخفاه ولم يطلعه عليه كان غاشا ،فإن اطلع بعد ذلك المشترى عليه ، ثبت له الرد وعزره المحتسب على غشه» (٦).

ولقد تناول علماء المسلمين أمثال الشيرزى وابن الإخوة وغيرهم أخلاقيات كل مهنة أو حرفة على حدة فى كتب الحسبة ، فذكر ابن الإخوة سبعين باباً فى الحسبة على مهن وحرف مختلفة ، وقد تناول أخلاقيات كل منها ، أما عبد الرحمن الشيرزى ، فقد ذكر أربعين باباً يشتمل على تفاصيل فى أمور الحسبة .

كما وضع بعض العلماء عدة قواعد يجب مراعاتها قبل الدخول فى المهنة ، إنها قواعد أخلاقية يجب مراعاتها بشدة إذا ما أردنا تنمية إسلامية صحيحة ، تنمية إسلامية تستهدف الإنسان أولاً وأخيراً وليس تنمية رأسمالية تؤدى إلى مجتمعات استهلاكية

---

(١) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

فارغة. وهذه القواعد تعتبر آداباً تتعلق بالمهن والحرف ،وقد أصبحت تقاليد لها أصولها، وهذه « وثيقة تاريخية » تبين كيف يدخل العامل فى الصنعة ملتزماً بآداب العمل ، وكيف يشد على حزام الصنعة ليدخل فيها ويكون جميع الحاضرين جالسين على ركبهم مطرقى الرءوس ، ثم يطلب النقيب من العامل قراءة الفاتحة ثم يذكر النبى ﷺ ويتلو الفاتحة مرة ثانية،وبعد أن يفرغ منها يسلم النقيب سبعة سلامات سلام على الحاضرين ، وسلام على أهل الحرفة وشيوخها ، وسلام على الميمنة ، وسلام على الميسرة ، وسلام على السادة ، وسلام على الأصحاب ، وسلام على الأحباب. ثم يلتفت إلى العامل ويقول له : أوصيك يا أخى يا من تخاوى وتعاهد بأداء الفروض ورعاية العهد،ويشهد عليك الحفظة،وسيكتب من يضيعه من المبعدين ،أى بنى ، إن جميع الحرف أهلها أمناء على الأعراض والأرواح والأموال ، فكن صديقاً أميناً ، واعلم أن كارك مثل عرضك حافظ عليه بكل ما تملك ، وإذا استلمت أموال الناس فلاتفرط بها ، وإياك أن تخون أهل الحرفة، والخائن مسئول ، ويدخل العامل بعد ذلك فى الحرفة (١).

« والنهوض بالمهنة ليست مسئوليته وحده ، بل كانت نقابات المهن أيضاً مسئولة عن مستوى المهنة ، بحيث يستطيع العميل أن يتقدم بالشكوى إلى النقيب فى حالة محاولة العامل خداعه ، أو قيامه بالعمل بصورة ظاهرة النقص والعيب،والأساتذة والأسطوات يحددون مستوى الصنعة وأجورها المناسبة فى حالات الخلاف » (٢).

إن للعمل أخلاقيات وسلوكاً يجب أن تقترن فيه ؛ لأنه مصداق الإيمان ومعيار الثواب والعقاب ،وأن يرتفع العامل على أن يكون الغاية من عمله تحصيل الأجر والمكافأة . بل ينبغى أن يكون المقصد الأول مرضاة الله وخدمة الأمة .

وهذا أمر التزمه المسلمون أولاً فصلحت أعمالهم وخلدت على الزمن آثارهم فى مجالات العمل ،ولنضرب مثلاً على ذلك هذه المساجد المبنية ، والقصور العامرة ، والمسجد الأقصى عندنا ، وقد استغرق بناؤه سبع سنوات ، ولايستطيع عمال أن ينجزوه فى هذه الفترة القصيرة مع تقدم التقنية والمخترعات والهندسة.

« وآداب العمل مع التقوى حددها الإسلام وحرص عليها المسلمون والتصقت بأعمالهم فى الفترات الزاهية التى سيطر فيها الإسلام على القلوب والأعمال واقترن فيها العمل بالإيمان » (٣).

---

(١) جمال البنا : تعميق حاسة العمل فى المجتمع الإسلامى ،مطبعة مصر ، القاهرة ،١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، ص ٣٨ .

(٢) السيد الشحات أحمد حسن : « تعليم الصنائع » الفكر التربوى العربى الإسلامى ، الأصول والمبادئ ، مرجع سابق ، ص ٨٧٧ .

(٣) عبد العزيز الخياط : نظرة الإسلام للعمل وأثره فى التنمية ، مرجع سابق ، ص ٢١ ، ٢٢ .

وبهذا المنظور نرى ما خلفه المسلمون من آثار . فى عمارة أوفنون بكل ألوانها إذ نرى تخطيطاً فى الفكر وإتقاناً فى التنفيذ وروعة فى الأداء » ولعل فى مهندسنا المعمارى المسلم (سنان) الذى عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى وأنشأ نحو ثلاثمائة وثلاثين منشأة هندسية خير نموذج لصاحب المهنة المسلم ، حيث كان يقول مصوراً مشاعره تجاه عمله وحرفته : (إننى أستضىء بنور الله فيما أعمل) كما كان يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى داعياً باستمرار « اللهم وفقنى إلى التعبير عن حبى لك فيما أنشئ » (١).

إن « التربية الأخلاقية خير وسيلة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة ،وهذا أمر لابد منه لسلام الحياة الاجتماعية والاقتصادية واستقرارها أولاً ثم لسعادتها ثانياً .

إن التربية الأخلاقية ضرورية لبناء دولة قوية منظمة يعمل موظفوها بأمانة ونزاهة فيؤدون واجباتهم كاملة لكل مواطن على السواء دون محاباة أو رشوة أو أية تفرقة أخرى.

وإن أى دولة لاتسود التربية الأخلاقية أفرادها محكوم عليها بالانهيار والسقوط ، وذلك نتيجة لما تصاب به الدوائر بالشلل الوظيفى لعدم أداء الموظفين والعمال أعمالهم .

فإذا « غرست الروح الإنسانية الخيرة أدت إلى انتشار الأمن والثقة والمحبة والمودة واحترام الحقوق والكلمة والمشاعر لكل فرد ، ثم تسود روح الأخوة وروح التعاون فى سبيل الخير والمصلحة العامة » (٢).

مما سبق يتبين لنا أهمية الأخلاق كمتغير مهم عند دراسة تطور المجتمعات ونموها ، وضرورة أخذها فى الاعتبار لدفع العمليات التنموية فى البلاد .

ولكن الباحث يود أن يشير إلى نقطتين أساسيتين :

النقطة الأولى : « وهى تلك النظرة الاقتصادية إلى الأخلاق وقيمتها الرفيعة وهى نظرة تهبط ولاشك بمنزلة الأخلاق ؛ من حيث إنها قيمة عليا يضحى المرء فى سبيلها بكل مرتخص وغال ، لتصبح فى منزلة أدنى من الاقتصاد ومن النمو الاقتصادى ، هى منزلة الخادم الذى يستغله الاقتصاد أسوأ استغلال ، وعندما يتعارض المبدأ الاقتصادى مع المبدأ الأخلاقى ، فلاشك أن العقل يحكم بأن نضحى بالأدنى من أجل الأعلى ، ومن هنا نجد التضحية بالأخلاق فى سوق الاقتصاد أمراً طبيعياً ، إن اتجاه الاقتصاد إلى الناحية الأخلاقية ليس تقديراً للأخلاق فى حد ذاتها باعتبارها قيمة إنسانية رفيعة ،

---

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، نقلها من سيد أحمد عثمان :« مقدمة » أزمة علم النفس المعاصر لجيمس ديز ، ترجمة سيد أحمد عثمان ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨١ ،ص ١٢ـ ١٤ .

(٢) حسين آتاى : النظام الأخلاقى فى السياسة المالية ، مجلة المسلم المعاصر ، السنة الثالثة عشر ، العدد الحادى والخمسون ، رجب ، شعبان ، رمضان ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٩٢ .

ولكن من حيث إنها ضرورية من أجل عملية التنمية ، وهذا مايجعلها فى المنزلة الدنيا ، وعندما يجد الاقتصاديون أن مثل هذه القيم قد تحول بينهم وبين هدفهم فى سرعة التنمية ، فمن السهل أن يستغنوا عنها وأن يضحوا بها ؛ لأنها لم تحقق لهم الغرض المقصود منها .

والاتجاه إلى استعمال الأخلاق فى خدمة الاقتصاد يتطلب التركيز على بعض القيم، وإهمال بعض القيم بحسب مايبدو لرجال الاقتصاد من فائدة ، والتاجر الذى يستعمل الصدق وشرف المعاملة لا من أجل الصدق والشرف بل من أجل الربح وحده لايلبث حين يجد الربح الوفير بوسيلة أخرى غير الصدق والشرف ، لايلبث أن يهجر الصدق والشرف ؛ لأنه فى الحقيقة لم يتصف فى نفسه بهذه الأخلاق ،وإنما استعملها فقط حين وجد الفائدة فى استعمالها ، وبهذا تتعثر عملية التنمية ، ولاتسير فى طريق مستقيم .

والفضائل الأخلاقية بهذه الصورة قابلة للتغير والتبدل لا من الأعلى إلى الأدنى فحسب ، بل من الضد إلى الضد ، ومن النقيض إلى النقيض ، وبهذا تصبح الفضائل الأخلاقية نسبة غير ثابتة بحال ، وبهذا لاتصبح هناك أخلاق إنسانية مشتركة ، وإنما يمكن أن نقول : إنها أخلاق اقتصادية فحسب .

إن هذه الأخلاق ليست هى الأخلاق التى يريدها علماء الأخلاق ، وليست ـ بالقطع ـ هى الأخلاق التى أعلى من شأنها الإسلام .

إن الأخلاق التى نحبذها ونلتزمها لغاية أو لغرض دنيوى تتغير حين يتغير هذا الغرض ، وبذلك تزول قيمتها ، ويفسد معناها ، أما الأخلاق الإسلامية فهى التى يلتزمها المرء بغاية عليا وأهداف مثلى ويضحى من أجلها بالأعراض المادية والدنيوية .

ومع ذلك « فإن التزامها يؤدى ولاشك إلى ما يريده الاقتصاديون من الإسراع بعملية التنمية ، وعندئذ تقف عملية التنمية بثبات على أرض صلبة ثابتة ، وتمضى فى طريقيها بغير تعثر ، وتصل إلى غايتها بأقل جهد مطلوب ، وبأسرع وقت ممكن وتمضى عجلة التنمية فى طريقها » (١) .

النقطة الثانية : « إن الاقتصاديين قد قصروا نظرتهم على تلك الأخلاق التى تساعد على عملية التنمية وسرعة إنجازها ، وأهملوا تلك الأخلاق التى ينبغى أن تصاحب عملية التنمية ، ذلك أن التنمية يقصد بها تحقيق أهداف ، هذه الأهداف قد تتفق مع القيم الأخلاقية الإنسانية وقد تتعارض معها ، والبحث عن الأخلاق التى تساعد على

---

(١) عبد الفتاح عبد الله بركة : تعقيب على بحث الأخلاق والتنمية ، أبحاث ندوة إسهام الفكر الإسلامى فى الاقتصاد المعاصر ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٥٦٣ .

التنمية بصرف النظر عن طبيعية هذه التنمية وأهدافها موقف غير أخلاقى ، ولاشك أن هذا الموقف قد نشأ بسبب اعتبار الأخلاق وسيلة للتنمية لاغاية من غاياتها .

كما ترتب ذلك كله على ذلك الأصل العتيق الذى ينظر إلى الاقتصاد نظرة متعالية عن العواطف الإنسانية والمبادئ الأخلاقية . ففصلته فصلاً تعسفيا عن ذلك كله ، وأصبح الاقتصاد يخدم أهدافاً غير أخلاقية ، وبعبارة أخرى غير إنسانية ، وماتزال هذه النظرة كامنة عند الاقتصاديين حتى وهم يبحثون فى كيفية استغلال الأخلاق استغلالاً اقتصادياً .

لذا يجب التركيز على ضرورة عدم فصل التنمية عن أساسها الأخلاقى سواء فى منطلقاتها الأولى التى تبدأ منها ، أو فى غاياتها الأخيرة التى ترمى إليها ، أو فى وسائل تحقيقها التى تعتمد عليها ، وأن تكون النظرة إلى الاقتصاد نظرة أخلاقية كما ينبغى أن يكون ، لا أن تكون النظرة إلى الأخلاق نظرة اقتصادية كما يريد الاقتصاديون » (١) .

إن الإسلام حين يدعو المسلم إلى التمهن فهو يدعوه أيضاً إلى أن يؤدى حق الله فى مهنته ، وفى الوقت الذى يدعو التجار للانتشار ،وابتغاء فضل الله يحذرهم من الغش ويدعوهم إلى الأمانة والوفاء بالعهد والصدق ،وعدم الاحتكار ، وإيفاء الكيل وغير ذلك من الأخلاقيات التى سنتاول أهمها واحدة بعد الأخرى كما يلى :

نية العمل :

فلْينو المسلم بحرفته أو مهنته الاستعفاف عن السؤال واستعانته بما يكسبه على الدين وقيامه بكفاية أهل بيته ، ولينو وجه الله تعالى فى كل عمل ، فكل عمل لايراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له فى الآخرة .

وقد جعل الرسول ﷺ النية كأساس لتقبل الأعمال جميعا فقال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله،ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(٢).

وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى » (٣) .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء] أى : على نيته (٤).

فواجب المسلم أن ينوى بحرفته أو مهنته وجه الله وثوابه، ويوضح لنا رسول الله

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦٤ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢١ (باب الأعمال بالنيات) .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢١ .

ﷺ هذا المعنى فى قوله : « إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة »(1).

ومما قاله السلف فى النية : « تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل » ، وعن أحد الصالحين أنه قال : « صلاح القلب بصلاح العمل ، وصلاح العمل بصلاح النية » ، وعن بعض السلف قال : « من سره أن يكمل له عمله فليحسن نيته » ، وعن ابن المبارك قال : « ربَّ عمل صغير تعظمه النية » (2) .

لذا ينبغى على المسلم أن تكون حرفته فى ظاهرها موافقة السنة وفى باطنها يقصد بها وجه الله عزوجل . وقد « قرر الإسلام أن كل الأعمال واللذات الطيبة يجوز أن تتحول إلى عبادة إذا قدمت أمامها النية الخالصة فى حفظ هبة الحياة والانتفاع بها واحترام إرادة واهبها » (3).

فصلاح« النية وإخلاص القلب لرب العالمين ، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوى البحت فيجعلانه عبادة متقبلة ، وإن خبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصى شائنة فلاينال المرء منها شىء بعد التعب فى أدائها إلا الفشل والخسارة »(4).

والحق « أن المرء مادام قد أسلم وجهه وأخلص نيته ، فإن حركاته وسكناته تحسب خطوات إلى مرضاة الله ، وقد يعجز عن عمل الخير الذى يصبو إليه لقلة ماله أو لضعف صحته ، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين ، والراغب فى الجهاد إلى مراتب المجاهدين ؛ لأن بعد نيتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم » (5) .

تجنب النجش :

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « نهى النبى ﷺ عن النجش »(6) ، « والنجش بفتح النون وسكون الجيم بعدها معجمة ،وهو فى اللغة: تنفير الصيد واستثارته من مكانه ليصاد ، وفى الشرع : الزيادة فى ثمن السلعة ممن لايريد شراءها ليقع غيره فيها ، سمى بذلك؛لأن الناجش يثير الرغبة فى السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع فيشتركان فى الإثم ، ويقع ذلك بغير علم البائع فيختص بذلك الناجش ، وقد يختص به البائع كمن يخبر بأنه اشترى سلعة بأكثر مما اشتراها به ليغر غيره بذلك . وقد أجمع العلماء على أن الناجش

---

(1) المرجع السابق ، ج 1 ، ص 21 ، 22 .

(2) أبوحذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص 28 .

(3) عبد المنعم محمد خلاف : المادية الإسلامية وأبعادها ، مرجع سابق ، ص 163 .

(4) سيد عبد الحميد مرسى : الدين للحياة ، سلسلة دراسات إسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1406 هـ - 1986 ، ص 75 .

(5) المرجع السابق ، ص 75 .

(6) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ،ج 3 ، ص 91 (كتاب البيوع) .

عاص بفعله » (١)؛ لأن النجش خديعة ، وتحريم الخديعة واضح لكل أحد (٢) ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الخديعة في النار ، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »(٣).

وقد « قال ابن أبي أوفى : الناجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل » (٤) ، وفى مواضع كثيرة كان « يقول رسول الله ﷺ : « لايبتع المرء على بيع أخيه ولاتناجشوا ولايبيع حاضر لباد » (٥) .

إن النجش من القيم الرديئة التى حض رسول الله ﷺ على تجنبها ، « عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن التلقى ، وأن يبتاع المهاجر للأعرابى ، وأن تشترط المرأة طلاق أختها ، وأن يستام الرجل على سوم أخيه ، ونهى عن النجش وعن التصرية » (٦).

إنه نهى يشمل العديد من الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها كل من البائع والمشترى.

الصدق :

على صاحب الحرفة أو المهنة أن يتحرى الصدق فإنه رأس ماله ، وعن الرسول ﷺ أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (٧) .

وصدق الحديث محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين : ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** (٥٤)﴾ [مريم] ، وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل « فوصفه بصدق الوعد ؛ لأنه لم يعد شيئاً إلا وفى به » (٨).

والرسول ﷺ يبين لنا فضل التجارة التى تقوم على الصدق فيقول : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما »(٩) ، « وقوله : (صدقا) أى من جانب البائع من السوم ومن جانب المشترى فى الوفاء ، وقوله : (وبينا) أى لما فى الثمن والمثمن من عيب فهو من جانبيهما ، وفى الحديث حدوث البركة لهما إذا حصل منهما الشرط وهو الصدق والتبيين ، ومحقها إن

(١) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .
(٢) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٤١٦ (كتاب البيوع) .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٩١ (كتاب البيوع) باب النجش .
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .   (٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٤ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥١ (باب الشروط فى الطلاق) .
(٧) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٥ (كتاب الإيمان) .
(٨) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج١١ ، ص ١١٥ .
(٩) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٧٦ .

وجد ضدهما وهو الكذب والكتم ، وإن كان الأجر ثابتاً للصادق الأمين والوزر حاصل للكاذب الكاتم »(١).

والواقع الذى لاشك فيه أن التزام الصدق كما « يقول ابن القيم كحمل الجبال الرواسى لايطيقه إلا أصحاب العزائم ، والمؤمنون الحقيقيون هم الذين يحرصون على هذا الصدق » (٢) فى تعاملاتهم . ووجب على التاجر المسلم أن يتحرى الصدق فى البيع والشراء « فإذا اشترى التاجر ثوباً بعشرة دراهم ثم قصره بدرهم وطرزه بدرهم ورفاه بدرهم، فإنه لا يقول: اشتريته بثلاثة عشر درهماً ؛ لأنه يكون كاذباً ، بل يقول : قام على بثلاثة عشر درهما ؛ لأن عمل الإنسان لا يقوم عليه ، ولا يقول : رأس ماله ثلاثة عشر درهماً ؛ لأنه يكون كاذباً ، بل يقول : اشتريته بعشرة دراهم ، وعملت فيه عملاً يساوى ثلاثة دراهم » (٣) .

« إن الصدق فى العمل ليس واجباً مطلوبا فحسب بل هو فى نظر الإسلام عبادة » (٤).

تجنب الغش :

إن الصدق يستوجب من التاجر عدم إخفاء عيب فى التجارة حتى يكون لكل من البائع والمشترى حق الخيار فى الصفقة ، كما يجب على صاحب الحرفة أو المهنة أن يظهرما فى سلعتة من عيوب ولايخفيها فقد « مر ﷺ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : « ما هذا ياصاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء يارسول الله ، قال : « أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ، من غش فليس منى » (٥).

وعن العداء بن خالد قال : كتب لى النبى ﷺ : « هذا ما اشترى محمد رسول الله ﷺ من العداء بن خالد بيع المسلم من المسلم ، لا داء ولاخبثة ولاغائلة » (٦).

وقوله :« (بيع المسلم للمسلم) فيه أنه ليس من شأن المسلم الخديعة ،وقوله : (لا داء) أى : لا عيب يكتمه البائع ، (ولاخبثة) أى : المراد الحرام ،(والغائلة) : الزنا والسرقة والإباق » (٧) .

« وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :أن رجلاً ذكر للنبى ﷺ أنه يخدع فى البيوع فقال:

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .
(٢) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
(٣) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .
(٤) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٦٩ .
(٦) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٧٦ (باب إذا بين البيعان ، ولم يكتما ونصحا) .
(٧) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج٤ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

« إذا بايعت فقل : لاخلابة » (١) ، « وقوله: (لا خلابة) بكسر المعجمة وتخفيف اللام أي: لا خديعة و(لا) لنفي الجنس أي : لا خديعة في الدين ؛ لأن الدين النصيحة » (٢).

تجنب الحلف :

وجب على صاحب الحرفة أو المهنة أن يتجنب الحلف ولو كان صادقاً ، فقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال : ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ** ﴾[البقرة : ٢٢٤] . وفى التحذير من هذا الخلق الذى يدل على عدم الثقة ويستثير الشك جاء فى الحديث : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » (٣) ، وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للربح » (٤) ، ونهانا عن كثرة الحلف قائلا : « إياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يمحق » (٥).

وإذا كنا قد أمرنا بالنهى عن الحلف فى البيع وإن كان صادقاً ، فإن بعدنا عن الحلف الكاذب ألزم وأوجب ، وقد حذرنا من ذلك رسول الله ﷺ قائلاً : « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولاينظر إليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم » قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار ، قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟ قال : «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » (٦).

وعن عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنه « أن رجلاً أقام سلعة وهو فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين » (٧) فنزلت: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)** ﴾ » [آل عمران] .

تجنب الاحتكار للسلعة :

« المقصود بالاحتكار : ادخار السلعة وجمعها وحبسها يتربص بها الغلاء مع احتياج الناس لها » (٨).

« والاحتكار حرام بالإجماع فى ضرورات الحياة ، مكروه فى كمالياتها ، ويمكن أن يلحق بالأقوات مما يترتب على احتكاره تلف وهلاك يصيب الناس كاحتكار الثياب فى

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٩٧ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨ (كتاب البيوع) .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٥٦ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٧ .
(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٧١ .
(٧) الإمام البخارى: صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٨ (باب ما يكره من الحلف فى البيع) .
(٨) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

وقت البرد الشديد مع حاجة الناس إليها »[1] ، ومن الظلم ألا يبيع السلعة إلا أناس محدودون ، ولو باع غيرهم ذلك منعوه،ويقول الرسول ﷺ فى شأن المحتكر : «لايحتكر إلا خاطئ »[2] ، « وكلمة خاطئ التى قالها الرسول ﷺ هى التى دفع بها القرآن الكريم الجبابرة العتاة : فرعون وهامان وجنودهما » [3] ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ⑧ ﴾ [القصص] .

«ومما يلحق بالاحتكار ما نهى عنه النبى ﷺ من بيع الحاضر للبادى ،وصورة هذا ـ كما قال العلماء ـ أن يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة إليه ، لبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة فيقول له:خل متاعك عندى حتى أبيعه لك على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادى بنفسه لأرخص ونفع أهل البلد وانتفع هو أيضاً » [4].

وكانت هذه الصورة منتشرة فى مجتمعهم ؛ ولذلك « نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد » [5] حتى يسد باب الاحتكار . وفى رواية أخرى يقول ﷺ : « لايبيع بعضكم على بيع بعض ولاتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق »[6] . إن للاحتكار أضراراً عدة وهى حرمان أصحاب الدخل المحدود من السلع في بعض الحالات فتقع على المستهلك ؛ لأنه لايصل إلى السلعة التى يريد استهلاكها فى بعض الحالات ؛ لأنه يدفع أحياناً أضعاف ثمنها ، وبذلك يستنفذ جزءا من دخله كان من الممكن توجيهه لاستهلاك سلع أو خدمات أخرى ممايؤدى إلى هبوط مستوى معيشته . وعلى المجتمع ؛ لأن الاحتكار يثير الحقد والكراهية بين طائفة المستهلكين وطائفة المحتكرين ، وعلى المحتكر نفسه فتكون كما يقول ابن خلدون : « شؤم على صاحبه ويعود عليه بالتلف والخسران » [7].

ومما يتميز به الاقتصاد الإسلامى تحريم الاحتكار ، ودور الدولة هنا يأتى فى أنها تنفذ شريعة الله تعالى ، فتمنع الاحتكار بطريقة عملية فتستولى على الأشياء المحتكرة وتبيعها مع إعطاء صاحبها الثمن الذى يحقق العدل للبائع والمشترى والذى يعتبر مناسبا أو تجبر المحتكر على البيع بالثمن المناسب ؛ « لأن الخليفة كان إذا غلا السعر ترفق بالمسلمين فأمر بفتح مخازنه ، وأن يباع بأقل مما يبيع الناس حتى يرجع الناس عن غلوهم

---

(١) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .
(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٥٦ .
(٣) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .
(٤) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
(٥) الإمام البخارى: صحيح البخارى، مرجع سابق، ج٣ ، ص ٩٤ (باب من كره أن يبيع حاضر لباد بأجر) .
(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٥ .
(٧) قطب إبراهيم محمد : الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

فى الأثمان ، ثم يأمر مرة أخرى أن يباع بأقل من ذلك حتى يرجع السعر إلى أوله أو القدر الذى يصلح للناس ، حتى يغلب الجالبين والمحتكرين بهذا الفعل ، وكان ذلك من حسن نظره » (١).

الوفاء بالكيل والميزان :

التاجر المسلم إذا كال أو وزن لايأخذ أكثر من حقه ، ولايعطى الناس أقل من استحقاقهم فإن التاجر إذا طفف فى كيله أو وزنه بأن زاد على ما أخذ ، أو نقص مما أعطى ، تضعف ثقة الناس به وينصرفون عن معاملته وينفضون من حوله فتخسر حرفته أو تجارته ويكسر سوقه (٢). هذا إلى جانب عذاب الله الأليم الذى أعد له فى الآخرة فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③﴾ [المطففين] « يعنى : كالوا لهم ووزنوا لهم » (٣).

« والمراد بالتطفيف البخس فى المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قضاهم، وويل : تعنى الوعد بالخسارة والهلاك» (٤) . وقد نصح شعيباً أصحاب الأيكة بالوفاء بالكيل والوزن حتى تستقيم حياتهم فقال لهم: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ⑱١ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ⑱٢ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ⑱٣ ﴾[الشعراء] . وفى موضع آخر: يقول تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ⑧٤﴾ [هود] .

أى وأرسلنا إلى مدين (قوم شعيب)« آمرين إياهم بالإيمان إقلاعاً عن الشرك وبالوفاء نهياً عن التطفيف ،فقد كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف ،فكانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية مايقدرون عليه وظلموا » (٥) ؛ ولذلك نهاهم الله سبحانه وتعالى عن التطفيف .

إن سرد النهى عن نقصان المكيال والميزان بعد الأمر بالإيمان بالله ليبين لنا مدى أهمية النهى عن التطفيف ، ومدى الارتباط بين كل من الإيمان والوفاء بالكيل والميزان «وقد أمر الله بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيداً ،والإيفاء يعنى : الإتمام » (٦).

---

(١) يحيى بن شرف النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ،مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
(٢) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ١٦٤ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٨٥ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٨٦ .

فقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)﴾ [هود] . وقد « أخذ شعيب قومه بالرفق وبالحوار الهادف حين أمروه بالعصيان فى البخس والتطفيف وقد أغناه الله عنه »[(١)]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود] فقد كانت صفة أساسية فى الأنبياء أن يوفوا الكيل والميزان ؛ ولذلك كان عجباً أن يأمر أهل مدين شعيب بالتطفيف .

إن التاجر المسلم وجب عليه أن يتأسى بالرسل فهم القدوة والأسوة ، قال تعالى على لسان يوسف ﷺ : ﴿ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) ﴾[يوسف] فقد « كال لإخوته بمكيال واف وقد وفاهم كيلهم فى المال »[(٢)].

وقد طلب إخوة يوسف الوفاء فى الكيل فى قولهم: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) ﴾ [يوسف] أى : يا يوسف « كما تبيع بالدراهم الجياد لاتنقصنا بمكان دراهمنا »[(٣)] ، وقد استدل مالك وغيره من العلماء على أن أجرة الكيال على البائع ، قالوا ليوسف : فأوف لنا الكيل ، أى : « كان يوسف هو الذي يكيل ، وكذلك الوزان والعداد وغيرهم ؛ لأن الرجل إذا باع عدة معلومة من طعام وأوجب العقد عليه وجب عليه أن يبرزها ويميز حق المشترى من حقه »[(٤)] .

ومما يدعم الرأى بأن الكيل على البائع قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) ﴾ [الإسراء] «والقسطاس: الميزان بلغة الروم ، كما تقضى الآية أن الكيل على البائع »[(٥)].

وقد حذر الله ـ سبحانه وتعالى ـ من بخس الناس أشياءهم فى أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾[الأعراف] .

« والبخس: النقص وهو مايكون فى السلعة بالتعييب والزهد فيها ، أو المخادعة عن القيمة ،والاحتيال فى التزيد فى الكيل والنقصان منه ، وكل ذلك منهى عنه فى

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٩ ، ص ٨٩ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ،مرجع سابق ، ج ١١ ،ص ١٢١ ، ١٢٢ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٥٤ .
(٤) المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٥٤ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٢٥٧ .

الأمم المتقدمة والسالفة على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين » (١) وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، أي : أوفوا بالاعتدال في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء .

وقوله تعالى: ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ « أي : طاقتها في إيفاء الكيل والوزن، وهذا يقتضى أن هذه الأوامر إنما هى فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز وما لايمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيلين ،وأما ما يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه » (٢).

« إن مرض تطفيف الكيل نوع من أنواع الفجور لايصدر إلا عن شخص لايظن أنه يبعث يوم القيامة ويحاسب على عمله ولو ظن البعث والحساب لا طفف الكيل ولا بخس الميزان »(٣) ، وقد قال رسول الله ﷺ :« إن خياركم أحسنكم قضاء »(٤) .

وكان ﷺ يأمر باتخاذ المكيال فكان يقول : « كيلوا طعامكم يبارك لكم »(٥) و«اكتالوا حتى تستوفوا » ، ويذكر عن عثمان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا بعت فكل وإذا ابتعت فاكتل » (٦).

وكان ﷺ يدعو لمكة كما دعا إبراهيم عليه السلام فقال : « اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم » (٧) مما يدل على استخدام المكاييل والموازين فى العصر الإسلامى الأول .

وكان ﷺ يأمر بالوزن أيضا فكان يقول : « لاتبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق إلا وزناً بوزن مثلاً بمثل سواء بسواء » (٨).

وقد اعتنى الفقه الإسلامى بتعريف القناطير والأرطال والمثاقيل والدراهم ؛ لأنها أصول المعاملات وبها اعتبار المبيعات ، وإن كانت تختلف من إقليم لإقليم ومن بلد إلى بلد فهى تتفاضل فى الزيادة والنقصان (٩).

وقد وضع المسلمون الأوائل شروطاً للموازين فقالوا : أصح الموازين وضعا ما

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ٢٤٨ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٣٦ .

(٣) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد: آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠ (كتاب الوكالة) باب وكالة الشاهد والغائب جائزة .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ . (٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٨ .

(٧) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩ .

(٨) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٤٢ .

(٩) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

استوى جانباه واعتدلت كفتاه ، والمكيال الصحيح ما استوى أعلاه وأسفله في الفتح والسعة من غير أن يكون ضيقاً في الوسط ولامائلاً ولابعضه داخلاً وبعضه خارجاً ، وإن كان في أسفله طوق من حديد كان أحفظ له .

وينبغي للمحتسب أن يجدد النظر في المكاييل و يراعي مايطففون به المكيال ، فإن من البائعين من يصب في أسفله الجبسين فيلصق به لصقا لايكاد يعرف ، ومنهم من يأخذ لبن التين ويعجنه بالزيت حتى يصر في قوام المرهم،ثم يلصقه في داخل المكيال فلا يعرف (١) .

« إن الكيالين لاخير فيهم لاسيما في هذا الزمان ؛ لأن أكثرهم يكتال مايقبضه زائداً وعند الصرف يجعله ناقصاً ؛ ولذلك ينبغي على المحتسب أو من يقوم مقامه أن يحذرهم ويخوفهم عقوبة الله تعالى وينهاهم عن البخس والتطفيف » (٢) .

والحسبة من قواعد الأمور الدينية ، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها ، وهي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله بين الناس .

والمحتسب : من نصبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم .

اتقاء الشبهات :

ينبغي على صاحب الحرفة أو المهنة أن يتقي مواقع الشبهات وليعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا ، وها هو رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة ، فمن ترك ماشبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ، ومن اجترأ على مايشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان ، والمعاصي حمى الله من وقع حول الحمى يوشك أن يواقعه »(٣) .

وقال أيضاً : « إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » (٤).

وقال الحسن: مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام .

(١) المرجع السابق ،ص ٢٠ .

(٢) ابن الإخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٣) الإمام البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٠ (كتاب البيوع) .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٥٠ ، ٥١ .

« وروي عن ابن عمر ﷺ أنه قال : إنى لأحب أن أدع بينى وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها، وقال ميمون بن مهران : لايسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال ، وقال سفيان بن عيينة : لايصيب عبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال ، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه » (١).

« وعن بعض السلف أنه كان بواسط ،فجهز سفينة حنطة إلى البصرة ، وكتب إلى وكيله بع : هذا الطعام يوم يدخل البصرة ،ولاتؤخره إلى غد ،فوافق ذلك سعة فى السعر فقال له التجار : وإن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه ، فأخره جمعة، فربح فيه أمثاله، وكتب إلى صاحبه بذلك ، فكتب إليه صاحب الطعام ، ياهذا ، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ،وإنك قد خالفت ،وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شىء من الدين ، فقد جنيت علينا جناية ، فإذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة،وليتنى أنجو من إثم الاحتكار كفافا لا لى ولا على » (٢) .

وما أحوج تربيتنا اليوم إلى التربية بالقدوة إنها حقاً نماذج تستحق منا الدراسة والتمحيص وتدريسها فى مدارسنا ، حتى ينشأ جيل فاهم لدينه .

الوفاء بالعهد :

ينبغى على صاحب الحرفة أو المهنة الوفاء بالعهد ،وإن من الأمانة الوفاء بالعهد ، يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون] « والأمانة والعهد تجمع كل ما يحمله الإنسان من أمور دينه ودنياه قولا وفعلاً ، وإن كانت الأمانة أعم من العهد وكل عهد فهو أمانة » (٣).

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهد ، ودعا الإسلام طرفى العقد إلى الوفاء بما تعاقدوا أو تعاهدوا عليه ، وذلك كما يتبين من الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] ويعنى ذلك عقد الدين ، وهى ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة وكراء ومزارعة ومصالحة وتمليك وعتق وغير ذلك من الأمور ،ما كان ذلك غير خارج عن الشريعة (٤) .

ولأن رسول الله ﷺ يقول : « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط » (٥). فبين أن الشرط أو العقد الذى يجب الوفاء به ما وافق كتاب الله ، فإن ظهر ما يخالف رد .

(١) أبو حنيفة إبراهيم بن محمد : آداب التاجر وشروط التجارة ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
(٢) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٧ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٢ .
(٥) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) ﴾ [الرعد] «والمعنى : الذين يوفون بجميع عهود الله وهى أوامره ونواهيه التى وصى بها عبيده ، وقوله : ﴿وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ يحتمل أن يريد به جنس المواثيق أى إذا عقدوا فى طاعة الله عهداً لم ينقضوه » (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) ﴾ [الإسراء] ، وأكد سبحانه وتعالى على الوفاء بالعهد فقال : ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾ [الأنعام] « وهذه الآية عامة فى جميع ما انعقد بين إنسانين » (٢) .

ولما ذكر الله المؤمنين بالوفاء بعهودهم حذرهم من إتيان النقيض وهو عدم الوفاء بالعهد فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾ [الرعد] «ونقض الميثاق ترك أمره » (٣) وعدم تنفيذ ما جاء به .

إن صاحب الحرفة أو المهنة المسلم وجب عليه أن يلتزم بالعهد مهما كانت الظروف التى تعوق تنفيذ العهد ، بل وجب عليه أن يحاول التغلب عليها ، حتى يستطيع أن يفى بوعده ،حتى وإن ظن أن الوفاء بالعهد قد يخسره القليل فى تجارته ،قال تعالى : ﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا ﴾ أى : « لاتنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا » (٤) .

وقال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) ﴾ [النحل] « فقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان بالعدل والإحسان » (٥).

ثم شدد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الناقض للعهد فجعله كالناقض للأيمان ؛ لأن الأيمان والوفاء بالعهد شيئان مترابطان،فقال: ﴿ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ « أى : بعد تشديدها وتغليظها وقد جعلتم الله عليكم شهيدا » (٦) . ولقد وعد الله سبحانه وتعالى بالأجر العظيم للموفون بعهدهم فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ٣٠٧ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القران ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٣٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٦٩ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٦٩ .
(٦) المرجع السابق والجزء ، ص ١٧٠ .

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ⑩﴾ [الفتح] ، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ②﴾ [الصف] « استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان مالا يفعله ، وقد يحتج بها فى وجوب الوفاء فى اللجاج والغضب » (١).

وقد طلب الله - سبحانه وتعالى - من بنى إسرائيل الوفاء بالعهد فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ⑩﴾ [البقرة] والمعنى « أن أوفوا بعهدكم إياى بالإيمان أوف بعهدى لكم بأن أرضى عنكم وأدخلكم الجنة » (٢).

حقاً إنها ثمرة طيبة للوفاء بالعهد ألا وهى الجنة ، ويثنى الله على المؤمنين بعهدهم فيقول : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة : ١١٧] أى: « فيما بينهم وبين الله تعالى وفيما بينهم وبين الناس» (٣) ، فإذا أبرم المسلم عقداً فيجب أن يحترمه ، وإذا أعطى عهدا فيجب أن يلتزمه ، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التى قالها ، فيعرف بين الناس بأن كلمته ميثاق غليظ لاخوف من نقضها .

والوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين ، إذا اكتملا فى النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به ، فإن الله أخذ على آدم أبى البشر عهداً مؤكداً ألا يقرب الشجرة المحرمة ؛ لكن آدم ما لبث أن نسى وضعف ، ثم نكث فى عهده : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ⑩⑤﴾ [طه] « ونسى هنا من السهو والنسيان ، ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس » (٤).

فضعف الذاكرة وضعف العزيمة ، عائقان كثيفان عن الوفاء بالواجب ، والإنسان لتجدد الحوادث أمامه، وترادف الهموم المختلفة عليه، يفعل الزمان فعله العجيب فى نفسه فتخبو المعالم الواضحة ، ويحس ما كان بارزاً فى نفسه لايكاد يبين ؛ ولذلك فإن الذكر المطرد اليقظ ، ضرورة لازمة للوفاء . فمن أين لناسى العهد أن يفى به ؟ لذلك ختمت آية العهد بعنصر التركيز : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ⑮②﴾ [الانعام] ، فإذا ذكر الإنسان الميثاق المأخوذ عليه يجب أن ينضم إلى هذا الذكر عزم شدد على إنفاذه (٥).

السماحة فى البيع والشراء وإنظار المعسر :

من قيم التجارة إنظار المعسر ، ولايخفى مافى هذه القيمة من دعم العلاقات الطيبة

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ٨٠ ، ٨١ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ،ج ١١ ، ص٢٥١ .
(٥) محمد الغزالى: خلق المسلم،دار الكتب الإسلامية ،القاهرة ،عابدين ،١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م،ص٥٢ .

بين الناس ، وسبيل إلى مغفرة الله تعالى ، جاء فى الحديث : « تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا : أعملت من الخير شيئاً ؟ قال : لا. قالوا : تذكر ، قال : كنت أداين الناس فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ، قال : قال الله عز وجل : تجوزوا عنه »(١).

وفى رواية أخرى : « عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كان رجل يدين الناس فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه » (٢) ، أى أن الإسلام يدعو إلى إنظار المعسر ويجعل جزاء ذلك عفو الله عن ناظر المعسر ، كما يدعو الإسلام إلى السهولة والسماحة فى البيع والشراء والتقاضى فيقول ﷺ : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » (٣) « والسماحة : الجود، والسمح : الجواد ، والمسامحة : المساهلة ، وتسامحوا : تساهلوا » (٤) «وقوله : إذا اقتضى أى طلب قضاء حقه بسهولة وعدم إلحاف ، وخلاصة الحديث أنه يحض على السماحة فى المعاملة واستعمال معالى الأخلاق وترك المشاحنة ، والحض على ترك التضييق على الناس فى المطالبة وأخذ العفو منهم »(٥) ، وليس للسماحة نطاق محدد وإنما هى تنبع من الأخوة الإسلامية التى تؤدى للتعاطف والتراحم فى التعامل بين المسلمين .

ومن أمثلة السماحة فى البيع ما يلجأ إليه بعض التجار من منح خصم فى ثمن البيع إذا اشتروا بكميات كبيرة ، أو إذا كانوا من قدامى المتعاملين معهم ، أو التجاوز عن مصاريف نقل البضائع إن كانت يسيرة ، وعدم التدقيق فى الثمن بالنسبة لأصحاب السلع الهينة ؛ لأنهم يعيشون على رؤوس أموال ضئيلة كالباعة المتجولين الذين يطوفون الأرض طوال اليوم فى توزيع وبيع مايحملون على رءوسهم وأكتافهم وبين أيديهم ، ويتربحون منه ما يفى لكفافهم وكفاف أسرهم ، والسماحة معهم عون خفى وتخفيف لوطأة الحياة عليهم وتنفيس كربهم ،ومن أمثلة سماحة المشترى أيضا عدم التمسك بشراء نفس السلعة التي يعرضها البائع للإعلان عن سلعة بوضعها فى« فاترينة » مادام يحصل على سلعة مماثلة وبنفس الثمن مما هو موجود بمخزن البائع ؛ذلك لأن التاجر يتكلف فى عرض سلعته نفقات فى تزيينها وإظهارها بالمظهر الذى يريد ويستخدم فى ذلك مختصين فى طرق العرض ومعرفة أذواق الجمهور ،ولو تمسك كل مشتر بأخذ عينة البضاعة المعروضة لأدى فى كل مرة إلى إعادة ترتيبها وتنسيقها ، مما يكلف التاجر نفقات لا مبرر

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٣٢ (كتاب البيوع) .

(٢) المرجع السابق ، ج٥ ، ص ٣٣ .

(٣) الإمام البخارى: صحيح البخارى، مرجع سابق، ج٣ ، ص٧٥ (باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع).

(٤) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ٣١٢ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٥٩ .

لها وضياع الوقت، ومما يحدث من سماحة بعض التجار ورغبة منهم فى استرضاء المشترين أن يسلموهم السلعة المعروضة .

ومن أمثلة سماحة الاقتضاء فى التجارة أن ييسر البائع على المشترى فى سداد ثمن السلعة فيقسطها عليه مراعياً فى ذلك حالته المالية وأن ييسر كذلك فى أجل السداد ، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً على السماحة فقال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) ﴾ [القصص]. فقد طلب شعيب ﷺ من موسى ﷺ كمهر لزواجه من ابنته أن يعمل عنده ثمان سنوات ، ومنعاً من المشقة عليه ترك له أن يتمم عشراً إذا أراد ،وكان من الممكن أن يلزمه بالعمل عشر سنوات ابتداء ، ولكنه أراد أن يطبق مبدأ السماحة فى الاقتضاء (١) .

والسماحة خلق كريم ولو علم التاجر مافيها من بركة لحاول جاهدا أن يتخلق بها ؛ لأن فى السماحة وسهولة التعامل ماييسر التجارة ويرسى أسباب الثقة التى تنشط التداول وسرعة دوران رأس المال التى تؤدى إلى الرخاء للمجتمع كله وعلى رأسه التاجر (٢).

إن « الإسلام يدعو إلى الرفق عامة وهو مايعبر عنه فى الاصطلاح الحديث بالعلاقات الإنسانية فأساس هذه العلاقات فى الإسلام هو المحبة والرفق والتسامح ، وباعتبار أن المسلم فى تعامله مع الناس إنما يتعامل أساسا مع الله تعالى » (٣).

التطوع بالعمل بدون أجر فى ظروف خاصة :

« تتطلب بعض الأحوال أن يتقدم العامل بعمله دون مقابل ابتغاء ثواب الله وتضامنا مع المجتمع فيما أصابه من ملمات أو شدائد أو كوارث ، فقد تمر بالوطن ظروف حرب فيعمل العمال ساعات عمل إضافية تطوعاً منهم للمساهمة فى المجهود الحربى ، أو تمر برب العمل ظروف كساد فيتضامن العاملون معه بالتطوع بجزء من وقتهم يعملون فيه دون أجر حتى يجتاز رب العمل ظروف الكساد التى تمر به ، وقد يتطلب إنجاز العمل نفسه وقتا إضافيا فيتم العاملون إنجاز أعمالهم المنوطة بهم بعد ساعات العمل الأصلية دون مقابل ، وقد تمتد دائرة التطوع إلى خارج الوطن نفسه ، فإذا اجتاحت أهل وطن شقيق كوارث كفيضانات أو حرائق أو سيول ، تطوع المحترفون بأعمالهم الحرفية لأبناء هذا الوطن ، وقد يكون التطوع بالعمل أو بجزء منه . والإسلام يبارك التطوع فى الخير حيث يقول تعالى: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

---

(١) قطب إبراهيم محمد : الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، مرجع سابق ، ص١٩٥ ـ ١٩٨ .

(٢) عبد السميع المصرى: التجارة فى الإسلام، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ص١٧ .

(٣) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

كما تضمن القرآن الكريم على أمثلة أعمال تطوعية، منها ما حدث فى قصة موسى عليه السلام عندما سار مع العبد الصالح الذى أعطاه الله الحكمة وعلمه من عنده علما غزيرا، ففى أثناء سيرهما أتيا قرية فطلبا من أهلها طعاما فأبوا ضيافتهما ، فوجدا فيها جدارا مائلا يكاد يسقط فبناه العبد الصالح وأقامه تطوعا دون أجر . وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) ﴾ [الكهف] .

ومن الأعمال التطوعية التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ماقام به ذو القرنين من إقامة السد لحماية قوم من غارات يأجوج ومأجوج الذين كانوا يفسدون فى الأرض ويخربونها ، وقد عرض القوم أن يدفعوا لذى القرنين أجرا على عمله ، ولكنه تطوع بالعمل بعفة وصلاح وقصد للخير ، اكتفاء بما منحه الله من ثروة وسلطان فطلب مساعدتهم فقط (١) .

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ﴾ [الكهف] .

ومن أمثلة الأعمال التطوعية أيضاً التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ماورد فى قصة زواج موسى عليه السلام ، فقد زوج شعيب عليه السلام إحدى ابنتيه لموسى عليه السلام على أن يكون مهرها العمل عنده ثمانى سنوات ، فإن أتمها عشراً فمن عنده تطوعاً ، ولم يلزمه بأطول الأجلين ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) ﴾ [القصص]

وإذا كانت التطوعية تقوم فى جوهرها على مبادئ أساسية تتركز فى إحساس الفرد بالفرد والفرد بالجماعة والمجتمع والأمة ، وإحساسهم جميعاً بالتالى به، والعمل فى سبيل بعضهم البعض ودون انتظار مقابل(مادى/ مالى ـ بالذات) من ناحية، وباختيارهم وإرادتهم وفقاً لمشيئتهم الحرة وبلا إكراه أو تسلط من ناحية أخرى ، فإن الإسلام قد احتوى على ما هو مماثل لهذه المبادئ بل وما هو أكبر وأعمق منها نظراً وعملاً .

فالتطوعية بمعنى فعل الخيرات والدخول فى أنشطة إيجابية من جهة ، ثم الإحجام عن فعل الشرور . والأعمال السلبية ومقاومتها من ناحية أخرى أمر كامل الوضوح فى صميم الإسلام ، فإذا كان القرآن ينظر إلى المسلمين باعتبارهم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٠٤ .

للنّاس ﴾ فإنه لم ير هذا إلا لاتصافهم بصفتين تأخذان شكل الجناحين اللذان يحلق بهما المؤمن فى آفاق الإنسانية وهما جناح الأمر بالمعروف (أو فعل الخير) كصفه أولى ، أو العمل ضد الشر ومقاومته كصفة ثانية (١) ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران] .

بمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس (٢) ؛ لأنهم هم الذين ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾ [آل عمران].

« وإذا كان الإسلام يأمل فى صميمه أن تكون هذه هى صفات المسلمين جميعاً ، فهو يعلم أيضاً أن النفوس البشرية ليست سواء من حيث تقبلها للخير أو جنوحها للشر . فهى مطبوعة على الخير كما أنها مطبوعة على الشر ؛ وهى لذلك تأتى الإيجابيات إتيانها للسلبيات ، ومن أجل هذا فإنه فى واقعه يتوقع أن تقوم فئة - أكثر من غيرها - تتعهد فعل الخيرات وهو يعدها بالفلاح وحسن الجزاء » (٣) قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) ﴾ [الأنبياء] .

وقوله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران] .

إن هذه « الفئة النشطة فى الخير هى بلا شك الفئة التى تطوعت واستجابت لداعى الله حين دعاهم لما يحيهم ، وهى تعلم أن فى ذلك خيرها وخير مجتمعها وخير أمتها وخير دينها » (٤) : ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾[البقرة :١٨٤] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) ﴾ [البقرة] قيل : « المراد وتطوع خيراً فى سائر العبادات » (٥) . وبطبيعة الحال فإن استجابة هؤلاء لداعى الله وتطوعهم لفعل الخيرات ومقاومة الشرور إنما تنبع من رغبة خيرة واختيار حر ، وهم لايهدفون من ورائه أى ربح

---

(١) عبد المنعم محمد بدر : « اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر، العدد ٣٤ ، ربيع الثانى ، جمادى الأولى ، جمادى الثانية ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٣٩١ .

(٣ ، ٤) عبد المنعم محمد بدر:« اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

مادى أو متاع دنيوى ، وإنما يبغون به مرضاة الله وحده ، ويطلبون رضوانه ، وهذه هي فى الواقع قمة التطوعية كما وضحت فى مفهومها الحديث (1) ، فهم فى الإسلام يعلمون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120)﴾ [التوبة] وأنه يقول : ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (30) ﴾ [الكهف]،ويقول الواحد منهم لذويه وعشيرته:﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (109)﴾ [الشعراء] . وهم فى كل ذلك يعلمون أن أجرهم مدخر للآخرة ، وأن أجر الآخرة هذا أكبر وأعظم من أى أجر - دنيوى - آخر : ﴿ وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) ﴾ [النحل] .

إن « عالمنا العربى الإسلامى مازال فى كثير من مواقفه يئن تحت وطأة عدم الإقبال على مثل هذا اللون من الأنشطة رغم أن فيه صلاحه أو بعضه على الأقل . صحيح أن هذا العالم لم يعدم ، ولن يعدم بعض أمثلة حية واتجاهات صحيحة فى هذا المجال ، ولكن الصحيح أيضاً ، أن كثيراً من هذه الاتجاهات لم يرق له - سواء كان من ناحية الكم أو من ناحية الكيف - إلى الآفاق المأمولة وخاصة إذا ما نظر إلى هذه الأمور من خلال ظروفه الصعبة التى يتعايش معها » (2) .

إن المقارنة بين ماهو قائم فى عالمنا العربى والإسلامى ، وما يأمرنا به إسلامنا يشير إلى تقاعس مواطنينا عن الإقدام إلى مثل هذه الأعمال التطوعية ، ومن ثم ينبغى على المدرسة أن تضع فى مناهجها مايدعم هذا الاتجاه فى نفوس طلابها ، فما أحوجنا إلى ذلك .

الأمـانـة :

الأمانة هى رأس مال الممتهن المسلم والذى يأتمنه الناس على كثير من معاملتهم معه، فهم يأمنونه فى جودة البضاعة وفى كيلها ووزنها وفى سعرها ، فإن لم يكن مراعياً ومؤدياً لتلك الأمانة كان واقعاً تحت طائلة حديث رسول الله ﷺ والذى يقول فيه: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » (3)، ويدعونا الله إلى الأمانة بقوله : ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ [البقرة: 283] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: 58] وهو « يعمم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لايطلع عليه العباد ، ومن

---

(1) عبد المنعم محمد بدر : « اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص 125 .

(2) المرجع سابق ، ص 129 .

(3) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 15 .

حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينه على ذلك ، فأمر الله عز وجل بأدائها » (١) . « وقال ابن عباس : لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة » (٢).

والمسلم الأمين تتداعى عليه الناس طلباً لقضاء حوائجها سواء كان صاحب حرفة أو مهنة ، ويتبين ذلك من قصة نبى الله موسى وبنات شعيب ؛حيث يقول تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) ﴾ [القصص] ، ولقد كانت الأمانة سمة بارزة من سمات المجتمع الإسلامى فى مجال الاشتغال بالمهن والحرف ، بل فى الحروب والغنائم . ومن الأمانة أن ينتج المنتج على أكمل وجه عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [النحل] ، وفى شأن الأمانة يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] الأمانة عظيمة القدر فى الدين ، ومن عظم قدرها أنها تقوم هى والرحم على جنبتى الصراط (جنبتى : جانبه وناحيته) (٣).

وكان رسول الله ﷺ يحض أصحابه على الأمانة مرة بالقدوة وأخرى بالموعظة ، وكان يحكى سير الأمناء فكان يقول مثلاً : « اشترى رجل من رجل عقاراً له ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة ذهب فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب،فقال الذى اشترى الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها قال : فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه : ألك ولد ؟ فقال أحدهما لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية قال : أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدقا » (٤) ، وفى هذه القصة تعميق للأمانة عن طريق القصة .

وكان صحابة رسول الله ﷺ من أشد الناس حرصاً على أداء الأمانة والتابعين من بعدهم ، حتى إن أبا حنيفة قد بعث بمتاع إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه فى التجارة وأعلمه أن فى ثوب فيه عيباً ، فبينه للناس ، فباع حفص المتاع ونسى أن يبين واستوفى ثمناً كاملا لثوب غير كامل ،وقيل :إن الثمن كان ثلاثين ألفاً ، أو خمسة وثلاثين ألفاً ، فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه أن يبحث عن المشترى ، ولكنه لم يهتد إلى الرجل فأبى أبو حنيفة إلا فصالاً عن شريكه وتاركا ، بل رفض أن يضف الثمن إلى حر ماله وتصدق به كاملاً » (٥).

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥١٥ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص٢٥٦ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ١١٧ .
(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص ١٣٣ .
(٥) حسنى أدهم جرار : القدوة الصالحة ، أخلاق قرآنية ، ونماذج ربانية ،دار الضياء للنشر والتوزيع ، الأردن، عمان ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ .

ويروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منه أربعمائة ، وضرب حلل أخرى كل حلة قيمتها مائتان ، فمر إلى الصلاة ، وخلف ابن أخيه فى الدكان فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها واشتراها ، فمضى بها وهى على يديه ، فاستقبله يونس ، فعرف حلته، فقال للأعرابى : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ، فقال : لاتساوى أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها فقال : هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها ، فقال يونس : انصرف ، فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم وخاصم ابن أخيه فى ذلك وقال له :أما استحييت ! أما اتقيت الله ! تربح الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال له: أما والله ما أخذها إلا وهو راض بها ، فقال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك ! (١).

تجنب أكل أموال الناس بالباطل :

« عنى الإسلام بالمحافظة على أموال الناس فحرم الله أكل أموال الناس بالباطل بكل الوسائل والأساليب تحت أية مسميات ،سواء كان هذا الأكل سرقة واعتداء،أو كان تعاملاً كالربا أو كان انتقاصاً لأجر عامل ،أو كان غشا واحتيالاً فى البيع والشراء » (٢).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾ [النساء] « والمعنى أن الله تبارك وتعالى ينهى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل أى أنواع المكاسب التى هى غير شرعية كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل.

وقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُم ﴾« تعنى ألا تتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التى تكون عن تراضٍ من البائع والمشترى فافعلوها وتسببوا بها فى تحصيل الأموال» (٣).

وفى الحديث : « من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين » (٤) ، وفى حالة الاعتداء على المال أجاز الإسلام للمالك أن يدفع عن ماله كل معتد حماية لحرمة ماله وحفاظاً عليه مهما كلفه ذلك ،وفى الحديث:« من قتل دون ماله فهو شهيد » (٥).

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) فوقية محمد ياقوت : القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٣) الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٤٧٩ .

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٧٠ .

(٥) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٧٩ .

تجنب المنابذة والملامسة :

حرص النبى ﷺ على عدم التضليل والخداع فى البيع والشراء ، فنهى عن كل مايؤدى إلى الغش والتدليس، عن أبى سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ « نهى عن المنابذة وهى : طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه ، ونهى عن الملامسة ، والملامسة : لمس الثوب لاينظر إليه » (١).

تجنب المزابنة :

كان رسول الله ﷺ ينظر فى أحوال المزارعين وتجار الثمار ، وكان ينهى عن بيوع معيبة وخبيثة « عن ابن عمر ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ عن المزابنة وهى أن يبيع ثمر حائطه إن كان نخلاً بثمر كيلاً وإن كان كرما إن يبيعه بزبيب كيلا ، وإن كان زرعاً أن يبيعه بكيل طعام ، ونهى عن ذلك كله »(٢) ، والمزابنة : أن يبيع الثمر بكيل إن زاد فلى وإن نقص فعلى ، فثبت من صور المزابنة هذه الصورة من القمار ، وقال مالك : المزابنة كل شىء من الجزاف لايعلم كيله ولا وزنه ولا عدده إذا بيع بشىء مسمى من الكيل وغيره ، سواء كان من جنس يجرى الربا فى نقده أم لا، وسبب النهى عنه ما يدخله من القمار والغرر » (٣).

شروط البيع والشراء :

يجب ألا يحتوى العقد بين اثنين على شرط يخالف الشريعة الإسلامية ، سواء جرى هذا العقد بين أفراد أو جماعات ، ومما يدل على ذلك حديث عائشة ﷺ ؛ إذ تقول : «جاءتنى بريرة فقالت : كاتبت أهلى على تسع أواق فى كل عام أوقية فأعيننى، فقلت: إن أحب أهلك أن أعدها لهم ، ويكون ولاؤك لى فعلت ، فذهبت بريرة إلى أهلها ، فقالت لهم فأبوا عليها ، فجاءت من عندهم ورسول الله ﷺ جالس فقالت : إنى قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم ، فسمع النبى ﷺ فأخبرت عائشة النبى ﷺ فقال : « خذيها واشترطى لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق » ففعلت عائشة ثم قام رسول الله ﷺ فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، ما بال رجال يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله ، ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق » (٤).

وفى رواية أخرى : « أن عائشة أم المؤمنين أرادت أن تشترى جارية فتعتقها فقال

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٠٢ (باب بيع الزرع بالطعام كيلا) .

(٣) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ،مرجع سابق،ج٤ ،ص ٤٤٩ (باب بيع المزابنة).

(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٩٥ ، ٩٦ (كتاب البيوع) .

أهلها : نبيعكها على أن ولاءها لنا ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « لا يمنعك ذلك فإنما الولاء لمن أعتق » (١).

مراعاة الوقت ودقته :

من الفضائل التى يمتاز بها الإسلام أنه يعرف للوقت قيمته، ويقدر خطورة الزمن، ويؤكد الحكمة الغالية « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » ويجعل من دلائل الإيمان وأمارات التقى أن يعى المسلم هذه الحقيقة ويسير على هداها (٢) ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) ﴾ [يونس]، ويعتبر الإسلام الزاهدين فى غدهم والغارقين فى حاضرهم المسحورين ببريق الدار العاجلة ، قوماً خاسرين سفهاء ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس]

« إن الوقت هو رأس المال الحقيقى للإنسان والذاهب منه لايعود بحال ، على حين أن المال يذهب ويجىء فالإسراف فى الوقت أمر لا يقدم عليه عاقل ، ولاينبغى أن يرضاه إنسان لنفسه ، والإسلام يدعو أبناءه جميعاً إلى تقدير الوقت والزمن حق قدره ، وينهى نهيا شديداً عن إضاعة شىء منه فى غير خير أو فائدة؛ ولهذا جعل من الأيمان الإعراض عن اللغو والقيل والقال وما لاخير فيه، بل قد يأتى بالضرر منه »(٣)، ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) ﴾ [الفرقان] .

لقد كان المسلمون الأوائل أحرص الناس على أوقاتهم « فيقول الحسن البصرى : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم » (٤) ، ومن هنا كان حرصهم البالغ على عمارة أوقاتهم بالعمل الدائب ، والحذر من أن يضيع شىء منه فى غير جدوى .

بل لقد كانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم أو برهة من الزمان وإن قصرت ، دون أن يتزودوا منها بعلم نافع ، أو عمل صالح (٥) ، ويتبين تقديرهم لقيمة الوقت من خلال قراءتنا لكتب الحسبة ، فيقول الشيزرى فى الحسبة على الأساكفة : « ولايماطلون أحداً بمتاعه ، إلا أن يشرطوا لصاحبه إلى يوم معلوم ، فإن

---

(١) المرجع السابق ، ج٣ ، ص٩٦ (كتاب البيوع) .

(٢) محمد الغزالى : خلق المسلم ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨.

(٣) محمد يوسف موسى: الأخلاق فى الإسلام ،مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ ،ص ١٢٨.

(٤) يوسف القرضاوى : الوقت فى حياة المسلم ، دار الصحوة ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤ .

الناس يتضررون بالتردد إليهم وبحبس الأمتعة عنهم »[1].

وفى الحسبة على الخياطين يقول ابن الإخوة : « ويمنعهم المحتسب أن يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم ويتضررون بالتردد إليهم وحبس الأمتعة عنهم »[2] ، يتبين لنا مما سبق فرضية احترام العامل المسلم لميعاده ووقته الذى وقته لصاحب المتاع ، وإلا رفع أمره إلى المحتسب .

وفى الحسبة على أصحاب السفن « المراكب » يقول ابن الإخوة : « ويمنعهم المحتسب من السير وقت هبوط الرياح واستمرارها »[3] ، وفى هذا ما يؤكد تقدير المسلمين لعنصرى الوقت والظروف .

إننا « فى العالم الإسلامى الآن نعرف شيئا يسمى (الوقت) ولكنه الوقت الذى ينتهى إلى عدم ؛ لأننا لاندرك معناه ولاتجزئته الفنية ؛ لأننا لاندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية ،ومن المؤكد أننا بتحديد فكرة الزمن، يتحدد معنى التأثير والإنتاج ، وهو معنى الحياة الذى ينقصنا » [4].

« إن الفرق شاسع بين موقف الإسلام من الوقت ، وهو الموقف الذى يحصى كل دقيقة ، ويحاسب عليها ، وبين أسلوب المسلمين فى الحياة وهو الأسلوب الذى يتفنن فى إهدار الوقت بكل الطرق . ففى الوقت الذى تفيدنا به التقارير أن عطاء الإنسان الأوربى اليومى يتجاوز السبع ساعات تفيدنا التقارير الرسمية نفسها أن عطاء الإنسان المسلم لايتجاوز ثلاثين دقيقة »[5] ، والفاحص المدقق لأحوال عالمنا الإسلامى الحالى يمكنه أن يلاحظ بسهولة كيف يقضى بعض شبابنا وقت فراغه فى لعب الورق والنرد والدمينو والشطرنج وما ماثلها من ناحية ، أو يتفرجون على بعض الأنشطة الرياضية (وخاصة كرة القدم) ،دون ممارستها ، من ناحية ثانية ، أو يتسكعون فى الطرقات والأسواق ممارسين أنواعا من الشغب [6].

وفى هذا ضعف إيمان وجهل بالشريعة ؛ ذلك « لأن المؤمن أعمق الناس إحساساً بقيمة الوقت : إن الله سائله يوم الجزاء عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ فهو لهذا يضن أن يضيع فى عبث أو يبعثر فى مهب الرياح ؛ لأنه رأس ماله الوحيد ،

---

(1) عبد الرحمن الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .
(2) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .
(3) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
(4) مالك بن نبى : شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .
(5) يوسف القرضاوى : الوقت فى حياة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٣ .
(6) عبد المنعم محمد بدر : « اللاتطوعية وأزمة التنمية فى العالم العربى الإسلامى » مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

فكيف يضيعه ويبقى صفر اليدين ؟

إن المسلم يخشى أن تنفلت الأيام من يديه خاوية من العمل والإنتاج ، فلا يؤخر عمل اليوم إلى الغد ؛ لأن للغد عمله الذى يزحمه فلا يتسع لعمل غيره من الأيام . وهو حريص على أن يطيل حياته ـ بعد موته ـ يطول أعماله أنه يحرص أن يخلف وراءه علما نافعاً أو عملاً طيباً » (١).

مراقبة الله فى العمل :

« يدعو الإسلام إلى مراقبة الله عز وجل فى كل شأن من شئون الحياة سواء فى مجال الشعائر أوالسعى على الرزق ، ويشير إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله: القول الطيب ، العمل الصالح ، القول الطيب الذى يصعد إلى الله فى علاه، والعمل الصالح يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع » (٢).

يقول الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[فاطر: ١٠].

وقد يستطيع الإنسان أن يفلت من مراقبة صاحب العمل ، وعقوبة القانون ، ولكنه لن يفلت من مراقبة الله وعقابه . ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف] ، لأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مطلع علينا ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾ [المجادلة] .

ويركز رسول الله ﷺ فى حديث طويل على مراقبة الله تعالى فيقول: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٣).

فالمسلم عليه أن يستحضر « أن الله مطلع عليه يرى كل ما يعمل »(٤). فإذا استحضر هذا المعنى ، ظهر عمله على أفضل صورة ممكنة .

الإتقان :

الإتقان هو المعيار الذى نزن به قيمة العمل من حيث السمو والضعة ، ونحن نعلم أن الناس ليسوا سواء فى أداء أعمالهم ، إذ بعضهم يرتفع بعمله ، فيرفعه عمله ،

---

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، مرجع سابق ، ص ٣ .

(٢) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٠ (كتاب الإيمان).

(٤) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢١٨ .

وبعضهم الآخر يهمل فيه ويخرجه ناقصاً أو معيباً وليس من الضرورى أن يكون ذلك عن قصد ، بل كثيراً ما يكون عن إهمال وسوء تعليم ، ولاشك إذاً فى أن قيمة العمل تتدرج فى مسلم من حيث الإتقان والكمال ، والنقص والإهمال ، ولكن العمل المتقن الذى يحسن صاحبه عمله وإخراجه يكون كالجوهرة تتألق فتبهر الأبصار (١).

ومن هنا نجد الرسول ﷺ يدعو إلى الإحسان فى كل عمل وهو المعنى المرادف لمعنى الإتقان ، فيقول ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٢). فإذا كان الإحسان مطلوباً فى الأعمال التى لاتترتب عليها نتائج مؤثرة فى الجماعة فأحرى به أن يطلب فى الأعمال ذات القيمة الاجتماعية ، « فالقتل فى الجهاد فى سبيل الله والذبح تنتهى آثارهما أو تكاد بإتمام إنجازهما ، ومع هذا لابد من الإحسان فيهما ، رحمة من ناحية ، وإكساباً للإنسان خلق الإتقان من ناحية أخرى » (٣).

ويقصد بإتقان العمل « إحكام أدائه بحيث يكون مستوفياً للمواصفات المطلوبة وتفاوت درجات الإتقان فى الأعمال ، بحيث تقل درجة الإتقان كلما قلت المواصفات المطلوبة فى الأداء ، وعدم إتقان العمل يؤدى إلى إلحاق الضرر بالعامل نفسه ؛ لأنه سوف يؤدى إلى زعزعة الثقة فى عمله وتقييم أجره فى المدى الطويل على أساس عمله الهابط، ويؤدى كذلك إلى إلحاق الضرر بصاحب العمل ؛ لأنه يدفع أجراً لايقابله عمل متقن .

كما يؤدى إلى انصراف المتعاملين معه عن خدماته أو إنتاجه ، وقد يمتد الضرر إلى الوطن ككل ، فإذا كان الإنتاج عبارة عن سلع قابلة للتصدير ، وكانت غير متقنة انصرف عنها المستوردون ، وبحثوا عن أسواق أخرى لاستيراد سلعهم منها مما يؤثر على توازن ميزان المدفوعات للدولة المصدرة التى لم يتقن عمالها منتجاتها » (٤).

إن من أسباب عدم الإتقان نقص الخبرة أو قلة العلم ، ومن كان هذا شأنه لاتفيد أمانته فى الوفاء بعمله كطبيب قليل الحظ من عمله ، فهو لن يستطيع أداء واجبه على الوجه الأكمل مهما صدقت نيته .

والعلم سبب من أسباب الإتقان وقد « ذكر أن عاملاً عمل عملاً تجاوز فيه ، ودفعه

---

(١) سعيد إسماعيل على: « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » دراسات فى التربية الإسلامية،مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٧٢ .

(٣) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٤) قطب إبراهيم محمد : الإطار الأخلاقى لمالية المسلم ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

لصاحبه فلم ينم ليلته كراهة أن يظهر عدم الإتقان في عمله فشرع في عمل آخر بدله حتى أتقن مايقتضيه واجب العمل ، ثم غدا به إلى صاحبه ، فأخذ الأول وأعطاه الثاني، فشكره فقال : لم أعمل لأجلك بل قضاء لحق العمل ، كراهة أن يظهر من عملى عمل غير متقن ، فمتى قصر العامل في العمل فقد كفر ماعلمه الله ، وربما سلب الإتقان ، وعليه أن يحسن عمله ويتقنه » (١).

ولقد تشعبت أنواع العمل في هذا العصر بتشعب العلوم والفنون والصناعات التى لاتكاد تعد ، وصارت طوائف العمال في الصناعة والتجارة والزراعة تخضع للتوجيه العلمى والفنى الذى ينمو دائماً ، وصارت الكفاية الفنية هى سلاح كل عامل ، واتسع نطاق التنافس بين الشعوب والدول في وقت السلم في ميادين الأعمال المختلفة وصار السبق لمن يتقنون الأعمال ويغارون عليها ويجودونها ويطورونها إلى الأحسن والأفضل»(٢).

الشعور بالمسئولية :

« إن مركز الدائرة الحضارية هو الإنسان وأهم خصائصه هو العقل ، والعقل يعنى الكرامة الإنسانية واستقلال الشخصية ، ويعنى الحرية ، ويعنى المسئولية » (٣). فالإنسان مسئول في هذه الدنيا ليس في الآخرة ، وهو مسئول عن كل أعماله سواء كان فرداً في المجتمع أو رئيسا أو رباً لعائلة أو مديراً أو موظفاً أو عاملاً (٤). يقول تعالى: ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [النحل] أى : « يسألكم الله تعالى يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الفتيل والنقير والقطمير » (٥) ، ويقول تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) ﴾ [القيامة] أى: « ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لايؤمر ولاينهى ولايترك بدون حساب في الآخرة » (٦)، ولما كان الإنسان لديه الاستعداد والقدرة على أن يقوم بعمل فيه صلاح المجتمع وسعادة البشر ، وكذلك على أن يقوم بعمل فيه إفساد المجتمع وإشقاء البشر ، أبرز القرآن الكريم مبدأ « المسئولية الأخلاقية » فالإنسان مسئول عن عمله فرداً أو جماعة، لايؤخذ واحد بوزر واحد ولا مجتمع بوزر مجتمع(٧)،

---

(١) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) عبد المنعم خلاف: المادية الإسلامية وأبعادها ،مرجع سابق، ص١٦٥.

(٣) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

(٤) حسين آتاى : النظام الأخلاقى فى السياسة المالية ، مجلة المسلم المعاصر ،مرجع سابق ، ص ٦٩ ، ٧٠.

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

(٦) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

(٧) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق، ص ١٥ .

يقول تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾[الطور]، ويقول أيضا : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)﴾ [البقرة]، والعمل النافع الصالح هو محور المسئولية التي حملها الإنسان يوم استخلفه الله في الأرض ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴾ [الأعراف]. ومن خلال التربية الإسلامية يدرك المرء أن استخلاف الله للإنسان وإن كان تشريفاً له فهو في الوقت ذاته يلقى عليه عبئاً ومسئولية لامهرب له من القيام بتبعاتها ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ [يونس] . وقيام الإنسان بهذه المسئولية هو موطن مسائلته ، ونوعية عمله هي الفيصل يوم الحساب : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾ [غافر] .

والتربية الإسلامية إذ تعد المرء وتؤهله ليكون قادراً على القيام بمهمة الاستخلاف وتحمل تبعات المسئولية الكبرى ، فهي تعده أيضا ليكون مدرباً للكيفية التي يجب أن يكون عليها استخدامه الأمثل للوسائل التي زوده الله بها ، والتي يستطيع أن يرتفع بها إلى أفق السمو للقيامة بتبعات الاستخلاف فيفوز برضا الله وحسن مآب [١].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] والذات الإنسانية مزودة أيضاً بالوسائل التي يستطيع بها أن تهبط إلى حضيض البهيمية حيث يريد الشيطان، فيحق عليها سوء المصير ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) ﴾ [النساء] . والإنسان يقبل هذه المرتبة أو تلك من خلال تفكيره وعقله وسمعه وبصره ، تلك الوسائل التي منحه الله إياها ، ليكون قادراً على القيام بمهمة الاستخلاف والتي صارت هي أيضا جزءاً من مسئوليته ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء] .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾ [الأنفال] .

وفي رأى بعض الباحثين : « أن الأمانة المشار إليها هنا هي الابتلاء بتبعة التكاليف وحرية الإرادة ومسئولية الاختيار ؛ وذلك لأن كل الكائنات عدا الإنسان مسيرة بمقتضى سنن كونية تخضع لها على وجه التسخير والامتثال دون تحمل لتبعة ما تعمل ، بينما الإنسان وحده هو المسئول عن عمله المحاسب عليه ثواباً وعقاباً ، ولا أحد يحمل عنه

(١) سامية يوسف محمد صالح : مبادئ التربية البيئية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

تبعة عمله ولايفوت بغير جزاء » (١) ، وفى هذا يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) ﴾ [الجاثية] .

فالإنسان فى الإسلام مخلوق من خلق الله ، إلا أنه مخلوق مسئول ذو رسالة هى: الاستخلاف ، حيث استخلفه الله فى الأرض، وسخر له ما فيها من نعم ، وزوده بالمواهب التى تعينه على الخلافة وتيسر له طيبات الحياة كلها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)﴾ [غافر]، من الطبيعى بعد ذلك أن يتحمل كل إنسان نتيجة عمله هو ،وما قدمته يداه ،ولايحمل وزر غيره ،كما أن غيره لايحمل وزره هذا هو الإنسان المسئول إذ لايقبل بعد أن يهيئ له الله كل هذه الإمكانات ،ويكرمه ، ويسخر له كثيراً من مخلوقاته أن يكون غير مسئول ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨)﴾ [يونس] ، ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ [الإسراء] .

وبين لنا رسول الله ﷺ أن كل إنسان مسئول فى حديثه الجامع « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته » فقال : وحسبت أن قد قال : والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته (٢) .

وقد وردت لفظة (مسئول) فى أربع آيات قرآنية،(ومسئولون)فى آية واحدة (٣) ، والآيات الأربع التى ورد فيها لفظة (مسئول)، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) ﴾ [الإسراء] ، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) ﴾ [الإسراء] ، ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا (١٦) ﴾ [الفرقان] ، ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) ﴾[الأحزاب]. وقد وردت لفظة

(١) عائشة عبد الرحمن : مقال فى الإنسان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٥٨ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٤٢٩ .

(مسئولون) فى قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) ﴾ [الصافات]. والإنسان فى الإسلام مسئول عن أعماله مسئولية شخصية ، حيث لايشاركه أحد حمل تبعاتها ، ولايملك أحد درء ما حاق به من عذاب جزاء إفساده فى الأرض ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩) ﴾ [الانفطار] فالمسئولية فى النهاية مسئولية فردية ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١١١) ﴾[النحل] ،﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [مريم] ، ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾[عبس] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) ﴾[المدثر] ، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) ﴾ [الزمر] ، ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) ﴾ [إبراهيم] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر] ، ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾[الانفطار] ،﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) ﴾ [التكوير] .

وتحرص التربية الإسلامية على تعميق شعور المسلم بهذه المسئولية وتأكيد فحواها فى نفسه ، فهى تكثر من تذكير الإنسان بالنعم التى أنعم الله بها عليه ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٧) ﴾ [المائدة] ومن رحمة الله بعباده أنه لم يكلفهم بمسئولية أكثر مما يطيقون ، ومن ثم فمسئوليتهم كاملة عما يعملون ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة].

والخلاصة : « إن كل واحد مسئول حسب قدرته المادية والمعنوية ، وكذلك هو مسئول حسب وسع نفوذ دائرته فى الأمور الاجتماعية والتجارية والسياسية ، ونظام الشريعة يشملهم جميعاً دون تفرقة وتمييز ، وعندما طلب الشرع من الأفراد اتباع الموازين والمعايير فى كسب الحلال التى التبعة عليهم فى تصرفاتهم فيما يكسبون من المال والثروة والمهارة والصنعة ، وكلفهم بمحاسبة أنفسهم أولاً ثم بمحاسبة من يلى أمورهم ، وإذا قصروا فى واحد منها أو فى كليهما يختل نظام المجتمع وسوف يحاسبهم الله تعالى إما فى الدنيا وإما فى الآخرة أو فى كليهما معاً » (١) .

---

(١) حسين آتاى : النظام الأخلاقى فى السياسة المالية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

إن الشعور بالمسئولية لدى المسلم يجعله يحاسب نفسه ، فينتج ليس الإنتاج فقط ولكنه الإنتاج المتقن الذى سيسأل عنه .

العمل التعاونى :

التعاون أساس تقدم الأمم ونهضتها ؛ لذلك أمر القرآن الكريم بالتعاون وشجع العمل التعاونى مادام فى سبيل الخير ، يقول تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (٢) ﴾ [المائدة] ، وفى هذا أمر من الله لعباده بالمعاونة بينهم على فعل الخيرات وترك المآثم (١).

« والبر كما هو معروف اسم جامع لكل خصال الخير ، ففى الأمر بالتعاون أمر بأن يعين الغنى الفقير ، ذا الحاجة المحتاج إلى مساعدة ، وأمر لذى العقول الرشيدة بتوجيه ماهو فى حاجة للنصح والإرشاد إلى طريق الخير ، وأمر بأن يعين الصانع الماهر أخاه المتوسط المهارة ، إلى آخر أنواع التعاون فى سبيل الخير» (٢) ، أما الاشتغال بالشعائر والتظاهر بالتقوى ،مع الضن بالعون وحجب الخير عن الناس فهو دليل على وهن الإيمان وكذب الادعاء ،وخلل القصد،ممايورد صاحبه موارد الهلاك. وما أحوج مجتمعنا اليوم إلى هذا اللون من التعاون بين الأفراد وأن يقوم كل فرد بواجبه تجاه الآخرين .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن التعاون الجماعى فى العمل أصبح ضرورة ملحة ؛ ذلك لأن الجهد الفردى مهما كان بارعاً فهو محدود فى نتائجه إذا قيس بالجهد الجماعى؛ ولذلك فالإسلام يرسى دعائم العمل التعاونى بالقول والعمل فى كثير من المواقف إيماناً منه بأن سعادة الفرد لاتكون إلابسعادة المجموع ، فهو يعلن ـ وعلى سبيل المثال ـ أن « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٣).

والرسول عليه الصلاة والسلام يهدف من وراء هذا إلى « إقامة نظام اجتماعى تسوده روابط الأخوة والود كأفراد الأسرة الواحدة ، أخوة لاتحصرها حدود جغرافية . ولاتحتكرها عائلة أو قبيلة أو جماعة معينة ، وفى هذا يوجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخطاب إلى نبيه الكريم ليعلن رسالته للناس كافة » (٤).

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ**

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

(٢) محمد يوسف موسى : الأخلاق فى القرآن ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٢ (كتاب الآداب) .

(٤) محمد عمر شبرا : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف] .

والنتيجة الطبيعية لهذه الأخوة يظهرها التعاون المتبادل والمساعدة المتبادلة لاسيما بين المسلمين الذى توحدهم العقيدة ، بالإضافة إلى الأصل المشترك مع غيرهم من الناس .

لذا ينبغى أن تهيئ المدرسة الفنية ما ينمى جوهر هذه الروح التعاونية ، ويقتضى ذلك بالنسبة للمنهج الدراسى أن يوفر فرص العمل الجماعى فى شكل مشروعات تبرز قيمة العمل التعاونى بعيدا عن الفردية ؛ لأن تربية مثل هذه العادات لها قيمة كبيرة فى مجال الإنتاج (١) ، كما ينبغى إحلال العمل التعاونى والتخطيط المشترك فى أساليب التعليم بالمدرسة محل العمل الفردى ، والتنافس غير المرغوب فيه ، بما يستلزمه ذلك من تهيئة الفرص التعليمية التى يتعاون فيها المتعلمون لتنفيذ مشروعات مشتركة معينة أو الاشتراك فى إنتاج معين (٢).

الخلاصة أن المسلم « إذا أراد أن ينعم فى دنياه وأخراه ، عليه أن يراعى آداب الدين فى طلب الرزق وأن يضع ماله فى ما يجلب له وللناس الخير » وللوصول إلى أهداف المجتمع القائم على الأخلاق والأخوة والتعاون لابد من وجود نظام تربوى يغرس هذه القيم فى نفوس النشء ، وينظر إليه كإلزام أدبى للمجتمع ، ومهمته أساسية من مهام الدولة الإسلامية ، تعمل على تنفيذها بكل جد وإخلاص(٣).

إن المسلم إذا التزم بأخلاقيات المهن والحرف فى الإسلام كان نموذجاً للدين يدين به ويدعو إليه ، أو نمطاً حياً متحركاً للفكر الإسلامى الذى يملأ قلبه وعقله ، ويصدق سلوكه فى الحياة مع نفسه أو مع الآخرين .

وهكذا نجد أن الآيات البينات والأحاديث الشريفة التى توضح وتؤكد على القيم الخيرة من اتجاه النية فى العمل إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وتجنب النجش ، والصدق ، وتجنب الغش والحلف والاحتكار ،والوفاء بالكيل والميزان والعهد ،واتقاء الشبهات ، والسماحة فى البيع والشراء ،وإنظار المعسر ،والأمانة وتجنب أكل أموال الناس بالباطل، وكذا النهى عن المنابذة والملامسة عند البيع ، والتطوع بدون أجر فى ظروف خاصة .

كل هذه القيم إذا ما اتبعها مجتمع من المجتمعات يأخذ بأسباب التنمية ويخطط لعمليات التقدم والتمدين ،فإنه يعمل ويلاشك فى إنجاز مشروعاته وينفذ خططه فى جو اجتماعى ومناخ تعاونى ، خاصة إذا عرفنا أن الإنسان هو هدف ووسيلة التنمية ، فمثل

---

(١) محمد كمال طه الحسينى: الاتجاه البوليتيكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

(٢) إبراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

(٣) على عبد الحليم محمود : المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٤ .

هذه القيم هى الأخرى هدف من أهداف التنمية ، تعمل المجتمعات الإسلامية على تحقيقها والالتزام بها فى شكل متوازن لا تطغى فيه الماديات على المعنويات .

بل « يعتبر الحفاظ على القيم الإسلامية هدفاً من أهداف التنمية كما تعتبر القيم الإسلامية وسيلة فعالة لتحقيق التنمية المتوازنة المتكاملة » (١).

---

(١) عبد الهادى الجوهرى : القيم الإسلامية والتنمية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،المملكة العربية السعودية ،العدد الخامس ، ١٤٠١ هـ،ص٥٢٣ .

الفصل الثامن

النتائج والتوصيات

نتائج البحث وتوصياته

أما وقد انتهت الدراسة فيمكن أن نبرز هنا أهم ما وصلت إليه من نتائج وما انتهت إليه من توصيات على النحو التالى :

أظهر الفصل الثانى وعنوانه : « مكانة المهن والحرف فى الإسلام » :

- أن الأمر بتكليف الكسب فى الرزق سنة الله تعالى فى خلقه ، وأن هذا لا ينتقص من التوكل خلافاً لما تقوله جهال المتزهدة ؛ إذ إن العمل فى كل باب من أبواب النفع (الإنتاج) يكون فرض كفاية ، ولو ترك كان على الجماعة كلها مغبة تركه بالنسبة للمجتمع ، بل يرى بعض علماء الإسلام أن على الحاكم المسلم أن يوفر المهن والحرف وإن اضطر إلى إلزام الناس الاشتغال بحرفة ما عند الضرورة لحاجة المجتمع الإسلامى لها مع فرض أجر مناسب للعاملين بتلك الحرفة دون إجحاف أو استغلال للعامل .

- أوجب الإسلام على كل فرد مسلم أن يسعى ويعمل ويجتهد ملتمساً الرزق من خبايا الأرض والكون ، حتى يغنى نفسه ويسد حاجته وينفق على أسرته غير مفتقر إلى معونة من فرد أو دولة ، ومن ضاق عليه رزقه فى بلده لسبب ما فعليه أن يضرب فى الأرض يبتغى من فضل الله فأرض الله واسعة .

- أن على المرأة إذا اضطرت للعمل فعليها أن تعمل فيما يناسبها من حرف ومهن فى حدود الشرف والكرامة ، فالمرأة كانت فى عهد رسول الله ﷺ تقوم بكثير من الأعمال داخل بيتها وخارجه من غير أن ينكر رسول الله ﷺ عليها أنها عملت فى القيام على شئون بيتها فى عهد رسول الله ﷺ ، وعملت المرأة المسلمة فى التمريض فكانت تداوى الجرحى وتنقل القتلى إلى المدينة فى الحرب .

- أن كلاً من الخلفاء الراشدين وعلماء المسلمين قد اشتغلوا بالمهن المختلفة فكان عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف تجاراً وأبو بكر بزازاً وعمرو بن العاص جزاراً وخباب بن الأرت حداداً ، وسعد بن أبى وقاص يصنع النبال ، وعبد الله بن مسعود راعياً للغنم وزيد بن سلمة مزارعاً .

وفى ضوء ذلك يوصى الباحث بما يلى :

* الاهتمام بالدافع الدينى فى التمهن وضرورة استنفار روح العمل الإسلامية وما تمثله من إعلاء لقيمة العمل وإتقانه ، والعودة إلى الحكم الشرعى الذى يلزم الجميع بالاكتفاء الذاتى فى شتى الحرف والمهن كفرض كفاية ، يأثم المجتمع كله بالتفريط فى القيام به راضياً بالتبعية الاقتصادية فى زراعته وصناعته وتجارته .

* ضرورة أن ينظر الطلاب وأولياء الأمور إلى التعليم الفنى نظرة صحيحة محترمة، وأن هذا التعليم لا يقل عن التعليم العالى ، وذلك بتصحيح مفهوم العمل فى أذهان الطلاب وأولياء الأمور وأنه فعلاً لا يقل عن التعليم العام ، ويتم ذلك على سبيل المثال ضمن برامج تعد لكليهما .

* يجب على المدرسة تنمية وعى التلاميذ بأهمية الإنتاج وأهمية المهن والحرف من خلال مناهجها باعتبارهما وسيلة من وسائل الرقى والتقدم لأفراد المجتمع .

* يجب على المدرسة تعميق تربية التلاميذ على الاجتهاد والسعى وراء العلم أو العمل فمن أراد علماً أو عملاً ولم يجده فى بلده فعليه أن يضرب فى الأرض فأرض الله واسعة ، وأن ذلك يزيد من أجره عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما يجب أن تزود المناهج الدراسية بقصص الخلفاء الراشدين والعلماء الأجلاء الذين كانوا قدوة فى السعى والضرب فى الأرض لتحصيل العلم والعمل .

أظهر الفصل الثالث وعنوانه : « الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام » :

ـ أن التمدن الإسلامى يقوم على فلسفة خاصة به فى الكون والوجود والإنسان والمجتمع والأخلاق وهذه الفلسفة ترتكز على :

١ ـ أن الإنسان خليفة الله على كل ما فى الأرض ، ومن ثم فعليه أن يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قياماً أميناً واعياً ، كما عليه أن يحافظ على المال من العبث والتبديد والضياع ويحسن إنفاقه والوفاء بما للناس فيه من حقوق وتوجيهه للغرض السامى الذى لأجله خلق وهو صالح المجتمع وسعادته .

٢ ـ أن الإسلام قد هيأ المجال الملائم أمام الإنسان لاستخدام كل طاقته الإبداعية ، ووفر له كل الشروط الضرورية التى تساعده على القيام بمهمته الكبرى المتمثلة فى خلافته لله فى الأرض والنهوض بمسئوليته فى عمارة الأرض ، وجعل الله الكون كله بسمائه وأرضه ، وما بينهما مجالاً لنشاط الإنسان فكل ماعدا الإنسان فى هذا الكون مسخر لخدمة الإنسان ومجال لنشاطه .

وإذا كانت فلسفة التمدن غير الإسلامى يمكن أن ترتكز على الجانب الروحى فقط أو الجانب المادى والعمرانى فقط،فإن فلسفة الإسلام تقوم على الاهتمام بالجانبين معاً .

ـ أن التربية المهنية والحرفية فى الإسلام قد قامت على أصول نفسية كان من أهمها :

أ ـ دافعية الفرد للعمل بمهنة أو حرفة .

ب ـ العلم بأصول المهنة .

جـ ـ القدرة على القيام بمتطلبات المهنة .

د ـ مراعاة الفروق الفردية .

كما قامت على أصول اجتماعية واضحة كان من أهمها :

أ ـ النظرة الإسلامية للعمران .

ب ـ النظرة الإسلامية للإنسان .

جـ ـ الإتقان .

د ـ الأخلاقية .

هـ ـ جزاء المهنة .

ـ أن الاتجاه إلى التربية المهنية والحرفية وليد الفكرة أو الأيدلوجيا الإسلامية التى لا تهتم بالعلم النظرى دون التطبيق،ومن ثم كان توكيد قيمة العمل وإبرازه والحض عليه ، فكرة واضحة ، شديدة الوضوح فى مفهوم الإسلام ؛ ولذلك فليس بغريب أن يهتم الإسلام بربط العلم بالعمل ربطاً محكماً لا انفصام له ، ويحرص تمام الحرص على أن يوثق الروابط بين الفكر والتطبيق وبين العلم والعمل ، فهو بحكم كونه عقيدة تهدف بالدرجة الأولى إلى ترشيد السلوك الإنسانى وتعقيله لكى يصبح متوافقاً مع ما ينبغى أن يكون لابد أن يعطى العمل اعتباراً هاماً .

ـ أن الدافع فى الإسلام دافع ذاتى فى المقام الأول فالمؤمن بالإسلام لا يساق إلى العمل الدنيوى سوق القطعان ، وإنما يندفع المؤمن بحافز من نفسه وباعث من ذاته ، ذلك الباعث الذاتى هو الإيمان بالله وبرسالة السماء وبمهمته فى عمارة الأرض والسيادة على الكون .

ـ أن الإسلام لا يقر علماً لا ينتفع به ولذا كان المسلمون يتعلمون كل ماهومثمر ومفيد لدينهم ودنياهم .

ـ أن العلم فى الإسلام ليس له حدود فهو قابل للزيادة والنماء وأن المسلم مطالب بتنميته والاستمرار فيه.

ـ أن الإسلام قد جعل العمل على قدر الطاقة ، وهذا تكليف إلهى ؛ لذا ينبغى على المسلم أن يلتحق بالعمل الذى يناسبه أو يستطيع أداءه بكفاءة ومقدرة ، فلا ينبغى أن يختار عملاً لم يؤهل له ولا يستطيع أداءه أو لا يحسنه .

ـ أن إخلاص النية والرغبة فى العمل يؤدى إلى الإجادة والإتقان وحدود هذه الإجادة فى الإسلام تدور فى فلك الاستطاعة ، فقد كلف الله المسلم بإتقان عمله فى حدود استطاعته .

ـ أن الأعمال قد تكون طيبة وقد تكون خبيثة ولكن الإسلام يأمر بالعمل الطيب ، ودائرة العمل الطيب الحلال واسعة ، وينهى عن كل كسب ينتج عنه ضرراً أو يشوبه شبهة أو غش ، فقد حرمت الشريعة الإسلامية تحريماً باتاً الخمر وتعاطى المسكرات وبيعها وشرائها والبغاء ومهنة الرقص والغناء والميسر والقمار وأوراق النصيب والربا والغش وبيع الغرر والطرق التجارية التى لا تضمن النفع اليقينى إلا لأحد الفريقين دون الثانى ، وكذلك الاحتكار وغير ذلك من الصفات التى تعود على المجتمع بنوع من أنواع الضرر .

ـ أن حق العامل يجب أن يتناسب مع قدراته ومواهبه فإنقاص الأجر عما يستحق العامل عن عمله ظلم ويخس للعامل ، والجزاء للمهنة ينقسم إلى جزاء دنيوى (مادى) يتمثل فيما يجب أن يحصل عليه الفرد مقابل عمله ، وجزاء من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه على قدر العمل واستحسانه يكون الجزاء .

وفى ضوء ذلك يوصى الباحث بما يلى :

* أن ينطلق تعليمنا المعاصر من فلسفة واضحة تنبع من تراثنا الإسلامى وواقعنا الثقافى وأهدافنا المستقبلية .

* العمل على وجود إطار فكرى إسلامى « أيديولوجيا إسلامية » ترتكز عليها المهن والحرف فى العصر الحديث .

* التركيز على مبدأ الدافعية ، دافعية الأفراد العاملين ، من مبدأ إيمانى ، وذلك أن الإيمان هو مفتاح قوى الدفع التى تشحننا بالعزم والإصرار والتفانى فى سبيل بلوغ أهداف حياتنا المادية والمعنوية .

* ينبغى أن تعمل التربية فى عالمنا المعاصر على تربية الفرد المسلم « المخلص فى عمله والمحب له ، والذى يحسن استخدام يده كما يحسن استخدام الآلة وذلك بموازاة الفكر » (١) ، أى يجب العمل على تربية العقل واليد وتدريبهما معاً ، للإسهام فى إنماء الكيان الإسلامى نمواً متكاملاً « مع إعادة التوازن والانسجام بين العلم والعمل وبين الأخلاق والعمل » (٢) .

* أن التربية فى العالم الإسلامى المعاصر يجب أن تضع فى اعتبارها خطة إنماء التربية المستمرة بواسطة بعض وسائل التربية مثل الإذاعة والتليفزيون .

* ينبغى رفع مكانة العمل عن طريق إقامته على أساس العلم ، وتشجيع الإقبال

---

(١) محمد فاضل الجمالى : تربية الإنسان الجديد ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨٩ .

(٢) محمد فاضل الجمالى : نحو تربية مؤمنة ، فلسفة تربوية متكاملة لتحقيق مجتمع إسلامى ناهض ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

عليه ، بتوفير الحوافز المادية والادبية ، تخلصاً من النظرة الدونية التى صغرت من شأنه ورفعت قيمة الدراسات النظرية عن الدراسات العملية .

* ضرورة تزويد العامل المسلم بالحرفة أو المهنة التى يملك القدرة على القيام بها على الوجه الأكمل بسرعة وإتقان .

* تعديل شروط القبول بالمدارس الثانوية الفنية ، بحيث لا تختار طلابها بناءً على المجموع فقط دون النظر إلى قدراته الكلية .

* مراعاة الفروق الفردية عند اختيار العاملين بالمهن والحرف المختلفة .

* ضرورة أن يستغرق الإعداد للمهنة أطول فترة ممكنة من التدريب المتخصص حتى يستطيع العامل المسلم الإلمام بعمله على خير وجه . كما ينبغى أن يستهدف المجتمع تنمية الشخصية المنتجة وذلك بمساعدتها على التمكن من بعض المهارات الأساسية التى تمكنها من العمل بحرفة أو مهنة ما والعيش الناجح فى المجتمع الإسلامى (١) .

* إذا كانت التربية الإسلامية قد حرصت على تنمية تقوى الله فى القلوب ، وعلى أن يعمل المسلم فى كل عمل طيب ، وأن دائرة العمل الطيب واسعة عريضة فإن ذلك ينبغى أن يراعى فى نظامنا التعليمى الحالى ، فلا تقر الدولة حرفة أو مهنة فى التعليم الفنى لا يرضى عنها الشرع الشريف ، وإن كانت تدر ربحاً أو تزيد الدخل القومى .

* ضرورة ربط الأجر بحد أدنى يكفل اشباع الحاجات الأساسية من مسكن ومأكل وملبس حتى يعمل العاملون فى جو من الراحة والأمان .

أظهر الفصل الرابع وعنوانه : « التصنيفات المختلفة للمهن والحرف » :

أن هناك تصنيفات مختلفة للمهن والحرف عند المسلمين وغيرهم ، وأن المسلمين قد تناولوا التصنيفات المتعددة للمهن والحرف ،وقد وردت حرفهم ومهنهم ضمن التصنيفات العلمية الحديثة وإن اختلفت عنها باختلاف الزمان والتطور الحضارى .

وفى ضوء ذلك يوصى الباحث بما يلى :

* إفراد دراسات خاصة لدراسة التصنيفات العلمية للمهن والحرف عند علماء المسلمين قديما وحديثاً ، والتوسع فى دراسة تطور تلك التصنيفات ومدلولاتها التربوية والحضارية .

* وضع دراسة لواقع الحرف والمهن فى العالم العربى والإسلامى وأسباب اختفاء بعض الحرف والمهن ، وأسباب ظهور بعض المهن الأخرى ، والأحكام الشرعية المتعلقة

---

(1) E.F. Mitichell : Coopratlve Vacational Education Principles Methods And Problems (Allyn And Bacon, Inc., Boston - London - Sydney) 1977.P.3.

باختفاء وظهور تلك المهن والحرف ، والنتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية لذلك، وانعكاس ذلك كله على التربية المعاصرة فى عالمنا العربى والإسلامى وخاصة التعليم الفنى .

أظهر الفصل الخامس وعنوانه : « المهن والحرف فى القرآن الكريم » :

ـ أن القرآن قد أتى بنماذج للحرف والمهن لفتاً للنظر إليها وبياناً لدورها فى خدمة الإنسان وتعمير الكون ومن هذه المهن والحرف :

الزراعة ـ الخبز وطحن الحبوب ـ الرعى ـ حلب اللبن من الماشية (الحلابة) ـ التجارة ـ التجارة فى الطعام ـ التجارة فى المسك ـ الدباغة والحرف الجلدية ـ الأحذية ـ الاحتطاب والاتقاد ـ صناعة النسيج ـ الحياكة ـ الطباعة والنقوش ـ التنجيد ـ الصباغة ـ النجارة ـ صناعة المعـــادن ـ السباكة ـ الصياغة ـ الخامات التى تصنع منها الحلى والمشغولات ـ صناعة النقود والبناء والعمارة ـ الصيد ـ السقاية ـ الجزارة ـ الشواء ـ الحلاقة ـ الإرضاع ـ الحفر ـ حفر القبور ـ السُرج ـ التجسس ـ الخدمة ـ البريد ـ السجان ـ الفخار .

ـ أن حديث القرآن الكريم عن المهن والحرف المختلفة ليبين لفتات متعددة منها :

* بيان ما لهذه المهن من أهمية على مستوى الفرد والجماعة بل والحياة كلها .

* الحث على الشكر لتلك النعمة .

* بث قيم تربوية فى ممارسة تلك الحرف والمهن .

ـ أن القرآن الكريم قد لجأ إلى تعميق الإدراك والإحساس ببعض المهن والحرف بعدة أساليب منها :

* ضرب الأمثال بمفردات ومكونات تلك الحرف والمهن .

* القصص القرآنى الذى يتناول تلك الحرف والمهن .

ولقد جاء تناول القرآن لتلك المهن والحرف بتلك الصورة ليس مجرد عمل فنى يقصد من ورائه الرونق البلاغى فحسب ، بل إن له غايات تربوية ونفسية عديدة منها :

* تقريب تلك الحرف والمهن للمخاطبين بالقرآن .

* إثارة الانفعالات المناسبة تجاه تلك الحرف والمهن .

* لفت النظر إلى أهمية تلك المهن والحرف .

وفى ضوء ذلك يوصى الباحث بما يلى :

* التوسع فى إدخال مهن وحرف جديدة فى التعليم الفنى على أن تكون مرتبطة بحياة الناشئين وبيئتهم .

* دعم الاتجاه العملى لدى الطلاب على جميع المستويات التعليمية .

* استخدام أسلوب القصص القرآنى فى الحلقة الأولى من المرحلة الأساسية لتقريب المعانى إلى الأذهان .

* استخدام أسلوب ضرب الأمثال والتشبيه فى الحلقة الثانية من المرحلة الأساسية ليتربى العقل على القياس المنطقى السليم .

* ينبغى ممارسة بعض المهن والحرف البسيطة بداية من الحلقة الثانية من التعليم الأساسى مع إعطاء ما يتعلق بها من نظريات وذلك فى إطار المدرسة ، بشرط ألا تتطلب هذه المهن مجهوداً يفوق قدرات الطالب أو يؤثر على نموه مستقبلاً .

أظهر الفصل السادس وعنوانه : « المهن والحرف فى السنة النبوية » :

- أن السنة النبوية قد أتت بنماذج للمهن والحرف تضمنت الزراعة والصناعة والتجارة وقطاع الخدمات والثروة الحيوانية وكانت كالتالى :

الزراعة - الخبز وطحن الحبوب - الرعى - الحلابة - البزازة - الصرافة - الكيالة والوزانة - التجارة فى الطعام - التمارة - تجارة المسك - دباغة الجلود - الأحذية - الاحتطاب - السمسرة - النساجة - الخياطة - صناعة الحبال - التنجيد - الطباعة والنقوش - الصباغة - النجارة (نجارة عامة - نجارة السفن) - الحفر على الخشب - الصياغة - الحفر على المعادن - الحدادة - صناعة الأسلحة - صناعة الأجراس - صناعة النقود - البناء والتعمير - التبليط - تجارة العقارات - صناعة الحصير - الصيد - السقاية - الحجامة - التطبيب - الختان - تجارة الماشية - الجزارة - الطبخ - الشواء - صناعة الأمشاط - التجميل - الحلاقة - الإرضاع - الحفر - السرج - التجسس - الخدمة - البواب - البريد - السجان - التصوير - الحراسة - التعليم - المكاتبة - الترجمة - الفتيا .

- اتبعت السنة النبوية أسلوب القرآن فى اتخاذها القصص كأداة لتقريب المعانى إلى الأفهام ، كما استخدمت أيضاً أسلوب ضرب الأمثال والتشبيه .

- أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد اشتملا على كثير من المهن والحرف فى مواضع عديدة وبأساليب مختلفة ؛ لفتاً لنظر المسلمين لأهمية تلك المهن والحرف أحياناً، وتنفيراً لهم من بعضها ، والتى يمكن أن تلحق أذى أو ضرراً بالمجتمع .

وفى ضوء ذلك يوصى الباحث بما يلى :

* استخدام أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية سواء كان أسلوب القصص أو أسلوب ضرب الأمثال والتشبيه والقياس فى مدارسنا وجامعاتنا .

* تدريس نماذج من حياة صحابة رسول الله ﷺ من الذين عملوا بحرف ومهن مختلفة ولم يأنفوا من واحدة منها ، وذلك فى التعليم الأساسى حتى ينشأ الطفل على

حب العمل واحترامه وتقديسه .

أظهر الفصل السابع وعنوانه : « أخلاقيات المهن والحرف » :

- أن العمل في الإسلام يعتمد على الناحية الخلقية وعلى مراقبة الضمير وخشية الله ، أكثر مما يعتمد على الالتزام والسيطرة التى توفرها القوانين الوضعية ؛ لأن سلطان الخلق والضمير أقوى من سلطان القانون ، فرقابة الضمير حارس لا يغفل وسلطان القانون كثير الغفلة والنسيان .

- أن رجل الحرفة أو المهنة مطالب بأن يلتزم بأخلاقيات الإسلام بصفة عامة ، وبأخلاقيات مرتبطة بمهنته بصفة خاصة .

- أن الإسلام يدعو إلى العمل التطوعى ، كما يدعو أيضاً إلى العمل التعاونى ويشجعه ، ومن ثم يرى الباحث ضرورة التعاون بين البلدان الإسلامية لتحقيق الاكتفاء الذاتى على أن يوضع فى الأذهان « أن أهداف التضامن الإسلامى يمكن أن يتحقق عن طريق التعاون الذى يسعى إليه بطريقة واقعية وليست خيالية ، فنحن نعتقد أن المجتمعات الإسلامية يجب أن تهدف إلى ما هو ممكن لتحقيق ما هو مرغوب فيه إسلامياً » (١) . فليبيا على سبيل المثال لها متسع من التراب ومصر لديها فائض من القوة البشرية ، كما للكويت فائض من المال المعطل لو اجتمعت هذه العوامل الثلاثة فى خطة تجريبية لأدرك العالم العربى كله أن شروط الاكتفاء الذاتى تحت يده عندما يريد النهوض الاقتصادى بتعميم تلك التجربة الثلاثية، حتى تصير هذه التجربة لبنة عربية فى أساس الحضارة الإسلامية الجديدة (٢) .

إن هذا التعاون سيكون فى صالح كل بلد من تلك البلدان حتى ولو كانت تتميز بازدهار اقتصادى « فالكويت مثلاً كانت مشيخة فقيرة مبتلية ، لم تكن تجد حتى ضروريات الحياة كالماء الكافى والطعام أو حتى المأوى ، والآن نجد أن إيرادات البترول قد غيرت الوضع ، وعلى أى حال فإن البترول كمصدر للدخل لا يستمر للأبد ، فإنه يختفى فجأة كما يظهر فجأة وقد قدر احتياطى البترول حوالى ٦٥ بليون برميل بمعدل ٢,٦ مليون برميل يومياً ، وعلى افتراض أن آبار البترول ستجف بعد خمسين عاماً - ماذا سيحدث هل سيكتشفون غيره فكما هو واضح الآن ليس للكويت مورد آخر يحقق لهم النجاح ، هل سيقبلون العودة إلى الصحراء » (٣) . إن الخمسين عاماً ليست بمدى طويل لذا يجب على الكويت أن تخطط للمستقبل فى ظل التعاون مع غيرها من البلدان

(1) Ziauddin Sardar : Science Technology And Developement In The Muslim World, Croomhelm - London in association with the muslim institute, 1977. P.175.

(٢) مالك بن نبى : المسلم فى عالم الاقتصاد ، دار الفكر ، دمشق ، د.ت ، ص ١٠٥ .

(3) ZiauDdin Sardar : Science Technology And Developement In The Muslim World, CP.cit.P.171: 172.

الإسلامية حتى تحقق التنمية لكل منها وحتى تأمن التقلبات المختلفة .

- إن التربية الخلقية تمثل جانباً من جوانب متعددة للتنمية الشاملة لأى مجتمع ؛ لذلك فلابد عند دراسة مسألة الإنتاج من مراعاة التأثير المتبادل لهذه الأخلاق على التنمية الشاملة .

وفى ضوء ذلك يوصى الباحث بما يلى :

* العمل على تدعيم بعض المضامين التى تندرج تحت قيمة العمل مثل احترام الوقت والعمل والإنتاج والشعور بالمسئولية والقدرة على أداء العمل ، وغير ذلك من المضامين التى تحتاج إلى تدعيم وتوضيح من خلال الجوانب المختلفة للتربية الدينية .

* ضرورة تزويد طلاب التعليم الفنى بأخلاقيات الحرفة أو المهنة التى يعملون بها .

* ضرورة أن يكون لكل مهنة دستور أخلاقى ترجع إليه يرتكز على أصول إسلامية .

* الاهتمام بالعمل التعاونى فى كافة المجالات الزراعية والصناعية والتجارية والخدمية .

هذا وقد أثارت الدراسة الحالية عدداً من المشكلات يوصى الباحث بدراستها دراسة تفصيلية ، نوجزها فيما يلى :

- تطور الحرف والمهن فى المجتمع الإسلامى عبر العصور ، وعوامل قوة وضعف تلك المهن والحرف وعلاقة ذلك بالتربية عبر العصور الإسلامية المختلفة .

- وضع المهن والحرف فى المجتمع الإسلامى المعاصر ومدى تبعية المجتمعات الإسلامية للآخرين وحكم الإسلام فى تلك التبعية ، والمضامين التربوية لذلك كله .

- المهن والحرف عند مفكرى الإسلام ، وهل ظل الفكر الإسلامى يعكس تلك الروح الإسلامية أم أنه وقع فى الانحراف أيضاً ، وفضل أحياناً العمل الفكرى على العمل اليدوى .

- إمكانية قيام سوق مشتركة بين دول العالم الإسلامى ، أو تكامل اقتصادى وانعكاس ذلك على تطور الحرف والمهن فى العالم الإسلامى ، ومن ثم على التعليم الفنى فى هذا العالم الإسلامى .

- عوامل تدنى الإنتاجية الحرفية والمهنية فى العالم العربى والإسلامى .

- أثر الدافع الدينى فى زيادة الإنتاج لدى عمال مجموعة من مؤسسات الإنتاج مثل شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى وهكذا .

- التربية المهنية والحرفية فى الفكر الإسلامى المعاصر .

- طبيعة « مناخ العمل » وأثره على تنمية اتجاهات الطلاب نحو العمل .

- التبعية الإقتصادية وآثارها السياسية والاقتصادية والإجتماعية ودور التربية فى الخروج من هذا المأزق الحضارى الذى وقعت فيه الأمة ، مأزق التبعية الاقتصادية ودور الأيديولوجية الإسلامية والتربية الإسلامية فى تجاوز هذا المأزق الحضارى .

المـــراجـــع

أولاً : المراجع العربية :

إبراهيم الغطريفى :

١ ـ العمل والإنتاج ، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

إبراهيم النعمة :

٢ ـ العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٥ م .

إبراهيم عصمت مطاوع :

٣ ـ أصول التربية ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ م.

إبراهيم مصطفى وآخرون :

٤ ـ المعجم الوسيط ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحـمد القرشى) :

٥ ـ معالم القربة فى أحكام الحسبة ، عنى بنقله وتصحيحه: روبن ليوى ،مكتبة المتنبى ، القاهرة ، د . ت .

ابن جماعة (بدر الدين محمد بن أبى إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جمـاعة الكنانى المتوفى سنة ٥٣٣ هـ) :

٦ ـ تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٤ هـ .

ابن حجر العسقلانى :

٧ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، الطبعة الأولى ،دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م .

ابن سينا :

٨ ـ كتاب السياسة ، نشره لويس معلوف ، مجلة المشرق البيروتية ، ١٩٠٦م .

ابن منظور (محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصارى الإفريقى المصرى) :

٩ ـ لسان العرب، الطبعة الثانية، تحقيق ثروت عكاشة ،دار المعارف،القاهرة، ١٩٦٩م.

أبو الأعلى المودودى :

١٠ ـ نظام الحياة فى الإسلام ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ،١٩٨٧م.

أبو حذيفة إبراهيم بن محمد :

١١ ـ آداب التاجر وشروط التجارة ، مكتبة الصحابة للطباعة والنشر والتوزيع ، طنطا ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .

أبو حيان التوحيدى :

١٢ ـ الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط أحمد أمين ، أحمد الزين ،منشوارت دار مكتبة الحياة ،بيروت ،د . ت .

أبو يوسف بن إبراهيم :

١٣ ـ الخراج، نشره قصى بن محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، القاهرة ، ١٣٩٧هـ .

أبو الحسن الأشعرى :

١٤ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،الطبعة الثامنة ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

أبو الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعي التلمسانى (المتوفى سنة ٧٨٩ هـ) :

١٥ ـ تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،لجنة إحياء التراث الإسلامى،تحقيق أحمد محمد أبو سلام، القاهرة ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

أحمد الريسونى :

١٦ ـ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى ، منشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى، نشر وتوزيع الدار العالمية للكتاب الإسلامى ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى :

١٧ ـ المصباح المنير ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

أحمد رفعت عبد اللطيف :

١٨ ـ تخطيط للتعليم الفنى فى ضوء مطالب التنمية في الجمهورية العربية المتحدة،رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٣ م .

أحمد زكى بدوى ، محمد كمال مصطفى :

١٩ ـ معجم مصطلحات القوى العاملة،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ،١٩٨٤م .

أحمد زكى بدوى :

٢٠ ـ معجم المهن والحرف ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م .

أحمد شلبى :

٢١ ـ التربية الإسلامية (نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها) الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

٢٢ ـ موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

أحمد عبد الرحمن الجاحد :

٢٣ ـ الاتجاه الإسلامى عند بعض مفكرى التربية فى مصر وأثره على التطبيق التربوى من ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢ م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة المنوفية ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ١٩٨٣م .

أحمد فؤاد الأهوانى :

٢٤ ـ التربية فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

أحمد محمد العسال ، فتحى أحمد عبد الكريم :

٢٥ ـ النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مبادئه وأهدافه ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

الإمام ابن تيمية :

٢٦ ـ الحسبة فى الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، من منشورات مسجد التوحيد ، تحقيق أبو المنذر سامى أنور ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

الإمام ابن كثير : (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى) :

٢٧ ـ تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت .

الإمام البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى) :

٢٨ ـ صحيح البخارى ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت .

الإمام الغزالى (أبو حامد بن محمد الغزالى) :

٢٩ ـ إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت .

٣٠ ـ بداية النهاية، أدب المسلم فى اليوم والليلة، تحقيق عثمان الخشت، مكتبة القرآن ، القاهرة ، د . ت .

٣١ ـ ميزان العمل ، مكتبة الجندى ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
الإمام القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى) :
٣٢ ـ الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .
الإمام مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيرى النيسابورى) :
٣٣ ـ صحيح مسلم ، دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ .
الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء (رئاسة الجمهورية) :
٣٤ ـ التصنيف العربى الموحد للنشاط الاقتصادى (الصناعة)، القاهرة ، أكتوبر ، ١٩٦٥م .
الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على بن ثابت) :
٣٥ ـ اقتضاء العلم العمل ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد ناصر الألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٣٩٧هـ .
السيد الشحات أحمد حسن :
٣٦ ـ تطور التعليم الدينى ، دراسة تحليلية فى مصر من ١٨٠٠ ـ ١٩٢٣م ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
٣٧ ـ تعليم الصنائع ، الفكر التربوى العربى الإسلامى ، الأصول والمبادئ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة البحوث التربوية ، ١٩٨٧م .
السيد محمود شكرى الألوسى البغدادى :
٣٨ ـ بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، الطبعة الثانية ، عنى بشرحه وتوضيحه وضبطه محمد بهجة الأثرى ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، بدون تاريخ .
اللجنة المركزية للإحصاء :
٣٩ ـ التصنيف المهنى القومى، مطبعة مصر، القاهرة ، ١٩٦٣م.
٤٠ ـ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، الطبعة السادسة ، أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة القرآن والسنة ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .
المورد :
٤١ ـ مجلة تراثية فصلية تصدر عن وزارة الثقافة، العراق، العدد ٥٤ ، سنة ١٤٠٤ هـ .
جابر عبد الحميد جابر :
٤٢ ـ الذكاء ومقاييسه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت .

جابر قميحة :
٤٣ ـ المدخل إلى القيم الإسلامية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
جمال البنا :
٤٤ ـ تعميق حاسة العمل فى المجتمع الإسلامى ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
جمال الدين عياد :
٤٥ ـ نظم العمل فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٥٢م .
جواد على :
٤٦ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م .
جون ديوى :
٤٧ ـ التربية فى العصر الحديث ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ، محمد حسين المخزنجى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت .
حسين إبراهيم حسن :
٤٨ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الطبعة الثالثة عشر ، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
حسن شحاتة سعفان :
٤٩ ـ دراسات فى علم الاجتماع الاقتصادى، أصدره معهد البحوث والدراسات العربية ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧١م .
حسن على حسن :
٥٠ ـ الدين ودافعية الإنجاز ، دراسة نفسية مقارنة لمستوى دافعية الإنجاز ، مجلة المسلم المعاصر ، السنة الرابعة عشر ، العدد الخامس والخمسون ، رجب ، شعبان ، رمضان ، ١٤١٠ هـ .
حسن قطب الجلادى :
٥١ ـ تنمية بعض القيم الأخلاقية عند التلاميذ فى مرحلة التعليم الأساسى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنصورة ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ١٩٨٨م .
حسنى أدهم جرار :
٥٢ ـ القدوة الصالحة ، أخلاق قرآنية ونماذج ربانية ، دار الضياء للنشر والتوزيع ،

الأردن ، عمان ، بدون تاريخ .
حسين آتاى :
٥٣ ـ النظام الأخلاقى فى السياسة المالية ، مجلة المسلم المعاصر ،السنة الثالثة عشر ، العدد الحادى والخمسون ، رجب ، شعبان ، رمضان ١٤٠٨ هـ .
حسين مروة :
٥٤ ـ النزعات المادية فى الفلسفة العربية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفارابى ، بيروت ، ١٩٧٩م .
حلمى عبد المنعم صابر :
٥٥ ـ النظام المالى فى الإسلام وتحقيق مجتمع الكفاية والأمن ،الطبعة الأولى، الطباعى للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .
حمزة الجميعى الدموهى :
٥٦ ـ عوامل الإنتاج فى الاقتصاد الإسلامى ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
خالد محمد خالد :
٥٧ ـ إنه الإنسان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا :
٥٨ ـ عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى ، المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة العربية ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م .
رؤوف شلبى :
٥٩ ـ العمل الاقتصادى من وجهة نظر الإسلام ، الطبعة الأولى،دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
رؤول بريبش :
٦٠ ـ نحو سياسية تجارية جديدة للتنمية ، تعريب جرجس عبده مرزوق ، مراجعة د . رفعت المحجوب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
زيدان عبد الباقى :
٦١ ـ العمل والعمال والمهن فى الإسلام،مكتبة وهبة،القاهرة،١٣٩٨ هـ ـ ١٩٨٧ م .
سامية يوسف صالح :
٦٢ ـ مبادئ التربية البيئية فى الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة المنصورة ،

كلية التربية بدمياط ، قسم أصول التربية ، ١٩٩٠م .
سعد المرصفي :
٦٣ ـ العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
سعيد إسماعيل على :
٦٤ ـ أصول التربية الإسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
٦٥ ـ العمل فى الفكر التربوى الإسلامى ، دراسات فى التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
٦٦ ـ الأصول الإسلامية للتربية،الطبعة الأولى،دار الفكر العربى ، القاهرة ،١٩٩٢ م.
سعيد إسماعيل على :
٦٧ ـ النبات والفلاحة والرى عند العرب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
سلطان أبو على :
٦٨ ـ الأخلاق والتنمية ، أبحاث ندوة إسهام الفكر الإسلامى فى الاقتصاد المعاصر التى نظمتها جامعة الأزهر (مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية والإسلامية) والمعهد العالمى للفكر الإسلامى (واشنطن) فى الفترة من ٦ ـ ٩ سبتمبر ١٩٨٨م ، منشوارت المعهد العالمى للفكر الإسلامى .
سليمان الطماوى :
٦٩ـ عمر وأصول السياسة والإدارة الحديثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
سيد إبراهيم الجيار :
٧٠ ـ دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، د . ت .
سيد أحمد عثمان :
٧١ ـ التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجى (توفى سنة ٥٩١ هـ ـ ١١٩٥ م) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .
٧٢ ـ مقدمة أزمة علم النفس المعاصر لجيمس ديز ، ترجمة سيد أحمد عثمان ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨١ م .
سيد عبد الحميد مرسى :
٧٣ ـ سيكلوجية المهن ، دراسة علمية تطبيقية للمهن وأثرها فى الفرد والمجتمع ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٧٤ ـ الشخصية المنتجة ،(دراسات نفسية إسلامية)،مكتبة وهبة،القاهرة ، ١٩٨٥م .
٧٥ ـ الدين للحياة (سلسلة دراسات نفسية إسلامية)،مكتبة وهبة،القاهرة،١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

سيد قطب :

٧٦ ـ السلام العالمى والإسلام ، الطبعة السابعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٨٧ م .
٧٧ ـ العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، دار الشروق ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
٧٨ ـ فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨١ .
٧٩ ـ نحو مجتمع إسلامى،دار الشروق،القاهرة، ١٩٨٣ .
٨٠ ـ معركة الإسلام والرأسمالية ، الطبعة الحادية عشرة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهى :

٨١ ـ المستطرف فى كل فن مستظرف ، الجزء الثانى ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م

شوقى عبده الساهى :

٨٢ ـ المال وطرق استثماره فى الإسلام ، الطبعة الثانية ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

عائشة عبد الرحمن :

٨٣ ـ الشخصية الإسلامية ،دار الأحد ، بيروت ، ١٩٧٢م .
٨٤ ـ مقال فى الإنسان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

عايدة محمد عبد التواب بكر :

٨٥ ـ تقدير كفاءة خريجى التعليم الثانوى الصناعى فى ضوء متطلبات التنمية الاقتصادية فى مصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨٤م .

عادل منصور محمود صالح :

٨٦ ـ إعداد معلم المواد المهنية للمدارس الثانوية الفنية فى ج . م . ع ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨٠ م .

عباس عبد العظيم مصطفى وآخرون :
٨٧ ـ خامات ومعادن للصناعات الميكانيكية ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١م .
عبد الحى الكتانى :
٨٨ ـ نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب المصرى، بيروت، د.ت.
عبد الرحمن النحلاوى :
٨٩ ـ أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٣م .
عبد الرحمن بكر :
٩٠ ـ علاقات العمل فى الإسلام ، الهيئة المصرية لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
عبد الرحمن بن خلدون :
٩١ ـ المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ م .
عبد الرحمن بن نصر الشيرزى :
٩٢ ـ نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م.
عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب :
٩٣ ـ مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، ج ٣ ، الكتاب الخامس، دار الفكر العربى، القاهرة ، ١٩٨٧م.
٩٤ ـ التجارة فى الإسلام ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .
عبد السميع المصرى :
٩٥ ـ مقومات العمل فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
عبد العزيز الخياط :
٩٦ ـ نظرة الإسلام للعمل وأثره فى التنمية، الطبعة الأولى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.
عبد العزيز شريف :
٩٧ ـ مستقبل الثروة الحيوانية فى الوطن العربى ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ،

القاهرة ، ١٩٦٩م .
عبد الغني النوري وعبد الغني عبود :
٩٨ ـ نحو فلسفة غربية للتربية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
عبد الغني عبود :
٩٩ ـ التربية الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري ، الطبعة الأولى ،دار الفكر العربي القاهرة ،١٩٨٢ م .
عبد الغني عبود وآخرون :
١٠٠ ـ فلسفة التعليم الابتدائي وتطبيقاته، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٢م .
عبد الغني عبود :
١٠١ ـ في التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
عبد الفتاح عاشور :
١٠٢ ـ منهج القرآن في تربية المجتمع ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
عبد الفتاح عبد الله بركة :
١٠٣ ـ تعقيب على بحث الأخلاق والتنمية ، أبحاث ندوة إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر التي نظمتها جامعة الأزهر (مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية والإسلامية) والمعهد العالمي للفكر الإسلامي(واشنطن) في الفترة من ٦ ـ ٩ سبتمبر ١٩٨٨م ، منشوارت المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
عبد المنعم محمد بدر :
١٠٤ ـ اللاتطوعية وأزمة التنمية في العالم العربي الإسلامي ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٣٤ ، ربيع الثاني ، جمادى الأولى ، جمادى الثانية ، ١٤٠٣ هـ .
عبد المنعم محمد خلاف :
١٠٥ ـ المادية الإسلامية وأبعادها ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٣م .
عبد الهادي الجوهري :
١٠٦ ـ القيم الإسلامية والتنمية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية، العدد الخامس ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .
عثمان جمعة :
١٠٧ ـ التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، القاهرة، دار الكلية الطبية، ١٩٨٢م .

عطية صقر :
١٠٨ ـ الإسلام دين العمل (سلسلة كتب إسلامية) يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، العدد الثامن عشر ، محرم ١٣٨٢ هـ ـ يونيه ١٩٦٢ م .
على أحمد مدكور :
١٠٩ ـ منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته ، الطبعة الأولى ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٧ هـ .
على السالوس :
١١٠ ـ الاقتصاد الإسلامي ودور الفقه فى تأصيله ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، جمادى الأولى ، ١٤١١ هـ (مجلة الأزهر) .
على عبد الحليم محمود :
١١١ ـ المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
على خليل أبو العينين :
١١٢ ـ التربية الإسلامية والتنمية ، رسالة الخليج العربى، يصدرها مكتب التربية العربى لدول الخليج، العدد الثانى والعشرون السنة السابعة ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .
عمر التومى الشيبانى :
١١٣ ـ فلسفة التربية الإسلامية ، الطبعة الأولى ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ١٩٧٥ م .
١١٤ ـ نظرة المعرفة فى الإسلام، العلم والإيمان فى الإسلام ، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .
عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى :
١١٥ ـ العمل فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
١١٦ ـ الملكية فى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
فؤاد شندى :
١١٧ ـ التنمية الاقتصادية فى الإسلام ، الأندلس للإعلام ، الجيزة ، ١٩٧٨ م .
فكتور فركس :
١١٨ ـ الإنسان التقنى، تعريب إميل خليل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
فوزى حبيشى :
١١٩ ـ تصنيف الوظائف وتحديد رواتبها ، المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، مركز

البحوث الإدارية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .
فوقية محمد ياقوت شهبة :
١٢٠ ـ القيم التربوية للتنمية فى الحديث الشريف ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنوفية ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ١٩٩١ م .
قطب إبراهيم محمد :
١٢١ ـ الإطار الأخلاقى لمالية المسلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٣م.
كمال عزيز عبد المسيح :
١٢٢ ـ دراسة ميدانية لبعض مشكلات المدرسة الثانوية الصناعية فى جمهورية مصر العربية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، ١٩٧٧ م .
لبيب السعيد :
١٢٣ ـ دراسة إسلامية فى العمل والعمال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
مالك بن نبى :
١٢٤ ـ المسلم فى عالم الاقتصاد، دار الفكر ، دمشق ، د. ت .
١٢٥ ـ شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مكاوى، دار الفكر، د .ت.
محمد بن أبى بكر الرازى :
١٢٦ ـ مختار الصحاح ، دار الحديث ، القاهرة ، د . ت .
محمد بن الحسن الشيبانى :
١٢٧ ـ الكسب ، الطبعة الأولى ، تحقيق سهيل ذكار ، مكتبة الحرصونى ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ .
محمد أحمد الصادق كيلانى :
١٢٨ ـ الفكر التربوى فى مقدمة ابن خلدون ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنصورة ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ١٩٧٤ م .
محمد الغزالى :
١٢٩ ـ خلق المسلم، دار الكتب الإسلامية، عابدين ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
١٣٠ ـ مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، كتاب الأمة ، قطر ، ١٤٠٢ هـ .
محمد عبد الهادى عفيفى :
١٣١ ـ فى أصول التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

محمد حسنى السيد :

١٣٢ ـ العمل فى الإسلام ، الكتاب رقم (١٢) من مجلة العمل ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، فبراير ، ١٩٦٥ م .

محمد شوقى الفنجرى :

١٣٣ ـ نحو اقتصادى إسلامى ،الطبعة الأولى ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٣١ م .

محمد صالح :

١٣٤ ـ أصول الاقتصاد ، الطبعة الثانية ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م .

محمد عبد المنعم الجمال :

١٣٥ ـ موسوعة الاقتصاد الإسلامى ودراسات مقارنة ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة، ١٩٨٠ م .

محمد عبد المنعم خفاجى :

١٣٦ ـ الإسلام والحضارة الإنسانية ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣ م .

محمد عثمان نجاتى :

١٣٧ ـ القرآن وعلم النفس،دار الشروق،القاهرة ،١٩٨٢ م .

محمد عطية الإبراشى :

١٣٨ ـ التربية الإسلامية وفلاسفتها ، الطبعة الثالثة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

محمد عمر شبرا :

١٣٩ ـ النظام الاقتصادى فى الإسلام،بحث فى أهدافه وطبيعته، مجلة المسلم المعاصر، العدد الرابع عشر ، أبريل ـ مايو ـ يونيو ، ١٩٧٨م .

محمد فاضل الجمالى :

١٤٠ ـ تربية الإنسان الجديد ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٦٧ م .

١٤١ ـ نحو تربية مؤمنة،فلسفة تربوية متكاملة لتحقيق مجتمع إسلامى ناهض ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٧م .

محمد فؤاد الهاشمى :

١٤٢ ـ الأديان فى كفة الميزان ، دار الكتاب العربى بمصر ، القاهرة ، د . ت .

محمد فؤاد عبد الباقى :
١٤٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
محمد كامل حتة :
١٤٤ ـ القيم الدينية والمجتمع ، سلسلة اقرأ (٣٨٦) ، دارالمعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
محمد كمال طه الحسينى :
١٤٥ ـ الاتجاه البولتيكنيكى فى التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنوفية ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ١٩٨٤ م .
محمد لبيب النجيحى :
١٤٦ ـ فلسفة التربية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤ م .
١٤٧ ـ فى الفكر التربوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
محمد منير مرسى :
١٤٨ ـ الاتجاهات المعاصرة فى التربية المقارنة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
١٤٩ ـ التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
محمد يوسف موسى :
١٥٠ ـ الأخلاق فى الإسلام ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
محمود أبو السعود :
١٥١ ـ الفكر الإسلامى المعاصر ، مضمونة ومستقبله مجلة المسلم المعاصر ، العدد الثالث عشر ، محرم ـ صفر ـ ربيع الأول ، ١٣٩٨ هـ .
محمود السيد سلطان :
١٥٢ ـ مفاهيم تربوية فى الإسلام، مؤسسة الوحدة للنشروالتوزيع، الكويت ، ١٩٧٧م.
١٥٣ ـ قضايا فى الفكر التربوى الإسلامى ، دار الحسام للنشر والطباعة والتوزيع ، مدينة نصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ ـ ١٩٨١م .
محمود حمدى زقزوق :
١٥٤ ـ الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الثالث والستون ، رجب ، شعبان ، رمضان ، ١٤١٢ هـ .
مصطفى الشكعة :
١٥٥ ـ الأسس الإسلامية فى فكر ابن خلدون ونظرياته ، الطبعة الأولى، الدار المصرية

اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

مصطفى عبد الله رجب :

١٥٦ ـ دور التعليم الفنى والمهنى فى تحقيقه أهداف التنمية فى البحرين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٨١ م .

مصطفى عبد الموجود :

١٥٧ ـ الجديد فى الخامات والمعادن ، مكتبة العهد الجديد،الفجالة،القاهرة ،د . ت .

موريس لومبارد :

١٥٨ ـ الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامى خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩ م .

ناصر على بشية :

١٥٩ ـ التربية الإسلامية والتحديات فى المجال التقنى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ،كلية التربية،المملكة العربية السعودية ،١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

نصر الدين الطوسى :

١٦٠ ـ آداب المتعلمين ، نشره أحمد عبد الغفور عطار مع رسائل أخرى فى التربية الإسلامية،بيروت ،١٩٦٧م .

هند على فهمى :

١٦١ ـ دور التربية الدينية فى تدعيم قيمة العمل لدى تلاميذ وتلميذات الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية بنات عين شمس ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٤ م .

واضح الصمد :

١٦٢ ـ الصناعات والحرف عند العرب فى العصر الجاهلى ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م.

وهيب سمعان ، محمد منير مرسى :

١٦٣ ـ المدخل فى التربية المقارنة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

يحيى بن شرف بن حزام النووى :

١٦٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى، تحقيق وإشراف عبد الله أحمد زينة،دار الشعب ، القاهرة ، د . ت .

يوسف القرضاوى :

١٦٥ ـ الإيمان والحياة ، الطبعة التاسعة، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

١٦٦ ـ مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، د . ت .

١٦٧ ـ الوقت فى حياة المسلم، دار الصحوة، القاهرة ، د . ت .

يوسف حامد العالم :

١٦٨ ـ المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، منشوارت المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨١ م .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1 - Baker, Rebecca : Acase study of the work values of vocational cooperative and non cooperative students in Aselcted Alabama High school,Diss abst. inter. vol . 46 . No 8,Feb . 1986 .

2 - Dewey , john : Education to -day : Gp. putman's son New-york , 1940 .

3 - Dodge , Bayard : Muslim Education in Medieval Times, the Middle east institute Washington D . C, 1962 , P . 5 .

4 - E . F Mitchell : Cooperative vocational Education principles Methods and problems (Allyn and Bacon , Inc . Boston . London. Sydney . 1977 .

5 - Kohn . E . and postler . F : polytechnical Educaotion in the G .D.R ,(Ministry of Education in the G.D.R. 1973) .

6 - Nokosteon , M : History of Islamic origins of western Education university of clorado. press . New - yourk,1964.

7 - The columbia Encyclopedia, New yourk , Colombia university press, 1956 .

8 - Ziauddin Sardar: Science technology and Development in the Muslim world, institute muslim,London, 1977 .

رقم الإيداع : ١٠٨٧٨/ ١٩٩٩م

I.S.B.N:977-15-0273-5

هذا الكتاب

※ لقد نجحت التربية المهنية والحرفية خلال القرون الهجرية الأولى فى خلق حضارة إسلامية زاهية ، شملت العديد من المهن والحرف ، وكان ذلك بفضل استجابة المسلمين الأوائل للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى تدعو للعمل وكسب العيش من المهن والحرف .

※ وتأتى أهمية هذا الكتاب من أهمية دراسة التربية الحرفية والمهنية ؛ لأن العصر الذى نعيشه عماده الرئيسى المهن والحرف ، وهما يُعدان العمود الفقرى فى النهضة الصناعية والأساس الذى ترتكز عليه التنمية .

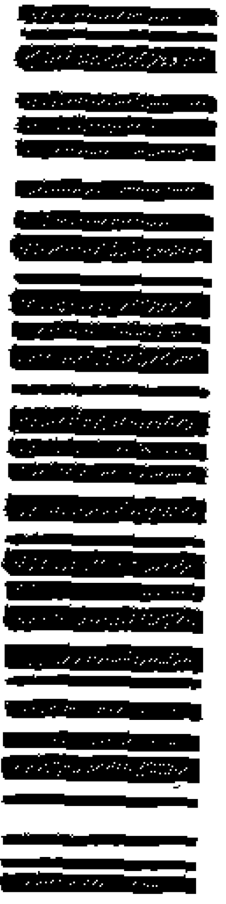
※ كما يستمد الكتاب أهميته من إظهار دور الدافع الأيديولوجى الإسلامى فى إيجاد نهضة حرفية ومهنية ، فشتان بين أن يعمل الفرد تنمية لماله وتأمينا لمعاشه، وأن يعمل لهذا واستجابة لله ـ تعالى ـ وتنفيذا لشريعته .

※ كما أن الكتاب يعتبر خطوة على الطريق لبعث نهضة حضارية إسلامية ، لها دعامتها الاقتصادية والمهنية والحرفية القوية التى ترتكز على دعائم الإسلام وقيمه وتعاليمه .

※ ويسعى الكتاب إلى تحقيق النقاط التالية :

- إبراز مكانة المهن والحرف فى الإسلام .
- توضيح الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى القرآن الكريم والسنة النبوية .
- حصر النصوص القرآنية والنبوية التى تدعو إلى العمل المهنى والحرفى ودراستها ومناقشتها لاستخلاص ما تدعو إليه من تربية مهنية وحرفية .

※ ويسر دار الوفاء أن تقدم هذا الكتاب إلى القراء الكرام ،والله من







دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ ج.م.ع ـ المنصورة
الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠
ت :٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣